

▲ تحامل الجاهل على العالم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: وَيَلْ لعالم أمرٍ من جاهله.

وقالوا: إذا أردت أن تُفحم عالماً فأخضره جاهلاً.

وقالوا: لا تُناظر جاهلاً.

وقالوا: لا تُناظر جاهلاً ولا لجوجاً فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلّم بغير شكر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرحموا عزيزاً ذلّ أرحموا غنياً افتقر أرحموا عالماً ضاع بين وجاء كيسان إلى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء ففكر فيه الخليل ليحييه فلما استفتح الكلام قال له: لا أدري ما تقول فأنشأ الخليل يقول: لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتك لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك وقال حبيب: وعاذل عذلته في عذله فظنّ أنّي جاهل من جهله ما غبن المعبون مثل عقله من لك يوماً بأخيك كله تنجيل العلماء وتعظيمهم الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال: لا تفعل بابن عمّ رسول الله صلى الله عليه فقال: هكذا أمرنا أن تفعل بعلمائنا.

قال زيد: أرني يدك فلما أخرج يده قبلها وقال: هكذا أمرنا أن تفعل بابن عمّ نبيّنا.

وقالوا: خدمة العالم عبادة.

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: من حق العالم عليك إذا أتيتّه أن تُسلم عليه خاصّة وعلى القوم عامّة وتجلس قدامه ولا تشير بيدك ولا تعمز بعينيك ولا تقل: قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بتوبه ولا تُلح عليه في السؤال وإنما هو بمنزلة التخلّة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء.

وقالوا: إذا جلست إلى العالم فسله تفقهاً ولا تسله تفتاً.

▲ عويص المسائل

الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصّناحي عن معاوية بن أبي سفيان قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات.

قال الأوزاعي: يعني صعاب المسائل.

وكان ابن سيرين إذا سُئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل: أمسيكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس.

وسأل عُمَرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه علي بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فقال: ما تَقُولُ في رَجُلٍ أمَّه عند رَجُلٍ آخِرٍ فقال: يُمَسِّكُ عنها أراد عمر أن الرجل يموت وأمه عند رجل آخر وقولُ عليٍّ يُمَسِّكُ عنها.

يريد الزَّوْجُ يُمَسِّكُ عن أمِّ الميت حتى تَسْتَبْرِئَ من طريق الميراث.

وسأل رجلٌ عُمَرَ بن قيس عن الحِصَّةِ يَجِدُها الإنسان في ثوبه أو في حُفِّه أو في جَبْهَتِهِ من حَصَى المَسْجِدِ فقال: ازْمِ بها قال الرجلُ: رَعَمُوا أنها تَصِيحُ حتى ترد إلى المسجد فقال: دَعَهَا تَصِيحُ حتى يَنْشِقَ حلقها فقال الرجلُ: سُبْحان الله! ولها حَلَقٌ قال: فمن أين تَصِيحُ وسأل رجلٌ مالكَ بن أنس عن قوله تعالى: " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " كيف هذا الاستواء قال: الاستواء مَعْقُولٌ وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ ولا أَظُنُّكَ إلا رَجُلًا سوءًا.

وروى مالِكُ بن أنس الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يُدْخِلُ يَدَهُ في الإناء حتى يَغْسِلَها فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أين باتت يَدُهُ.

فقال له رجلٌ: فكيف تَصْنَعُ في المِهْرَاسِ أبا عبد الله - والمِهْرَاسُ: حَوْضُ مكة الذي يَتَوَضَّأُ الناسُ فيه - فقال: من الله العِلْمُ وعلى الرسول البلاغُ ومِنَّا التَّسْلِيمُ أَمْرُوا الحديث.

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما تقول في رجل طَلَّقَ امرأته عددَ نُجُومِ السماء قال: يَكْفِيهِ منها كوكب الجوزاء.

وسُئِلَ عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أين كان رَبُّنا قبل أن يَخْلُقَ السماء والأرض فقال: أين: تُوجِبُ المَكَانَ وكان الله عزَّ وجلَّ ولا مكان.

▲ التصحيف

وذكر الأصمعيُّ رجلاً بالتَّصْحِيفِ فقال: كان يَسْمَعُ فيعِي غير ما يَسْمَعُ وَيَكْتُبُ غير ما وَعَى وَيَقْرَأُ في الكتاب غير ما هو فيه.

وذكر آخر رجلاً بالتَّصْحِيفِ فقال: كان إذا نَسَخَ الكِتَابَ مَرَّتَيْنِ عاد سُزْيَانِيًّا.

▲ طلب العلم لغير الله

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أعطِيَ الناسُ العِلْمَ ومُنِعُوا العَمَلَ وتَحَابُّوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أُخْبِرُكم بشرِّ الناسِ قالوا: بلَى يا رسول الله العُلَماءُ إذا قَسَدُوا.

وقال الفُصَيْل بن عِيَّاض: كان العُلَمَاء ربيعَ الناسِ إذ رآهم المَرِيضُ لم يسرَّه أن يكون صحيحاً وإذا نظر إليهم الفقير لم يودَّ أن يكون غنياً " وقد صاروا اليومَ فتنَةً للناسِ ."

وقال عيسى بن مَرْيَم عليه السلام: سيكون في آخر الزمان عُلَمَاء يُزَهِّدُونَ في الدُّنْيَا ولا يَزَهِّدُونَ ويُرَعِّبُونَ في الآخرة ولا يَزَعِّبُونَ يَنْهَوْنَ عن إتيان الوَلَاةِ ولا يَنْتَهَوْنَ يُقَرِّبُونَ الأَغْنِيَاءَ وَيُبْعِدُونَ الفُقَرَاءَ وَيَبْسِطُونَ للكِبْرَاءِ وَيَقْبِضُونَ عن الحُقَرَاءِ أولئك إخوانُ الشياطينِ وأعداءُ الرحمنِ.

وقال محمد بن واسع: لأن تَطَلَّبَ الدنيا بأَقْبَحَ مِمَّا تَطَلَّبُ به الآخرةَ خيرٌ من أن تَطَلَّبَها بأَحْسَنَ مما تَطَلَّبُ به الآخرةَ.

وقال الحسن: العِلْمُ عِلْمَانِ عِلْمٌ في القَلْبِ فذاك العِلْمُ النافعُ وعِلْمٌ في اللسانِ فذاك حِجَّةُ الله على عِبَادِهِ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الزبانيةَ لا تَخْرُجُ إلى قَفِيهِ ولا إلى حَمَلَةِ القرآنِ إلا قالوا لهم: إِيكُمْ عَنَّا دُونَكُمْ عِبْدَةَ الأوثانِ.

فَيَسْتَكُونُ إلى الله فيقول: ليس من عِلْمٍ كمن لم يَعْلَمِ.

وقال مالك بن دِينَار: مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِنَفْسِهِ فالقَلِيلُ منه يَكْفِيهِ وَمَنْ طَلَبَهُ لِلنَّاسِ فحوائِجُ الناسِ كَثِيرَةٌ.

وقال ابن شَبْرمة: دَهَبَ العِلْمُ إلا عُبْرَاتٍ في أَوْعِيَةِ سِوَاءِ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لأَرْبَعِ دَخَلَ النارَ: مَنْ طَلَبَهُ لِيُباهِي به العُلَمَاءَ وَلِيُمَارِيَ به السُّفَهَاءَ وَلِيَسْتَمِيلَ به وُجوهَ الناسِ إليه أو لِيأخِذَ به من السلطانِ.

وتكلَّم مالكُ بن دِينَار فأبْكَى أصحابَهُ ثم افتقد مُصْحَفَهُ فنظَرَ إلى أصحابِهِ وكلهم يَبْكِي فقال: وَبِحُكْمِ! كلِّم يَبْكِي فمَنْ أخذَ هذا المُصْحَفَ قالَ أحمدُ بنُ أَبِي الحَوَّارِيِّ: قالَ لي أبو سُلَيْمانَ في طريقِ الحَجِّ: يا أحمدُ إِنَّ اللهَ قالَ لِمُوسَى بنِ عِمْرانَ: مُرْ ظَلَمَةَ بني إِسْرَائِيلَ أن لا يَذْكُرُونِي فَإني لا أذْكَرُ من ذَكَرَنِي منهم إلا بَلَّغْتَهُ حتى يَسْكُتَ.

وَيُحِكُّ يا أحمدُ! بَلَّغْتَنِي أَنه من حجَّ بِمالٍ من غيرِ حِلِّهِ ثم لَبَّى قالَتِ اللهُ تبارَكَ وتعالى: لا لَبِيكَ ولا سَعْدِيكَ حتى تُؤدِّيَ ما بيديكَ فلا يؤمِننا أن يُقالَ لنا ذلكُ.

▲ باب من أخبار العلماء والأدباء

أملَى أبو عبد الله محمدُ بن عبد السلام الحُسَيْنِيُّ.

إنَّ عبدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عن أبي بكرِ رضي اللهُ عنه فقال: كان واللهِ خيراً كَلَّهُ مع الجِدَّةِ التي كانت فيه.

قالوا: فأخبرنا عن عمَر رضوانُ الله عليه.

قال: كان والله كالطير الحذر الذي نصب فخ له فهو يخاف أن يقع فيه.

قالوا فأخبرنا عن عثمان قال: كان والله صواماً قواماً.

قالوا: فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال: كان والله ممن حَوَى عِلْماً وحلماً حَسْبُكَ من رَجُلٍ أَعَزَّتْهُ سَابِقَتُهُ وَقَدَّمَتْهُ قَرَابَتُهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلما أشرف على شيء إلا ناله.

قالوا: يقال إنه كان مَحْدوداً قال: أنتم تقولونه.

وذكروا أَنَّ رجلاً أتى الحَسَنَ فقال أبا سَعِيدٍ إنهم يزعمون أنك تُبَغِضُ عَلِيّاً فَبَكَى حتى اخضلت لِحْيَتَهُ ثم قال كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ سهماً صائباً من مَرَامِيِ اللهِ على عدوّهِ وَرَبِّانِيٍّ هذه الأُمَّةُ وذا فَضْلُهَا وذا قَرَابَةٍ قَرِيبَةٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالتَّؤَمَةِ عن أمر الله ولا بالمَلُولَةِ في حق الله ولا بالسَّرُوقَةِ لِمَالِ اللهِ أعطى القرآن عِزَّائِهِ ففاز منه برياض مُونِقَةٍ وأعلام بيّنة ذاك عليُّ بن أبي طالب يا لَكَع.

وسئل خالدُ بن صَفْوَانَ عن الحَسَنِ البَصْرِيِّ فقال: كان أشبَهَ الناسِ علانيةً بسَرِيرَةٍ وسريرةً بعلانيةٍ واخذَ الناسَ لِتَفْسِهِ بما يَأْمُرُ به غيرِهِ.

" يا له " من رجل استغنى عمّا في أيدي الناس من دُنْيَاهِمُ واحتاجوا إلى ما في يَدَيْهِ من دِينِهِم.

ودخل عُروَةُ بن الزبير بُسْتَاناً لعبد الملك بن مَرْوَانَ فقال عُروَةُ: ما أحسنَ هذا البستان! فقال له عبدُ الملك: أنت والله أحسنَ منه إنَّ هذا يُؤْتِي أكله كلَّ عامٍ وأنت تُؤْتِي أكلك كلَّ يومٍ.

وقال محمدُ بن شهابِ الزُّهْرِيِّ: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوَانَ في رجالٍ من أهل المدينة فرآني أحدثهم سناً فقال: من أنت فانتسبُ إليهِ فعرفني فقال: لقد كان أبوك وعمُّك نَعَّاقِينَ في فِئْتَةِ ابنِ الزُّبيرِ قلتُ: يا أمير المؤمنين مثلك إذا عفا يَعُدُّ وإذا صَفَحَ لم يثرب قال لي: أين نشأت قلتُ بالمدينة قال: عند مَنْ طلبت قلتُ: عند ابنِ يَسَارٍ وَقِيصَةَ ابنِ ذُوَيْبٍ وَسَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قال لي: وأين كنت من عُروَةَ بنِ الزبير فإنه بحر لا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ.

وذكر الصحابةُ عند الحَسَنِ البَصْرِيِّ فقال: رَجِمَهُمُ اللهُ سَهْدُوا وَغَبْنَا وَعَلِمُوا وَجَهَلْنَا فما اجتمعوا عليه اتبعنا وما اختلفوا فيه وَقَفْنَا.

وقال جعفرُ بن سُلَيْمَانَ: سمعتُ عبدَ الرحمن بن مهديٍّ يقول: ما رأيتُ أحداً أَقْشَفَ من شُعْبَةَ ولا أَعْبَدَ من سُفْيَانَ ولا أَحْفَظَ من ابنِ المُباركِ.

وقال: ما رأيتُ مثلَ ثلاثةٍ: عَطَاءُ بنِ أَبِي رَبَاحٍ بمكةٍ ومحمد بن سِيرِينَ بالعراقٍ ورجاء بن حَيوةٍ بالشام.

وقيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم فقالوا: كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تُفقد.

وكان عطاء بن أبي رباح أسود أعور أفسس أشلّ أعرج ثم عمي وأمه سواد تُسمى بركة.

وكان الأحنف بن قيس: أعور أعرج ولكنه إذا تكلم جلا عن نفسه.

وقال الشعبي: لولا أنني زوحت في الرحم ما قامت لأحد معي قائمة وكان توأمًا.

وقيل لطاووس: هذا قتادة يُريد أن يأتيك قال: لئن جاء لأقومن قيل إنه فقيه قال: ابلِس أفه منه قال: " رَبِّ يَمَا أَعَوَّنِي " .

وقال الشعبي: القضاة أربعة: عُمر وعلي وعبد الله وأبو موسى.

وقال الحسن: ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم الابن والأب والجَدُّ: عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة ومَعَن بن يزيد بن الأحنس السلمي.

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيهاً شاعراً وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة.

وقال عمر بن عبد العزيز: وددت لو أنّ لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يفتني.

ولقيه سعيد بن المسيب فقال له: أنت الفقيه الشاعر قال: لا بدّ للمصدور أن ينفث.

وكتب عبيد الله بن عبد الله إلى عُمر بن عبد العزيز وبلغه عنه شيء يكرهه: أبا حَفْص أتاني عنك قولُ فُطعتُ به وصَاق به جَوابي أبا حَفْص فلا أدري أرعمي تُريد بما تُحاول أم عتابي فإنّ تك عاتياً تُعتبُ وإلا فما عُودي إذا بيّراع غاب وقد فارقتُ أعظمَ منك رُزءاً وواريثُ الأجيّة في التراب وقد عَرّوا علي وأسلموني معاً فلبستُ بعدهم ثيابي وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم عالماً كثيرَ الدّراسة للكُتب وربما قال الشعرَ ومن قوله: هَلْ أنت مُتِنِعُ بعلِ مك مَرّةً والعلم نافعٌ وهن المُشير عليك بال رأي المُسدّد أنت سامع الموت جَوْض لا مَحالة فيه كلُّ الجَلقِ شارع وقال عمر بن عبد العزيز: ما ولدتُ أميةً مثل خالد بن يزيد ما أسنتني عثمان ولا غيره.

وكان الحسن في جنازة فيها نوائحٌ ومعه بَيعيدُ بن جُبير فهمّ سَعِيد بالانصراف فقال له الحسن: إنّ كنتَ كلما رأيتَ قبيحاً تركتَ له حسناً أسرعَ ذلك في دينك.

وعن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة عن ابن المبارك قال: علّمني سُفيان الثوريّ اختصار الحديث.

وقال الأصمعيّ: حدّثنا سُعبة قال: دخلتُ المدينة فإذا لمالك حَلقة وإذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة وذلك سنة ثمانِي عشرة ومائة.

وقال أبو الحسن بن محمد: ما خَلق الله أحداً كان أعرف بالحديث من يحيى بن مَعِين كان يُؤتى بالأحاديث قد خلطت وقُلبت فيقول: هذا الحديثُ لذا وذا لهذا فيكون كما قال.

وقال شريك: إني لأسمع الكلمة فيتغيّر لها لَوْنِي.

وقال ابن المُبارك: كلُّ من دُكر لي عنه وجدُّه دون ما دُكر إلا حَيوة بن شُرِيح وأبا عَوْن.

وكان حَيوة بن شُرِيح يَقْعُد للناس فنقول له أمه: فُم يا حَيوة ألقِ الشعيرَ للدجاج فيقوم.

وقال أبو الحسن: سمع سليمان التيمي من سُفيان الثوريّ ثلاثة آلاف حديث.

وكان يحيى بن اليمان يذهب بابنه داودَ كلَّ مذهب فقال له يوماً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان عبد الله ثم كان علقمة ثم كان إبراهيم ثم كان منصور ثم كان سفيان.

ثم كان وكيع قم يا داود: يعني أنه أهلٌ للإمامة.

ومات داود سنة أربع ومائتين.

وقال الحسن: حدّثني أبي قال: أمر الحجّاج أن لا يؤمّ بالكوفة إلا عربيّ.

وكان يحيى بن وثّاب يؤمّ قومه بني أسد وهو مولى لهم فقالوا: اعتزل فقال: ليس عن مثلي تهى أنا لاجئ بالعرب فأبوا فأتى الحجّاج فقراً فقال: من هذا.

فقالوا: يحيى بن وثّاب قال: ماله قالوا: أمرت أن لا يؤمّ إلا عربيّ فنحاه قومه فقال.

ليس عن مثل هذا تهيتُّ يُصلِّي بهم.

قال: فصلّي بهم القجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال: اطلبوا إماماً غيري إنما أردتُ أن لا تستدلوني فأما إذ صار الأمر إليّ فانا أوّمكم لا ولا كرامة.

وقال الحسن: كان يحيى بن اليمان يُصلّي بقومه فتعصّب عليه قومٌ منهم.

فقالوا: لا نُصلِّ بنا لا ترضاك إن تقدّمت نَحْيَاك: فجاء بالسيف فسئل منه أربع أصابع ثم وضعه في المحراب وقال: لا يدنو مني أحدٌ إلا ملأْتُ السيفَ منه فقالوا: بيننا وبينك شريك فقدموه إلى شريك فقالوا: إن هذا كان يُصلّي بنا وكرهناه فقال لهم شريك: من هو قالوا: يحيى بن اليمان فقال: يا أعداء الله وهل بالكوفة أحدٌ يُشبهه يحيى لا يُصلّي بكم غيرُه.

فلما حَضَرَتْهُ الوفاة قال لابنه داود: يا بُني كان دِينِي يَدُوبُ مع هؤلاء فإن اضْطَرُّوا إِلَيْكَ بعدي فلا تُصَلِّ بِهِم.

وقال يحيى بن اليمان: تزَوَّجْتُ أم داود وما كان عِنْدِي لَيْلَةَ العُرْسِ إلا بَطِيخَةً أَكَلْتُ أَنَا نِصْفَهَا وهي نِصْفُهَا وولدت داودَ فما كان عِنْدنا شَيْءٌ تَلْفَهُ فِيهِ فاشْتَرَيْتُ لَهُ كِسْوَةَ بَحْبَتَيْنِ فَلَقَفْنَاهُ فِيهَا.

وقال الحسن بن محمد: كان لعلِّي صَفِيرَتانِ و لابن مَسْعُودِ صَفِيرَتانِ.

وذكر عبدُ الملك بن مَرْوانِ رَوْحًا فقال: ما أُعْطِي أَحَدًا ما أُعْطِي أَبُو زُرْعَةَ أُعْطِي فِيهِ الحِجَارَ وَدَهَاءَ أَهْلِ العِراقِ وَطاعَةَ أَهْلِ الشَّامِ.

وَرُوي أَنَّ مالِكَ بنِ أَنَسٍ كان يَدُكِّرُ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فيقول: وَاللَّهِ ما اقْتَلَوْا إلا على التَّريْدِ الأَعْفَرِ.

ذكر هذا محمدُ بن يَزِيدٍ في الكامل " ثم " قال: فأما أبو سعيد الحَمِينِ البَصْرِيُّ فإنه كان يُنْكَرُ الحُكُومَةَ ولا يَرِي رَأْيَهُمْ وكان إذا جَلَسَ فتمكَّنَ فِي مَجْلِسِهِ دَكَرَ عُثْمَانَ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا وَلَعَنَ قَتْلَهُ ثَلَاثًا " ويقول: لو لم تَلْعَنَهُمُ لِلْعَبَا " ثم يَذْكَرُ عَلِيًّا فيقول: لم يَزَلْ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُطْفِرًا مُؤَيَّدًا بالنعم حتى حكم ثم يقول: ولم تُحْكَمْ وَالْحَقُّ مَعَكَ إلا تَمْضِي قُدْماً لا أبا لك.

وهذه الكلمة وإن كان فيها جَفَاءٌ فَإِنَّ بعضَ العربِ يَأْتِي بِها على معنى المَدْحِ فيقول: انظُرْ فِي أَمْرِ رَعِيَّتِكَ لا أبا لك " وَأنتَ على الحَقِّ " رَبِّ العِبَادِ ما لَنَا وما لَكَ قد كُنْتَ تَسْقِينَا فما بَدَا لَكَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا العَيْتَ لا أبا لكَا وقال ابنُ أَبِي الجَوَارِيِّ: قلت لسُفْيَانَ: بلغني في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: " [إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ](#) ".

أَنَّهُ الَّذِي يَلْقَى اللَّهَ وَليس في قَلْبِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ.

قال: فبَكَى وقال: ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أَحْسَنَ من هذا.

وقال ابنُ المُبارِكِ: كنتُ مع محمد بن النَّصْرِ الحارثِيِّ في سَفِينَةٍ فقلتُ: بأَيِّ شَيْءٍ أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الكَلِمَةَ فقلتُ: ما تقول في الصَّومِ في السَّفَرِ قال: إنما هي المُبَادَرَةُ يا بنِ أَخِي.

فجاءني واللَّهُ بِقُتَيْبِيا غير قُتَيْبِيا إبراهيم والسَّعْبِي.

وقال القَصِيلِ بن عِيَّاضٍ: اجتمع محمدُ بن واسعٍ ومالكُ بن دينارٍ في مجلسٍ بالبصرة فقال مالكُ بن دينارٍ: ما هو إلا الله أو النار فقال محمد بن واسعٍ لَمَنْ كان عنده: كُتًّا نقول: ما هو إلا عَفْوُ اللَّهِ أو النار.

قال مالكُ بنُ دينارٍ: إِنَّهُ لِيُعْجِبُنِي أَنْ تكون للإنسانِ مَعيشَةٌ قَدْرُ ما يَقُوتُهُ.

فقال محمد بن واسع: ما هو إلا كما تقول: وليس يُعجبني أن يُصبح الرجل
وليس له عَدَاءٌ وُيَمْسِي وليس له عَشَاءٌ وهو مع ذلك راضٍ عن الله عزَّ وجلَّ.
فقال مالك: ما أَحوجني إلى أن يعظني مثلك.

وكان يجلس إلى سُفيانَ فتى كثيرُ الفِكرة طويلاً الإطراق فأراد سُفيان أن
يحزَّكه لِيَسْمَعَ كلامه فقال: يا فتى إن مَنْ كان قبلنا مرُّوا على حَيْلٍ عِتَاقٍ
وبَقينا على حَمِيرٍ دَبْرَةٍ.

قال: يا أبا عبد الله إن كُنَّا على الطريق فما أسرعَ لِحُوقنا بالقوم.

الأصمعي عن شُعبة قال: ما أحدثكم عن أحدٍ ممن تَعْرِفون وممن لا تَعْرِفون
إلا وأيوب ويونس وابن عَوْنٍ " وسليمان " خير منهم.

قال الأصمعي: وحدثني سلام بن أبي مُطِيع قال: أيوب أفقههم: وسليمان
التيمي أعبدُهم ويونس أشدُّهم " رُهدا " عند الدِّراهم وابن عَوْنٍ أضبطهم
لنفسه في الكلام.

" الأصمعيُّ قال حدثنا نافع بن أبي نُعيم عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال:
ألفٌ عن ألف خيرٍ من واحد عن واحد " فلان عن فلان " ينتزع السنَّة من
أيديكم " .

وكان إبراهيم النَّخعيُّ في طريق فلقيه الأعمش فانصرف معه فقال له: يا
إبراهيم إنَّ الناسَ إذا رأونا قالوا: أعمش وأعور قال: وما عليك أن يَأثموا
ونؤجر قال: وما عليك أن يَسَلِّموا وتَسَلِّم.

وروى سُفيان الثَّوريُّ عن واصل الأحذب قال: قلت لإبراهيم: إن سعيد بن
جُبَيْر يقول: " كلُّ امرأةٍ أتزوجها طالق " ليس بشيء.

فقال له إبراهيم: قُلْ له يَنقَع أسنَّه في الماء البارد.

قال: فقلت لسعيد ما أمرني به فقال: قل له: إذا مررت بوادي التَّوَكِّي فاحلِّ
به.

وقال محمد بن مُتَاذِر: خذوا عن مالكٍ وعن ابن عَوْنٍ ولا تَرُؤوا أحاديثَ ابن
دَابٍ وقال آخر: أَيْهَا الطَّالِبُ عِلْمًا آيْت حَمَّادَ بن زَيْدٍ فاقْتَبِسْ جِلْمًا وَعِلْمًا ثَمَّ
قَيْدَهُ بَقَيْدٍ وَقِيلَ لِأَبِي نُؤَاسٍ: قَدْ يَعْنُوا فِي أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيَّ لِيَجْمَعُوا
بَيْنَهُمَا قَالَ: أَمَا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنْ مَكَّنُوهُ مِنْ سَفَرِهِ قَرَأَ عَلَيْهِمْ أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ
وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَيَلْبَلُ فِي قَفْصٍ يُطْرَبُهُمْ بِصَفِيرِهِ.

وذكروا عند المَنصور محمد بن إسحاق وعيسى بن دَابٍ فقال أمَّا ابن إسحاق
فأَعْلَمُ النَّاسِ بِالسِّيَرَةِ وَأَمَّا ابن دَابٍ فإِذَا أَخْرَجْتَهُ عَنْ دَاحِسٍ وَالْعَبْرَاءِ لَمْ
يُحْسِنْ شَيْئًا .

وقال المأمون رحمه الله تعالى: مَنْ أَرَادَ لَهَوًا بَلَ حَرَجٍ فَلْيَسْمَعْ كَلَامَ الْحَسَنِ الطَّالِبِيِّ.

وَسُئِلَ الْعُتَّابِيُّ عَنِ الْحَسَنِ الطَّالِبِيِّ فَقَالَ: إِنَّ جَلِيْسَهُ لَطِيْبٌ عَشْرَتُهُ لَأَطْرَبُ مِنْ الْإِبِلِ عَلَى الْخُدَاءِ وَمَنْ التَّمَلَّ عَلَى الْعِتَاءِ.

قَوْلُهُمْ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَقَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيْمَ النَّخَعِيِّ: إِنِّي أَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ ثَلَاثِ قَالَ: لَيْتَكَ تَخْتِمُهُ كُلَّ ثَلَاثِينَ وَتَدْرِي أَيَّ شَيْءٍ تَقْرَأُ.

وقال الحارثُ الأعورُ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبْرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَتَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلُ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جِبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَالذِّكْرُ الْعَظِيمِ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ حَذُّهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرَ.

وَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا.

وقال عبد الله بن مسعود: الحواميم ديباج القرآن.

وقال: إِذَا رَتَعْتُ رَتَعْتُ فِي رِيَاضِ دَمِيَّةٍ أَتَأْتِقُ فِيهِنَّ.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله صلى الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم: سيكون في أمتي قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ.

وقال: إِنْ الرَّبَّانِيَّةُ لِأَسْرَعَ إِلَى فُسْطَاقِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ مِنْهُمْ إِلَى عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ فَيَشْكُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَقُولُ: لَيْسَ مَنْ عَلِمَ كَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ.

وقال الجيسن: حَمَلَةُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ: رَجُلٌ آتَاكَ بِضَاعَةً يَنْقُلُهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مِصْرَ يَطْلُبُ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ وَرَجُلٌ حَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ وَاسْتَدْرَجَ بِهِ الْوَلَاةَ وَاسْتَطَالَ بِهِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ وَقَدْ كَثُرَ هَذَا الصَّرْبُ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ لَا كَثُرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَوَضَعَ دَوَاءَهُ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَيَسْتَهْرِ لَيْلَتَهُ وَهَمَلَتْ عَيْنَاهُ وَتَسْرِبُ الْحُشُوعَ وَارْتَدَى الْوَقَارُ وَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَوَاللَّهِ لِهَذَا الصَّرْبِ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقْلٌ مِنَ الْكَيْرِيْتِ الْأَحْمَرِ بِهِمْ يَسْقِي اللَّهُ الْعَيْثَ وَيُنَزِّلُ النَّصْرَ وَيَدْفَعُ الْبَلَاءَ.

العقل وقال سحبان وائل: الْعَقْلُ بِاللَّجَارِبِ لِأَنَّ عَقْلَ الْعَرِيْزَةِ سُلِّمَ إِلَى عَقْلِ التَّجْرِبَةِ.

ولذلك قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

وقال الحسن البصري: لسانُ العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكّر فإن كان له قال وإن كان عليه سكت.

وقلب الأحمق من وراء لسانه فإذا أراد أن يقول قال " فإن كان له سكت وإن كان عليه قال "

وقال محمد بن الغاز: دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فتكلم عنده بكلام أعجب سليمان فأراد أن يختبره لينظر أعله على قدر كلامه أم لا فوجده مضعوفاً فقال: فضل العقل على المنطق حكمة وفضل المنطق على العقل هجنة وخير الأمور ما صدقت بعضها بعضاً وأنشد: وما المرء إلا الأضران لسائه ومعقوله والجسم خلق مُصور فإن تمر منه ما يروق فربما أمر مذاق العود والعود أخضر ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول زهير: وكائن ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو تقصه في التكلم لسان القتي نصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم وقال علي رضي الله عنه: العقل في الدماغ والضحك في الكبد والرأفة في الطحال والصوت في الرئة.

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال: كان والله أفضل من أن يخدع وأقل من أن يخدع وهو القائل: لسْتُ بحبِّ وإحْبُّ لا يخدعني.

وقال زياد: ليس العاقلُ الذي إذا وَقَعَ في الأمر احتال له ولكن العاقلُ يحتال للأمر حتى لا يقع فيه.

وقيل لعمر بن العاص: ما العقل فقال: الإصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَنْ لم يَنْفَعه ظنُّه لم يَنْفَعه يَقِينه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودكر ابن عباس رضي الله عنهما فقال: لقد كان ينظر إلى العيب من ستر رقيق.

وقالوا: العاقل قطن متغافل.

وقال معاوية: العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل.

وقال المغيرة بن شعبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ عزله عن كتابة أبي موسى: أعن عجز عزلتني أم عن خيانة فقال: لا عن واحدة منهما ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك.

وقال معاوية لعمر بن العاص: ما بلغ من عقلك قال: ما دخلت في شيء قط إلا خرجت وقال الأصمعي: ما سمعت الحسن بن سهل مُدُّ صار في مرتبة الوزارة يتمل إلا بهذين البيتين: وما بقيت من اللذات إلا محادثته الرجال ذوي العقول وقد كانوا إذا ذكروا قليلاً فقد صاروا أقل من القليل وقال محمد بن عبد الله بن طاهر " ويروي لمحمود الوراق " : لعمر ما بالعقل يكتب الغنى ولا باكتساب المال يكتب العقل وكَم من قليل المال

يُحْمَدُ فَضْلَهُ وَآخَرَ ذِي مَالٍ وَلَيْسَ لَهُ فَضْلٌ وَمَا سَبَقَتْ مِنْ جَاهِلٍ قَطُّ نِعْمَةً إِلَى أَحَدٍ إِلَّا أَضْرَبَهَا الْجَهْلُ وَذُو اللَّبِّ إِنْ لَمْ يُعْطِ أَحْمَدَتْ عَقْلَهُ وَإِنْ هُوَ أُعْطِيَ زَانَهُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَادِرٍ: وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا عُدَّ أَهْلَ الْعَقْلِ قَلُّوا فِي الْعَدَدِ لَا يَقِلُّ الْمَرْءُ فِي الْقَصْدِ وَلَا يَعْدَمُ الْقِلَّةُ مَنْ لَمْ يَقْتَصِدْ لَا تَعْدُ شَرًّا وَعِدَّ خَيْرًا وَلَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ وَعَجَّلَ مَا تَعْدُ يُعْرِفُ عَقْلَ الْمَرْءِ فِي أَرْبَعِ مِثْبَيْتِهِ أُولَاهَا وَالْحَرَكَ وَدَوْرَ عَيْنِيهِ وَالْفَاظَةَ بَعْدَ عَلَيْهِنَّ يَدْوَرُ الْفَلَكَ وَرُبَّمَا أَخْلَفَنَ إِلَّا الَّتِي أَخْرَجَهَا مِنْهُنَّ سُمِّينَ لَكَ هَذِي دَلِيلَاتٌ عَلَى عَقْلِهِ وَالْعَقْلُ فِي أَرْكَانِهِ كَالْمَلِكِ إِنْ صَحَّ صَحَّ الْمَرْءُ مِنْ بَعْدِهِ وَبِهَلِكِ الْمَرْءِ إِذَا مَا هَلَكَ فَانظُرْ إِلَى مَخْرَجِ تَدْبِيرِهِ وَعَقْلِهِ لَيْسَ إِلَى مَا مَلَكَ فَرُبَّمَا خَلَطَ أَهْلُ الْحِجَا وَقَدْ يَكُونُ التَّوَكُّلُ فِي ذِي التُّسْكِ فَإِنْ إِمَامٌ سَأَلَ عَنْ فَاضِلٍ فَادَّلَ عَلَى الْعَاقِلِ لَا أُمَّ لَكَ وَكَانَ هُوَذِيَّةَ بِنِ عَلِيِّ الْحَنْفِيِّ يُجِيزُ لَطِيمَةَ كِسْرِي فِي كُلِّ عَامٍ - وَاللَّطِيمَةُ عَيْرٌ تَحْمِلُ الطَّيْبَ وَالْبَرَّ - فَوَقَدَ عَلَى كِسْرِي فِسَالَهُ عَنْ بَيْتِهِ فَسَمَّى لَهُ عِدَدًا فَقَالَ: أَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ: الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ وَالْغَائِبُ حَتَّى يَرْجِعَ وَالْمَرِيضُ حَتَّى يُفِيْقَ فَقَالَ لَهُ: مَا غِذَاؤُكَ فِي بَلَدِكَ قَالَ: الْحُبْزُ فَقَالَ كِسْرِي لَجَلِيسَاتِهِ: هَذَا عَقْلُ الْخَبْرِ يُفَضِّلُهُ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الْبَوَادِي الَّذِينَ غِذَاؤُهُمُ اللَّبَنُ وَالْتَمَرُ.

وهوذة بن علي الحنفي هو الذي يقول فيه أعشى بكر: له أكاليلُ بالياقوت
فصلها صواعقها لا ترى عيباً ولا طبعاً وقال أبو عبيدة عن أبي عمرو: لم يتتوج
معدّي قط وإنما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي
فقال: إنما كانت خرزات تُنظم له.

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي يدعوه إلى الإسلام
كما كتب إلى الملوك.

وفي بعض الحديث: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ قَالَ: أَقْبَلُ فَأَقْبَلُ ثُمَّ
قَالَ لَهُ: أَذِيرُ فَأَذِيرُ.

فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا وَصَعْتُكَ إِلَّا فِي أَحَبِّ
الْخَلْقِ إِلَيَّ.

وبالعقل أدرك الناس معرفة الله عز وجل ولا يبشك فيه أحدٌ من أهل العقول
يقول الله عز وجل في جميع الأمم: " وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " .

وقال أهلُ التفسير في قول الله " فَسَمَّ لِذِي جِرِّ " قالوا: لذي عقل.

وقالوا: ظنُّ العاقل كهانة.

وقال الحسنُ البصريُّ: لو كان للناس كلُّهم عُقولٌ خربت الدنيا.

وقال الشاعر: يُعَدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسَبِ
وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدِهِ بِغَرِيبٍ وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ
قَيْسٍ أَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدَبِّرِ أَرْجَى مِنِّْي لِلْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ.

" قال: ولما أهبط الله عز وجلّ آدمَ عليه السلام إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام فقال له: يا آدم إنّ الله عزّ وجلّ قد حبّاك بثلاث خصال لتختارَ منها واحدة وتتخلى عن اثنتين قال: وما هنّ قال: الحياء والدين والعقل.

قال آدم: اللهم إني اخترت العقل.

فقال جبريلُ عليه السلامُ للحياء والدين: ارتفعَا قالا: لن ترتفع قال جبريلُ عليه السلام: أعصيتُما قالا: لا ولكننا أمرنا أن لا نُفارق العقلَ حيث كان.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تفتدوا بمن ليست له عُقْدَة.

قال: وما خلق الله خلقاً أحبّ إليه من العقل.

وكان يقال: العقل ضربان: عقل الطبيعة وعقل التجربة وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدّي إلى المنفعة.

وكان يُقال: لا يكون أحدٌ أحبّ إليك من وزيرٍ صالحٍ وافرٍ العقلِ كاملٍ الأدبِ حنكٍ السن بصيرٍ بالأمور فإذا ظفرت به فلا تُباعده فإنّ العاقلَ ليس يمانعك تصيحته وإن جفّت.

وكان يقال: عريزة عقل لا يضيع معها عمل.

وكان يقال: أجل الأشياء أصلاً وأخلاقها ثمرةً صالحُ الأعمال وحسن الأدب وعقل مُستعمل.

وكان يقال: التجاربُ ليس لها غاية والعاقلُ منها في الزيادة.

ومما يُؤكّد هذا قولُ الشاعر: ومكتوب في الحكمة: إنّ العاقلَ لا يغتترّ بمودّة الكذوب ولا يثق بتصحته ويُقال: من فاته العقلُ والفتوة فرأسُ ماله الجهلُ.

ويُقال: من غير الناس الشيءَ ورَضِيه لنفسه فذاك الأحمق نفسه.

وكان يقال: العاقلُ دائمُ المودّة والأحمق سريع القطيعة.

وكان يقال: صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله.

وكان يقال: المعجب لحوح والعاقلُ منه في مؤونه.

وأما العُجب فإنه الجهل والكبر.

وقيل: أعلى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

ويقال: ما شيءٌ بأحسنَ من عقلِ زانه جلمٍ وجلمِ زانه علمٍ وعلمِ زانه صدقٍ وصدقِ زانه عملٍ وعملِ زانه رفقٍ.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ليس العاقلُ من عَرَفَ الخير من الشر بل العاقلُ مَنْ عَرَفَ " حَيْر " الشرِّين ويقال: عدُوُّ عاقل أحب إلي من صديقٍ جاهلٍ.

وكان يقال: الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل إليه وإياك وفراقه إذا كان كريماً ولا عليك أن تصحب العاقل وإن كان غير محمود الكرم لكن احتسب من شين أخلاقه وانتفع بعقله ولا تدع وكان يقال: قطيعة الأحق مثل صلة العاقل.

وقال الحسن: ما أودع الله تعالى أمراً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما.

وأتى رجلٌ من بني مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أأنت أفضل قومي قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن كان لك عقل فلك فضل وإن كان لك تقى فلك دينٌ وإن كان لك مالٌ فلك حسب وإن كان لك خلق فلك مروءة.

قال: تفاخر صفوان بن أمية مع رجل فقال صفوان: أنا صفوان بن أمية يخ بيخ فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ويلك! إن كان لك دين فإن لك حسباً وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً وإن كان لك خلق فلك مروءة وإلا فأنت شرٌّ من حمار.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كرم الرجل دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه.

وقال: وكل الله عز وجل الحرمان بالعقل ووكّل الرزق بالجهل ليعتبر العاقل فيعلم أن ليس له في الرزق حيلة.

وقال بزرجمهر: لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلداً ليس فيه خمسة: سلطان قاهر وقاضٍ عدلٍ وسقٍ قائمة ونهرٍ جارٍ وطبيب عالم.

وقال أيضاً: العاقل لا يرجو ما يعنف برجائه ولا يسأل ما يخاف منعه ولا يمتهن ما لا يستعين سئل أعرابي: أي الأسباب أعون على تذكية العقل وأيها أعون على صلاح السيرة فقال: أعونها على تذكية العقل التعلم وأعونها على صلاح السيرة القناعة.

وسئل عن أجود المواطن أن يُختبر فيه العقل فقال: عند التدبير.

وسئل: هل يعمل العاقلُ بغير الصّواب فقال: ما كلُّ ما عُملَ بإذن العقل فهو صواب.

وسئل: أيُّ الأشياء أدلُّ على عقل العاقل قال: حُسن التدبير.

وسئل: أي منافع العقل أعظم قال: اجتنابُ الدُّنوب.

وقال بُزْرَجْمَهْر: أفره ما يكون من الدَّوَابِّ لا غِنَى بها عن السَّوْطِ وَأَعْفُ مَنْ تكون من النساء لا غِنَى بها عن الرُّوجِ وَأَعْقَلُ من يكون من الرِّجَال لا غِنَى به عن مَشْوَرَةِ ذَوِي الأَلْبَابِ.

سُئِلَ أعرابيٌّ عن العَقْلِ متى يُعرف قال: إذا نَهَاكَ عَقْلُكَ عَمَّا لا يَنْبَغِي فأنت عاقل.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: العَقْلُ نُورٌ في القَلْبِ تُفَرِّقُ به بين الحقِّ والباطلِ وبالعَقْلِ عُرفَ الحلالِ والحرامِ وعُرِّقَت شَرَائِعُ الإسلامِ ومَوَاقِعُ الأحكامِ وجَعَلَهُ اللهُ نُوراً في قُلُوبِ عِبَادِهِ يَهْدِيهِمْ إلى هُدًى وَيَصُدُّهُمْ عن رَدًى.

" ومن جَلَالَةِ قَدْرِ العَقْلِ أَنَّ اللهَ تعالى لم يُخاطبِ إلا ذَوِي العُقُولِ فقال عَزَّ وجلَّ: " إِنَّمَا تَذَكَّرُ أَوْلُو الأَلْيَابِ " .

وقال: " لِنُذِرَ مَنْ كَانَ حَتًّا " .

أي عاقلاً وقال: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: العاقل يَحْلُمُ عَمَّنْ ظَلَمَ وَيَتَوَاضَعُ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ وَيُسَابِقُ إلى البِرِّ مَنْ قُوْفِهِ.

وإذا رأى بابَ بَرٍّ أنتهزه وإذا عَرَضَتْ له فِتْنَةٌ اعتصم بالله وتكَبَّها.

وقال صلى الله عليه وسلم: قِيَامُ المَرْءِ عَقْلُهُ ولا دينَ لمن لا عَقْلَ له.

وإذا كان العَقْلُ أَشْرَفَ أَعْلَاقِ النَّفْسِ وكان بَقْدَرٍ تَمَكَّنَهُ فيها يكونُ سُمُوها لَطَلَبَ الفضائلِ وعلُوها لابتغاءِ المَنازِلِ كانت قِيَمَةُ كُلِّ امرئٍ عَقْلَهُ وجَلِيَّتَهُ التي يَحْسُنُ بها في أَعْيُنِ الناظرينِ قَصلَهُ.

ولعَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ: تَأَمَّلْ بَعِيَّتِكَ هذا الأنامِ وكُنْ بعضَ مَنْ صانَهُ نُبْلُهُ فجليه كُلُّ فِتْنَةٍ قَصلَهُ وقِيَمَةُ كُلِّ امرئٍ عَقْلُهُ ولا تتكَلَّفُ في طِلابِ العِلا على نَسَبِ ثابتٍ أصله فما من فِتْنَةٍ زاتِهِ أهله بشيٍ عِ وخالِفَهُ فَعَلُهُ ويُقال: العَقْلُ إدراكُ الأشياءِ على حَقائِقِها فَمَنْ أدركَ شيئاً على حَقِيقَتِهِ فقد كَمَّلَ عَقْلَهُ.

وقيل: العَقْلُ مِراةُ الرِّجْلِ.

أخذه بعضُ الشعراءِ فقال: فإذا كانَ عليها صَدًّا فَهُوَ جَهاَلَةٌ وإذا أَخْلَصَهُ اللهُ هِ صِقَالاً وَصَفًا له فَهِيَ تُعْطِي كُلَّ حَيٍّ ناظِرٍ فيها مِثالَهُ ولاخِر: لا تَرانِي أبداً أَكْ رِمٌ دَا المَالَ لِمالِهِ لا ولا تَرِري بِمَنْ يعِ قَلَّ عِنْدِي سُوءٌ جِالِهِ إِنما أَقْضي عَلى دَا كَ وهذا بِفِعالِهِ أنا كالمِراةِ القَهي كُلِّ وَجِهٍ بِمِثالِهِ كِيفما قَلْبِني الدَهرُ يَجِدْني مِنْ رِجالِهِ ولِبعْضِهِمْ: إذا لِمَ يَكُنْ لِلِمِراةِ عَقْلٌ فَإِنَّه وإِن كانَ ذا نُبْلٍ عَلى النَّاسِ هِينَ وإِن كانَ ذا عَقْلٍ أَجَلٌ لِعَقْلِهِ وَأَفْضَلُ عَقْلٌ عَقْلٌ مَنْ يَبْدِيَنَّ وَقَالَ آخِر: ويُقال: إِنَّ العَقْلَ عِينُ القَلْبِ فإذا لِمَ يَكُنْ لِلِمِراةِ عَقْلٌ كانَ قَلْبُهُ أَكْمَهُ.

وقال صالحُ بنُ جَنَاحٍ: أَلَا إِنَّ عَقْلَ المِراةِ عَيْنا فُؤادِهِ وإِن لِمَ يَكُنْ عَقْلٌ فلا يُبْصِرُ القَلْبُ وقال بعضُ الفلاسفة: الهَوَى مِصادُ العَقْلِ.

ولعبد الله بن ميمحمد: ثلاث مَنْ كَنَّ فِيهِ حَوَى الْفَضْلَ وَإِنْ كَانَ رَاغِبًا عَنْ سِوَاهَا: صِحَّةُ الْعَقْلِ وَالْتِمَسُّكَ بِالْعَدْلِ وَتَنْزِيهِ نَفْسِهِ عَنْ هَوَاهَا.

ولمحمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ: وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقَلَهُ فَقَدْ نَجَا وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَا عَبْدَ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ وَمَا عُصِيَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السُّنَنِ.

وقال مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: مَا قَرَأْتُ كِتَابًا قَطُّ لِأَحَدٍ إِلَّا عَرَفْتُ عَقْلَهُ مِنْهُ.

وقال يحيى بن خالد: ثلاثُ أَشْيَاءٍ تَدُلُّ عَلَى عُقُولِ أَرْبَابِهَا: الْكِتَابُ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِ كَاتِبِهِ وَالرَّسُولُ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُرْسِلِهِ وَالْهَدْيَةُ تَدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُهْدِيهَا.

واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً فقيل له: إِنَّهُ حَدِيثُ السُّنَنِ وَلَا نَرَاهُ يَصُطَّبُ عَمَلَكَ فَأَخَذَ الْعَهْدَ مِنْهُ وَقَالَ: مَا أَرَاكَ تَصُطِّبُ عَمَلَكَ لِحَدَاثَتِكَ فَقَالَ الْقَتِي: وَلَيْسَ يَزِيدُ الْمَرْءَ جَهْلًا وَلَا عَمَى إِذَا كَانَ ذَا عَقْلٍ حَدَاثُهُ سِنِّيهِ فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقَ وَرَدَّ عَلَيْهِ عَهْدَهُ.

وقال جَنَامَةُ بْنُ قَيْسٍ يَصِفُ عَاقِلًا: بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَمَّا تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ وَلِغَيْرِهِ فِي الْمَعْنَى: بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَمَّا يَبْرَى بِصَوَابِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ سَيْبَةَ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: إِنِّي لِأَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَقَى فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا قَالَ لَهُ خَالِدٌ: مَا هُوَ قَالَ الْعَقْلُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ إِلَّا مَا يَجُوزُ وَلَا يَرُدُّ عَمَّا يُمَكِّنُ.

فقال له خالد: نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَمُوتُ مَنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ.

وقال عبدُ اللهِ بنُ الحُسن لابنه محمد يا بني احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً ويوثيك الجاهل أن تورطك مشورته في بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل وإيتاك ومُعَاداة الرِّجال فإنك لا تعلمن منها مكرَ حليم عاقل أو مُعاندَةَ جاهل.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه: لا مالَ أَعُوذُ مِنْ عَقْلِ وَلَا فِقْرَ أَضُرُّ مِنْ جَهْلِ.

ويقال: لا مَرُوءَةَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

وقال بعضُ الحُكَمَاءِ: لَوْ اسْتَعْنَى أَحَدٌ عَنِ الْأَدَبِ لاسْتَعْنَى عَنْهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْتَفِعَ بِالْأَدَبِ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ كَمَا لَا يَنْتَفِعُ بِالرِّيَاضَةِ إِلَّا التُّجَيْبُ.

وكان يُقال: بِالْعَقْلِ تُتَالِ لَذَّةُ الدُّنْيَا لِأَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْعَى إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَزِيَّةِ لِمَعَاشٍ أَوْ مَنَفَعَةِ لِمَعَادٍ أَوْ لَذَّةِ فِي غَيْرِ مُحْرَمٍ.

ولبعضهم: إِذَا أَحْبَبْتَ أَقْوَامًا فَلاصِقٌ بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ فَإِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا تَفَاضَلَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ: وَأَفْصَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ وَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ

فقد كَمَلت أخلاقه ومآربه يَعِيش الفَتَى بالعقلِ في النَّاسِ إِيَّه على العقلِ
يَجْرِي عِلْمُهُ وَتِجَارِيَةُ قَرِيبِ الفَتَى في النَّاسِ صِحَّةُ عقله وإن كان مَحْصُوراً
عليه مَكَاسِبُهُ وَشَيْبِنِ الفَتَى في النَّاسِ قِلَّةُ عقله وإن كَثُرَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
وَلِبَعْضِهِم: العَقْلُ يَأْمُرُ بِالْعَفَافِ وَبِالتَّقَى وَإِلَيْهِ يَأْوِي الجِلْمُ حِينَ يُوُولُ فَإِن
اسْتَطَعْتَ فَحُدِّ بِقُصْلِكَ قُصْلَهُ إِنَّ العُقُولَ بُرَى لَهَا تَفْضِيلٌ وَلِبَعْضِهِم: إِذَا جُمِعَ
الْأَفَافُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرٌّ مِنَ البُخْلِ المَوَاعِيدُ وَالمَطْلُ وَلا حَيْرَ فِي عقل إِذَا
لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا وَلا حَيْرَ فِي عَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ تَصِلُ وَإِن كَانَ لِلإنسانِ عقل فَعَقْلُهُ
هُوَ التَّصِلُ وَالإنسانُ مِنْ بَعْدِهِ قُصْلٌ وَلِبَعْضِهِم: يُمَثَّلُ ذُو العقلِ فِي نَفْسِهِ
مِصَابِيهَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ فَإِن نَزَلَتْ بَعْتَهُ لَمْ تَرَعَهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا رَأَى
الهِمَّ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا الحِكْمَةُ قَالَ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ العَمَلَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَتَابِعُ الحِكْمَةَ مِنْ
قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.

وقال عليه الصلاة والسلام: الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا مِمَّنْ سَمِعَهَا وَلا
يَبَالِي مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ خَرَجَتْ.

وقال عليه الصلاة والسلام: لا تَضَعُوا الحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا وَلا
تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ.

وقال الحُكَمَاءُ: لا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ.

وقالوا: إِذَا وَجَدْتُمْ الحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى السِّكِّ فَخُذُوهَا.

وفي الحديث: خُذُوا الحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَلْسِنَةِ المُشْرِكِينَ.

وقال زياد: أَيُّهَا النَّاسُ لا يَمْنَعُكُمْ سَوْءٌ مَا تَعْلَمُونَ مَتَى أَنْ تَتَنَفَعُوا بِأَحْسَنِ مَا
تَسْمَعُونَ مَتَى فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ: اْعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِن قَصَّرتَ فِي عَمَلِي يَنْفَعُكَ
قَوْلِي وَلا يَصْرُرُكَ تَقْصِيرِي قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَاعِدَةَ: مَا أَفْضَلُ المَعْرِفَةَ قَالَ
مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ نَفْسُهُ قِيلَ لَهُ: فَمَا أَفْضَلُ العِلْمِ قَالَ: وَقُوفُ المَرْءِ عِنْدَ عِلْمِهِ
قِيلَ لَهُ: فَمَا أَفْضَلُ المَرْوَةِ قَالَ: اسْتِبْقَاءُ الرَّجُلِ ماءً وَجْهَهُ.

وقال الحسنُ: التُّقْدِيرُ نِصْفُ الكَسْبِ وَالتَّوَدُّةُ نِصْفُ العقلِ وَحُسْنُ طَلَبِ
الحَاجَةِ نِصْفُ العِلْمِ.

وقالوا: لا عقلَ كِالتَّدْبِيرِ وَلا وَرَعَ كِالكِفِّ وَلا حَسَبَ كِحُسْنِ الخُلُقِ وَلا غِنَى
كَرِضَا عَنِ اللهِ وَاحِقٌ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ.

وقالوا: أَفْضَلُ البِرِّ الرَّحْمَةُ وَرَأْسُ المَوَدَّةِ الاسْتِرْسَالُ وَرَأْسُ العُقُوقِ مُكَاتِمَةُ
الأَذْنِينَ وَرَأْسُ العَقْلِ الإِصَابَةُ بِالظَّنِّ.

وقالوا: التَّفَكَّرُ نُورٌ وَالعَقْلَةُ طُلْمَةٌ وَالجِهَالَةُ صَلَالَةٌ وَالعِلْمُ حَيَاةٌ وَالأوَّلُ سَابِقٌ
وَالأخِرُ لَاحِقٌ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِعَيْرِهِ.

حَدَّثَ أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي غَيْرٌ وَاحِدٌ مِنْ هَوَازِرَ مِنْ
أُولِي العِلْمِ وَبَعْضُهُمْ قَدْ أَدْرَكَ أَبُوهُ الجَاهِلِيَّةَ " أَوْ جَدُّهُ " قَالَوا: اجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ

الظُّرْبُ إِلْعَدَّوَانِي وَحُمَمَةَ بِنِ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ - وَبَزَعُمُ النَّسَابِ أَنْ لَيْلَى بِنْتُ
الظُّرْبِ أُمُّ دَوْسٍ وَزَيْنَبُ بِنْتُ الظُّرْبِ أُمُّ ثَقِيفٍ " وَهُوَ قَيْسِي " - عِنْدَ مَلِكٍ مِنْ
مُلُوكِ حِمْيَرَ فَقَالَ: تَسَاءً لَا حَتَى أَسْمَعُ مَا تَقُولَانِ.

فَقَالَ عَامِرٌ لِحُمَمَةَ: أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ قَالَ: عِنْدَ ذِي الرَّثِيَّةِ الْعَدِيمِ
وَ عِنْدَ ذِي الْخَلَّةِ الْكَرِيمِ وَالْمُعْسِرِ الْعَرِيمِ وَالْمُسْتَضْعَفِ الْهَضِيمِ.

قَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَقْتِ قَالَ: الْقَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالضَّعِيفُ الصَّوَالُ وَالْعَيْيُّ
الْقَوُولُ قَالَ: فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ قَالَ: الْحَرِيصُ الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ
وَالْمُلْحِفُ الْوَاجِدُ.

قَالَ: فَمَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ بِالصَّنِيْعَةِ قَالَ: مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ وَإِذَا
مُطِيلٌ صَبَرَ وَإِذَا قَدُمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ قَالَ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةَ قَالَ: مَنْ إِذَا
قَرَّبَ مَنَحَ " وَإِذَا بَعُدَ مَدَحَ " وَإِذَا طَلَمَ صَفَحَ وَإِذَا صُوبِقَ سَمَحَ قَالَ: مَنْ أَلَمَ
النَّاسَ قَالَ: مَنْ إِذَا سَأَلَ حَضَعَ وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ وَإِذَا مَلَكَ كَتَعَ ظَاهِرُهُ جَشَعَ
وَبَاطِنُهُ طَبَعَ.

قَالَ: فَمَنْ أَحْلَمَ النَّاسَ قَالَ: مَنْ عَفَا إِذَا قَدَرَ وَأَجْمَلَ إِذَا انْتَصَرَ وَلَمْ تُطْغِهِ عِزَّةُ
الظُّفْرِ.

قَالَ: فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسَ قَالَ: مَنْ لَا أَخَذَ رِقَابَ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ
تُصَبُّ عَيْنَيْهِ وَتَبْدُ التَّهْيِيبَ دَبْرَ أُذُنَيْهِ.

قَالَ: فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ قَالَ: مَنْ رَكِبَ الْخِطَارَ وَاعْتَسَفَ الْعِثَارَ وَأَسْرَعَ فِي
الْبِدَارِ قَبْلَ الْاِقْتِدَارِ.

قَالَ: مَنْ أَجْوَدُ النَّاسَ قَالَ: مَنْ بَدَلَ الْمَجْهُودَ وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَعْهُودِ.

قَالَ: مَنْ أَبْلَغَ النَّاسَ قَالَ: مَنْ جَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيْزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيْزِ وَطَبَّقَ
الْمَفْصَلَ قَبْلَ التَّحْزِيْزِ.

قَالَ: مَنْ أَنْعَمَ النَّاسَ عَيْشًا قَالَ: مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ وَتَجَاوَزَ
مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ.

قَالَ: فَمَنْ أَشَقَى النَّاسَ قَالَ: مَنْ حَسَدَ عَلَى النَّعْمِ وَسَخِطَ عَلَى الْقِسْمِ
وَاسْتَشَعَرَ النَّدَمَ عَلَى فُوتِ مَا لَمْ يُحْتَمِ.

قَالَ: مَنْ أَغْنَى النَّاسَ قَالَ: مَنْ آسْتَشَعَرَ الْيَاسَ وَأَظْهَرَ التَّجْمُلَ لِلنَّاسِ
وَاسْتَكْتَرَ قَلِيلَ النَّعْمِ وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ.

قَالَ: فَمَنْ أَحْكَمَ النَّاسَ قَالَ: مَنْ صَمَتَ فَادَّكَرَ وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ وَوُعِظَ فَازْدَجَرَ.

قَالَ: مَنْ أَجْهَلَ النَّاسَ قَالَ: مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَعْنَمَا وَالتَّجَاوَرَ مَعْرَمَا.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْخَلَّةُ: الْحَاجَةُ وَالْخُلَّةُ: الصِّدَاقَةُ.

والكائد: الذي يكفر النعمة والكنود: الكفور والمُسْتَمِيد: مثل المُسْتَمِير وهو المُسْتَعْطِي.

ومنه اشتقاق المائدة.

لأنها تَمَادُ.

وكنع: تَقَبَّضُ يُقال منه: تَكَنَّعَ جِلْدُهُ إِذَا تَقَبَّضَ.

يريد أنه مُمَسِّكٌ بِحَيْلٍ.

والجَشَّعَ: أسوأ الجِرْصِ.

والطَّع " الدَّنَسِ.

والاعتساف: رُكوب الطريق على غير هداية وركوبُ الأمر على غير مَعْرِفَةٍ.

والمَرِيز: من قولهم: هذا أَمْرٌ من هذا أي أفضل منه وأزيد.

والمُطَبَّق من السيوف: الذي يُصِيب المفاصل لا يجاوزها.

وقال عمرو بن العاص: ثلاثٌ لا أناة فيهنَّ: المُبادرة بالعمل الصالح ودَفْن الميِّت وتَرْوِج الكُفء.

وقالوا: ثلاثة لا يُندم على ما سَلَف إليهم: الله عَزَّ وَجَلَّ فيما عَمِل له والمَوْلى الشُّكُور فيما أُسْدَى إليه والأَرْضُ الكَرِيمَةُ فيما بُذِرَ فيها.

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها: ظِلُّ العَمَامِ وَضُحْبَةُ الأَشْرَارِ وَالتَّنَاءُ الكاذبِ.

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: العِنَى في النَّفْسِ وَالتَّشْرِفِ في التَّواضِعِ وَالكِرمِ في التَّقْوَى.

وقالوا ثلاثة لا تَعْرِفُ إلا عند ثلاثة ذُو البَأْسِ لا يُعْرِفُ إلا عند اللقاء وذو الأمانة لا يُعْرِفُ إلا عند الأخذ والعطاء.

والإخوان لا يُعْرِفون إلا عند التَّوائب.

وقالوا: مَنْ طلب ثلاثة لم يَسَلِمَ من ثلاثة: مَنْ طلب المَالَ بالكِمْيَاءِ لم يَسَلِمَ من الإفلاس وَمَنْ طلب الدِّينَ بالقَلْسِفةِ لم يَسَلِمَ من الرِّندِقةِ وَمَنْ طلب الفِقهَ بغرائب الحديث لم يَسَلِمَ من الكَذِبِ.

وقالوا: عليكم بثلاث: جالِسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلوا العلماء.

وقال عمرُ بن الخطَّابِ رضوان الله عليه: أخوفُ ما أخاف عليكم شُحُّ مُطاعٍ وهَوَى مُتَّبِعٍ وإعجاب المرء بنفسه.

واجتمعت عُلماء العَرَب والعجم على أربع كلمات: لا تحمل على ظَنِّك ما لا تُطيق ولا تَعْمَل عملاً لا يَنْفَعُك ولا تَعْتَرِ بِامرأة ولا تَتَّق بِمال وإن كثر.

وقال الرِّياحي في حُطْبته بِالْمِرْبَد: يا بَنِي رِياح لا تَحْقِرُوا صَغِيرًا تَأْخِذُونَ عَنْهُ فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ الثَّلَبِ رَوَّغَانَهُ وَمِنَ الْفِرْدِ حِكَايَتَهُ وَمِنَ السَّنُّورِ ضَرَعَهُ وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ.

ومن ابن آوَى حَذَرَهُ وَلَقَدْ تَعَلَّمْتَ مِنَ الْقَمَرِ سَيْرَ اللَّيْلِ وَمِنَ الشَّمْسِ ظُهُورَ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ.

وقالوا: إِبْنُ آدَمَ هُوَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ الْعَالَمَ كُلَّهُ فَكَانَ فِيهِ بَسَالَةُ اللَّيْثِ وَصَبْرُ الْجِمَارِ وَحِرْصُ الْخَنْزِيرِ وَحَذَرُ الْعُرَابِ وَرَوَّغَانُ الثَّلَبِ وَضَرَعُ السَّنُّورِ وَحِكَايَةُ الْفِرْدِ وَلَمَّا قَتَلَ كِسْرِي بُرْزُجْمَهَرَ وَجَدَ فِي مَنُطِقَتِهِ مَكْتُوبًا: إِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالْتِقَ بِالنَّاسِ عَجْزًا وَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ رَاصِدًا فَالطَّمَأِينَةُ حُمُقٌ.

وقال أبو عمرو بن العلاء: حُذِ الْخَيْرَ مِنَ أَهْلِهِ وَدَعْ الشَّرَّ لِأَهْلِهِ.

وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: لا تَتَّهَكُوا وَجْهَ الْأَرْضِ فَإِن شَحْمَتِهَا فِي وَجْهِهَا.

وقال: يِعِ الْحَيَوَانَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ فِي عَيْنِكَ.

وقال: فَزَّقُوا بَيْنَ الْمَنَايَا وَاجْعَلُوا مِنَ الرَّأْسِ رَأْسِينَ وَلَا تَلْبَثُوا بِدَرًا مَعْجِزَةً.

وقالوا: إِذَا قَدُمْتَ الْمُصِيبَةَ تُرِكَتِ التَّعْزِيَةُ وَإِذَا قَدِمَ الْإِخَاءَ سَمَّجَ النَّاءُ.

وفي كتاب للهند: يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَدَعَ التَّماسَرَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِئَلَّا يُعَدَّ جَاهِلًا كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ السَّفِينَ فِي الْبَرِّ وَالْعَجَلَ فِي الْبَحْرِ وَذَلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ.

وقالوا: إِحْسَانُ الْمُسِيءِ أَنْ يَكُفَّ عَنْكَ أَذَاهُ وَإِسَاءَةُ الْمُحْسِنِ أَنْ يَمْنَعَكَ جَدْوَاهُ.

وقال الحسينُ البَصْرِيُّ: اقْدَعُوا هَذِهِ النُّفُوسَ فَإِنَّهَا طُلُوعَةٌ وَحَادِثُوهَا بِالذِّكْرِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ.

يقول: حَادِثُوهَا بِالْحِكْمَةِ كَمَا يُحَادِثُ السَّيْفُ بِالصُّقَالِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ يَرِيدُ الصَّدَا الَّذِي يَعْرُضُ لِلسَّيْفِ.

واقْدَعُوهَا: مَنْ قَدَعَتْ أَنْفَ الْجَمَلِ إِذَا دَفَعْتَهُ.

فإنها طُلُوعَةٌ يَرِيدُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى قَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ يَابُكُ: إِنْ لِلْأَذَانِ مَجَّةٌ وَلِلْقُلُوبِ مَلًا فَفَرَّقُوا بَيْنَ الْحَكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذَلِكَ اسْتِجْمَامًا.

قيل لعمر بن عُبيد: ما البلاغة قال: ما بَلَّغَكَ الْجَنَّةَ وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ قَالَ السَّائِلُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ: فَمَا بَصَّرَكَ مَوَاضِعَ رُشْدِكَ وَعَوَاقِبَ عَيْبِكَ قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْمَعَ وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْمَعَ لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَسْأَلَ وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْأَلَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَقُولَ: قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا مَعْشَرٌ النَّبِيِّينَ " بِكَاءٍ - أَي قَلِيلُوا الْكَلَامَ وَهُوَ جَمْعُ بَكَىءَ - وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنُطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ قَالَ السَّائِلُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ: فَكَأَنَّكَ تُرِيدُ تَحْيِيرَ الْأَلْفَاظِ فِي حُسْنِ إِفْهَامِ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَفْهِيمَ حُجَّةِ اللَّهِ فِي عُقُوبِ الْمُكَلَّفِينَ وَتَخْفِيفِ الْمَوْئِنَةَ عَلَى الْمُسْتَمْعِينَ وَتَزْيِينِ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُسْتَفْهِمِينَ بِالْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ رَغِيَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ وَنَفْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ النَّاطِقَةِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كُنْتَ قَدْ أَوْتَيْتَ فَضْلَ الْخِطَابِ.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة قال: مَعْرِفَةُ الْوَصْلِ مِنَ الْفَصْلِ.

وقيل لآخر: ما البلاغة قال: إِجَازُ الْكَلَامِ وَحَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيْبُ الْبَعِيدِ.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة قال: أَنْ لَا يُؤْتَى الْقَائِلُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ وَلَا يُؤْتَى السَّامِعُ مِنْ وَقَالٍ مُعَاوِيَةَ لَصْحَارِ الْعَبْدِيِّ: مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ: أَنْ تُجِيبَ فَلَا تُبْطِئَ وَتُصِيبَ فَلَا تُخْطِئَ.

ثم قال: أَقْلِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: قَدْ أَقْلَيْتُكَ.

قال: لَا تُبْطِئِ وَلَا تُخْطِئِ.

قال أبو حاتم: اسْتَطَالَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَاسْتَقَالَ وَتَكَلَّمَ بِأَوْجَرَ مِنْهُ.

وسمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم ويكثر فقال اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بحجة اللسان وكثرة الهديان ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة.

فقال له: أبا صفوان ما من دَنَبٍ أَعْظَمَ مِنْ اتِّفَاقِ الصَّنْعَةِ.

وتكلم ربيعة الرائي يوماً فأكثر " وأعجب بالذي كان منه " وإلى جنبه أعرابي فالتفت إليه فقال: مَا تَعْدُونَ الْبَلَاغَةَ يَا أَعْرَابِيَّ قَالَ: قِلَّةُ الْكَلَامِ وَإِجَازُ الصَّوَابِ قَالَ: فَمَا تَعْدُونَ الْعَيْبَ قَالَ: مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ.

فكأنما ألقمه حجراً.

ومن أمثالهم في البلاغة قولهم: يُقِلُّ الْحَزَّ وَيُطَبِّقُ الْمِفْصَلَ.

وذلك أنهم سبَّهوا البليغ المُوْجِزَ الَّذِي يُقِلُّ الْكَلَامَ وَيُصِيبُ الْفُضُولَ وَالْمَعَانِي بِالْحَزَّارِ الرَّفِيقِ يَقِلُّ حَزَّ اللَّحْمِ وَيُصِيبُ مَفَاصِلَهُ.

ومثله قولهم: يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ التُّقْبِ أَي لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَجِبُ فِيهِ الْكَلَامُ مِثْلَ الطَّالِبِ الرَّفِيقِ الَّذِي يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ التُّقْبِ.

وقولهم: قَرَطَسَ فلان فأصاب الثغرة وأصاب عَيْنَ القِرْطاسِ.

كل هذا مثل للمُصِيبِ في كلامه الموجز في لَفْظِهِ.

" قيل للعَتابي: ما البلاغة قال: إظهار ما غَمَضَ من الحقِّ وتَصوِيرِ الباطلِ في صورة الحقِّ.

وقيل لأعرابيٍّ: مَنْ أبلغ الناس قال: أسهَلهم لَفْظاً وأحسنهم بَدِيةً.

وقيل لآخر: ما البلاغة فقال: نشر الكلام بمعانيه إذا قَصُرَ وحُسِنَ التَّأليفُ له إذا طال.

وقيل لآخر: ما البلاغة فقال: قَرَعَ الحَجَّةَ ودُتُّوا الحاجة.

وقيل لآخر: ما البلاغة قال: الإيجاز في عَيْرِ عَجَزٍ والإطناب في عَيْرِ حَظَلٍ.

وقيل لغيره: ما البلاغة قال: إقلال في إيجاز وصواب مع سُرعة جواب.

قيل لليُونانيِّ: ما البلاغة قال: تَصحيح الأقسام واختيار الكلام.

وقيل لبعضهم: مَنْ أبلغ الناس قال: مَنْ ترك القُصُولَ واقتصر على الإيجاز.

وكان يقال: رسولُ الرجل مكان رأيه وكتابه مكان عَقْلِهِ.

وقال جعفر بن محمد عليه السلام: سُمِّيَ البليغ بليغاً لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه.

وسئل بعضُ الحكماء عن البلاغة فقال: مَنْ أخذ معاني كثيرة فأداها بألفاظ قليلة وأخذ معاني قليلة فولد منها لفظاً كثيراً فهو بليغ.

وقالوا: البلاغة ما كان من الكلام حسناً عند استماعه مُوجزاً عند بَدِيةً.

وقيل: البلاغة: لَمحة دالَّة على ما في الصَّميرِ.

وقال بعضهم: إذا كفاكَ الإيجاز فالإكثار عَيٌّ وإنما يَحْسِنُ الإيجاز إذا كان هو البَيانُ: ولبعضهم: حَيْرُ الكلام قَليلٌ على كثير دَليلٌ والعِيٌّ مَعنى قَصيرٌ يَحويه لفظٌ طَويلٌ وقال بعضُ الكُتَّابِ: البلاغة مَعرفة القِصَلِ من الوِصَلِ.

وأحْسِنُ الكلام القِصْدَ وإصابة المعنى.

قال الشاعر: وإذا تَطَقَّتْ فلا تَكَنَّ أشيراً وأقْصِدْ فخيرُ الناس مَنْ قَصَدَا وقال آخر: وما أحْدُ يكون له مَقالٌ فيسَلَمُ من مَلامٍ أو أُنَامٍ وقال: الدَّهْرُ ينقص تارةً ويَطولُ والمَرءُ يَضُمُّ مَرَّةً وَيَقولُ والقولُ مَحْتَلِفٌ إذا حَصَلتْهُ بَعْضُ يَرْدٍ وبعْضُهُ مَقْبولٌ إذا وَصَحَ الصوابُ فلا تَدَعُهُ فَإِنَّكَ كَلِمَكا دُفَّتِ الصَّوْلِبُا وَجَدتْ له على اللُّهواتِ بَرْداً كَبُرْدُ الماءِ حينَ صَفا وطابا وقال آخر: ليس شَأْنُ البليغِ إرسالَهُ القولِ بطولِ الإسهابِ والإكثارِ إنما شَأْنُهُ التَّلَطُّفُ لِلْمَعِ - نَى بِحُسْنِ

الإيراد والإصدار وجوه البلاغة تكون على أربعة أوجه: تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة وكل منها له حظ من البلاغة والبيان وموضع لا يجوز فيه غيره ومنه قولهم: لكل مقام مقال ولكل كلام جواب ورُبَّ إشارة أبلغ من لفظ.

فأما الخط والإشارة فمفهومان عند الخاصة أو أكثر العامة.

وأما الدلالة: فكل شيء ذلك على شيء فقد أخبرك به كما قال الحكيم: أشهد أن السموات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات كلُّ يُوَدِّي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية.

وقال آخر: سل الأرض " فقل " : من سقَّ أنهارك وعَرَس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تُجيك إخباراً أجابتك اعتباراً.

لقد جئتُ أبغي لِنَفْسِي مُجِيراً فَجِئْتُ الْجِبَالَ وَجِئْتُ الْبُحُورَا فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذْ جِئْتَهُ وَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيْرُ ضَرِيْرَا وَقَالَ آخِرُ: تَطَلَّقْتُ عَيْتَهُ بِمَا فِي الصَّمِيرِ وَقَالَ نُصَيْبُ بْنُ رَبَاحٍ: فَعَاجُوا فَأَتَتْهُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنْتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ يُرِيدُ: لَوْ سَكَنْتُوا لِأَثْنْتَ عَلَيْكَ حَقَائِبُ الْإِبِلِ الَّتِي يَحْتَقِبُهَا الرَّكْبُ مِنْ هِبَاتِكَ.

وهذا التناء إنما هو بالدلالة لا باللفظ.

وقال حبيب.

الدار ناطقة وليست تنطق بدثورها أنَّ الجديد سيخلق وهذا في قديم الشعر وحدثه وطارف الكلام وتليده أكثر من أن يحيط به ووصف أو يأتي من ورائه نعت.

وقال رجل للعتابي: ما البلاغة قال: كل من بلغك حاجته وأفهمك معناه بلا إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ.

قالوا: قد فهمنا الإعادة والحُبسة فما معنى الاستعانة قال.

أن يقول عند مقاطع كلامه: أسمع منِّي وافهم عني أو يمسح عننونه أو يفتل أصابعه أو يكثر التفاته من غير مُوجب أو يتساءل من غير سُعلة أو ينهر في كلامه.

وقال الشاعر: مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسُعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُتْنُونَ وَقَتْلُ الْأَصَابِعِ وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْعِيِّ.

وقال أبرويز لكاتبه: اعلم أنَّ دعائم المقالات أربع إن التمس لها خامسة لم تُوجد وإن تقصت منها واحدة لم تتم وهي: سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وإخبارك عن الشيء.

فإذا طلبت فأسجح وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فأحكم وإذا أخبرت فحقق.

وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول.

يريد الكلام الذي تقل حروفه وتكثر معانيه.

وقال ربيعة الرّأي: إني لأسمع الحديث عَطْلًا فَأَشْتَفُهُ وَأَقْرَطُهُ فَيَحْسُنُ وَمَا زِدْتُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا غَيْرَ لَهُ مَعْنَى.

وقالوا: خيرُ الكلام ما لم يُحتجْ بعده إلى كلام.

" وقال يحيى: الكلامُ ذو فنونٍ وخيره ما وفق له القائل وانتفع به السامع وللحسن بن جعفر: وفي الصمّةِ سننٌ للعيِّ وإنما صحيّفة لبّ المرء أن يتكلما وصف أعرابي بليغاً فقال: كأنّ الألسن ربيصت فما تتعقد إلا على وده ولا تنطق إلا ببيانه.

وصف أبو الوحيه بلاغة رجل فقال: كان والله يشول بلسانه شولان البروق ويتخلل به تخلل الحية "

وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعنى فصول عجيبة وبدائع غريبة وسناتي على صدر منها إن شاء الله تعالى.

▲ فصول من البلاغة

قدم قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ خُرَاسَانَ وَالْيَاءُ عَلَيْهَا فَقَالَ: مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ مَالِ عَبْدِ اللَّهِ بن خازم فَلْيُنْبِذْهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَلِيلٌ فَلْيَلْفِظْهُ وَإِنْ كَانَ فِي صَدْرِهِ قَلْبُفْتُهُ.

فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ حُسْنِ مَا فَصَّلَ.

وقيل لأبي السَّمَالِ الأَسَدِيِّ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ: كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ قَالَ: تَرَكْتُهُمْ بَيْنَ مَظْلُومٍ لَا يَنْتَصِفُ وَظَالِمٍ لَا يَنْتَهِي.

وقيل لشبيب بن سبيبة عند باب الرّشيد: كيف رأيت الناس قال: رأيت الداخل راجحاً والخارج راضياً.

وقال حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس: إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بمَلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلاً كَفِي وَشَفِي مَا فِي النَّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ لَذِي إِزْبَةِ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلاً وَلَقِيَ الْحُسَيْنَ بن عليّ رضوان الله عليهما الفرزدق في مسيره إلى العراق فسأله عن الناس فقال: القلوب معك والشيوخ عليك والتصر في السماء.

وقيل لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: كم بين المشرق والمغرب فقال: مسيرة يوم للشمس قيل له: فكم بين السماء والأرض قال: مسيرة ساعة لدعوة مُستجابة.

وقيل لأعرابي: كم بين موضع كذا وموضع كذا قال: بياض يوم وسواد ليلة.

وشكا قوم إلى المسيح عليه السلام ذنوبهم فقال: اتركوها تُغفر لكم.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: قيمة كلِّ إنسان ما يحسن.

وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية: ما أقربُ شيء قال: الأجل قيل له: فما أبعدُ شيء قال: الأمل قيل له: فما أوحش شيء قال: الميِّت قيل له: فما أنس شيء قال: الصاحب المواتي.

مرَّ عمرو بن عُبيد بسارق يُقطع فقال: سارق السريرة يقطع سارق العلانية.

وقيل للخليل بن أحمد: مالك تزوي الشعر ولا تقول له قال: لأنني كالميسر أشد ولا أقطع.

وقيل لعقيل بن علفة: ما لك لا تطيل الهجاء قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ومرَّ خالد بن صفوان برجل صلَّبه الخليفة فقال: أنبتته الطاعة وحصدته المعصية.

ومرَّ أعرابيُّ برجل صلَّبه السلطان فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبه ومن فارق الحق ومن النطق بالدلالة ما حدث به العباس بن الفرج الرياشي قال: نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد العبادي في ظل شجرة مُورقة ليلهو النعمان هناك فقال له عدي: أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الشجرة قال: ما تقول قال تقول: رب شرب قد أناخوا حولنا يمزجون الخمر بالماء الزلال ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذلك الدهر حال بعد حال فتنعص على النعمان ما هو فيه.

" وقال ابن الأعرابي: قلت للفضل: ما الإيجاز عندك قال: حذف الفضول وتقريب البعيد "

وقال رجلٌ لخالد بن صفوان: إنك لتكثر قال: أكثر لصريين أحدهما فيما لا تُغني فيه القلة والآخر لتمرين اللسان فإن حبسه بُورث العقلة.

وكان خالد بن صفوان يقول: لا تكون بليغاً حتى تُكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك.

وإنما اللسان عُضو إذا مرَّته مرَّ وإذا تركته لکن كاليد تُحسنها بالممارسة والبدن الذي تُقويه برقع الحجر وما أشبهه والرجل إذا عُودت المشي مشيت.

وكان نوفل بن مُساحق إذا دخل على امرأته صمت فإذا خرج عنها تكلم فقالت له: إذا كنت وذكر شبيب بن شيبه خالد بن صفوان فقال: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية.

وهذا كلام لا يعرف قدره إلا أهل صناعته.

" وَوَصَفَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: أَتَيْنَاهُ فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ كَأَنَّهُ مِخْرَاقٌ لَاعِبٌ.

وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ يُقَارِبُ حَطْوَهُ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَقَدْ كَبُرَتْ سِنَّكَ قَالَ: فِي طَاعَتِكَ قَالَ: وَإِنَّكَ لَجَلْدٌ قَالَ: عَلَى أَعْدَائِكَ قَالَ: أَرَى فِيكَ بَقِيَّةَ قَالَ: هِيَ لَكَ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بَلِيغًا فَقَالَ فِيهِ مُعَاوِيَةُ: إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ لِعَيٍّ وَلَمْ يَتَّخِذْ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَبَنَظَرَ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ وَتَكَلَّمَ صَعَصَعَةً بِنُحُوحَانٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَعَرِقَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: بَهْرَكَ الْقَوْلُ قَالَ: الْجِيَادُ نَصَّاحَةٌ بِالْعَرَقِ.

وَكَتَبَ ابْنُ سَيَّابَةَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ: إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ كَلَّحَ فَجَرَحَ وَطَمَحَ فَجَمَحَ وَأَفْسَدَ مَا صَلَحَ فَإِنْ لَمْ تُعِنْ عَلَيْهِ فَصَحَّ.

وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئِ كَلَامَ رَجُلٍ فَقَالَ: هَذَا الْكَلَامُ يُكْتَفَى بِأَوْلَادِهِ وَيُسْتَفَى بِأَخْرَاهِ.

وَوَصَفَ أَعْرَابِيًّا رَجُلًا فَقَالَ: إِنَّ رِفْدَكَ لَنَجِيحٌ وَإِنْ خَيْرِكَ لَصَرِيحٌ وَإِنْ مَنَعَكَ لَمُرِيحٌ.

وَدَخَلَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الشَّامَ وَهُوَ غَلَامٌ فَقَدَّمَ خَصْمًا لَهُ إِلَى قَاضِيِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ " وَكَانَ خَصْمُهُ شَيْخًا كَبِيرًا " .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَتَقَدَّمُ شَيْخًا كَبِيرًا فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ: الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ قَالَ لَهُ: اسْكُتْ قَالَ.

فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي قَالَ: مَا أَظُنُّكَ تَقُولُ حَقًّا حَتَّى تَقُومَ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَقَامَ الْقَاضِي فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ فَقَالَ: اقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدُ عَلَيَّ النَّاسَ.

وَمِنَ الْأَسْجَاعِ قَوْلُ ابْنِ الْقَرَّيْبَةِ وَقَدْ دُعِيَ لِكَلَامِ فَاحْتَبَسَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ طَالَ السَّمْرُ وَسَقَطَ الْقَمَرُ وَاشْتَدَّ الْمَطَرُ فَمَا أَنْتَظِرُ.

فَأَجَابَهُ فَنَى مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ: قَدْ طَالَ الْأَرْقُ وَسَقَطَ الشَّفَقُ فَلْيَنْطِقْ مِنْ تَطَقٍ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبِ: دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ وَبِيَدِهِ كِتَابٌ لِعَمْرٍو بْنِ مَسْعُودَةَ وَهُوَ يُصَعَّدُ فِي دُرَاهِ وَيَقُومُ مَرَّةً وَيَقْعُدُ أُخْرَى ففَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: أَحْسَبُكَ مُفَكِّرًا فِيمَا رَأَيْتَ قَلْتُ: نَعَمْ وَقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَكَارِهِ فَقَالَ: لَيْسَ بِمَكْرُوهِ وَلَكِنْ قَرَأْتُ كَلَامًا تَطْيِيرُ حَبْرٍ حَبَّرَنِي بِهِ الرَّشِيدُ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْبَلَاغَةَ لَتَقَارِبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَتَبَاعَدُ مِنَ حَسْوِ الْكَلَامِ وَدَلَالَةِ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ.

فلم أتوهم أن هذا الكلام يسبب على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب فكان استعطافاً على الجند وهو: كتابي إلى أمير المؤمنين أبده الله ومن قبلي من أجاده وفؤاده في الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم.

فأمر بإعطائهم ثمانية أشهر.

ووقع جعفر البرمكي إلى كتابه: إن أستطعتم أن تكون كئيبكم توقيعات فافعلوا.

وأمره هارون الرشيد أن يعزل أخاه الفضل عن الخاتم ويأخذه إليه عزلاً لطيفاً.

فكتب إليه: قد رأى أمير المؤمنين أن يتقل خاتم خلافته من يمينك إلى شمالك فكتب إليه الفضل: ما انتقلت عني نعمة صارت إليك ولا حصنك دوني.

ووقع جعفر في رُفعة رجل تتصل إليه من دَنب: تقدمت لك طاعة وظهرت منك تصيحة كانت بينهما تَبوة ولن تغلب سيئة حسنتين.

قال الفضل بن يحيى لأبيه: ما لنا نُسدي إلى الناس المعروف فلا نرى من السرور في وجوههم عند انصرافهم بيرانا ما نراه في وجوههم عند انصرافهم بيرانا فقال له يحيى: إن آمال الناس فينا أطول منها في غيرنا وإنما يُسر الإنسان بما بلغه أمله.

قيل ليحيى: ما الكرم قال: مَلِك في زيِّ مسكين قيل: فما القزعة قال: مسكين في بطش عفرية قيل: فما الجود قال: عفو بعد قدرة.

أتى المأمونُ برجل قد وجب عليه الحدُّ فقال وهو يُضرب: قتلني يا أمير المؤمنين قال: الحقُّ قتلك قال: ارحمني قال: لستُ أرحم بك ممن أوجب عليك الحدَّ.

وسأل المأمون عبد الله بن طاهر في شيء فأسرع يفي ذلك فقال له المأمون: فإن الله عز وجل قد قطع عُذر العجول بما مكنه من التثبت وأوجب الحجة على القليق بما بصره من فضل الأناة.

قال: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أكتبه قال: نعم فكتبه.

قال إبراهيم بن المهدي قال لي المأمون: أنت الخليفة الأسود قلت: يا أمير المؤمنين أنت مَننت عليّ بالعفو وقد قال عبدُ بني الحسحاس: أشعراً عبدُ بني الحسحاس فُمِنَ له عند الفخار مقام الأصل والورق إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّة كرمًا أو أسودَ الجلد إنني أبيضُ الخلق فقال المأمون: يا عمُّ خرّجك الهزل إلى الجد ثم أنشأ يقول: ليس يُزري السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الأديب الأريب إن يكن للسواد منك نصيبٌ فبيّاض الأخلاق منك نصيب

قال المأمون: أَسْتَحْسِنُ من قول الحُكَمَاءِ: الجودُ بَدَلُ المَوْجودِ والبُخلُ بَطَرٌ بالمَعْبودِ عَزْرٌ وِجْلٌ.

قالت أمُّ جعفرِ زُبَيْدَةَ بنتِ جعفرٍ للمأمون حين دَخَلتْ عليه بعد قُتْلِ ابنِها: الحمد لله الذي ادَّخَرَ لي لِمَا أَتَكَلَّنِي وَلَدِي ما تَكَلَّتْ وَلَدًا كُنْتُ لي عَوْضًا منه.

فلما خَرَجَتْ قال المأمون لأحمد بن أبي خالد: ما ظننتُ أن نِساءَ جُبَلنَ على مثل هذا الصَّبْرِ.

وقال أبو جَعْفَرٍ لعمرو بن عُبيد: أَعْيِي بأصحابك يا أبا عُثْمانَ قال: ارفع عَلمَ الحقِّ يَتَّبِعْكَ أهله.

▲ آفات البلاغة

قال محمد بن منصور كاتبُ إبراهيم وكان شاعراً راوياً وطالِباً للنحوِ علامة قال سمعتُ أبا دُوادٍ " بن جرير الإبادي " وَجَرَى شَيْءٌ من ذِكرِ الخُطْبِ وتَمْيِيزِ الكلامِ فقال: تَلْخِصُ المَعانِي رَفِقٌ وَالاسْتِعاْنَةُ بِالغَرِيبِ عَجْزٌ وَالنَّشادُقُ في غيرِ أهلِ البادية تَقْصُ وَالنَّظَرُ في عَيونِ الناسِ عِيٌّ وَمَسُّ اللِّحْيَةِ هَلَعٌ وَالخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الكلامُ إِسْهَابٌ.

قال: وسمعتُهُ يقول: رَأْسُ الخَطاَبَةِ الطَّيْعُ وَعَمُودُها الدَّرْبَةُ " وَجِنَاحُها رِوايَةُ الكلامِ " وَخَلِيْها الإِعْرابُ وَبِهاؤُها تَخْيِيرُ اللَّفْظِ وَالْمَحَبَّةُ مَقْرُونَةٌ بِقَلَّةِ الاسْتِكرَاهِ.

وأنشدني بيتاً في خُطباءِ إِيادٍ: يَزْمُونُ بِالخُطْبِ الطُّوالِ وتارةً وَحِي المَلاحِظِ خَيْفَةَ الرُّقْباءِ وقال ابن الأعرابي: قلتُ لِلْفَضْلِ: ما الإيجازُ عندك قال: حَذْفُ الفُضُولِ وَتَقْرِيبُ البَعِيدِ.

وتكلم ابن السَّمَّاءِ يوماً وَجاريةً له تَسْمِعُ " كلامه " فلما دخل " إليها " قال لها: كيف سمعتِ كلامي " قالت: ما أحسنه! لولا أنك تُكثِرُ تَرْدادَهُ! قال: أَرَدَدَهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَن لَمْ يَفْهَمَهُ " قالت: إلى أن تَفْهَمَهُ من لَمْ يَفْهَمَهُ يكون " قد " مَلَهُ من فَهْمِهِ.

▲ باب الحلم ودفْع السَّيئةِ بالحسنة

قال الله تبارك وتعالى: " وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيئةُ اذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذِي سَنَّتْ وَبِئِنَّهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.

وَمَا تُلقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا تُلقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغَنَّ لك قال: هنالك وقعت في الشغل قال: كأنك تهددني والله لئن قلت لي كلمة لأقولنَّ لك عشرًا قال: وانت والله لئن قلت لي عشرًا لم اقل لك واحدة وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: والله لأسُبَّنكَ سَبًّا يَدْخُلُ القَبْرَ معكَ قال: معكَ يَدْخُلُ لا مَعِي.

وقيل لعمر بن عُبيد: لقد وقع فيك اليوم أيوب السَّخَّيَّاني حتى رَجَمناك قال:
إياه فارحموا.

وسَّتم رجلُ السَّعْبِيِّ فقال له: إن كنت صادقاً فَعَفِرَ اللهُ لي وإن كنت كاذباً
فَعَفِرَ اللهُ لك.

وسَّتم رجلُ أبا دَرٍّ فقال: يا هذا لا تُعْرِقْ في سَنَمنا ودَعْ للصُّلح مَوْضِعاً فإننا لا
نَكافيءَ مَنْ عَمى اللهُ فينا بأكثر من أن تُطيع الله فيه.

ومَرَّ المَسِيحُ بن مَزِيم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شراً
فقال خيراً فقيل له: وقال الشاعر: تَأَلَّبني عَمْرُو وتَأَلَّبته فَأَتَمَّ المَثْلُوبُ
والتَّالِبُ قَلْتُ له خيراً وقال الخنى كل على صاحبه كاذب وقال آخر.

وذي رَجِمَ قَلَمْتُ أظفار ضغنه يَحْلِمِي عنه حين ليس له جِلْمٌ إذا سُمْتُه وَصَلَّ
القَرابة سَامَنِي قَطِيعَتِها تلك السَّفاهة والإثم فداوَيْتُهُ بالجِلْمِ والمَرْءُ قَادِرٌ على
سَهْمِهِ ما كان في كَفِّهِ السَّهْمُ " وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ما تجرَّع
عَبْدٌ في الدنيا جِرْعَةً أَحَبَّ إلى اللهِ من جِرْعَةٍ غِيظَ رَدِّها بِجِلْمٍ أو جِرْعَةٍ
مُصِيبَةٍ رَدَّها بِصَبْرٍ " وكتب رجل إلى صديق له وبلغه أنه وقع فيه: لئن ساءني
أن نِلْتَنِي بِمَسِيءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَتِي حَطَرْتُ بِبالِكَ وَأَنشُدُ طاهِرُ بن عبد العزيز:
إذا ما حَلِيلِي أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كان فيما مضى مُجْمِلاً ذَكَرْتُ المَقْدِمَ من فِعْلِهِ
فلم يفسد الآخِرُ الأوَّلُ قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الجلم قال: من
قيس بن عاصم المِنْقَرِيِّ رأيتُه قاعداً بفناء داره مُحْتَبِياً بحمائل سَيْفِهِ يُحَدِّثُ
قَوْمَهُ حتى أتى برَجُلٍ مكتوفٍ ورَجُلٍ مقتولٍ فقيل له: هذا ابن أخيك قَتَلَ ابنَكَ
فوالله ما حلَّ حَبُوتُهُ ولا قَطَعَ كلامه ثم التفت إلى ابن أخيه فقال له: يا بن
أخي أَيْمَتَ بَرِّبِكَ وَرَمَيْتَ نَفْسَكَ بِسَهْمِكَ وَقَتَلْتَ ابنَ عَمِكَ.

ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فوارِ أَخاك وَحُلِّ كِتافِ ابنِ عَمِكَ وَسُقِ إلى
أُمَّه مائة ناقة ديةً فإنها غريبةٌ ثم أنتبأ يقول: إني امرؤ لا شائنٌ حَسْبِي
دَسٌّ يهجنه ولا أفنٌ من مَنقَرٍ في بيت مَكْرُومَةٍ والعَصنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ العُصنُ
خطباء حي يقول قائلهم بيضُ الوُجوهِ أَعْفَهُ لَسُنَّ لا يَفْطِنُونَ لَعَيْبِ جارِهِمْ
وهم لحفظِ جِوارِهِ فُطِنُ وقال رجل للأحنف بن قيس: علمني الجلم يا أبا بحر
قال: هو الدَّلُّ يا بن أخِي أَفتصبر عليه وقال الأحنف: لسْتُ حليماً ولكِنِّي
أتحالم.

وقيل " له " : مَنْ أَحْلَمُ: أَنْتِ أُمُّ معاوية قال: يا لله ما رأيتُ أَجْهَلَ منكم إنَّ
معاويةَ يَفْئِدُ فَيَحْلِمُ وأنا أَحْلَمُ ولا أَقْدِرُ فكيف أقاس عليه أو أدانيه! قال: إن
سُنَّتْ أَخْبَرْتُكَ بِخَلَّةٍ وإن سُنَّتْ بِخَلَّتَيْنِ وإن سُنَّتْ بثلاث قال: فما الخَلَّةُ قال:
كان أقوى الناس على نفسه قال: فما الخلتان قال: كان مَوْقِي الشرِّ مُلْقِي
الحَيْرِ قال: فما الثلاث قال: كان لا يجهل ولا يبغي ولا يئخل.

وقيل لقيس بن عاصم: ما الجلم قال: أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وتُعْطِي مَنْ
حَرَمَكَ وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وقالوا: ما قرن شيء إلى شيء أزيئ من جلم إلى علم ومن عفو إلى فُدرة.

وقال لقمانُ الحكيم: ثلاثة لا تُعرفهم إلا في ثلاثة: لا تعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحَرْب ولا تُعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه.

وقال الشاعر: لَيْسَتْ الأَحْلَامُ فِي حِي الرِّضَا إِنَّمَا الأَحْلَامُ فِي حِين العَصَبِ
وفي الحديث.

أقرب ما يكون المرء من عَصَبِ الله إذا عَصِب.

وقال الحسن: المؤمن حليم لا يجهل وإن جهل عليه وتلا قولَ الله عز وجل: " وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " .

وقال معاوية: إني لأستحي من ربي أن يكون دَنْبٌ أعظم من عفوي أو جهل أكبر من جلمي وقال مُورِّق العجلي: ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمتُ عليها في الرضا.

وقال يزيدُ بن أبي حبيب: إنما عَصَبِي فِي تَعَلِّي فَإِذَا سَمِعْت مَا أكره أخذتهما ومَضَيْت.

وقالوا: إذا عَصِبَ الرجلُ فَلَيْسَتْ لِقَى عَلَى قفاه وإذا عَيِيَ فَلِيَرَاوِحَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ.

وقيل للأحنف: ما الجلم فقال: قول إن لم يكن فعل وصممت إن صرّ قول.

وقال " أمير المؤمنين " عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: مَنْ لَاتَتْ كَلِمَتَهُ وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ.

وقال: جِلْمُكَ عَلَى السَّفِيهِ يَكْثُرُ أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ.

وقال الأحنف: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ.

وقال: رَبِّ عَيْظٍ تَجَرَعْتَهُ مَخَافَةً مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ وَأَنْشُدُ: رَضِيْتُ بِبَعْضِ الدُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ كَذَلِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ وَأَسْمَعُ رَجُلٌ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ فَقَالَ لَا عَلَيْكَ إِئْمَا أَرَدْتَ أَنْ يَسْتَفِرَّنِي الشَّيْطَانُ بَعْرَةَ السُّلْطَانِ فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مِنِّي غَدًا أَنْصَرَفَ إِذَا شِئْتَ.

وقال الشاعرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: لَنْ يَدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرَّمُوا حَتَّى يَذُلُّوا
وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ وَيُسْتَبَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ كَاسْفَةَ لَا ذَلَّ عَجَزٌ وَلَكِنْ ذُلُّ أَحْلَامٍ إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ أَعْضَى كَأَنَّهُ دَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ وَأَحْسَنَ بَيْتٌ فِي الْجِلْمِ
قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ: إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرَضِ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَتَى أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ
أَصَابَكَ جَاهِلٌ وَقَالَ الْأَحْنَفُ آفَةُ الْجِلْمِ الدُّلُّ.

وقال لا جِلْمَ لِمَنْ لَا سَفِيهِ لَهُ.

وقال: مَا قَلَّ سَفَهَاءُ قَوْمٍ إِلَّا دَلُّوا.

وَأَنْشُدُ: لَا بَدَّ لِلسُّودِّ مِنْ رِمَاحٍ وَمِنْ رِجَالٍ مُصَلَّتِي السَّلَاحِ يُدَافِعُونَ دُونَهُ
بِالرَّاحِ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ وَقَالَ التَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ: وَلَا خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ

تَكُنْ لِمَ بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا " وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُورِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا " وَلَمَّا أَنْشَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكٌ " قَالَ " : فَعَاشَ مِائَةَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً لَمْ تَنْعُضْ لَهُ تَنِيَّةٌ .

وقالوا: لَا يَظْهَرُ الْجِلْمُ إِلَّا مَعَ الْإِنْتِصَارِ كَمَا لَا يَظْهَرُ الْعَفْوُ إِلَّا مَعَ الْإِقْتِدَارِ .

وقال الأصمعي: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ: كَانَ سِينَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ أَحْلَمَ مِنْ قَرْحِ الطَّائِرِ قَلْتِ: وَمَا جِلْمٌ فَرَحَ الطَّائِرُ قَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضَةٍ فِي رَأْسِ نَيْقٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ حَتَّى يَتَوَقَّرَ رَيْشَهُ وَيَقْوَى عَلَى الطَّيْرَانِ .

" وَاللَّاسْتِنْدَانِي: وَفِي اللَّيْنِ صَعْفٌ وَالشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَنْ لَا يَهْبُ يُحْمَلُ عَلَى مَرْكَبٍ وَعَرٍ وَلِلْفَقْرِ خَيْرٌ مِنْ غِنَى فِي دَتَاءَةٍ وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى صُغْرِ وَمَا كُلٌّ حِينَ يَنْفَعُ الْجِلْمُ أَهْلَهُ وَلَا كُلٌّ حَالٍ يَقْبُحُ الْجَهْلُ بِالصَّبْرِ وَمَا بِي عَلِيٍّ مَنْ لَانَ لِي مِنْ قِطَاطَةٍ وَلَكِنِّي قَطُّ أَبِي عَلِيٍّ الْقَسْرُ وَقَالَ آخِرُ فِي مَدْحِ الْجِلْمِ: إِنِّي أَرَى الْجِلْمَ مَحْمُودًا عَوَاقِبُهُ وَالْجَهْلُ أَفْوَى مِنَ الْأَقْوَامِ أَقْوَامًا وَلِسَابِقِ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجِلْمَ رَبُّنْ مُسَوِّدٌ لِمَا فِيهِ وَالْجَهْلُ لِمَا فِيهِ شَائِنٌ فَكُنْ دَافِنًا لِلْجَهْلِ بِالْجِلْمِ تَسْتَرِحُ مِنَ الْجَهْلِ إِنَّ الْجِلْمَ لِلْجَهْلِ دَافِنٌ وَغَيْرُهُ: فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حَلْمًا فَإِنِّي أَرَى الْجِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمٌ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَا حَلَا عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ عَيْظِ أَتَجَرَّعَهُ .

وقال بعضهم: وَفِي الْجِلْمِ رَدْعٌ لِلْسَفِيهِ عَنِ الْأَذَى وَفِي الْخُرْقِ إِغْرَاءٌ فَلَا تَكُ أَخْرَقًا قَتْنَدَمَ إِذْ لَا تَفْعَعُكَ نِدَامُهُ كَمَا نَدِمَ الْمَعْبُودُ لَمَّا تَفَرَّقَا وَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوَّلُ عِيُوضِ الْحَلِيمِ عَنِ الْجَلْمِ أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ .

سُئِلَ كِسْرَى أَبُو شَرِيحَانَ: مَا قَدْرُ الْجِلْمِ فَقَالَ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ قَدْرَ مَا لَمْ يَرَ كَمَالَهُ أَحَدٌ .

وقال مُعَاوِيَةُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْمُعَمَّرِ: كَيْفَ حُبُّكَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَحِبُّهُ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: عَلَى جِلْمِهِ إِذَا عَضِبَ وَعَلَى صِدْقِهِ إِذَا قَالَ وَعَلَى وَفَائِهِ إِذَا وَعَدَ .

وَكَانَ يُقَالُ: ثَلَاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتِكْمَلُ الْإِيمَانِ: مَنْ إِذَا عَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ عَضْبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَمَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يُخْرِجْهُ رِضَاهُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْبَاطِلِ وَمَنْ إِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ .

وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: إِذَا سَمِعْتَ الْكَلِمَةَ تُؤْذِيكَ فَطَاطِءٌ لَهَا حَتَّى تَتَخَطَّأَ .

وقال الحسنُ: إِنَّمَا يُعْرِفُ الْجِلْمَ عِنْدَ الْعَضْبِ .

فَإِذَا لَمْ تَعْضِبْ لَمْ تَكُنْ جَلِيمًا وَقَالَ الشَّاعِرُ: وَلَيْسَ يَتِمُّ الْجِلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا إِذَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ لَمْ يَتَجَلَّمْ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ أَفْضَلَ وَإِ تَرَى بِهِ الْجِلْمَ فَإِذَا لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ فَإِذَا لَمْ تَكُنْ عَلِيمًا فَتَعَلَّمْ فَقَلَّمَا تَشَبَّهُ رَجُلٌ بِقَوْمٍ إِلَّا كَانَ مِنْهُمْ .

وقال بعضهم: الجلم عُذَّةٌ على السَّفيه لأنك لا تُقابل سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفاف بفِعْله إلا أدلَّته.

ويقال: ليس الخليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الخليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا.

ولالأحنف أو غيره: ولربما ضحك الخليم من الأذى وفؤاده من حره يتأوه ولربما شكَّ الخليم لسأته حدَّر الجواب وإته لمفوه وقيل: ما استب اثنان إلا غلب الأُمهما.

وقال الأحنف: وجدُّ الحلم أنصر لي من الرجال.

وقال بعضهم: إباك وعِزَّة العصب فإنها تصيرك إلى ذل الاعتذار.

وقيل: من حلم ساد ومن تفهم ازداد.

وقال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذت أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت قدره وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه وإن كان مثلي تفصَّلت عليه.

ولقد أحسن الذي أخذ هذا المعنى فنظمه فقال: إذا كان دوني من بُليت
بجهله أبيت لنفسي أن تُقارع بالجهل وإن كان مثلي ثم جاء بركة هويث
لصفحي أن يُضاف إلى العدل وإن كنت أدنى منه قدراً ومنصباً عرفت له حق
التقدم والفضل وفي مثله قال بعض الشعراء: سألزم نفسي الصِّفح عن كل
مذنب وإن كثرت منه إلي الجرائم ولا الناس إلا واحد من ثلاثة شريف
ومشروف ومثل مقاوم فأما الذي قوقي فأعرف فضله وأتبع فيه الحق
والحق قائم وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته نفسي وإن لام لائم
وأما الذين مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إنَّ القصل للحز لازم ولأصيرم بن
قيس ويُقال إنها لعلي عليه السلام: أصم عن الكلم المحفظات وأحلم والجلم
بي أسبه فلا تغتبر برؤاء الرجال وما زخرفوا لك أو موهوا فكم من قتي
يُعجب الناظرين له السن وله أوجه ينام إذا حصر المكرمات وعند الدناءة
يستنبه وللحسن بن رجاء: أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن
أعاباً وأصفح عن سباب الناس حلماً وشر الناس من يهوى السبابا ومن هاب
الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا ومن قصت الرجال له حقوقاً ولم
يقض الحقوق فما أصابا وقال محمد بن علي رضوان الله عنهما: من حلم
وقى عرضه ومن جادت كفه حسن ثناؤه ومن أصلح ماله استغنى ومن
احتمل المكروه كثرت محاسنه ومن صبر حُمِد أمره ومن كظم غيظه فشا
إحسانه ومن عفا عن الذنوب كثرت أيديه ومن اتقى الله كفاه ما أهّمه.

وسأل أمير المؤمنين علي عليه السلام كبيراً من كبراء الفرس: أيُّ شيء
لملوككم كان أحمد عندكم قال: كان لأردشير فضل السبق في المملكة غير
أن أحمدهم سيرة أنو شروان.

قال: فأبي أخلاقه كان أغلب عليه قال: الحلم والأناة.

قال: هما توأمان يُنتجها علو الهمة.

إِنِّي وَهَبْتُ لظالمِي ظُلْمِي وَعَقَرْتُ ذَاكَ لهُ عَلَى عِلْمٍ وَرَأَيْتُهُ أَسَدَى إِلَيَّ يَدَا
لَمَا أَبَانَ بِجَهْلِهِ جِلْمِي رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِحْ سَانِي إِلَيَّ مُضَاعَفَ الْعُنْمِ
وَعَدُوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةَ وَعَدَاً بِكَسْبِ الظلمِ وَالْإِثْمِ وَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ
وَأَيُّ الْمُسِيءِ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمَهُ حَتَّى رَثَيْتُ لَهُ مِنْ
الظلمِ وَلِمَحْمَدِ بْنِ زِيَادٍ يَصِفُ حُلَمَاءَ: تَخَالَهُمْ فِي النَّاسِ صُمًّا عَنِ الْحَتَى
وَجُرْسًا عَنِ الْقَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاجُرِ وَمَرْضَى إِذَا لَوْفُوا حَيَاءً وَعِقَّةً وَعِنْدَ الْحِقَاطِ
كَاللِّيُوثِ الْحَوَادِرِ كَانَ لَهُمْ وَصْمًا يَخَافُونَ عَارَهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاتِّقَاءِ الْمَعَايِرِ وَلَهُ
أَيْضًا: وَأَرْفَعُ نَفْسِي عَنِ نَفُوسٍ وَرَبِمَا تَذَلُّتُ فِي إِكْرَامِهَا لِنُفُوسٍ وَإِنْ رَامَنِي
يَوْمًا حَسِيسٌ بِجَهْلِهِ أَبِي اللُّهُ أَنْ أَرْضَى بِعَرَضِ حَسِيسٍ وَلِبَعْضِهِمْ: وَإِذَا
اسْتَشَارَكَ مَنْ تَوَدَّ فَقُلْ لَهُ أَطْعِ الْحَلِيمَ إِذَا الْحَلِيمُ تَهَاكَ وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تَسُودَ
وَلَنْ تَرَى سُبُلَ الرَّشَادِ إِذَا أَطْعَمْتَ هَوَاكَ وَقَالَ آخَرُ: وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْجِلْمِ وَأَصْفَحْ
عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَاءَ مَا عَمَلْتَ وَسَامِعٌ وَأَحْبَبٌ إِذَا أَجِبْتَ حُثًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا
تَذَرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعٌ وَأَبْغِضَ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي مَتَى أَنْتَ
رَاجِعٌ "

باب السود

قيل لعدي بن حاتم: ما السود قال: السيد الأحمق في ماله الدليل في
عرضه المطرح لِحَقْدِهِ.

وقيل لقيس بن عاصم: بمِ سَوْدِكَ قَوْمُكَ قَالَ: بِكَفِّ الْأَذَى وَبَدَلِ التَّدَى وَتَضَرُّ
الْمَوْلَى.

وقال رجلٌ للأجنيبِ بمِ سَوْدِكَ قَوْمُكَ وَمَا أَنْتَ بِأَشْرَفِهِمْ بَيْتًا وَلَا أَصْبَحَهُمْ وَجَهًا
وَلَا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا قَالَ: بِخِلَافِ مَا فِيكَ يَا بَنَ أَخِي قَالَ: وَمَا ذَاكَ قَالَ: بِتَرْكِي
مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَغْنِينِي كَمَا عِنَاكَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَغْنِينِي.

وقال عمرُ بن الخطَّابِ رضي الله عنه لرجل: مَنْ سَيِّدُ قَوْمِكَ قَالَ: أَنَا قَالَ
كَذِبْتَ لَوْ كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَقُلْهُ.

وقال ابن الكلبي: قَدِمَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمِ الطَّائِي وَحَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الطَّائِي عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ لِإِيَّاسِ بْنِ قَبِيصَةَ الطَّائِي: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ
قَالَ: أَيْبَتُ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

إِنِّي مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَكِنْ سَلَّهْمَا عَنْ أَنْفُسِهِمَا فَإِنَّهُمَا يُخْبِرَانِكَ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَوْسٌ فَقَالَ أَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ حَاتِمٌ فَقَالَ: أَيْبَتُ اللَّعْنِ إِنَّ أَدْنَى وَلَدِ
حَاتِمٍ أَفْضَلُ مِنِّي وَلَوْ كُنْتُ أَنَا وَوَلَدِي وَمَالِي لِحَاتِمٍ لِأَنَّهُبِتَا فِي عَدَاةٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ حَاتِمٌ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ أَوْسٌ فَقَالَ: أَيْبَتُ اللَّعْنِ إِنَّ أَدْنَى
وَسَأَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رُوحَ بْنَ زُبَاعٍ عَنِ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ فَقَالَ: لَوْ
غَضِبَ مَالِكٌ لَغَضِبَ مَعَهُ مِائَةُ أَلْفِ سَيْفٍ لَا يَسْأَلُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: لَمْ غَضِبْتَ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: هَذَا وَاللَّهِ السُّودُ.

أبو حاتم عن العُتبي قال: أهدى ملكُ اليمن سبعَ جزائرٍ إلى مكة وأوصى أن ينحرفها أعزُّ قرشيٍّ بها فأتت وأبو سفيان عروس بهند فقالت له هُند: يا هذا لا تشغلك النساء عن هذه الأكرومة التي لعلك أن تُسبق إليها فقال لها: يا هذه ذري رَوجك وما اختار لنفسه فوالله لا نحرفها أحدٌ إلا نحرفه.

فكانت في عُقلها حتى خرَج إليها بعد السابِع فتَحرفها.

ونظر رجلٌ إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظنُّ أن هذا الغلام سيسود قومه فسمعتَه أمه هُند فقالت: تكلفه إذا إن لم يسُد غير قومه.

وقال الهيثم بن عديٍّ: كانوا يقولون: إذا كان الصبي سابل العُرّة طويل العُرلة مُلتاث الإزرّة فذاك الذي لا يُشكُّ في سُودده.

ودخل صَمرة بن ضمرة على النعمان بن المُنذر وكانت به دَمامة شديدة فالتفت النعمانُ إلى أصحابه وقال: تسمع بالمُعدي خير من أن تراه.

فقال: أيها الملك إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإن قال قال ببيان وإن قاتل قاتل بجنان قال: صدقت وبحقِّ سُودك قومك.

وقيل لعرابة الأوسيّ: بم سُودك قومك قال: بأربع خلال: أنخدع لهم في مالي وأذل لهم في عِرْضي ولا أحقر صغيرهم ولا أحسد كبيرهم.

وفي عرابة الأوسيّ يقول الشَّماخ وهو " ابن " ضرار: رأيتُ عرابة الأوسيّ يسمو إلى الخيرات مُنقطع القربن إذا ما رايه رُفعت لمجدٍ تلقاها عرابة باليمين وقالوا: يسود الرجل بأربعة أشياء: بالعقل والأدب والعلم والمال.

وكان سلم بن نوفل سيِّد بني كِنانة فوثب رجلٌ على ابنه وابن أخيه فخرَّحهما فأتي به فقال " له ": ما أمنك من انتقامي قال: فلم يسودناك إذا إلا أن تكظم العيظ وتحلّم عن الجاهل وتحتمل المكروه فخلى سبيله فقال فيه الشاعر: يسود أقوام وليسوا بسادٍ بل السيِّد الصنديد سلم بن نوفل وقال ابن الكلبي: قال لي خالد العنبري: ما تعدّون السُودد قلت: أمّا في الجاهليّة فالرئاسة وأما في الإسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى قال: صدقت كان أبي يقول: لم يدرك الأوّل الشرف إلا بالعقل ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأوّل قلت له: صدق أبوك إنما ساد الأحنف بن قيس يحلمه ومالك بن مسَمع بحبّ العشيرة له وقثبية بن مُسلم بدّهائه وساد المُهلب بهذه الخلال كلها.

الأصمعي قال: قيل لأعرابيٍّ يقال له مُنتجع بن تَبهان: ما السَّميدع قال: السيِّد المُوطأ الأكناف.

وكان عمر بن الخطاب " رضي الله عنه " يُقرش له فراش في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان: كل الصيد في جوف القراء.

والفراً: الحِمار الوَحْشي وهو مَهْموز وجمعه فِرَاء ومعناه: أنه في الناس مثل الحمار الوحشي في الوحش.

ودخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوماً من قُرَيْشٍ قد تحلَّقوا حلقة فلما رآوه رموا بأبصارهم إليه فعدل إليهم فقال: أَحْسَبِكُمْ كنتم في شيء من ذكري قالوا: أجل كنا نُماثل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل.

فقال عمرو: إن للهشام عليّ أربعة: أمه ابنة هشام بن المغيرة وأممي من قد عرفتكم وكان أحب الناس إلى أبيه مني وقد عرفتكم معرفة الوالد وأسلم قبلي واستشهد وبقيت.

قال قيس بن عاصم لبيته لما حضرته الوفاة: " يا بني " احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني أمّا إذا أنامت فسودوا كيتاركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كيتاركم.

وقال الأحنف بن قيس: السُّودد مع السَّواد.

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير: أحدهما أن يكون أراد بالسواد سواد الشعر يقول: من لم يسُد مع الحدّاة لم يسُد مع الشيخوخة.

والوجه الآخر أن يكون أراد بالسَّواد سواد الناس ودَهْماءهم يقول: من لم يطِر له اسم على السنة العامّة بالسُّودد لم ينفعه ما طار له في الخاصة.

وقال أبان بن مسلمة: ولسنا كقوم مُحدّثين سيادة يري ما لها ولا تحسّ فعالها مساعيتهم مقصورة في بيوتهم ومسعاتنا ديان طراً عيالها الهيثم بن عديّ قال: لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء تكاثر الناس عليه فأنشأ يقول: حلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردني بالسُّودد سودد الرجل بنفسه قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أسرع به عمّله لم يبطيء به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه وقال قيس بن ساعدة: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه.

وقال الشاعر: نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكر والإقداما وقال عبد الله بن معاوية: لسنا وإن كرمت أوائلنا يوماً على الأحساب تتكل نبي كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا وقال قيس بن ساعدة: لأقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي ولا يردها أحد بعدي أيما رجل رمى رجلاً بملامة دونها كرم فلا لوم عليه وأيما رجل أدعى كرمًا دونه لؤم فلا كرم له.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لوم دونه كرم فالكرم أولى به.

تريد أن أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه فإن كان كريماً وآباؤه لئام لم يضره ذلك وإن كان لئيماً وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك.

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب فما سودتني عامر عن وراثته أبي الله أن أسمو بجد ولا أب وتكلم رجل عند عبد الملك بن

مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه فقل له: ابن من أنت قال: أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت إليك قال: صدقت.

فأخذ الشاعر هذا المعنى فقال: ما لي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربي إذا انتمى منتم إلي أحد فإنني منتم إلى أدبي وقال بعض المحدثين: رأيت رجال بني دالق ملوكاً بفضل تجارتهم وبربرنا عند حيطانهم يخوضون في ذكر أمواتهم ومأ الناس إلا بأبدانهم وأحسابهم في حر اماتهم المروءة قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا دين إلا بمروءة.

وقال ربيعة الرأي: المروءة ست خصال: ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر فأما التي في السفر: فيذل الزاد وحسن الخلق ومداعبه الرفيق وأما التي في الحضر: فتلاوة القرآن ولزوم المساجد وعفاف الفرج.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة ومروءة باطنة فالمروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف.

وقدم وفد على معاوية فقال لهم: ما تعدون المروءة قالوا: العفاف وإصلاح المعيشة قال اسمع يا يزيد.

وقيل لأبي هريرة: ما المروءة قال: تقوى تالله وتفقد الضيعة.

وقيل للأحنف: ما المروءة قال: العفة والحرفة.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا معشر قريش لا نعد اللحم والجود سودداً ونعمد العفاف وإصلاح المال مروءة.

قال الأحنف: لا مروءة لكذوب ولا سودد لبخيل ولا ورع لسيء الخلق وقال النبي صلى الله عليه وسلم: تجاوزوا لذوي المروءات عن عثراتهم فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لبيد الله.

وقال العتبي عن أبيه: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالماً صادقاً عاقلاً ذا بيان مستغنياً عن الناس.

وقال الشاعر: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل وقيل لعبد الملك بن مروان: أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء فقال: لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شر به.

وقالوا: من أخذ من الديك ثلاثة أشياء ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومُروءته: من أخذ من الديك سخاءه وسجاعته وعيثرته ومن الغراب بكوره لطلب الرزق وشدة حذره وسر سيفاده.

طبقات الرجال قال خالد بن صفوان: الناس ثلاث طبقات: طبقة علماء وطبقة خطباء وطبقة أدباء ورجحة بين ذلك يعلون الأسعار ويصيقون الأسواق ويكذرون المياه.

وقال الحسن: الرّجال ثلاثة: فَرَجُلٌ كَالغِذَاءِ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَرَجُلٌ كَالدَّوَاءِ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا جِينًا بَعْدَ جِينٍ وَرَجُلٌ كَالدَّاءِ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَبَدًا.

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله بن السُّخَيْرِ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: نَاسٌ وَتَسْنَسُ وَنَاسٌ عُمِسُوا فِي مَاءِ النَّاسِ.

وقال الخليل بن أحمد: الرّجالُ أربعة: فَرَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذَلِكَ عَالِمٌ فَسَلُوهُ وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذَلِكَ النَّاسِي فَذَكَرُوهُ وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذَلِكَ الْجَاهِلُ فَعَلِمُوهُ وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ فَارْفُضُوهُ.

وقال الشاعر: أليس من البلوى بأثك جاهل وأنك لا تدري بأنك لا تدري إذا كنت لا تدري وليست كمن دري فكيف إذا تدري بأنك لا تدري ولاخري: وما الداء إلا أن تُعلم جاهلاً ويُرغم جهلاً أنه منك أعلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس ثلاثة: عالمٌ ربّاني ومُتعلّمٌ على سبيل نَجاةٍ وَرَعَاعٌ هَمَجٌ يميلون مع كل ربح.

وقالت الحكماء: الإخوانُ ثلاثة: فَأَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وَدَهٌ وَيَبْدُلُ لَكَ رِفْدَهُ وَيَسْتَفْرِغُ فِي مُهْمِكَ جُهدَهُ وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَفْتَصِرُ بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ وَأَخٌ يَمْلُقُ لَكَ بِلِسَانِهِ وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ.

وقال الشعبي.

مَرَّ رَجُلٌ بَعْدَ اللَّهِ بِنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَذَا لَا يَعْلَمُ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَتَعْلَمُ مِمَّنْ يَعْلَمُ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِمًا وَلَا تَكُنْ الثَّالِثَةَ فَتَهْلِكُ.

الغوغاء الغوغاء: الدّبا وهي صغار الجرّاد وشبّه بها سوادُ الناس.

وذكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس فقال: ما اجتمعوا قط إلا صرّوا ولا افترقوا إلا نفعوا وقيل له: قد علمنا ما صرّ اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال: يذهب الحجاج إلى دكانه والحداد إلى أكياره وكل صانع إلى صناعته.

ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قوم يتبعون رجلاً أخذ في ريبته فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في كل شر.

وقال حبيب بن أوس الطائي: إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَّ ظُنُّكَ كُلَّهُ فَأَجَلُهُ فِي هَذَا السَّبْوَادِ الْأَعْظَمِ وَقَالَ دِعْبِلُ: مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَفْلَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ قَتَدًا إِنِّي لِأَفْتَحُ عَيْنِي جِئِنَ أَفْتَحَهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرِي أَحَدًا الثَّقَلَاءِ قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: نَزَلَتْ آيَةٌ فِي الثَّقَلَاءِ: " [فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ](#) ".

وقال الشعبي: مَنْ فَاتَتْهُ رَكْعَتَا الْعَجْرِ قَلِيلَعْنَ الثَّقَلَاءِ.

وقيل لجالينوس: يَمِ صَارَ الرَّجُلُ الثَّقِيلُ أَثْقَلَ مِنَ الْجِمْلِ الثَّقِيلِ فَقَالَ: لِأَنَّ الرَّجُلَ الثَّقِيلَ إِنَّمَا ثَقُلَهُ عَلَى الْقَلْبِ دُونَ الْجَوَارِحِ.

وَالجِمْلُ الثَّقِيلُ يَسْتَعِينُ فِيهِ الْمَرْءُ بِالْجَوَارِحِ.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَثْقَلَ رَجُلًا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْنَا مِنْهُ.

وَكَانَ الْأَعْمَشُ إِذَا حَضَرَ مَجْلِسَهُ ثَقِيلٌ يَقُولُ: فَمَا الْفَيْلُ تَحْمِلُهُ مَبِينًا بِأَثْقَلٍ مِنْ بَعْضِ جُلَاسِنَا وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِلْأَعْمَشِ وَأَتَاهُ عَائِدًا فِي مَرَضِهِ: لَوْلَا أَنْ أَثْقَلَ عَلَيْكَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَعُدْتُكَ وَاللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَشُ: وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي أَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَيَّ وَأَنْتَ فِي بَيْتِكَ فَكَيْفَ لَوْ جِئْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ.

وَذَكَرَ رَجُلٌ ثَقِيلًا كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَبْغِضُ شَيْئِي الَّذِي يَلِيهِ إِذَا جَلَسَ إِلَيَّ.

وَنَقَشَ رَجُلٌ عَلَى خَاتَمِهِ: أَبْرَمْتَ فَقُمْ.

فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ ثَقِيلٌ نَاوَلَهُ إِيَّاهُ وَقَالَ: اقْرَأْ مَا عَلَى هَذَا الْخَاتَمِ.

وَكَانَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ إِذَا رَأَى مَنْ يَسْتَثْقَلُهُ قَالَ: " [رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ](#) ".

وَقَالَ بَشَّارُ الْعُقَيْلِيِّ فِي ثَقِيلٍ يُكْنَى أَبُو عِمْرَانَ: رُبَّمَا يَنْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَانَ حَنِيفًا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ أَطَّلَعْتُ عَلَى الْقَوْمِ ثَقِيلٌ يُرْبِي عَلَيَّ تَهْلَانُ كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضَ حَمَلَتِ فَوْقَهَا أَبُو عِمْرَانَ أَنْتَ يَا هَذَا ثَقِيلٌ وَثَقِيلٌ وَثَقِيلٌ أَنْتَ فِي الْمَنْظَرِ إِنْسَانٌ وَفِي الْمِيزَانِ فَيْلٌ وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانئٍ فِي رَجُلٍ ثَقِيلٍ: ثَقِيلٌ يُطَالِعُنَا مِنْ أَمَمٍ إِذَا سَرَهُ رَغْمٌ أَنْفِي أَلْمِ أَقُولُهُ لَهُ إِذَا بَدَا لَا بَدَا وَلَا حَمَلْتُهُ إِلَيْنَا قَدَمٌ فَقَدْتُ خِيَالِكَ لَا مِنْ عَمِي وَصَوْتِ كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمٍ وَلَهُ فِيهِ: وَمَا أَظُنُّ الْقِلَاصَ مُنْجِيَتِي مِنْكَ وَلَا الْفَلَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَلَوْ رَكِبْتَ الْبِرَاقَ أَدْرَكَنِي مِنْكَ عَلَى تَأْيِ دَارِكَ الثَّقَلِ هَلْ لَكَ فِيهَا مَلِكَةٌ هَبَّةً تَأْخُذُهُ جُمْلَةً وَتَرْتَجِلُ وَلَهُ فِيهِ: يَا مَنْ عَلَى الْجُلَاسِ كَالْقَنْقِ كَلَامُكَ التَّحْدِيثُ فِي الْخَلْقِ هَلْ لَكَ فِي مَالِي وَمَا قَدِ حَوَتْ يَدَايَ مِنْ جِلٍّ وَمَنْ دَقَّ أَلَا يَا جَبَلَ الْمَقْتِ الَّذِي أَرَسَيْتَ فَمَا يَبْرُخُ لَقَدْ أَكْثَرْتُ تَفْكِيرِي فَمَا أَذْرِي لِمَا تَصْلُحُ فَمَا تَصْلِحُ أَنْ تُهَجَّتَ وَلَا تَصْلِحُ أَنْ تُمَدَّحَ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظَّرْفَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَبْرَمَهُ فَقَالَ فِيهِ: يَا مَبْرَمًا أَهْدَى جَمَلٌ حُذِّ وَانصِرْفِ أَلْفِي جَمَلٌ قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا قَلْتُ رَبِيبٌ وَعَسَلٌ قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا قَلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا قَلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطَلٌ قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ قَلْتُ حُلِيٍّ وَحُلَلٌ قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ قَلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ قَالَ عَيْبِدُ لِي إِذْ نَزَلْتُ تَعَمُّ ثُمَّ حَوَّلَ قَالَ بِهِذَا فَانكَبُوا إِذْ نَزَلْتُ عَلَيْكُمْ لِي سِجَلٌ قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُمْ قَلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ قَلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ يَا كَوَكَبَ السُّؤْمِ وَمَنْ أَرَبِي عَلَى نَحْسِ رُحَلٍ يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ وَقَالَ الْحَمْدُونِيُّ فِي رَجُلٍ بَغِيضٍ مَقِيَّتٍ: أَيَابِنُ الْبَغِيضَةِ وَابْنُ الْبَغِيضِ وَمَنْ هُوَ فِي الْبَغِيضِ لَا يُلْحَقُ سَالَتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعِلْمِي بَانَكَ لَا تَصْدُقُ أَنْبَغُضُ تَفْسُكُ مِنْ بُغْضِهَا وَإِلَّا فَانْتَ إِذْ أَحْمَقُ وَلَهُ فِيهِ: فِي حَمِيرِ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مِنَ النَّاسِ تُعَدُّ وَلَقَدْ أَنْبَتُ: إِبْلِيسُ إِذَا رَاكَ يَصُدُّ وَلِحَبِيبِ الطَّائِي فِي مِثْلِهِ أَيُّ فِي رَجُلٍ مَقِيَّتٍ: يَا مَنْ تَبَرَّمْتَ الدُّنْيَا بَطَلَعْتَهُ كَمَا تَبَرَّمْتَ

الأجفان بالزَّمْدِ وللحسين بن هانئ في الفضل الرَّقَاشِيِّ: رأيتُ الرقَاشِيَّ في مَوْضِعٍ وَكَانَ إِلَيَّ بَغِيضًا مَقِيئًا فَقَالَ اقْتَرِحْ بَعْضَ مَا تَشْتَهِي فَقُلْتُ اقْتَرِحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا وَأَنْشَدَ الشَّعْبِيُّ: إِنِّي بُلَيْتُ بِمَعَشَرَ تَوَكَّى أَحْفَهُمْ ثَقِيلُ بُلْءُهُ إِذَا جَالَسْتَهُمْ صَدَّتْ لِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ لَا يُفْهَمُونِي قَوْلَهُمْ وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ فَهَمُّ كَثِيرٌ بِي كَمَا أَنِّي بَقُرْبِهِمْ قَلِيلٌ وَقَالَ الْعُتْبِيُّ: كَتَبَ الْكِسَائِيُّ إِلَى الرَّقَاشِيِّ: سَكَّوْتُ إِلَيْنَا مَجَانِبَتِكُمْ وَأَشْكُو إِلَيْكَ مَجَانِبِنَا وَأَنْشَأْتَ تَذَكُّرَ فُذَارِكُمْ فَأَنْتِنُ وَأَفْذِرُ بَمَنْ عِنْدَنَا فَلَوْلَا السَّلَامَةُ كُنَّا كَهُمْ وَلَوْلَا الْبَلَاءُ لَكَانُوا كَنَّا وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِي: وَقَالَ حَبِيبٌ: يَا مَنْ لَهُ فِي وَجْهِهِ إِذْ بَدَا كُنُوزُ قَارُونٍ مِنَ الْبُعْضِ لَوْ فَرَّ شَيْءٌ قَطٌّ مِنْ شَكْلِهِ فَرَّ إِذَا بَعْضُكَ مِنْ بَعْضِ كَوْنِكَ فِي صُلْبِ أَبِيْنَا الَّذِي أَهْبَطْنَا جَمْعًا إِلَى الْأَرْضِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ النَّوَادِرِ: وَجْهُ يَحْيَى يَدْعُو إِلَى الْبَصُقِ فِيهِ غَيْرَ أَتِي أَصُونَ عَنْهُ يُصَاقِي قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَأَنْشَدَنِي الْعُتْبِيُّ: لَهُ وَجْهُ يَحِلُّ الْبِصْقُ فِيهِ وَيَجْرُمُ أَنْ يُلْقَى بِاللَّحْيَةِ قَالَ وَأَنْشَدَنِي: قَمِيصُ أَبِي أُمَيَّةَ مَا عَلِمْتُمْ وَأَوْسَخَ مِنْهُ جِلْدُ أَبِي أُمَيَّةَ التَّفَاوُلُ بِالْأَسْمَاءِ سَأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى عَمَلٍ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ.

فقال: ظالم بن سُراقَة فقال: تَطْلُمُ أَنْتَ وَيَسْرِقُ أَبُوكَ وَلَمْ يَسْتَعِينَ بِهِ فِي شَيْءٍ.

وأقبل رجلٌ إلى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: مَا اسْمُكَ فَقَالَ: شِهَابُ ابْنِ حُرْقَةَ قَالَ: مَمَّنْ قَالَ: مِنْ أَهْلِ حَرَّةِ النَّارِ قَالَ: وَأَيْنَ مَسْكَنُكَ قَالَ: بَدَاتُ لَطَى قَالَ: اذْهَبْ فَإِنَّ أَهْلَكَ قَدْ احْتَرَقُوا.

فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

ولقي عمرُ بنَ الخطَّابِ رضي الله عنه مَسْرُوقَ بْنَ الْأَجْدَعِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ.

قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: الأجدعُ شيطان.

وروى سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ الدَّسْتُوَائِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَمْرَائِهِ: لَا تُبْرَدُوا بَرِيدًا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَسْمِ.

ولمَّا فرغ المُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ حَرْبِ الْأَزْرَاقَةِ وَجَهَ بِالْفَتْحِ إِلَى الْحِجَاجِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ بَيْشِيرٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْحِجَّاجِ قَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ قَالَ: مَالِكُ بْنُ بَيْشِيرٍ مُحَالٌ: مُلْكٌ وَبِشَارَةٌ.

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً فَرَجَّتْهَا أَدْعُو بِأَسْلَمٍ مَرَّةً وَرَبَاحٌ يُرِيدُ التَّطْيِيرَ بِأَسْلَمٍ وَرَبَاحٌ لِلسَّلَامَةِ وَالرَّيْحِ.

الرَّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَصَاحَ الرَّجُلُ بِغُلَامِيهِ: يَا سَالِمُ وَيَا يَسَارُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلِمْتُ لَنَا الدَّارُ فِي يُسْرِ.

وقال سَعِيدُ بنِ المَسِيَّبِ بنِ حَزْنِ بنِ أَبِي وَهَبِ المَخْزُومِي: قَدِمَ جَدِّي حَزْنُ بنِ أَبِي وَهَبِ عَلَى النَبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ اسْمُكَ قَالَ: حَزْنٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ مَهْلٌ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَدْعَ اسْمًا سَمَّيْتَنِي بِهِ أُمِّي قَالَ: سَعِيدُ: فَإِنَا لَنَجِدُ تِلْكَ الحَزُونَ فِي أَخْلَاقِنَا إِلَى اليَوْمِ.

وإنما تَطَيَّرَتِ العَرَبُ مِنَ العُغْرَابِ لِلْعُغْرِبَةِ إِذْ كَانَ اسْمُهُ مُشْتَقًّا مِنْهَا.

وقال أَبُو الشَّيْبِ: أَشَاقَكَ وَاللَّيْلَ مُلْقِي الجِرَانِ عُرَابٍ يَبُوحُ عَلَى عُصْنِ بَانَ فِي تَعَبَاتِ العُغْرَابِ اغْتِرَابٍ وَفِي البَانَ بَيْنُ بَعِيدِ التَّدَانِي وَآخِرُ فِي السَّفَرِ جَل: حَوْفِ الفِرَاقِ لِأَنَّ سَطْرَ هَجَائِهِ سَفَرٌ وَحَقٌّ لَهُ بَانَ يَتَطَيَّرُ وَآخِرُ فِي السَّوْسَنِ: يَأْذَى الَّذِي أَهْدَى لَنَا السَّوْسَنَةَ مَا كُنْتُ فِي إِهْدَائِهِ مُحْسِنًا سَطْرُ اسْمِهِ بِسَوءٍ فَقَدْ سَوَّيْتَنِي بِأَلَيْتِ أُتِي لَمْ أَرَ السَّوْسَنَةَ وَآخِرُ فِي الأَثْرَجِ: أَهْدَى إِلَيْهِ حَبِيبُهُ أُتْرَجَةٌ قَبِيكِي وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ رَاجِرِ خَافَ التَّبَدُّلَ وَالتَّلَوْنَ إِنَّهَا لَوُنَانٌ بَاطِنُهَا خَلاَفُ الظَّاهِرِ وَقَالَ الطَّائِبِيُّ فِي الحَمَامِ: هُنَّ الحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ جَمَامٌ وَكَانَ أَشْعَبُ يَخْتَلِفُ إِلَى قَيْنَةَ بِالمَدِينَةِ فَلَمَّا أَرَادَ الخُرُوجَ سَأَلَهَا أَنْ تُعْطِيَهُ خَاتِمَ دَهَبٍ فِي يَدِهَا لِيَذْكُرَهَا بِهِ قَالَتْ: إِنْ دَهَبَ وَأَخَافَ أَنْ تَدَّهَبَ وَلَكِنْ هَذَا العُودُ فَلَعَلَّكَ أَنْ تَعُودَ.

▲ باب الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد: الطيرة والظن والحسد قيل: فما المخرج منهن يا رسول الله قال: إذا تطيَّرت فلا ترجع وإذا ظننت فلا تحقَّق وإذا حسدت فلا تبغ.

وقال أبو حاتم: السانح ما ولاك مياهنه والبارح ما ولاك مياسره والجابه ما استقبلك من تجاهك والقعيد الذي ياتيک من خلفك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا عدوى ولا طيرة.

وقال: ليس منا من تطيَّر.

وقال: إذا رأى أحدكم الطيرة فقال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك لم تضره.

وقد كانت العرب تتطيَّر ويأتي ذلك في أشعارهم وقال بعضهم: وما صدقتك الطير يوم لقيتنا وما كان من دلاك فينا بخاير وقال حسان رضي الله تعالى عنه: لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمنا وقال الحسن بن هانئ: قام الأمير يأمر الله في البشر واستقبل الملك في مستقبل الثمر فالطير نخبرنا والطير صادق عن طيب عيش وعن طول من العمر وقال الشيباني: لما قدم قتيبة بن مسلم والياً على خراسان قام خطيباً فسقطت المحصرة من يده فتطيَّر بها أهل خراسان فقال: أيها الناس ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر: فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر اتخاذ الإخوان وما يجب لهم روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي

كثير أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام: يا بُنَيَّ لا تَسْتَقِلَّ عَدُوًّا واحداً ولا تَسْتَكْثِرَ ألفَ صَدِيقٍ ولا تَسْتَبْدِلَ بأخٍ قديمٍ أخاً مُسْتَحْدِثاً ما اسْتَقَامَ لك.

وفي الحديث المرفوع: المرء كثير بأخيه.

وقاد شبيب بن شيبه إخوان الصفاء خير مكاسب الدنيا هم زينته في الرخاء وعدة في البلاء ومعونة على الأعداء.

لَعَمْرُكَ ما مالُ القَتَى بدخيرة ولكن إخوان الصفاء الدخائر وقال الأحنف بن قيس: خَيْرُ الإخْوَانِ إن استغنيت عنه لم يَزِدْكَ في المَوَدَّةِ وإن احتجت إليه لم يَنْقُصْكَ منها وإن كوثر عَضْدِكَ وإن استرفدت رَفْدَكَ وأنشد: أخوك الذي إن تَدْعُهُ لِمِلْمَةٍ يُجِبْكَ وإن تُعْضِبَ إلى السَّيْفِ يَعْضِبُ ولاخر: أَخَاكَ أَخَاكَ إنَّ مَنْ لا أَخاً لَهُ كَسَاعٌ إلى الهَيْجَا بَعِيرٌ سِلاحٌ وإنَّ ابنَ عَمِّ المرءِ فاعْلَمْ جَنَاحَهُ وهل يَنْهَضُ البازِي بَعِيرٌ جَنَاحٌ ومما يَجِبُ للصديق على الصديق النصيحة جهده.

فقد قالوا: صديق الرجل مِرْآته تُرِيه حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ.

وقالوا الصديق من صدقك وُدّه وبَدَلْ لك رِفْدَهُ.

" وقالوا: أربعة لا تعرف إلا عند أربعة: لا يعرف الشجاع إلا عند الحرب ولا الخليم إلا عند العصب ولا الأمين إلا عند الأخذ والعطاء ولا الإخوان إلا عند التوائب "

وقالوا: خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدير الزمان عنك.

وقال الشاعر: إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألَقَهُم في المنزل الحشيش ولاخر: البر من كرم الطبيعة والمرفد مفسدة الصنعة ترك التعهد للصديق ق يكون داعية القطيعة أنشد محمد بن يزيد المبرد لعبد الصمد بن المعدل في الحسن بن إبراهيم.

يا من قَدَت تَفْسَهُ تَفْسِي وَمَنْ جُعِلَتْ لَهُ وَقَاءٌ لِمَا يَخْشَى وَأَحْشَاءُ أبلغ أَخَاكَ وإن شَطَّ المَرَارِ بِهِ أَنِّي وإن كُنْتُ لا ألقاه ألقاه وأب طَرْفِي مَوْصُولِ برؤيته وإن تباعد عن متواري متواه الله يعلم أنني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه عَدُوًّا فهل حسن لم يَجُوه حَسَنٌ وهل فتى عَدَلت جَدْوَاه جَدْوَاه فالدهر يَفْنَى ولا تَفْنَى مَكَارِمُهُ والقَطْرِ يُحْمِي ولا تُحْصَى عَطَايَاهُ وقيل لبعض الولاة: كم صديقاً لك قال: لا أدري الدنيا مُقْبِلَةٌ عَلَيَّ والناس كلهم أصدقائي وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عني.

وَبُرِّي فَنُعْرَفُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْبِعَادِ لَمَنْ تُبَاعِدُ وَنَبِيْتُ فِي شَفَقِ عَلَيَّ - ك رَيْبَةٌ وَاللَّيْلُ هَاجِدُ أَصْنَافِ الإخْوَانِ قال العنابي: الإخوان ثلاثة أصناف: فرع بائن من أصله وأصل مُتَّصِلٍ بقرعه وقرع ليس له أصل.

فأما الفرع البائن من أصله فأخاء بُنِي عَلِيٍّ مَوَدَّةٌ ثم انقطعت فحُفِظَ عَلَيَّ ذِمَامُ الصُّحْبَةِ وَأَمَّا الأَصْلُ المُتَّصِلُ بقرعه فأخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى وأما الفرع الذي لا أصل له فالممويه الظاهر الذي ليس له باطن.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الصاحب رُفعة في قميصك فانظر بم ترفعه.

ويقال: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدوه عدواً.

وقدم رحية الكلبى على أمير المؤمنين علي عليه السلام فما زال يذكر معاوية ويطربه في مجلسه فقال علي عليه السلام: صديق عدوي داخل في عداوتي وإني لمن ود الصديق ودود فلا تقرّباً مني وأنت صديقه فإن الذي بين القلوب بعيد تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي عنك لعازب وليس أخي من دوني رأي عينه ولكن أخي من دوني وهو غائب وقال آخر: ليس الصديق الذي إن رل صاحبه يوماً رأى الذنب منه غير مغفور وإن أضع له حقاً فعاتبه فيه أتاه بترويق المعاذير إن الصديق الذي ألقاه يعذر لي ما ليس صاحبه فيه بمغذور وقال الآخر: كم من أخ لم يلدّه أبوك وأخ أبوه أبوك قد يخفوكا صاف الكرام إذا أردت إخاءهم واعلم بأن أخا الحفاظ أخوك والناس ما استغنيت كنت أخاهم وإذا افتقرت إليهم رقصوكا وقال بعضهم: أخوك الذي إن قمت بالسيف عامداً لتضربه لم يستغشك في الود وإن جئت تبيعي كفه لتبينها لبادر إشفاقاً عليك من الرد إن كنت متخذاً خليلاً فتتق وأنتقد الخليلاً من لم يكن لك منصفاً في الود فايغ به بديلاً ولقلما تلقى اللئيم عليك إلا مستطيلاً وللعطوي: صن الود إلا عن الأكرمين ومن بمواخاته تشرف ولا تغترز من ذوي خلة بما مؤهوا لك أو زحرفوا وكم من أخ ظاهر وده صمير مودته أحيف إذا أنت عاتبته في الإخاء تنكر منه الذي تعرف وكتب العباس بن جريبر إلى الحسن بن مخلد: أرع الإخاء أبا محم د للذي يصفو وضئه وإذا رأيت منافساً في نيل مكرمة فكنه إن الصديق هو الذي يركع حيث تغيب عنه فإذا كشفت إخاءه أحمدت ما كشفت منه وقال آخر: خير إخوانك المشارك في المر وأين الشريك في المر أيتا الذي إن شهدت زادك في البر وإن غبت كان أدنا وعينا وقال آخر: ومن البلاء أخ جنايته علق بنا ولغيرنا سلبه ولاخر: إذا رأيت انحرافاً من أخي ثقة ضاقت علي برحب الأرض أوطاني فإن صددت بوجهي كي أكافئه فالعين عصبى وقلبي غير غضبان وكتب بعضهم إلى محمد بن بشار: من لم يردك فلا ترده لتكن كمن لم تبثفه باعد أخاك لبغده وإذا دنا شبراً فزده كم من أخ لك يا بن بشار وأمك لم تلده وأخي مناسبة يسوءك عيبه لم تفتقه من يانس الإخوان لم يبد العتاب ولم يُعده عاتب أخاك إذا هفا وأعطف بودك واستعده وإذا أتاك بعيبه واش فقل لم تعتمد معاتبه الصديق واستيقاء مودته قالت الحكماء: مما يجب للصديق على الصديق الإغضاء عن زلاته والتجاوز عن سيئاته فإن رجع وأعتب وإلا عاتبته بلا إكثار فإن كثرة العتاب مدرجة للقطيعة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تقطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استيعتاب.

وقال أبو الدرداء: من لك بأخيك كله.

وقالوا أي الرجال المهذب.

وقال بشار العقيلي: إذا أنت لم تشرب مراراً على القدى طمئت وأي الناس تصفو مشاربته وقالوا: معاتبه الأخ خير من فقده.

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ وَلِمُحَمَّدِ بْنِ أَبَانَ: إِذَا أَتَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى الذَّنْبِ مِنْ أَحٍ وَكُنْتُ أَجَازِيهِ فَأَيْنَ التَّفَاضُلُ " إِذَا مَا دِهَانِي مِفْصَلٌ فَقَطَعْتَهُ بَقِيْتُ وَمَا لِي لِلنُّهُوسِ مَفَاصِلُ " وَلَكِنْ أَدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سِرِّي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلٌ وَقَالَ الْأَحْنَفُ: مِنْ حَقِّ الصَّدِيقِ أَنْ يَتَحَمَلَ ثَلَاثًا: ظَلَمَ الْغَضَبِ وَظَلَمَ الدَّالَّةِ وَظَلَمَ الْهَفْوَةَ.

لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ: وَلَيْسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ وَلَيْسْتُ بِمُفْشٍ سِرِّهِ حِينَ يَعْضُبُ عَلَيَّ بِأَخْوَانِ التَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ فَصَلِّهِمْ دُونَ مَنْ كُنْتُ تَصَحَّبْتُ وَمَا الْجُدُنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدُّهُ وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وَأَنْتَ مُعَيَّبٌ مَا يَسْتَجْلِبُ الْإِخَاءَ وَالْمُودَةَ وَلَيْنَ الْكَلِمَةَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ.

وَأَنْشُدْ: وَعَلَى الصَّدِيقِ أَلَا يَلْقَى صَدِيقَهُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّ وَلَا يُؤْذِي جَلِيسَتَهُ فِيمَا هُوَ عَنْهُ بِمَعْزَلٍ وَلَا يَأْتِي مَا يَعْيبُ مِثْلَهُ وَلَا يَعْيبُ مَا يَأْتِي شَكْلَهُ.

وَقَدْ قَالَ الْمُتَوَكَّلُ اللَّيْثِيُّ: لَا تَنَّهُ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ وَقَالَ عَمْرٌ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثَلَاثٌ تَثْبِتُ لَكَ الْوُدَّ فِي صَدْرٍ أَخِيكَ: أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ.

وَقَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ أْبْلَغَ فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ مِنْ صَاحِبِ.

وَقَالَ الشُّعَاعِرُ: إِنْ كُنْتَ تَبْعِي الْأَمْرَ أَوْ أَصْلَهُ وَشَاهِدًا يُخْبِرُ عَن غَائِبٍ فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَشْبَاهِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ لَعَدِيَّ بْنِ زَيْدٍ: عَن الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَن قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي وَ لِعَمْرُو بْنِ حَمِيلِ التَّغْلِبِيِّ: سَأَصْبِرُ مِنْ صَدِيقِي إِنْ حَقَّانِي عَلَى كُلِّ الْأَدَى إِلَّا الْهَوَاتَا فَإِنَّ الْحُرَّ يَأْتِفُ فِي خَلَاءٍ وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يُهَاتَا وَقَالَ رَجُلٌ لِمُطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ: جِئْتُكَ خَاطِبًا مَوَدَّتِكَ قَالَ: قَدْ رَوَّجْتُكَهَا عَلَى شَرْطٍ أَنْ تَجْعَلَ صَدَاقَهَا أَنْ لَا تَسْمَعَ فِيَّ مَقَالَ النَّاسِ.

وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ: مَنْ لَمْ يَزْدَرِدِ الرَّيْقَ لَمْ يَسْتَكْثِرْ مِنَ الصَّدِيقِ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ: يَا صَدِيقِي الَّذِي بَدَّلْتَ لِي الْوُدَّ وَأَنْزَلْتَهُ عَلَى أَحْشَائِي إِنْ عَيْنَا أَفْذَيْتَهَا لِتُرَاعِي كَ عَلَى مَا بَهَا مِنْ الْإِقْدَاءِ مَا بَهَا حَاجَةٌ إِلَيْكَ وَلَكِنْ هِيَ مَعْقُودَةٌ بِحَبْلِ الْوَفَاءِ وَابْنُ أَبِي حَازِمٍ: أَرْضَ مِنَ الْمَرْءِ فِي مَوَدَّتِهِ بِمَا يُؤَدِي إِلَيْكَ ظَاهِرُهُ مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ لَا يَرَى أَحَدًا تَصِحَّ مِنْهُ لَهُ سَرَائِرُهُ تَوَشَّكَ أَنْ لَا تَتَمَّ وَضَلَّ أَحٍ فِي كُلِّ زَلَّاتِهِ تُنَافِرُهُ إِنْ سَاءَ نِيَّ صَاحِبِي أَحْتَمَلْتُ وَإِنْ سَرَّ فَإِنِّي أَخُوهُ شَاكِرُهُ أَصْفَحَ عَن ذَنْبِهِ وَإِنْ طَلَبَ الْغَدْرَ فَإِنِّي عَلَيْهِ عَازِرُهُ وَلِغَيْرِهِ: لَقَدْ أَصْبَحْتُ تَفْسِي عَلَى شَفِيقَةٍ وَمِثْلِي عَلَى أَهْلِ الْوَفَاءِ شَفِيقٌ أَسْرَّ بِمَا فِيهِ سُرُورُكَ إِنِّي جَدِيرٌ بِمَكْنُونِ الْإِخَاءِ حَقِيقٌ عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَيْتَ سَلَّمَ مُسَالِمٌ لِكُلِّ أَمْرٍ يَهْوَى هَوَاكَ صَدِيقٌ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْفَةَ: هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ يَكُونُ كَرُوحَ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فَرَّقَا فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تُؤَقِّهَا وَتَحْرُسُهَا مُعَرَّضَةٌ لِلْآفَاتِ قَرُضُ الْإِخَاءِ بِالْحَدِّ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى قَرِيبِهِ وَبِالْكَظْمِ حَتَّى يَعْتَذِرَ إِلَيْكَ مَنْ ظَلَمَكَ وَبِالرِّضَى حَتَّى لَا تَسْتَكْثِرَ مِنْ تَفْسُكِ الْقَضَلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ التَّفْصِيرِ.

لمحمود الوّراق: لا يرّ أعظم من مُساعدةٍ فاشكر أخاك على مُساعدتِه وإذا هفا فأقله هفوتَه حتى يعودَ أخاً كعادته فالصفح عن زلل الصديق وإن أعياك خيرٌ من مُعاندته من لم يدرك ولم ترده لم يستفدك ولم تُفدِه قَرَّبَ صديقك ما تآى وَرَدِ التقارب واستزده وإذا وهت أركان ودّ من أخي ثقة فشدّه فضل الصداقة على القرابة قيل لُبزجمهر: من أحب إليك: أخوك أم صديقك فقال: ما أحبّ أخي إلا إذا كان لي صديقاً.

وقال أكنم بن صيفي: القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال عبد الله بن عباس: القرابة تقطع والمعروف يكفر وما رأيت كتنقارب القلوب.

وقالوا: إياكم ومن تكرهه قلوبكم فإن القلوب تُجاري القلوب.

وقال عبد الله بن طاهر الخراساني: أميل مع الدمام على ابن أمي وأحمِل للصديق على الشقيق وإن الفيتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق أفرق بين معروف ومي وأجمع بين مالي والحقوق ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم ووصفت ما ووصفوا من الأسباب فإذا القرابة لا تُقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب وللمبرد: ما القرب إلا لمن صحت مودته ولم يحكك وليس القرب للنسب كم من قريب دوي الصدر مُضطغن ومن بعيد سليم غير مقرب وقالت الحكماء: رب أخ لك لم تلده أمك.

وقالوا: القريب من قرب نفعه.

وقالوا: رب بعيد أقرب من قريب.

وقال آخر: رب بعيد ناصح الجيب وابن أب مُتهم الغيب وقال آخر: أخو ثقة يُسر بعض شاني وإن لم تُدنيه مني قرابه أحب إلي من ألفي قريب لبيت صدورهم لي مُستترابه وقال آخر: قد يجمع المال غير أكله ويأكل المال غير من جمعه فأرض من الدهر ما أتاك به من قرعينا بعيشه نفعه وقال.

لكل شيء من الهموم سعة والليل والصبح لا بقاء معه لا تحقرن الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفته وقال ابن هرمة: لله ذك من قتي فجعت به يوم البقيع حوايت الأيام هس إذا نزل الوفود ببابه سهل الحجاب مؤدب الخدام وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدّر أيهما أخو الأرحام التحبب إلى الناس في الحديث المرفوع: أحب الناس إلى الله أكثرهم تحبباً إلى الناس.

وفيه أيضاً: إذا أحب الله عبداً حبه إلى الناس.

ومن قولنا في هذا المعنى.

وجهٌ عليه من الحياء سكينه ومحبة تجري مع الأنفاس وإذا أحب الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناس وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص: إن الله إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك.

وقال أبو دُهمان لسعيد بن مُسلم ووقف إلى بابه فحجَّبه حيناً ثم أذن له فمثل بين يديه وقال: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ وَفِي يَدَيْكَ قَدْ كَانَ فِي يَدَيَّ غَيْرِكَ فَأَمْسِي وَاللَّهِ حَدِيثًا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ فَتَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحُسْنِ الْبَشْرِ وَتَسْهِيلِ الْحِجَابِ وَلِيَنَّ الْجَانِبَ فَإِنْ حُبَّ عِبَادَ اللَّهِ مَوْصُولٌ بِحُبِّ اللَّهِ وَبُغْضُهُمْ مَوْصُولٌ بِبُغْضِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَرُقْبَاؤُهُ عَلَى مَنْ أَعْوَجَ عَنْ سَبِيلِهِ.

وقال الجارود: سُوءُ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْحَلَّ الْعَسَلَ.

وقيل لمعاوية: مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ قَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ صَالِحَةٌ قِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: مَنْ كَانَتْ لِي عِنْدَهُ يَدٌ صَالِحَةٌ.

وقال محمد بن يزيد النَّحْوِيُّ: أُتِيَ الْخَلِيلَ فَوَجَدْتَهُ جَالِسًا عَلَى طُنْفَسَةٍ صَغِيرَةٍ فَوَسَّعَ لِي وَكَرِهْتُ أَنْ أَضِيقَ عَلَيْهِ فَانْقَبَضْتُ فَأَخَذَ بَعْضُي وَقَرَّبَنِي إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَضِيقُ سَمَّ الْخِيَاطِ بِمُتَحَابِّينَ وَلَا تَسَعُ الدُّنْيَا مُتَبَاغِضِينَ.

ومن قَوْلنا فِي هَذَا الْمَعْنَى.

صِلْ مِنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبَدَى مُعَاتِبَةً فَأَطِيبِ الْعَيْشَ وَصَلْ بَيْنَ الْفَيْنِ وَأَقْطَعْ حَبَائِلَ خَدْنٍ لَا تُلَائِمُهُ فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَنْتَيْنِ صِفَةَ الْمَحَبَّةِ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ قَالَ: سَأَلَ الْمَأْمُومُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ ذَا الرَّيَاسَتَيْنِ عَنِ الْحَبِّ مَا هُوَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَقَادَحَتْ جَوَاهِرُ النَّفُوسِ الْمُتَقَاطِعَةُ بَوَاضِلِ الْمُشَاكَلَةِ انْبَعَثَتْ مِنْهَا لَمْحَةٌ نَوْرٌ تَسْتِضِيءُ بِهَا بَوَاطِنُ الْأَعْضَاءِ فَتَحْرُكُ لِإِشْرَاقِهَا طَبَائِعَ الْحَيَاةِ فَيَتَصَوَّرُ مِنْ ذَلِكَ خَلْقٌ حَاضِرٌ لِلنَّفْسِ مُتَّصِلٌ بِخَوَاطِرِهَا يُسَمَّى الْحَبَّ.

وسئل حماد الراوية عن الحب فقال: شجرة أصلها الفكر وغروقتها الذكر وأغصانها السهر وأوراقها الأسقام وثمرتها المنية.

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ: الْحَبُّ أَصْعَبُ مَا رَكِبَ وَأَسْكَرُ مَا شُرِبَ وَأَقْطَعُ مَا لُقِيَ وَأَخْلَى مَا اشْتَهِيَ وَأَوْجَعُ مَا بَطَّنَ وَأَشْهَى مَا عَلَنَ وَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
وَلِلْحَبِّ آيَاتٌ إِذَا هِيَ صَرَّحَتْ تَبَدَّتْ عَلَامَاتُ لَهَا عَرَّزٌ صَفْرٌ فَبَاطِنُهُ سُقْمٌ
وَظَاهِرُهُ جَوَى وَأَوَّلُهُ ذَكَرٌ وَآخِرُهُ فِكْرٌ وَقَالُوا: لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا وَلَا بَعْضُكَ سَرَفًا.

وقال بشار العُقَيْلِيُّ.

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَنزَلَةً تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي وَقَالَ غَيْرُهُ: أَجَبُّكَ حُبًّا لَوْ تَحَبَّبْتِ مِنْهُ أَصَابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَيَّ جُنُونٌ لَطِيفًا مَعَ الْأَحْشَاءِ أَمَّا نَهَارُهُ فَدَمْعٌ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَيْنِسٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي سَيِّبَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقْطَعُ مَنْ كَانَ يُوَاصِلُ أَبَاكَ تُطْفِئُ بِهِ نُورَهُ فَإِنَّ نُورَكَ وَدُّ أَبِيكَ.

وقال عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: مِنْ بَرِّ الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ أَنْ يَصِلَ مَنْ كَانَ يَصِلُ أَبَاهُ.

وقال أبو بكر: الْحَبُّ وَالْبَغْضُ يُتَوَارَتَانِ.

ومن أمثالهم في هذا المعنى: لا تقتن من كلب سؤء جزواً.

وقال الشاعر: تزجو الوليد وقد أعيك والدّه وما رجاؤك بعد الوالد الولدا
واجتمع عند ملك من ملوك العرب.

تميم بن مُرّ وبكر بن وائل فوقعت بينهما مُنازعة ومُفاخرة فقالا: أيها الملك
أعطينا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم أيُّنا أجلد.

فأمر الملك فُنِجت لهما سيفان من عُودين فأعطاهما " إياهما " فجعلآ
يَصْطربان مَلِيّاً من النهار فقال بكر بن وائل: لو كان سيفاً حديداً قَطَعَا قال
تميم بن مُرّ: أو نحتا من جندل تصدعا أساجلك العداوة ما بقينا فقال له بكر:
وإن مننا نُورثها البئينا فيقال إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم.

أبو زيد: قال أبو عُبيدة: بُني دُكان بسجستان بنته بكر بن وائل فهَدَمته تميم
ثم بنته تميم فهَدَمته بكر فتواقعوا في ذلك أربعة وعشرين وقعة.

فقال ابن جِلْزة اليَشْكُري في ذلك: قَرَبِي يَاحْلِي وَيَحْكِي دِرْعِي لَقَحْت حَرُنَا
وَجَرُبُ تَمِيمِ إِخْوَةَ قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا فِي حَدِيثٍ مِنْ دَهْرِهِمْ وَقَدِيمٍ طَلَبُوا
صُلْحَنَا وَوَلَاتِ أَوَانٍ إِنَّ مَا يَطْلُبُونَ فَوْقَ النُّجُومِ الحَسَدَ قَالَ عَلِي رَضِيَ اللهُ
عنه: لا راحة لِحَسُودٍ ولا إِخَاءٍ لَمَلُولٍ ولا مُحِبِّ لَسِيئَةِ الخُلُقِ.

وقال الحسن: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن
لازم وغم لا ينفد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كاد الحسد يعلب القدر.

وقال معاوية: كلُّ الناس أَقْدِرُ أَرْضِيهِمْ إِلا حاسدَ نعمة فإنه لا يرضيه إلا
زوالها.

وقال الشاعر: كلُّ العداوة قد تُزجى إمانتها إلا عداوة من عاداك من حبيد
وقال عبد الله بن مسعود: لا تُعادُوا نِعَمَ اللهِ قيل له: ومن يُعادي نِعَمَ اللهِ
قال: الذين يَحْسُدُونَ النَّاسَ على ما آتاهم اللهُ من فضله.

يقول الله في بعض الكتب: الحسود عدو نِعْمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِقِصَّائِي غير راضٍ
بِقِسْمَتِي.

ويقال: الحسد أول دُئب عصى الله به في السماء وأول دُئب عصى الله به
في الأرض فأما في السماء فحسد إبليس لآدم وأما في الأرض فحسد قاييل
هاييل.

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: " رَبَّنَا أَرَتَا اللَّذِينَ أَضَلَّاتْنَا مِنَ الْجَنِّ
وَالْإِنْسِ نَجَّلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْقَلِينَ " .

إنه أراد بالذي من الجن إبليس والذي من الإنس قاييل وذلك أن إبليس أول
من سنَّ الكفر وقاييل أول من سنَّ القتل وإنما كان أصل ذلك كله الحسد.

ولأبي العتاهية: فيا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصَفُونِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أُنْبِغِي سَبِيهِمْ مَتَّعُونِي وَإِنْ نَالَهُمْ بَدَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ سَتَمُونِي وَإِنْ طَرَقْتَنِي نِقْمَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي سَامِعَ قَلْبِي أَنْ يَحَنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجَبَ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّبِيِّ قَالَ: مَرَّ فَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِيَلَادَ عَطْفَانَ فَرَأَى تَرْوَةً وَعَدَدًا فَكَّرَهُ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: أَيَسُوؤُكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ قَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَنَّ مَعَ التَّعْمَةِ وَالشَّرْوَةِ التَّحَاسِدَ وَالتَّخَاذُلَ وَأَنَّ مَعَ القَلَةِ التَّحَاسِدَ وَالتَّنَاضُرَ.

وكان يقال: ما أترى قوم قط إلا تحاسدوا وتخاذلوا.

وقال بعض الحكماء: ألزم الناس للكآبة أربعة: رجل حديد ورجل حسود وخليط الأدياء علي بن بشر المروزي قال: كتب إلي ابن المبارك هذه الأبيات: كل العداوة قد تزجى إمامتها إلا عداوة من عاداك من حسد فإن في القلب منها عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وليس يفتحها راق إلى الأبد إلا الإله فإن يرحم تحل به وإن أباه فلا تزجوه من أحد سئل بعض الحكماء: أي أعدائك لا تحب أن يعود لك صديقاً قال: " الحاسد الذي لا يردّه إلى " مودتي " إلا زوال نعمتي.

وقال سليمان التيمي: الحسد يضعف اليقين ويُسهر العين ويثير الهم.

الأحنف بن قيس صلى على حارثة بن فدامة السعدي فقال: رحمك الله كنت لا تحسد غنياً ولا تحقر فقيراً.

وكان يُقال: لا يوجد الحُرُّ حريصاً ولا الكَرِيمُ حسداً.

وقال بعض الحكماء: أجهدُ البلاء أن تظهر الحلة وتطول المدة وتعجز الحيلة ثم لا تعدم صديقاً مؤلياً وابن عمّ شامئاً وجاراً حاسداً ووليّاً قد تجول عدواً وروجة مختلعة وجارية مُستبيعة وعبداً يحقرك وولداً ينتهرك فانظر أين موضع جهدك في الهرب: لرجل من فريش: وإذا ما الله أسدى نعمة لم يصرها قول أعداء النعم وقيل: إذا سرك أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك.

وكانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذين البيتين: إذا ما الدهر جرّ على أناس حوادته أناح بأخريتنا فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا ولبعضهم: إياك والحسد الذي هو أفه فتوقه وتوق غيره من حسد إن الحسود إذا أرك مودة بالقول فهو لك العدو المُجتهد الليث بن سعد قال: بلغني أن إبليس لقي نوحاً صلى الله عليه وسلم فقال له إبليس: اتق الحسد والشح فإني حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منع منها حتى خرج من الجنة.

وقال الحسن: أصول الشرّ " ثلاثة " وفروعه ستة فالأصول الثلاثة: الحسد والحِرصُ وحُبُّ الدنيا.

والفروع الستة: " حُبُّ النوم وحُبُّ الشَّبع وحُبُّ الراحة وحُبُّ الرئاسة وحُبُّ الشَّاء وحُبُّ الفخر.

وقال الحسن: يَحْسُدُ أَحَدُهُمْ أَخَاهُ حَتَّى يَقَعَ فِي سَرِيرَتِهِ وَمَا يَعْرِفُ عِلَابَتَهُ وَيَلُومُهُ عَلَيَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ مِنْهُ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ فِي الصَّدَاقَةِ مَا يُغَيِّرُهُ بِهِ إِذَا كَانَتْ الْعِدَاوَةُ وَاللَّهُ مَا أَرَى هَذَا بِمُسْلِمٍ.

ابن أبي الدنيا قال: بَلَغَنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ دَرَّ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ مِنْ أَرَادَنَا بِشَرِّ فَافْكِنَاهُ بِأَيِّ حُكْمَيْكَ سِتَّتْ إِمَّا بِتَّوْبَةٍ وَإِمَّا بِرَاحَةٍ.

قال ابن عباس: ما حسدْتُ أحداً على هاتين " الكلمتين " .

وقال ابن عَبَّاسٍ: لَا تَحْقِرَنَّ كَلِمَةَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَسْمَعَهَا مِنَ الْفَاجِرِ فَإِنَّمَا مَثَلُهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: رَبِّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ.

وقال بعضُ الحكماء: ما أمحَقَ للإيمان ولا أهتَكَ للستر من الحسد وذلك أنَّ الحاسدَ مَعَانِدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ.

باغ على عباده عاتٍ على ربه يَعْتَدُّ نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدَهُ غَيْرًا وَعَدْلَ قِضَاءَةٍ حَيْفًا لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ لَيْسَ يَهْدَى وَلَا يَنَامُ جَسَعَهُ وَلَا يَنْفَعُهُ عَيْبُهُ مُخْتَفِرٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ لَا يَبْرُدُ عَلَيْهِ وَلَا تُؤْمَنُ غَوَائِلُهُ إِنْ سَالَمْتَهُ وَتَرَكَ وَأَنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعَكَ وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ.

ذُكِرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِرَجُلٍ أَسْلَكَ الشَّيْطَانَ مَهَاوِي الصَّلَاةِ وَأَوْرَدَهُ فُجْحَ الْهَلَكَةِ فَصَارَ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَرْصَادِ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبِّ مِنْ عِبَادِهِ أَشْعِرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَافَ عَلَى مَا لَمْ يُفَقِّرْ لَهُ وَأَغَارَهُ الْكَلْفُ بِمَا لَمْ يَكُنْ لِيُنَالَهُ.

اصبر على حاسد الحسود فإنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ النَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْحَجَّاجِ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ غَيْبَ نَفْسِهِ فَصَفْ لِي عَيْبُكَ.

قال: أَعْفَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: لَسْتُ أَفْعَلُ قَالَ: أَنَا لَجُوجٌ لَدُودٌ حَقُودٌ حَسُودٌ قَالَ: مَا فِي إبْلِيسَ شَرٌّ مِنْ هَذَا.

وقال المنصور لسليمان بن معاوية المُهَلَّبِيِّ: ما أسرع الناسَ إلى قومك! فقال: يا أمير المؤمنين: إِنْ الْعَرَانِينَ تَلَقَّاهَا مُحْسِدَةً وَلَنْ تَرَى لِلنَّامِ النَّاسِ حُسْنًا وَأَنْشَدَ أَبُو مُوسَى لِنَصْرِ بْنِ سِيَارٍ: إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسْنًا دَوُوعَدَدٍ يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تَنْقُصْ لَهُمْ عَدَدًا إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ بِهِمْ فَمِثْلُ حُسْنِ بَلَائِي جَرَّ لِي حَسَدًا وَقَالَ آخَرُ: إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَا أَكْتَرْنَا عَيْظًا بِمَا يَجِدُ إِنْ الْعُرَابُ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ حَسَدُ الْقِطَاةِ قَرَامٌ يَمْشِي مِشْيَتِهَا فَأَصَابَهُ صَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ " فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مِشْيَتِهَا فَلِذَاكَ كَتَبَهُ أَبُو مَرْقَالٍ " وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِي: وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَشْرِي قَضِيَّةٍ طَوِيَّتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ لَوْ لَا اشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَادِرٍ: بِأَيُّهَا الْعَائِي وَمَا بِي مِنْ عَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَرَدَجِرْ هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتُرْ فَتَطْلَبَهُ أَمْ أَنْتَ مِمَّا أُتِيَتْ مُعْتَذِرٌ إِنْ يَكُ قَسَمُ الْإِلَهَ فَضَلَّنِي وَأَنْتَ صَلْدٌ مَا فِيكَ مَعْتَصِرٌ فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّيِّبُ لَهُ

وَلَلْحَسُودِ التَّرَابُ وَالْحَجَرُ فَمَا الَّذِي يَجْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ يَبْدُو لَهُ مِنْكَ حِينَ يَخْتَبِرُ
أَقْرَأَ لَنَا سُورَةَ تُذَكِّرُنَا فَإِنَّ خَيْرَ المَوَاعِظِ السُّورُ أَوْ مِنْ أَعَاجِيبِ جَاهِلِيَّتِنَا فَإِنَّهَا
حِكْمَةٌ وَمُخْتَبِرٌ أَوْ أَرُوْا عَنْ فَارِسٍ لَنَا مِثْلًا فَإِنَّ أَمْثَالَهَا لَنَا عِبْرَةٌ فَإِنْ تَكُنْ قَدْ
جَهَلْتَ ذَاكَ وَذَا فَفِيكَ لِلنَّاطِرِينَ مُعْتَبَرٌ فَعَنَّ صَوْتًا تُشْجَى النُّفُوسُ بِهِ وَبَعْضُ مَا
قَدْ أَتَيْتَ يُغْتَفَرُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ بَدِيئًا شَرِيْرًا يُؤْذِي
جِيرَانَهُ وَيَبْشَتُمُ أَعْرَاضَهُمْ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَوَعظَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا بَالُ جِيرَانِكَ يَتَشَكُّونَكَ
قَالَ: إِنَّهُمْ يَحْسُدُونَنِي قَالَ لَهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَحْسُدُونَكَ قَالَ: عَلَى الصَّلْبِ
قَالَ: وَكَيْفَ ذَاكَ قَالَ: أَقِيلُ مَعِي.

فَأَقْبَلَ مَعَهُ إِلَى جِيرَانِهِ فَقَعَدَ مُتَحَازِنًا فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ قَالَ: طَرَقَ اللَّيْلَةَ كِتَابُ
مُعَاوِيَةَ أَنَا أَصْلَبُ أَنَا وَمَالِكُ بْنُ المُنْذِرِ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ - فَذَكَرَ رَجَالًا مِنْ أَشْرَافِ
أَهْلِ البَصْرَةِ - فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَنْتَ تُصَلِّبُ مَعَهُ هَؤُلَاءِ وَلَا كِرَامَةَ
لَكَ! فَالتَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: أَمَا تَرَاهُمْ قَدْ حَسَدُونِي عَلَى الصَّلْبِ فَكَيْفَ لَوْ
كَانَ خَيْرًا! وَقِيلَ لِأَبِي عَاصِمِ النَّبِيلِ: إِنَّ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَحْسُدُكَ وَرَبِمَا قَرَّضَكَ
فَأَنْشَأَ يَقُولُ: فَلَسْتُ بِحَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ إِذَا لَمْ تُعَادَ وَلَمْ تُحْسَدِ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: مُرِّدَوِي القَرَابَاتِ أَنْ
يَتَرَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا.

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ: تَبَاعَدُوا فِي الدَّارِ تَقَارَبُوا فِي المَوَدَّةِ.

وَقَالُوا: أَرْهَدُ النَّاسَ فِي عَالَمٍ أَهْلُهُ.

فَرَحَ بِنِ سَلَامٍ قَالَ: وَقَفَ أُمِّيَّةُ بْنُ الْأَسْكَرِ عَلَى ابْنِ عَمِّ لَهْ فَقَالَ: تَشَدُّتُكَ
بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالٌ بَنُوهُ مِنْ لَوْيِّ بْنِ غَالِبٍ فَإِنَّكَ قَدْ جَرَّبْتَنِي
فَوَجَدْتَنِي أَعْيُنُكَ فِي الجُلِيِّ وَأَكْفِيكَ جَانِبِي وَإِنْ دَبَّ مِنْ قَوْمِي إِلَيْكَ عِدَاوَةٌ
عَقَارِبُهُمْ دَبَّتْ إِلَيْهِمْ عَقَارِبِي قَالَ أَكْذَلِكْ أَنْتَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا بَالُ مَيْبَرِكَ لَا
يَزَالُ إِلَيَّ دَسِيسًا قَالَ: لَا أَعُودُ قَالَ: قَدْ رَضِيْتُ وَعَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَقَالَ
يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ عَمَلَهُ وَيُظْهِرَ عِلْمَهُ فَلْيَجْلِسْ فِي غَيْرِ مَجْلِسِ
رَهْطِهِ.

وَقَالُوا الْأَقْرَابُ هُمُ العَقَارِبُ.

وَقِيلَ لِعَطَاءِ بْنِ مَصْعَبٍ: كَيْفَ غَلِبْتَ عَلَى البَرَامِكَةِ وَكَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ هُوِ أَدَبٌ
مِنْكَ قَالَ: كُنْتُ بَعِيدَ الدَّارِ مِنْهُمْ غَرِيبَ الْأَسْمِ عَظِيمَ الكِبْرِ صَغِيرَ الجُرْمِ كَثِيرَ
الْإِتْوَاءِ فَقَرَّبَنِي إِلَيْهِمْ وَقَالَ رَجُلٌ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: إِنَّي أَحْبَبْتُكَ قَالَ: وَمَا
يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ وَلَسْتُ لَكَ بِجَارٍ وَلَا أَخٍ وَلَا ابْنَ عَمِّ.

يُرِيدُ أَنْ الحَسَدُ مُوَكَّلٌ بِالأَدْنَى فَالأَدْنَى.

السُّبْيَانِيُّ قَالَ: حَرَجَ أَبُو العَبَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَتَنَرَهَا بِالأَنْبَارِ فَأَمَعْنَ فِي
نَزْهَتِهِ وَأَنْتَبَذَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَافِي خَبَاءٍ لِأَعْرَابِيٍّ.

فَقَالَ لَهُ الأَعْرَابِيُّ: مِمَّنِ الرَّجُلُ قَالَ: مِنْ كِنَانَةَ قَالَ: مِنْ أَيِّ كِنَانَةَ قَالَ: مِنْ
أَبْغَضِ كِنَانَةَ إِلَى كِنَانَةَ قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمِنْ أَيِّ
قُرَيْشٍ قَالَ: مِنْ أَبْغَضِ قُرَيْشٍ إِلَى قُرَيْشٍ قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا مِنْ وَلَدِ عَبْدِ

المطلب قال: نعم قال: فمن أيّ ولد عبد المطلب أنت قال: من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب قال: فأنت إذا أمير المؤمنين السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته.

فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة.

وقال ذو الإصبع العَدَوَانِيّ.

لِي ابن عمّ على ما كان من خُلُقٍ مُحَاسِدٍ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي أُرَرِي بِنَا أَنَا
شَالَتْ نَعَامُنَا فَخَالَنِي عُونَةَ أَوْ خِلْتُهُ دُونِي يَا عَمْرُو إِلَّا تَدَعُ شَنَمِي وَمَنْقَصْتِي
أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ دَوِي رَحِمِي أَنْ لَا
أَحْبَبُكُمْ إِنْ لَمْ تُحِبُونِي وَقَالَ آخَرُ: مَهَلًا بَنِي عَمَّنَا مَهَلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَا
كَانَ مَدْفُونًا لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهِينُونَا وَتُكْرِمَكُمْ وَأَنْ تَكْفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤَدُونَا لِلَّهِ
يَعْلَمُ أَنَا لَا نَحْبِبُكُمْ وَلَا تَلُومُكُمْ إِنْ لَمْ تَحِبُّونَا وَقَالَ آخَرُ: وَلَقَدْ سَبَرْتَ النَّاسَ ثُمَّ
حَبَرْتَهُمْ وَوَصَفْتَ مَا وَصَفُوا مِنَ الْأَسْبَابِ فَإِذَا الْقِرَابَةُ لَا تَقَرَّبُ قَاطِعًا وَإِذَا
الْمُودَةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ الْمَشَاكِلَةَ وَمَعْرِفَةُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ قَالُوا: أَقْرَبُ الْقِرَابَةُ
الْمُشَاكِلَةَ وَقَالُوا: الصَّاحِبُ الْمُنَاسِبِ.

وقال حبيب: وُقِلْتُ أَخِي قَالُوا أَحْ مِنْ قِرَابَةٍ فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الشُّكُولَ أَقْرَبُ
وقال أيضاً: ذُو الْوَدِّ مَنِّي وَذُو الْفُرْبِيِّ بِمَنْزِلَةِ إِخْوَتِي أَسْوَهُ عِنْدِي وَإِخْوَانِي
وقال أيضاً: إِنْ تَفْتَرِقَ نَسَبًا يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدْبُ أَقْمَانِهِ مَقَامُ الْوَالِدِ أَوْ تَخْتَلِفُ
فَالْوَصْلُ مَنَّا مَاؤُهُ عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ عَمَامٍ وَاحِدٍ وَقَالَ آخَرُ: إِنَّ النُّفُوسَ لِأَجْنَادٍ
مُجْتَدَّةٍ بِالْإِذْنِ مِنْ رَبِّنَا تَجْرِي وَتَخْتَلِفُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ وَمَا تَنَاطَرَ
مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْأَنْفُسُ أَجْنَادٌ
مُجْتَدَّةٌ وَإِنِهَا لِتَتَشَامَّ فِي الْهَوَى كَمَا تَتَشَامُّ الْحَيْلُ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّالَفَ وَمَا
تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ.

وقال صلى الله عليه وسلم: الصَّاحِبُ رُفْعَةٌ فِي النَّوْبِ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ بِمِ
يَرْقَعُ ثَوْبَهُ.

وقال عليه الصلاة والسلام: امْتَحِنُوا النَّاسَ بِإِخْوَانِهِمْ.

وقال الشاعر: فاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَشْبَاهِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ وَقِيلَ: كُلُّ
إِلْفٍ إِلَى إِلْفِهِ يَنْزِعُ وَقَالَ الشَّاعِرُ: وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ: أَجَارْتَنَا إِنَّا عَرَبِيَانِ هَاهُنَا
وَكُلُّ عَرَبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ وَقَالَ آخَرُ: إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ وَلَا
تَصْحَبِ الْأَزْدِيَّ فَتَرْدِيَّ مَعَ الرَّيْدِيِّ عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنِ قَرِينِهِ فَكُلُّ
قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي وَقَالَ آخَرُ: اصْحَبْ دَوِي الْقَضَلِ وَأَهْلَ الدِّينِ فَالْمَرْءُ
مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ عَيْسَى عَنْ أَبِيهِ
عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: بَيْنَمَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَحْمَلُهُ الرِّيحُ إِذْ مَرَّ
بِنَسْرٍ وَاقَعَ عَلَى قَصْرِ فَقَالَ لَهُ: كَمْ لَكَ مَذْ وَقَعْتَ هَاهُنَا قَالَ: سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ
قَالَ: فَمِنْ بَنِي هَذَا الْقَصْرِ قَالَ: لَا أَدْرِي هَكَذَا وَجَدْتُهُ ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِيهِ كِتَابٌ
مَنْقُورٌ بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ وَهِيَ: خَرَجْنَا مِنْ قُرَى اصْطَحْرَ إِلَى الْقَصْرِ فَقَلْنَا
فَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْقَصْرِ فَمِنْ بِنَا وَجَدْنَا هَا هُنَا فَلَا تَصْحَبِ أَخَا الْكِسْوَةِ وَإِيَّاكَ وَإِيَاهُ يُقَاسُ
الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاهُ وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَابِيِسُ وَأَشْبَاهُ وَفِي

العَيْنِ غِنَى لِلْعَيْنِ أَنْ تَنْتَظِرَ أَفْوَاهَ السَّعَايَةِ وَالْبَغْيِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا نَعْبُدُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ "

وقال عز وجل: " تَمُّ نُبُغِيَّ عَلَيْهِ لِنَصْرَتِهِ اللَّهُ "

وقال الشاعر: فلا تسبق إلى أحدٍ بِنُغْيٍ فَإِنَّ البَغْيَ مَصْرَعَهُ وَخِيمٌ وَقَالَ العُتَّابِيُّ: بَغَيْتَ فَلَمْ تَقَعْ إِلَّا صَرِيحاً كَذَاكَ البَغْيُ يَصْرَعُ كُلَّ بَاغِيٍّ وَقَالَ المَأْمُونُ يوماً لِبَعْضِ وُلْدِهِ: إِيَّاكَ وَأَنْ تُصْغِيَ لِاسْتِمَاعِ قَوْلِ السُّعَاةِ فَإِنَّهُ مَا سَعَى رَجُلٌ بِرَجُلٍ إِلَّا انْحَطَّ مِنْ قَدْرِهِ عِنْدِي مَا لَا يَتَلَفَّاهُ أَبَداً.

وَوَقَّعَ فِي رُقْعَةٍ سَاعٍ: سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ.

وَوَقَّعَ فِي رُقْعَةٍ رَجُلٌ سَعَى إِلَيْهِ بِبَعْضِ عُمَّالِهِ: قَدْ سَمِعْنَا مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ فَانصَرَفَ رَحِمَكَ اللَّهُ.

فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَ السُّعَاةِ قَالَ: مَا ظَنُّكُمْ بِقَوْمٍ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ عَلَى الصِّدْقِ ثُمَّ كَشَفَ عَنِ ذَلِكَ فَإِذَا هُوَ لَغَيْرِ رِشْدَةٍ فَقَالَ: أَنَا أَبُو عَمْرٍو وَمَا كَذَبْتُ وَلَا كَذِبتُ.

حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: السَّاعِي لِيَغَيِّرَ رِشْدَهُ.

وَسَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الْمَلِكِ الخَلْوَةَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِذَا شِئْتُمْ فقوموا.

فَلَمَّا تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلامِ قَالَ لَهُ: إِيَّاكَ أَنْ تَمْدِحَنِي فَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ أَوْ تَكْذِبَنِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكُذُوبٍ أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ وَإِنْ شِئْتَ أَفْلُتُكَ قَالَ: أَقْلِنِي.

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ وَالِي دِمَشْقَ لِأَبِيهِ فَقَالَ: لِأَمِيرٍ عِنْدِي نَصِيحَةٌ فَقَالَ: إِنْ كَانَتْ لَنَا فَادْكُرْهَا وَإِنْ كَانَتْ لِيَغَيِّرُنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا قَالَ: جَائِزٌ لِي عَصَى وَقَرَّ مِنْ بَعْثِهِ قَالَ: أَمَا أَنْتَ فَتُخَيِّرُ أَتُكُّ جَائِزٌ سَوَاءٌ وَإِنْ شِئْتَ أَرْسَلْنَا مَعَكَ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَقْصَيْنَاكَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً عَاقَبْنَاكَ وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ قَالَ: تَارَكْنِي.

وَفِي سَبْرِ الْعَجَمِ: أَنَّ رَجُلًا وَشَى بِرَجُلٍ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ فَقَالَ: أَتَجِبُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ عَلَيْكَ وَمِنْكَ عَلَيْهِ قَالَ: لَا قَالَ: فَكُفَّ الشَّرُّ يُكْفَى عَنْكَ الشَّرُّ.

وقال الشاعر: إذا الواشي نعى يوماً صديقاً فلا تدع الصديق لِقَوْلِ واشي وقال ذو الرِّياسَتَيْنِ: قَبُولُ التَّمِيمَةِ سَبْرٌ مِنَ التَّمِيمَةِ لِأَنَّ التَّمِيمَةَ دِلَالَةٌ وَالْقَبُولُ إِجَازَةٌ وَليْسَ مَنْ ذُكِرَ السُّعَاةُ عِنْدَ المَأْمُونِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ حَضَرَ: لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى " لِكَقَّاهُمْ "

وعاتب مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الأَحْنَفَ فِي شَيْءٍ فَأَنْكَرَهُ فَقَالَ: أَحْبَرَنِي الثَّقَةُ قَالَ: كَلَّا إِنَّ الثَّقَةَ لَا يُبْلَغُ.

وقد جعل الله السامع شريك القائل.

فقال: " سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ " .

وقيل: حَسْبُكَ مِنْ نَبْرٍ سَمَاعُهُ .

وقال الشاعر: لَعْمَرِكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوَّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ وَقَالَ
آخِرُ: لَا تَقْبَلَنَّ تَمِيمَةَ بُلْغَتَهَا وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا إِنَّ الَّذِي أَنْبَاكَ عَنْهُ
تَمِيمَةَ سَيِّدٍ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا لَا تَنْقِشَنَّ بِرَجُلٍ غَيْرِكَ شَوْكَةً فَتَفِي بِرَجُلِكَ
رَجُلٌ مَن قَدْ شَاكَهَا وَقَالَ دُعَيْلُ: وَقَدْ قَطَعَ الْوَأَشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ إِلَى أَنْ
تُوصِلَ الْحَبْلَ أَحْوَجُ وَكَانُوا أَنْاسًا كُنْتُ أَمْنُ غَيْبِهِمْ فَرَاخُوا عَلَيَّ مَا لَا نُحِبُّ
فَادْلَجُوا الْغَيْبَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَلَّتْ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ
فَقَدْ اغْتَنَبَهُ وَإِذَا قَلَّتْ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ: وَمَرَّ مُحَمَّدٌ سَيِّرِينَ بِقَوْمٍ فَقَالَ
إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَدْ نَلْنَا مِنْكَ فَخَلَلْنَا فَقَالَ: " إِنِّي " لَا أَجِلُّ لَكَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ " فَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيَّ فَهُوَ لَكَ " .

وكان رَقِيبَةُ بْنُ مَصْفَلَةَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ فَذَكَرُوا رَجُلًا بِشَيْءٍ فَاطَّلَعَ ذَلِكَ
الرَّجُلُ فَقَالَ " لَهُ " بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أَلَا أَخْبَرَهُ بِمَا قَلْنَا فِيهِ لئَلَّا تَكُونَ غَيْبَةً قَالَ:
أَخْبَرَهُ حَتَّى تَكُونَ نَمِيمَةً .

اغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَقَالَ لَهُ " قُتَيْبَةُ " : أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَلَمَّظْتَ بِمُضْغَةِ طَالِمَا لَقَطَهَا الْكِرَامُ .

مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيُّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ سَيِّرِينَ فَقَالَ لَهُ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ
نَلْتُ مَنِّي قَالَ: نَفْسِي أَعَزُّ " عَلَيَّ " مِنْ ذَلِكَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِصْمَةَ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقَعُ فِيَّ قَالَ: أَنْتَ إِذَا عَلَيَّ
أَكْرَمُ مِنْ نَفْسِي .

وَوَقَعَ رَجُلٌ فِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ: اسْكُتْ فَإِنَّ
الَّذِي بَيْنَنَا لَمْ يَبْلُغْ وَعَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ غُيُوبِكَ بِمَا تَكْتُمُ مِنَ غُيُوبِ النَّاسِ لِأَنَّ طَالِبَ الْغُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا
بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ: لَا تَهْتَكَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا
سَتَرُوا فِيهِتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ وَادْكُرْ مَحَابِسَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا
تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِهَا فَيُكَا وَقَالَ آخِرُ: لَا تَنَنَّ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا
فَعَلْتَ عَظِيمًا وَابْدَأَ بِنَفْسِكَ فَانْهَاجَ عَنْ عَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ وَقَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَاكِ: تَجَنَّبَ الْقَوْلَ فِي أَخِيكَ لِخَلَّتَيْنِ: أَمَّا وَاحِدَةٌ فَعَلَّكَ تَعْبِيهِ
بِشَيْءٍ هُوَ فِيكَ وَأَمَّا الْآخَرَى فَإِنَّ يَكُنُ اللَّهُ عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلَاهُ بِهِ كَانَ شُكْرَكَ
اللَّهُ عَلَى الْعَافِيَةِ تَعْبِيرًا لِأَخِيكَ عَلَى الْبَلَاءِ .

وقيل لبعض الحكماء: فلانُ يعيبك قال: إنما يفرض الدرهم الوازنُ.

" قيل لبُرَيْرِ بْنِ جَمْرٍ: هل تعلم أحداً لا عيبَ فيه قال: إن الذي لا عيبَ فيه لا يموت " .

وقيل لعمر بن عُبيد: لقد وقع فيك أيوب السُّخْتَيَانِيَّ حَتَّى رَحِمْنَاكَ قَالَ: إِيَّاهُ
فَارْحَمُوا .

" وقال ابن عَبَّاسٍ: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به ودع منه ما تُحِبُّ أن يدعَ وقدم العلاء بن الحَضْرَمِيِّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: هل تزوي من الشعر شيئاً قال: نعم قال: فأنشدني فأنشده: تَحِبُّ دَوِي الأَضْغَانِ تَسْبُ نفوسَهُم تَحْبَبُكَ القُرْبَى فقد تُرْقِع التَّعْلَ وإن دَحَسُوا بالكُزْه فَاعْفُ تَكْرُمًا وإن عَيَّبُوا عنكَ الحديثَ فلا تَسَلْ فإن الذي يُؤْذِيكَ منه سِمَاعُهُ وإن الذي قالوا وراءك لم يُقل فقال النبي عليه السلام: إن من السُّعْر لِحِكْمَةٍ.

وقال الحسنُ البَصْرِيُّ: لا غيبةَ في ثلاثة: فاسقٍ مُجَاهِرٍ " بالفِسْقِ " وإمامٍ جائرٍ وصاحبِ يدعةٍ لم يدع يدعته.

وكتب الكِسَائِيُّ إلى الرَّقَاشِيِّ: تركت المسجدَ الْجَامِعَ والتَّركَ له رَبِيَّةً فلا نافلةٌ تَقْضِي ولا تَقْضِي لِمَكْتُوبِهِ وأخبارُكَ تَأْتِينَا على الأَعْلَامِ مَنْصُوبَةٍ قال النبي عليه الصلاة والسلام: سَرَّ النَّاسَ من اتَّقَاهُ النَّاسُ لَشَرِّهِ.

وقال عليه الصلاة والسلام: إذا لقيت اللئيمَ فخالِفْهُ وإذا لقيت الكريمَ فخالِطْهُ.

وقال أبو الدَّرْدَاءِ: إنا لَنَكْثِرُ في وُجوه قومٍ وإنَّ قلوبنا لَتَلْعَنُهُم وسُئِلَ سَبِيبُ بن شَيْبَةَ عن خالد بن صَفْوَانَ فقال: ليس له صديق في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية.

وقال الأحنف: رُبَّ رجلٍ لا تَغيبُ فوائدُهُ وإن غابَ وآخِرَ لا يسلمُ منه جليسهُ وإن احترس.

وقال كثير بن هَرَّاسَةَ: إنَّ من الناسِ ناسًا يَنْقُصونكَ إذا زِدْتَهُم وتَهونُ عندهم إذا خاصِصْتَهُم ليس لرضاهم مَوْضِعٌ تَعْرِفُهُ ولا لسُخْطِهِم مَوْضِعٌ تَحْذِرُهُ فإذا عرفت أولئك بأعيانِهِم فابدُلْ لهم مَوْضِعَ المودَةِ واحرمهم مَوْضِعَ يَكُنْ ما بذلت لهم من المودَةِ حائلًا دون شرِّهم وما حرمتهم من الخاصةِ قاطعًا لحرمتهم.

وأنشد العُبَيْيُّ: لي صديقٌ يَرَى حُقُوقِي عليه نَافِلَاتٍ وَحَقَّهُ الدَهرَ قَرِصًا لو قطعُ البلادَ طَولًا إليه ثم من بَعْدِ طولها سِرتُ عَرِضًا لَرَأَى ما فعلتُ عَيْرٌ كثيرٌ وأشتَهَى أن يَزِيدَ في الأَرْضِ أرضًا أسقيهم السُّمَّ إن طَفِرَتْ بهم وأمْرُجُ لهم من لِسَانِكَ العَسَلَا كَتَبَ سَهْلُ بن هَارُونَ إلى مُوسَى بن عِمْرَانَ في أبي الهُدَيْلِ العَلَّافِ: إنَّ الصَّمِيرَ إذا سَأَلْتِكَ حَاجَةً لأبي الهُدَيْلِ خِلافُ ما أبدي " فالن له كِنفا ليحسَنَ طَنَّهُ في غيرِ منفعَةٍ ولا رِفْدٍ " حتى إذا طالَتْ شَقَاوُهُ جَدَّهُ وَعَتَاوُهُ فَاجْتَبَهُ بالرُّدِّ وقال صالحُ بن عبد القُدُوسِ: تجنب صديقَ السُّوءِ وأصرِمُ جباله وإن لم تجدْ عنه مَحِيصًا قَدَارِهِ وَمَنْ يَطْلُبُ المَعْرُوفَ من غيرِ أهله يَجِدُهُ وَرَاءَ البَحْرِ أو في قَرَارِهِ ولله في عَرِضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ ولكنَّها مَخْفُوفَةٌ بالمَكَارِهِ وقال آخر: بلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بلاءٌ عَدَاوَةٌ غيرُ ذي حَسَبٍ ودينٍ يبيحُكَ منه عَرِضًا لم يَصُنَّهُ لِيَرْتَعِ مِنْكَ في عَرِضِ مَصُونٍ عُرِضَ على أبي مُسلمٍ صاحبِ الدَّعْوَةِ فرسُ جِوَادٍ فقال لِقُودِهِ: لماذا يصلحُ مثلي هذا الفرسُ قالت الحُكَمَاءُ: جُبِلَ النَّاسُ على ذمِّ رَمَانِهِم وقلَّةِ الرِّضَا عن أهلِ عَصْرِهِم فمنه قولُهُم: رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لا تُدْرِكُ.

وقولهم: لا سبيلَ إلى السلامة من ألسنة العامة.

وقولهم: الناسُ يعيرون ولا يعفرون والله يعفّر ولا يعيّر.

وفي الحديث: لو أن المؤمن كالقِدْحِ الْمُقْوَمِ لقال الناس: ليت ولو.

وقال الشاعر: مَنْ لَابَسَ النَّاسَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ النَّاسِ وَصَرَّسُوهُ بِأَبْيَابِ
وَأَصْرَاسِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: رَجِمَ اللَّهُ لَبِيدًا كَانَ
يَقُولُ: ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي حَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ فَكَيْفَ
لَوْ أَبْصَرَ زَمَانَنَا هَذَا.

قال عُرْوَةُ: ونحن نقول: رَجِمَ اللَّهُ عَائِشَةَ فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَتْ زَمَانَنَا هَذَا.

وكان بعضهم يقول: ذهب الناسُ وبقيَ التسناس فكيف لو أدرك زماننا هذا.

دخل مُسْلِمُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ وَهَبٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

فقال له عبدُ الملك: أَيُّ زَمَانٍ أَدْرَكَتْ أَفْضَلَ وَأَيُّ الْمُلُوكِ أَكْمَلَ قَالَ: أَمَّا
الْمُلُوكُ فَلَمْ أَرِ إِلَّا حَامِدًا أَوْ ذَا مِمَّا وَأَمَّا الزَّمَانُ فَيَرْفَعُ أَقْوَامًا وَكُلِّهِمْ يَدُمُ زَمَانَهُ
لأنه يُبْلِي جَدِيدَهُمْ وَيُفَرِّقُ عَدِيدَهُمْ وَيَهْرِمُ صَغِيرَهُمْ وَيَهْلِكُ كَبِيرَهُمْ.

أَبَا دَهْرٍ إِنْ كُنْتَ عَادِيَّتَنَا فَهِيَ قَدْ صَنَعَتْ بِنَا مَا كَفَاكَ جَعَلْتَ الشَّرَارَ عَلَيْنَا خِيَارًا
وَوَلِيَّتَنَا بَعْدَ وَجْهِ قَفَاكَ وَقَالَ آخَرُ: إِذَا كَانَ الزَّمَانُ زَمَانَ تَيْمٍ وَعَكْلٍ فَالِسَّلَامُ
عَلَى الزَّمَانِ زَمَانٌ صَارَ فِيهِ الصَّدْرُ عَجْزًا وَصَارَ الرَّجُّ قُدَامَ السِّنَانِ لَعَلَّ زَمَانَنَا
سَيَعُودُ يَوْمًا كَمَا عَادَ الزَّمَانُ عَلَى بَطَانَ أَبِي جَعْفَرِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: أَنَا نَا يَوْمًا أَبُو
مُبَاسِ الشَّاعِرِ وَنَحْنُ فِي جَمَاعَةٍ فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ " فِيهِ " وَمَا تَتَذَكَّرُونَ قَلْنَا:
تَذَكَّرَ الزَّمَانُ وَقَسَادَهُ قَالَ: كَلَّا إِنَّمَا الزَّمَانُ وَعَاءٌ وَمَا أَلْقَى فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ
كَانَ عَلَى حَالِهِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: أَرَى خُلًّا تُصَانُ عَلَى أَنَاسٍ وَأَخْلَاقًا تُدَاسُ قَمَا
تُصَانُ يَقُولُونَ الزَّمَانُ بِهِ قَسَادٌ وَهُمْ قَسَدُوا وَمَا قَسَدَ الزَّمَانُ أَنْشَدَ فَرَجُ بْنُ
سَلَامٍ: هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَدِّثُهُ فِيمَا يُحَدِّثُ كَعْبُ وَابْنُ مَسْعُودٍ إِنْ دَامَ ذَا
الدَّهْرِ لَمْ نَحْزَنْ عَلَى أَحَدٍ يَمُوتُ مِنَّا وَلَمْ نَفْرَحْ بِمَوْلُودٍ لَمْ أَبْكُ فِي زَمَنِ لَمْ
أَرْضَ خَلْتَهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَنْصَرِمُ وَقَالَ آخَرُ فِي طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ: إِذَا
كَانَتِ الدُّنْيَا تَبَالٍ بِطَاهِرٍ تَجَنَّبَتْ مِنْهَا كُلُّ مَا فِيهِ طَاهِرٌ وَأَعْرَضَتْ عَنْهَا عِفَّةٌ
وَتَكْرُمًا وَأَرْجَأَتْهَا حَتَّى تَدْوَرَ الدَّوَابُّ وَقَالَ مُؤْمِنُ بْنُ سَعِيدٍ فِي مَعْقِلِ الصَّبِيِّ
وَابْنِ أَخِيهِ عَثْمَانَ: لَقَدْ ذَلَّتِ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَلَّ أَهْلُهَا وَقَدْ مَلَّهَا أَهْلُ التَّدَى وَالتَّفْضَلِ
إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا تَمِيلُ بِخَيْرِهَا إِلَى مِثْلِ عَثْمَانَ وَمِثْلِ الْمُحْوَلِ فَفِي آسَتِ ام
دُنْيَانَا وَفِي آسَتِ ام خَيْرِهَا وَفِي آسَتِ ام عَثْمَانَ وَفِي آسَتِ ام مَعْقِلِ وَقَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ: يَا طَالِبَ الْأَشْعَارِ وَالتَّحْوِ هَذَا زَمَانٌ فَاسِدُ الْحَشْوِ نَهَارُهُ
أَوْحَشٌ مِنْ لَيْلِهِ وَتَسُوهُ مِنْ أَحْبَبَتِ النَّسْوِ قَدَعَ طِلَابَ التَّحْوِ لَا تَبِغِهِ وَلَا تَقْلِ
شِعْرًا وَلَا تَرَوْ قَمَا يَجُوزُ الْيَوْمَ إِلَّا أَمْرٌ مُسْتَحْكَمُ الْعَرْفِ أَوْ الشَّدْوِ رَجَاءٌ دُونَ
أَقْرَبِهِ السَّحَابُ وَوَعْدٌ مِثْلُ مَا لَمَعَ السَّيْرَابُ وَدَهْرٌ سَادَتِ الْعُبْدَانُ فِيهِ وَعَائَتْ
فِي جَوَانِبِهِ الدُّنَابُ وَأَيَّامُ خَلَّتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَدُنْيَا قَدْ تَوَزَّعَهَا الْكِلَابُ كَلَابٌ لَوْ
سَأَلْتَهُمْ تَرَابًا لَقَالُوا عِنْدَنَا أَنْقَطَعَ التَّرَابُ يُعَاقَبُ مَنْ أَسَاءَ الْقَوْلَ فِيهِمْ وَإِنْ
يُحْسِنُ فَلَيْسَ لَهُ تَوَابٌ كَتَبَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاحِظِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ فِي ذِمِّ

الزمان: بسم الله الرحمن الرحيم حَفِظَكَ اللهُ حَفْظَ مَنْ وَفَّقَهُ لِلْقِنَاعَةِ
وَاسْتَعْمَلَهُ فِي الطَّاعَةِ.

كُتِبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مِنْ كَثُفَتِ غَمُومِهِ وَأَشْكَلتِ عَلَيْهِ أُمُورِهِ وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ
حَالُ دَهْرِهِ وَمَخْرَجَ أَمْرِهِ وَقَلَّ عِنْدَهُ مِنْ يَثِيقِ بَوْفَائِهِ أَوْ يَحْمَدِ مَغْبَةِ إِخَائِهِ
لِاسْتِحَالَةِ زَمَانِنَا وَفَسَادِ أَيْامِنَا وَدَوْلَةِ أَنْدَالِنَا.

وَقَدِّمًا كَانَ يُقَالُ مَنْ قَدَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى تَفْسِهِ وَحَكَّمَ الصَّدَقَ فِي قَوْلِهِ وَآثَرَ
الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ وَتَبَذَ الْمُشْتَبِهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شَتُونِهِ تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ وَفَازَ
بُؤْفُورِ حِطِّ الْعَافِيَةِ.

وَحَمِدَ مَغْبَةَ مَكْرُوهِ الْعَاقِبَةِ فَتَطَرْنَا إِذْ حَالِ عِنْدِنَا حُكْمُهُ وَتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُهُ فَوَجَدْنَا
الْحَيَاءَ مُتَّصِلًا بِالْجِزْمَانِ وَالصَّدَقَ أَفَةً عَلَى الْمَالِ وَالْقَصْدَ فِي الطَّلَبِ بَرَكًا
اسْتِعْمَالَ الْفِحَّةِ وَإِخْلَاقِ الْعِرْضِ فِي طَرِيقِ التَّوَكُّلِ دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ
إِذَا صَارَتِ الْخُطُوةُ السَّابِقَةَ وَالنَّعْمَةَ السَّابِغَةَ فِي لَوْمِ النَّيِّبَةِ وَتَنَاوُلِ الرَّزْقِ مِنْ
جَهَةِ مَحَاشَاةِ الْوَفَاءِ وَمُلَابَسَةِ مَعْرَةِ الْعَارِ.

ثُمَّ تَطَرْنَا فِي تَعَقُّبِ الْمُتَعَقِّبِ لِقَوْلِنَا وَالْكَاسِيرِ لِحُجَّتِنَا فَأَقَمْنَا لَهُ عِلْمًا وَاضِحًا
وَشَاهِدًا قَائِمًا وَمَنَارًا بَيِّنًا إِذْ وَجَدْنَا مَنْ فِيهِ السُّفُولِيَّةُ الْوَاضِحَةُ وَالْمَثَالِبُ
الْفَاضِحَةُ وَالْكَذِبُ الْمُبْرِحُ وَالْخُلْفَ الْمُصْرِحُ وَالْجَهَالَهَ الْمُفْرَطَةَ وَالرَّكَاكَةَ
الْمُسْتَخْفَةَ وَضَعْفَ الْيَقِينِ وَالِاسْتِيْثَابِ وَسِرْعَةَ الْعَضْبِ وَالْحِقَّةَ قَدْ اسْتُكْمِلَ
سِرُورَهُ وَاعْتَدِلَتْ أُمُورُهُ وَفَازَ بِالسَّهْمِ الْأَعْظَمِ وَالْحِطَّ الْأَوْفَرَ وَالْقَدْرَ الرَّفِيعَ
وَالْجَوَابَ الطَّاعِ وَالْأَمْرَ النَّافِذَ إِنْ زَلَّ قِيلَ حَكْمٌ وَإِنْ أَخْطَأَ قِيلَ أَصَابَ وَإِنْ
هَدَى فِي كَلَامِهِ وَهُوَ يَقْطَانٌ قِيلَ رُؤْيَا صَادِقَةً فِي سِنَةِ مُبَارَكَةٍ فَهَذِهِ حُجَّتِنَا "
أَبْقَاكَ اللهُ " عَلَى مَنْ رَعِمَ أَنَّ الْجَهْلَ يَخْفِضُ وَأَنَّ الْحُمُقَ يَصَعُ وَأَنَّ التَّوَكُّ
يُزِدِي وَأَنَّ الْكَذِبَ يَضُرُّ وَأَنَّ الْخُلْفَ يُزِيرِي.

ثُمَّ تَطَرْنَا فِي الْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ وَالنَّبْلِ وَالْبِرَاعَةِ وَحُسْنِ الْمَذْهَبِ وَكَمَالِهِ الْمُرُوءَةِ
وَسَعَةِ الصَّدْرِ وَقِلَّةِ الْعَضْبِ وَكِرَمِ الطَّبِيعَةِ وَالْفَائِقِ فِي سَعَةِ عِلْمِهِ وَالْحَاكِمِ
عَلَى تَفْسِهِ وَالْغَالِبِ لِهَوَاهُ فَوَجَدْنَا فُلَانًا بِنِ فُلَانٍ ثُمَّ وَجَدْنَا الزَّمَانَ لَمْ يَنْتَصِفْ
مِنْ حَقِّهِ وَلَا قَامَ لَهُ بَوْطَانُ فَرْضِهِ.

وَوَجَدْنَا فِضَائِلَهُ الْقَائِمَةَ لَهُ قَاعِدَةً بِهِ.

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الطَّلَاحَ أَجْدَى مِنَ الصَّلَاحِ وَأَنَّ الْفَصْلَ قَدْ مَضَى زَمَانُهُ
وَعَقَّتْ أَثَارُهُ وَصَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى ضِدِّهِ وَوَجَدْنَا الْعَقْلَ
يَشْفَى بِهِ قَرِيبُهُ كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ وَالْحُمُقَ يَحْطَى بِهِ حَدِيثُهُ.

وَوَجَدْنَا الشَّعْرَ نَاطِقًا عَلَى الزَّمَانِ وَمُعْرَبًا عَيْنَ تَحَامُقٍ مَعَ الْحَمَقِيِّ إِذَا مَا
لَقِيْتَهُمْ وَلَا فِهْمٌ بِالْجَهْلِ فَعَلَّ أَخِي الْجَهْلَ وَخَلَطَ إِذَا لَاقَتْ يَوْمًا مُخَلَطًا يُخَلَطُ
فِي قَوْلِ صَاحِبِ وَفِي هَزْلِ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْفَى بِعَقْلِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ
يَسْعُدُ بِالْعَقْلِ بِفَيْتِ أَبْقَاكَ اللهُ مِثْلَ مَنْ أَصْبَحَ عَلَيَّ أَوْفَارًا وَمِنَ الثَّقَلَةِ عَلَى
جَهَازٍ لَا تَسُوعُ لَهُ نِعْمَةٌ وَلَا يُطْعَمُ عَيْنِيهِ عَمَضَةٌ فِي أَهْوَائِهِ يُبَاكِرُهُ مَكْرُوهَهَا
وَتُرَاوِحُهُ عِقَابِيلُهَا فَلَوْ أَنَّ الدُّعَاءَ أَجِيبَ وَالتَّصَرُّعَ سُمِعَ لَكَانَتِ الْهَدَّةُ الْعُظْمَى
وَالرَّجْفَةُ الْكَبِيرَى فَلَيْتَ الَّذِي يَا أَخِي مَا اسْتَبَطَّنَهُ مِنَ النَّفْحَةِ وَمِنْ قَجَاةِ

الصَّيْحَةُ قُضِيَ فَحَانَ وَأُذِنَ بِهِ فَكَانَ فَوَاللَّهِ مَا عُذِبْتُ أُمَّةً بَرَجْفَةً وَلَا رِيحًا وَلَا سَخِطَةً عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ الْمُغَابِطَةِ الْمُصْنِيَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُهْلِكَةِ كَأَنَّ الزَّمَانَ تَوَكَّلَ بَعْدَابِي أَوْ انْتَصَبَ لِإِيلَامِي فَمَا عَيْشٌ مَنْ لَا يُبَسِّرُ بِأَخٍ شَفِيقٌ " وَلَا خِذْنَ شَفِيقٌ " وَلَا يَصْطَبِحُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ إِلَّا بِرُؤْيَةِ مَنْ تُكْرَهُ " رُؤْيُهُ " وَنِعْمَةٌ مَنْ تَعْمَهُ طَلَعَتْهُ فَبَدَّلَ اللَّهُ " لِي أَيْ أَخِي بِالْمِهْسِكِنِ مَسْكِنًا وَبِالرَّبْرِيعِ رَبْعًا فَقَدْ طَالَتِ الْعُمَةُ وَوَاطَنَتِ الْكُرْبَةُ ادْلَهْمْتُ الظُّلْمَةَ وَحَمَدَ السَّرَاجَ وَتَبَاطَأَ الْإِنْفِرَاجَ .
" والسلام " .

▲ فساد الإخوان

قال أبو الدرداء: كان الناس وِرْقًا لَا شَوْكَ فِيهِ فَصَارُوا شَوْكًا لَا وَرَقَ فِيهِ .
وقيل لِعُرْوَةَ بْنِ الرُّبَيْرِ: أَلَا تَتَّقِلُ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: مَا بَقِيَ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا حَاسِدٌ عَلَى نِعْمَةٍ أَوْ شَامِتٌ بِمُصِيبَةٍ .

الحُشْنِي قَالَ أَنَشِدُنِي الرَّبَّاشِيَّ: إِذَا ذَهَبَ التَّكْرُمُ وَالْوَفَاءُ وَبَادَ رِجَالُهُ وَبَقِيَ الْعُنَاءُ وَأَسْلَمَنِي الزَّمَانُ إِلَى رِجَالٍ كَأَمْثَالِ الدَّنَابِ لَهَا عُوَاءٌ صَدِيقٌ كَلِمًا اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُمْ وَأَعْدَاءٌ إِذَا جَهَدَ الْبَلَاءُ إِذَا مَا جِئْتَهُمْ يَتَدَافَعُونَ كَأَنِّي أَجْرُبُ آدَاهُ دَاءٌ أَقْوَلُ - وَلَا أَلَمَ عَلَى مَقَالٍ - عَلَى الْإِخْوَانِ كُلِّهِمُ الْعَفَاءُ وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ: لَا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ مِنْ لَا وَفَاءَ لَهُ: وَاصْطِنَاعٍ مَنْ لَا شُكْرَ عِنْدَهُ وَالكَرِيمُ يَوَدُّ الْكَرِيمَ عَنِ لُفْيَةٍ وَاحِدَةٍ وَاللَّئِيمُ لَا يَصِلُ أَحَدًا إِلَّا عَنِ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ .

وفي كتابٍ لِلْهِنْدِيِّ: إِنَّ الرَّجُلَ السَّوْءَ لَا يَتَّعَبُ عَنْ طَبْعِهِ كَمَا أَنَّ الشَّجْرَةَ الْمُرَّةَ لَوْ طَلَبْتَهَا بِالْعَسَلِ لَمْ وَسْمِعِ رَجُلٌ أَبَا الْعَنَاهِيَةِ يُنْشِدُ: فَارْمِ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَا تَرَى إِلَّا بَخِيلًا " فَقَالَ لَهُ: بَخَلْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ: فَأَكْذِبْنِي بِسَخِيٍّ وَاحِدٍ " .

وقال أيضا في هذا المعنى: لِلَّهِ دُرٌّ أَبْيَكُ أَيِّ زَمَانٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَأَيُّ أَهْلِ زَمَانٍ كَلَّ يُوَاظِنُكَ الْمَوَدَّةَ جَاهِدًا يُعْطِي وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ فَإِذَا رَأَى رُجْحَانَ حَبَّةَ حَزْدَلٍ مَالَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الرَّجْحَانِ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: أَرَى قَوْمًا وَجُوهَهُمْ جِسَانٌ إِذَا كَانَتْ حَوَائِجُهُمْ إِلَيْنَا وَإِنْ كَانَتْ حَوَائِجُنَا إِلَيْهِمْ يُقْبِحُ حُسْنَ أَوْجَهُمْ عَلَيْنَا فَإِنْ مَنَعَ الْأَشْحَهُ مَا لَدَيْهِمْ فَإِنَّا سَوْفَ تَمْنَحُ مَا لَدَيْنَا وَقَالَ: مَوَالِينَا إِذَا احْتَاوْنَا إِلَيْنَا وَلَيْسَ لَنَا إِذَا احْتَجْنَا مَوَالِيَهُمُ لِلْبَكْرِيِّ: كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقْتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهْمٍ أَحْتَرِسُ سِتْرَ الْبَغْضِ بِالْفَاطِ الْهَوَى وَادَّعَى الْوُدَّ بَغْشًا وَدَلَسَ إِنْ رَأَيْتَ قَالَ لِي حَيْرًا وَإِنْ غَبْتَ عَنْهُ الْوُدَّ بَغْشًا وَدَلَسَ ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّنْتَهُ قَرْصَةً حَمَلَتِ السِّيفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنْ خَاتَهُ قَدْرٌ أَيْقَطَ مَنْ كَانَ نَعَسَ وَأَنْشَدَ الْعُتْبِيُّ: إِذَا كُنْتَ تَعْضِبُ مِنْ غَيْرِ دَنْبٍ وَتَعْتَبُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ عَلَيَّا طَلِبْتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَّنِي عَدْدُكَ مَيْتًا وَإِنْ كُنْتَ حَيًّا فَلَا تَعْجَبَنَّ بَمَا فِي يَدَيْكَ فَأَكْثَرَ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ: وَصَاحِبُ كَانٍ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَيَّ وَوَلَدٍ كُنَّا كَسْبَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كِذْرَاعٌ نِيْطُ إِلَى عَضْدٍ حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عَقْدِي وَخَلَّ كَانَ يَخْفِضُ لِي جَنَاحًا أَعَادَ عَنِّي فَنَابَذَنِي جَمَاحًا فَقَلْتُ لَهُ وَلِي بَغْسٌ عَرُوفٌ إِذَا حَمَيْتَ تَقَحَّمَتِ الرَّمَاحُ سَابِدِلَ بِالْمَطَامِعِ فِيكَ يَا سَأًا وَبِالْيَأْسِ اسْتَرَاخَ مِنْ اسْتِرَاخَا وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ " عَبْدُ اللَّهِ بْنِ " جَعْفَرُ: وَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً

فإن عَرَضَتْ أَيْقِنْتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا يَلَوْتُكَ فِي
الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمَادِيَا كِلَاتَا غَنِيٌّ عَنِ أَحْيِهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِنْنَا أَشَدُّ تَعَانِيَا وَعَيْنُ
الرَّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِّي الْمَسَاوِيَا وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ:
أَشْرَقَ أَمْ أَعْرَبَ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصَ مِنْ ذِمَامِي أَوْ أَرِيدُ عَدَّتَنِي عَنْ تَصِيْبِيْنَ
الْعَوَارِي فَبَحْتِي أبلهٌ فِيهَا بَلِيدٌ وَخَلَفَنِي الزَّمَانُ عَلَى رِجَالِي وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ
حَدِيدٌ لَهُمْ خُلِّلَ فَهَنَّ بِيضٌ وَأَخْلَاقٌ سَمَّجَنَ فَهَنَّ سُودٌ وَقَالُوا لَوْ مَدَحْتَ قَتِي
كَرِيمًا فَقَلْتُ وَكَيْفَ لِي بِفَتَى كَرِيمٍ بُلِيْتُ وَمَرَّ بِي حَمْسُونَ حَوْلًا وَحَسْبُكَ
بِالْمُجَرَّبِ مَنْ عَلِمَ فَلَا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمٍ خَيْرٍ وَلَا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَيَّ عَدِيمٌ وَقَالَ: قَدْ
بَلَوْتُ النَّاسَ طَرًّا لَمْ أَحَدٌ فِي الْبِنَاسِ حَرًّا صَارَ خُلُوُّ النَّاسِ فِي الْعَيِّ نَ إِذَا مَا
ذِيْقُ مُرًا وَقَالَ: مَنْ سَلَا عَيْبِي أَطْلَقْتُ جِبَالِي مِنْ جِبَالِهِ أَوْ أَحَدٌ الْوَصْلَ سَارِعًا
تَجَهَّدِي فِي وَصَالِهِ إِنَّمَا أَخَذُو عَلَيَّ فَعَلَّ صَدِيقِي بِمَثَالِهِ غَيْرَ مُسْتَجِدِّ إِذَا
أَزُورُ رِ كَانِي مِنْ عِيَالِهِ لَنْ تَرَانِي أَبَدًا أَعْ ظِمَ ذَا مَالٍ لِمَالِهِ لَا وَلَا أُرَرِي بِمَنْ يَعِ
قَلَّ عِنْدِي سُوءٌ حَالِهِ وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: أَبَا صَالِحٍ جَاءَتْ عَلَيَّ النَّاسُ
عَقْلُهُ عَلَى عَقْلِي بَانَتْ بِكُلِّ كَرِيمٍ قَلِيَّتِ الْآلِي بَاتُوا يُفَادُونَ بِالْأَلَى أَقَامُوا قِيْفَدَى
ظَاعِنٌ بِمَقِيمٍ وَبِالْيَتَاهَا الْكُبْرَى فَنُطْوَى سَمَاوُنَا لَهَا وَتَمَدَّ الْأَرْضُ مَدَّ أَدِيمٍ فَمَا
الْمَوْتُ إِلَّا عَيْشٌ كُلُّ مُبَخَّلٍ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَوْتُ كُلُّ دَمِيمٍ وَأَعَدَّرَ مَا أَدْمَى
الْجُفُونََ مِنَ الْبُكَاءِ كَرِيمٌ رَأَى الدُّنْيَا بِكَفِّ لَيْمٍ وَمِثْلُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: أَبَا صَالِحٍ
أَبْنُ الْكِرَامِ بِأَسْرِهِمْ أَفْذَنِي كَرِيمًا فَالْكَرِيمُ رِضَاءٌ أَحَقُّ يَقُولُ النَّاسُ فِي جُودِ
حَاتِمٍ وَابْنِ سِنَانٍ كَانَ فِيهِ سَخَاءٌ عَذِيرِي مِنْ خَلْقٍ تَخَلَّقَ مِنْهُمْ عَبَاءٌ وَلَوْمْ
فَاصِحٌ وَجَفَاءٌ جِجَارُهُ بَخْلٌ مَا تَجُودُ وَرُبَّمَا تَفَجَّرَ مِنْ صُمِّ الْحِجَارَةِ مَاءٌ وَلَوْ أَنَّ
مُوسَى جَاءَ يَضْرِبُ بِالْعَصَا لَمَا انْبَجَسَتْ مِنْ صَرْبِهِ الْبُخْلَاءُ بَقَاءً لِنَامِ النَّاسِ
مَوْتُ عَلَيْهِمْ كَمَا أَنَّ مَوْتَ الْأَكْرَمِينَ بَقَاءٌ سَائِقٌ تَرِيحٌ يَشْدُو فَوْقَهُ سَائِقٌ كَأَنَّهُ
لِحَيْنِ الصَّوْتِ مُشْتَقِيٌّ يَا صَبِيْعَةَ الشَّعْرِ فِي بُلْبُلِهِ جَرَامِقَةٌ تَشَابَهَتْ مِنْهُمْ فِي
اللَّوْمِ أَخْلَاقٌ " عَلَّتْ بِأَعْنَاقِهِمْ أَيْدٍ مُقَقَّعَةٌ لَا بُورَكَتَ مِنْهُمْ أَيْدٍ وَأَعْنَاقٌ كَأَنَّمَا
بَيْنَهُمْ فِي مَنَعِ سَائِلِهِمْ وَحَسِبَ نَائِلِهِمْ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ كَمِ سَفْتِهِمْ بِأَمَادِيحِي
وَقُدَّتُهُمْ نَحْوَ الْمَعَالِي فَمَا انْقَادُوا وَلَا انْسَاقُوا وَإِنْ تَبَا بِي فِي سَاحَاتِهِمْ وَطُنْ
فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالنَّاسُ أَفْرَاقٌ مَا كُنْتُ أَوْلَى ظَمَانٍ بِمَهْمَةٍ يَغْرُهُ مِنْ سِرَابِ
الْقَفْرِ رَقْرَاقٍ رَزَقٌ مِنَ اللَّهِ أَرْضَاهُمْ وَأَسْخَطَنِي اللَّهُ لِلْأَنْوَكِ الْمَعْتُوهِ رَزَاقٍ يَا
قَابِضَ الْكَفِّ لَا زَالَتْ مُقَبَّضَةٌ فَمَا أَنَامِلُهَا لِلنَّاسِ أَرْزَاقٌ وَعِجْبٌ إِذَا شِئْتَ حَتَّى لَا
تُرَى أَبَدًا فَمَا لِفَقْدِكَ فِي الْأَحْشَاءِ إِقْلَاقٌ وَلَا إِلَيْكَ سَبِيلُ الْجُودِ شَارِعَةٌ وَلَا
عَلَيْكَ لِنُورِ الْمَجْدِ إِشْرَاقٌ لَمْ يَكْتَنِفْنِي رَجَاءٌ لَا وَلَا أَمَلٌ إِلَّا تَكْتَفُهُ دُلٌّ وَإِمْلَاقٌ
يَتَحَامَوْنَ لِقَائِي مِثْلَ مَا يَتَحَامَوْنَ لِقَاءِ الْأَسَدِ طَلَعْتِي أَثْقَلُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَعَلَى
أَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَدٌ لَوْ رَأَوْنِي وَسَطَ بَحْرٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَأْخُذُ مِنْهُمْ بِيَدِي "

▲ باب في الكبر

قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: العظمة إزاري
والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قصمته وأهنته.

وقال عليه السلام: لا يدخل حصرة القدس مُتَكَبِّرٌ.

وقال: فضل الإزار في النار.

معناه: من سحب ذيلَه في الخِيلاء قاده ذلك إلى النار.

و " تَظَرُّ الحَسَنُ إِلَى عبدِ اللَّهِ بنِ الأَهْتَمِ يَحْطِرُ فِي المَسْجِدِ فَقَالَ: انظُرُوا إِلَى هَذَا لَيْسَ مِنْهُ عَضُو إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ وَلِلشَّيْطَانِ فِي لَعْنَةٍ.

وقال سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ لابنِهِ: يَا بُنَيَّ: إِيَّاكَ وَالكِبَرَ وَلِيَكُنْ فِيمَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَرْكِهِ: عِلْمُكَ بِالَّذِي مِنْهُ كُنْتَ وَالَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ وَكَيْفَ الكِبَرِ مَعَ النُّطْفَةِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقْتَ وَالرَّجْمَ الَّتِي مِنْهَا قُذِفْتَ وَالغُدَّاءَ الَّتِي بِهِ عُدِّيتُ.

وقال يحيى بن حَيَّانَ: الشَّرِيفُ إِذَا تَقَوَّى تَوَاصَعَ وَالوَضِيعُ إِذَا تَقَوَّى تَكَبَّرَ.

وقال بعضُ الحُكَمَاءِ: كَيْفَ يَسْتَقِفُّ الكِبَرَ فِيمَنْ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ وَطُوي عَلَى القَدَرِ وَجَرى مَجْرَى البُولِ.

وذكر الحَسَنُ المُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ: يُلْفِي أَحَدُهُم يَنْصُ " رَقَبَتَهُ " نَصًّا يَنْفِضُ مَذْرُوبَهُ وَيَضْرِبُ أَصْدَرِيهِ يَمْلُخُ فِي الباطِلِ مَلَخًا يَقُولُ: هَا أَنَا ذَا فَاعْرِفُونِي قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا أَحْمَقُ مَقْتِكَ اللَّهُ وَمَقْتِكَ الصَّالِحُونَ.

وَوَقَفَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بِيابِ عَمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: اسْتَأْذِنُوا لِي عَلَى أميرِ المُؤْمِنِينَ وَقُولُوا لَهُ: هَذَا ابنُ الأَخْيَارِ بِالبَابِ.

فَأذِنَ لَهُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: أَنْتَ ابنُ الأَخْيَارِ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَهُ: بَلْ أَنْتَ ابنُ الأَشْرَارِ وَأما ابنُ الأَخْيَارِ فَهُوَ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ.

وقيل لعبيد الله بن ظَبْيَانَ: كثر الله في العَشِيرَةِ أمثالك فقال: لقد سألتُمُ اللَّهَ شَطَطًا.

وقيل لرجُلٍ من بني عبد الدَّارِ عَظِيمِ الكِبَرِ: أَلَا تَأْتِي الخَلِيفَةَ قَالَ: أَخشى أَلَا يَحْمِلَ الجِسْرُ شَرَفِي.

وقيل له: أَلَا تَلْبَسُ فَإِنَّ البَرْدَ شَدِيدٌ قَالَ: حَسْبِي يُدْفِنِي.

قيل للحجاج: كيف وجدت منزلَك بالعِراقِ أيها الأمير قال: حَيْرَ مَنْزِلٍ لَوْ أدْرَكْتُ بِهَا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ فَتَقَرَّبْتُ إِلَى اللَّهِ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِدِمَائِهِمْ قِيلَ لَهُ: وَمَنْ هُمْ قَالَ: مُقاتِلُ بنِ مِسْمَعٍ وَليُّ سِجِسْتَانَ فَاتَاهُ النَّاسُ فَأَعْطَاهُمُ الأَمْوَالَ فَلَمَّا قَدِمَ البَصْرَةَ بَسَطَ لَهُ النَّاسُ أَرْدِيَّتَهُمْ فَمَشَى عَلَيْهَا فَقَالَ: لِمِثْلِ هَذَا فليعملِ العَامِلُونَ.

وعبيد الله بن ظَبْيَانَ خَطَبَ حُطْبَةً أَوْجَزَ فِيهَا فناداهُ النَّاسُ مِنْ أَعْرَاضِ المَسْجِدِ.

كثَّرَ اللَّهُ فِينا أمثالك قال: لقد كَلَّفْتُم رِبْكَمُ شَطَطًا.

ومَعْبُدُ بنُ زُرَّارَةَ كانَ ذاتَ يَوْمٍ جالِسًا عَلَى طَرِيقٍ فَمَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا عبدَ اللَّهِ ابنَ الطَّرِيقِ لِمَ كانَ كَذَا فَقَالَ لِمِثْلِي يُقالُ يَا عبدَ اللَّهِ! وَبِلكَ! وَأبو السَّمَّالِ الحَتَفِيُّ أَضَلَّ نَاقَتَهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ لئنَ لَمْ تُرَدِّ عَلَيَّ نَاقَتِي لا صَليْتُ أَبَدًا.

وقال ناقلُ الحديث: وتَسي الحجاجَ نَفْسَه وهو خامسُ هؤلاء الأربعة بل هو أشدُّهم كُفْراً وأَعْظَمهم إحداداً حين كتب إلى عبد الملك بن مروان في عَطْسَة عَطَسها فَتَسَمَّتْه أصحابُه وردَ عليهم: بلغني ما كان من عَطاس أمير المؤمنين وتَسَميت أصحابه له وردّه عليهم فيا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

وكتابه إليه: إِنَّ خَلِيفَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْ رَسُولِهِ إِلَيْهِمْ وَكَذَلِكَ الْخُلَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

العُتْبِيُّ قال: رأيتُ مُحْرِزاً مولى باهلة يَطُوفُ على بَعْلَة بين الصِّفا والمَرُوة ثم رأيتُه بعد ذلك على جِسْر بَعْداد راجلاً فقلتُ له: أراجلُ أنتَ في مِثْلِ هذا المَوْضِع قال: نعم إنِّي ركبْتُ في مَوْضِع يَمْشِي الناسُ فيه فكان حقيقاً على الله أن يَرْجُلني في مَوْضِع يَرْكب الناسُ فيه.

وقال بعضُ الحكماء " لابنه: يا بُني عليك بالترحيب والبشر وإياك والتَّقْطِيبَ والكبر فإنَّ الأحرارَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ أَنْ يَلْقَوْا بما يُحِبُّونَ وَبُحْرَمُوا مِنْ أَنْ يَلْقَوْا بما يكرهون وَيَعْطَوْا.

فانظر إلى حَصَلَة عَطَّتْ على مِثْلِ اللُّؤْم فالزمها وانظر إلى حَصَلَة عَقَّتْ على مثل الكرة فاجتنبها.

ألم تسمع قول حاتم الطائي: أَصاحك ضيفي قبل إنزال رَحْله ويُخصب عندي المَحَلَّ جديبٌ وما الخِصبُ للأضياف أن يَكْتَر القِرَى ولكنما وجهُ الكريمِ حَصِيبٌ وقال محمود الوراق: التَّيِّه مَفْسُدةٌ لِلدِّينِ منقصةٌ للعقل لمجلبةٌ للذمِّ والسَخَطِ مَنَعُ العطاءِ وَيَسْطُ الوجهُ أَحْسَنُ مِنْ بَدَلِ العطاءِ بِوَجْهِ غير منبسطٍ وقال أيضاً: بَشْرُ البخيلِ يكاد يَصْلِحُ بُخْلُه والتَّيِّهُ مَفْسُدةٌ لكلِّ جوادٍ ونقيصةٌ تَقَى على أيامه ومَسِيَّةٌ فِي الأهلِ والأولادِ وقال آخر في الكبير: مع الأرض يا بَنَ الأرض في الطَّيرانِ أَنأملُ أن تَرَقَى إلى الدَّبْرانِ حَمَاهُ مَكَانُ البُعدِ مِنْ أَنْ تَناله بِسَهْمٍ مِنَ التَّلوى يَدُ الحَدَثانِ التَّسامحُ مع النعمة والتذللُ مع المصيبة قالوا: مَنْ عَزَّ بِاقبالِ الدَّهْرِ دَلَّ بِإِداره.

وقالوا: مَنْ أَبْطَره الغنى أَذَلَّه الفقر.

وقالوا: مَنْ وَلِيَ ولايةَ يَرى نَفْسَه أكبرَ منها لم يتغَيَّر لها وَمَنْ وَلِيَ ولايةً يراها أكبرَ من نفسه تَغْيِر لها.

وقال يحيى بن حَيَّان: الشَّرِيفُ إذا تقَوَّى تواضعَ والوضيعُ إذا تقَوَّى تكبَّر.

وقال كِسرى: احذِّروا صَوْلَةَ الكريمِ إذا جاعَ واللَّيْمِ إذا شَبِعَ.

وكتب عليُّ بن الجَهْمِ إلى ابن الزُّبَياتِ: أبا جعفر عرج على خُلطائِكَ وأقصر قليلاً من مَدَى عُلوئِكَ فإن كنتَ قد أوتيت في اليومِ رَفْعَةً فإنَّ رَجائِي في عَدِّ كِرْجائِكَ وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي: إذا نال لم يَفْرَحَ وليس لِنَكْبَةِ أَلَمَتْ به بالخاشعِ المُتَضائلِ وقال الحسنُ بن هانئ: لقد حَزِنْتُ فَلَم أُمَّتْ تَرَحاً ولقد قَرِحْتُ فَلَم أُمَّتْ قَرَحاً كتب عَقيلُ بن أبي طالبٍ إلى أخيه عليِّ بن أبي

طالب عليه السلام يسأله عن حاله فكتب إليه علي رضي الله عنه: فإن تسأليني كيف أنت فإنني جليدٌ على عَص الزمان صليبٌ عزيزٌ عليّ أن تُرى بي كابةٌ فيفرح واش أو يُسَاء حبيب ما جاء في ذم الحمق والجهل قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الجاهل يظلم من خالطه ويعتدي علي من هو دونه ويتناول علي من هو فوقه ويتكلم بغير تمييز وإن رأى كريمةً أعرض عنها وإن عرّضت فننة أزدته وتهوّر فيها.

وقال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العُجب وكثرة المنطق وأن ينهى عن شيء ويأتيه.

وقال أزدشير: حسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل الناس تنفر منه وتغضب من أن تُنسب وكان يُقال: لا تُعزرك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها.

وقيل: حصلتان تقرّبانك من الأحق كثرة الالتفات وسرعة الجواب.

وقيل: لا تصطحب الجاهل فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

ولبعضهم: لكل داءٍ دواءٌ يستطب به إلا حماقة أعيت من يداويها ولأبي العتاهية: أخذ الأحمق أن تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخلق كلما رفعته من جانب رعرعته الريح يوماً فأنخرق أو كصدع في رُجاج فاحش هل ترى صدع رُجاج يلتصق فإذا عاتبته كي يرعوي زاد شراً وتمادى في الحمق

▲ باب في التواضع

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من تواضع لله رفعه الله.

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أفصل الرجال من تواضع عن رفعة ورهد عن فُدرة وأنصف عن قوة.

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أكبر من شرفك.

وأصبح النجاشي يوماً جالساً على الأرض والتأج عليه فأعظمت بطارقته ذلك وسأله عن السبب الذي أوجبه فقال: إني وجدت فيما أنزل الله على المسيح: إذا أنعمت على عبيدي نعمة فتواضع أتممتها عليه وإنه ولد لي هذه الليلة غلام فتواضعتُ شكراً لله.

خرج عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وبده على المعلّى بن الجارود العبديّ فلقيناه امرأه من فريش فقالت له: يا عمر قوقف لها فقالت: كنا نعرفك مدةً عميراً ثم صرت من بعد عميرٍ ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين فاتق الله يا بن الخطاب وانظر في أمور الناس فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي القوت.

فقال المعلّى: إيهأ يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين.

فقال له عُمر: اسكت أتدري من هذه " ويحك " هذه حَوَلة بنت حَكيم التي سمع الله قولها من سمائه فَعَمَّرَ أُحْرَى أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَهَا وَيَقْتَدِي بِهِ .

وقال أبو عَبَّاد " الكاتب ": ما جَلَسَ إِلَيَّ رَجُلٌ قَطًّا إِلَّا خَيَّلَ إِلَيَّ أَبِي سَاجِلِسَ إِلَيْهِ .

وَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنِ التَّوَاضُعِ فَقَالَ: هُوَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْنِكَ فَلَا تَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَأَيْتَ لَهُ الْفَضْلَ وَقَالَ رَجُلٌ لَبَّكَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: عَلَّمَنِي التَّوَاضُعَ فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقَنِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَإِذَا رَأَيْتَ " مَنْ هُوَ " أَصْغَرُ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقْتُهُ إِلَى الذُّنُوبِ وَالْعَمَلِ السَّيِّئِ فَأَنَا شَرُّ مِنْهُ .

وقال أبو العتاهية: يَا مَنْ تَشَرَّفَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَيْسَ التَّشَرُّفَ رَفَعَ الطَّيِّبِينَ بِالطَّيِّبِينَ إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلَّهُمْ فَانظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينٍ " ذَاكَ الَّذِي عَظَّمْتَ فِي النَّاسِ هِمَّتَهُ وَذَلِكَ يَصْلِحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ " الْرَّفِيقُ وَالْإِيَّاهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أُوْتِيَ حِظَّهُ مِنَ الرَّفِّقِ فَقَدْ أُوتِيَ حِظَّهُ مِنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقالت الحُكَمَاءُ: يُدْرِكُ بِالرَّفِّقِ مَا لَا يُدْرِكُ بِالْعَنْفِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ عَلَى لِيْنِهِ يَقْطَعُ الْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ وَقَالَ أَشْجَعُ " بْنُ عَمْرٍو " الْإِسْلِمِيُّ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ: وَقَالَ النَّابِغَةُ: الرَّفِيقُ يُؤْمِنُ وَالْإِنَاةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ فِي رَفِّقٍ تُلَاقِ تَجَاحًا وَقَالُوا: الْعَجَلُ بَرِيدُ الرَّزْلِ .

أَخَذَ الْقَطَامِي التَّغْلِيْبِيَّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ: قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّيُّ بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الرَّزْلُ وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ رَيْدٍ: قَدْ يُدْرِكُ الْمُبْطِئُ مِنْ حِظِّهِ وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ اسْتِرَاحَةَ الرَّجُلِ بِمَكْنُونِ سِرِّهِ إِلَى صَدِيقَةٍ تَقُولُ الْعَرَبُ: أَفْصَيْتُ إِلَيْكَ بِشُقُورِي .

وَأَطْلَعْتُكَ عَلَى عَجْرِي وَبُجْرِي .

لو كان في جسدي برص ما كتمته .

وقال الله تبارك وتعالى: " لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ " .

وقالت الحكماء: لكلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ .

وقالوا: مكاتمة الأذنين صرِيحُ العُقوقِ .

وَأَبْتَثْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَنْجِرَعُ " وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَيَّ ذِي حَفِيظَةٍ إِذَا جَعَلْتُ أَسْرَارُ نَفْسٍ تَطَّلِعُ " وَقَالَ حَبِيبٌ: شَكُوتُ مَا الشُّكْوَى لِمِثْلِي عَادَةٌ وَلَكِنْ تَفِيضُ النَّفْسِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدَ الْبَصْرِيَّ: لَعِبَ الْهَوَى بِمَعَالِمِي وَرُسُومِي وَدُفِنْتُ حَيًّا تَحْتَ رَدْمِ هُمُومِي وَشَكُوتُ هَمِّي حِينَ ضِفْتُ وَمَنْ شَكَا هَمًّا يَضِيقُ بِهِ فِغِيرَ مَلُومٍ وَقَالَ آخَرٌ: إِذَا لَمْ أُطِقْ صَبْرًا رَجَعْتُ إِلَيَّ الشُّكْوَى وَنَادَيْتُ تَحْتَ اللَّيْلِ يَا سَامِعَ النَّجْوَى وَأَمْطَرْتَ صَخْنَ الْحَدِّ غَيْثًا مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى كَيْدِ حَرَى لِتَرَوَى فَمَا تَرَوَى

الاستدلال باللحظ على الضمير قالت الحكماء: العينُ باب القلب فما كان في القلب ظهر في العين.

أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس بن مُصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال: إني لأعرف في العين إذا عرفت وأعرف فيها إذا أنكرت وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تُنكر أما إذا عرفت فتخوَصُّ وأما إذا أنكرت فتَجَحُّظ وأما إذا لم تعرف ولم تُنكر فتَسُجُو.

وقال صريعُ العَواني: جَلنا عَلامات المَوَدَّة بَيْننا مَصابِدَ لَحَظٍ هَنَ أَخفي من السَّخْرِ فَأَعرفُ فيها الوَصلَ في لَين طَرَفِها وَأَعرفُ فيها الهَجَرَ في النَظر الشَّرُّ وقال محمودُ الوَرَّاق: إِنَّ العَيونَ على القُلُوبِ شَواهِدُ فَبِغِضِها لَكَ بَينٌ وحبِّها وإذا تَلاَحَظت العَيونُ تَفاوَضت وتحدَّثت عما تَجنُّ قلوبها يَنطَفِنُ والأقوَاهُ صامِتَةٌ فما يَخفي عليك بَريئُها ومُريبُها وقال ابن أبي حازم: خِذْ مِنَ العَيشِ ما كَفَى ومِن الدَّهرِ ما صَفا عَينَ من لا يُحِبُّ وَصَلِّكَ تُبَدِّي لَكَ الحَقَّ ومن قولنا في هذا المعنى: صاحب في الحب مَكْذُوبٌ دَمْعَةٌ للشوق مَسْكُوبٌ وقال الحسنُ بن هانئ: وإِني لِطَيرِ العَينِ بِالعَينِ زاجِرٌ فَقَد كِذْتُ لا يَخفي عَلَيَّ صَمِيمُ الاستدلال بالضمير على الضمير كتب حَكِيمٌ إلى حَكِيمٍ: إذا أَرَدتَ مَعرِفَةَ مالِكَ عَينِدي فَصَعِّ يَدَكَ على صَدْرِكَ فَكما تَجدُني كَذلكَ أَجدُكَ.

وقالوا: إِيَّاكم وَمَن تُبغِضه قلوبُكم فَإِنَّ القُلُوبَ تُجَازي القلوبَ.

وقال ذو الإصبع: لا أَسأَلُ الناسَ عَمَّا في صَمائِرِهِم ما في ضميري لهم مِن ذاك يَكفِيني وقال محمودُ الوَرَّاق: لا تَسأَلِني المَرءَ عَمَّا عَينِده واسْتَمَلْ ما في قلبه من قَلبِكَ إِنْ كان بَعْضاً كان عَندَكَ مِثْلُه أو كان حُبًّا فاز مَنكَ بِحَبِّكَ الإِصابة بالظن قيل لعمرو بن العاص: ما العَقلُ قال الإِصابة بالظن وَمَعرِفَةُ ما يكون بما قد كان.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لله دُرٌّ عَباسُ إِنْ كان لِينظر إلى العَيبِ من سِترِ رَقيقٍ.

وقال البشاعر: وَقَلِّمًا يَفْجأ المَكْرُوهُ صاحِبَه حتى يَري لوجوه الشَّرِّ أَسباباً وإِنما رَكِبَ الله العَقلَ في الإنسان دون سائر الحَيوانِ لِيستَدلَّ بالظاهر على الباطن وَيَفْهَمَ الكَثيرَ بالقليلِ.

ومن قولنا في هذا المعنى: يا غافلاً ما يَري إِلا مَحاسِنَه ولو دَرى ما رَأى إِلا مَساوِيَه انظر إلى باطن الدُّنيا فظاهِرُها كِلِ البهائمِ يَجري طَرَفُها فيه تَقديم القِراية وتَفضيل المَعارِفِ قال الشَّيباني: أَوَّلُ مَن أَثر القِراية والأولياء عثمانُ بن عَمانَ رضي الله عنه وقال: كان عَمْرُ بن الخَطابِ رضي الله عنه يَمنع أَقارِبَه ابتِغاءَ وجهِ الله.

فلا يَري أَفضلَ من عَمِر.

وقال لما أَوى طَريدَ النبي صَلى الله عليه وسلم: ما تَعمُ الناسُ عَلَيَّ أَن وصلْتُ رَحماً وَقَرَّيتُ وَقيلَ لَمُعَاويةَ بنِ أبي سُفيانٍ: إِنَّ أَدِنتَكَ يُقدِّمُ مَعارِفَه وأَصدقاءَه في الإِذنِ على أَشرافِ الناسِ وُجُوهِهم فقال: وَبِلَكم! إِنَّ المَعرِفَةَ

لَتَنْفَع فِي الْكَلْبِ الْعَقُورِ وَالْجَمَلِ الصَّوُولِ فَكَيْفَ فِي رَجُلٍ حَسِيبٍ ذِي كَرَمٍ
وَدِينٍ.

وقال رجلٌ لزيد: أصلح الله الأمير إن هذا يُدِلُّ بِمَكَانَةٍ يَدَّعِيهَا مِنْكَ قَالَ: نَعَمْ
وَأَخْبِرْكَ بِمَا يَنْفَعُهُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ كَانَ الْحَقُّ لَهْ عَلَيْكَ أَخَذْتُكَ بِهِ أَخْذًا شَدِيدًا وَإِنْ
كَانَ لَكَ عَلَيْهِ قَضِيَّتُهُ عَنْهُ.

وقال الشاعر: أَقُولُ لَجَارِي إِنْ أَتَانِي مُخَاصِمًا يَدِلُّ بِحَقِّ أَوْ يُدِلُّ بِبَاطِلٍ إِذَا لَمْ
يَصِلْ خَيْرِي وَأَنْتَ مُجَاوِرِي إِلَيْكَ فَمَا شَرِّي إِلَيْكَ بِوَاصِلِ الْعُنْبِيِّ قَالَ: وَوَلِيَّ عَبْدَ
اللَّهِ بَنِي خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ " قَضَاءٌ " الْبَصْرَةَ فَكَانَ يُحَابِي أَهْلَ مَوَدَّتِهِ
فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَا أَنْكَ تُحَابِي! قَالَ: وَمَا حَيْرَ الصَّدِيقِ إِذَا لَمْ يَقْطَعْ
لصَدِيقِهِ قِطْعَةً مِنْ دِينِهِ.

وَوَلِيَّ ابْنِ شُبْرَمَةَ قَضَاءَ الْبَصْرَةَ وَهُوَ كَارِهِ فَاحْسَنِ السَّيْرَةَ.

فلما عَزَلَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ خَاصَّتِهِ وَمَوَدَّتِهِ فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ وَوَلِيْتُ هَذِهِ
الْوِلَايَةَ وَأَنَا كَارِهٌِ وَعَزَلْتُ عَنْهَا وَأَنَا كَارِهٌِ وَمَا بِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَخَافَةٌ أَنْ يَلِيَّ
هَذِهِ الْوُجُوهَ مِنْ لَا يَعْرِفُ حَقَّهَا.

ثم تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: بَلَى إِنْ أَقْوَامًا أَخَافُ عَلَيْهِمْ إِذَا مِتُّ أَنْ يُعْطُوا الَّذِي
كُنْتُ أَمْنَعُ " وَتَقُولُ الْعَامَّةُ: مَحَبَّةُ السُّلْطَانِ أَرَدَّ عَلَيْكَ مِنْ شُهُودِكَ " وَقَالَ
الشَّاعِرُ: إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ حَصْمًا فَلَيْسَ بِقَابِلٍ مِنْكَ الشُّهُودًا وَقَالَ زَيْدٌ:
أَحِبَّ الْوِلَايَةَ لثَلَاثٍ وَأَكْرَهَهَا لثَلَاثٍ: أَحِبَّهَا لِتَنْفَعِ الْأَوْلِيَاءَ وَضُرَّ الْأَعْدَاءَ
وَاسْتَرَخَاصَ الْأَشْيَاءِ وَأَكْرَهَهَا لِرُوعَةِ الْبَرِيدِ وَقُرْبِ الْعَزْلِ وَسَمَاتَةِ الْعَدُوِّ.

ويقول الحكماء: أَحَقُّ مَنْ شَارَكَكَ فِي التَّعَمَّةِ شُرَكَاءُكَ فِي الْمُصِيبَةِ.

أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ: وَإِنْ أَوْلَى الْمَوَالِي أَنْ تُوَاسِيَهُ عِنْدَ السُّرُورِ لِمَنْ آسَاكَ
فِي الْحَزَنِ إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَشِينِ
وَقَالَ حَبِيبٌ: قَبِحَ إِلَهُ عِدَاوَةٍ لَا تُنْقَى وَمَوَدَّةٌ يُذَلَّى بِهَا لَا تَنْفَعُ فَضْلَ الْعَشِيرَةِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَشِيرَةُ الرَّجُلِ خَيْرٌ لِلرَّجُلِ مِنْ
الرَّجُلِ لِلْعَشِيرَةِ إِنْ كَفَّ عَنْهُمْ يَدًا وَاحِدَةً كَفَّوا عَنْهُ أَيْدِيًا كَثِيرَةً مَعَ مَوَدَّتِهِمْ
وَحِقَاقَتِهِمْ وَتَضَرَّتِهِمْ.

إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْضَبُ لِلرَّجُلِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا بِنَسَبِهِ وَسَأَلُوا عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ " تَعَالَى " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا حَكَاهُ عَنْ لُوطَ: " لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ
قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ " ! يَعْنِي الْعَشِيرَةَ وَلَمْ يَكُنْ لِلُّوطِ عَشِيرَةٌ: فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا فِي تَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ مِنْ
عَشِيرَتِهِ ثُمَّ ذَكَرَ شُعْبِيًّا إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: " إِنَّا لَتَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَحِمْنَاكَ " وَكَانَ مَكْفُوفًا وَاللَّهُ مَا هَابُوا " اللَّهُ وَلَا هَابُوا " إِلَّا عَشِيرَتَهُ.

وقبل لِبُرْجُمِهِرٍ: مَا تَقُولُ فِي ابْنِ الْعَمِّ قَالَ: هُوَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ.

الدَّيْنُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: الدَّيْنُ
يُنْقِصُ ذَا الْحَسَبِ.

وقال عمر " ألا إن " لأَسِيفِعُ أُسِيفِعُ جُهينة رَضِي مِن دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ أَنْ يُقَالَ:
سَبَقَ الْجِلْحَ أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ أَدَانَ مُعْرِضًا وَأَصْبَحَ قَدْرَيْنَ بِهِ فَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ
شَيْءٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْغَدَاةِ وَقَالَ مَوْلَى قُضَاعَةَ: فَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ
عَلِيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ
أَدِينَهُ وَتَغَرَّمَا وَقَالَ آخَرُ: إِذَا مَا قَضَيْتَ الدَّيْنَ بِالَّذِينَ لَمْ يَكُنْ قَضَاءً وَلَكِنْ كَانَ
عُزْمًا عَلَى عُزْمٍ وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: الدَّيْنُ هُمْ بِاللَّيْلِ وَذُلٌّ بِالنَّهَارِ فَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ أَنْ يُذِلَّ عَبْدًا جَعَلَهُ قِلَادَةً فِي عُنُقِهِ.

ورأى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً مُتَقَنَّعًا فقال له: كان لقمان
الحكيم يقول: الفِئَاعُ رِيْبَةٌ بِاللَّيْلِ ذُلٌّ بِالنَّهَارِ فقال الرجلُ: إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لَمْ
يَكُنْ عَلَيْهِ دِينٌ.

وقال المقنع الكندي: يَعْيِبُونَنِي بِالَّذِينَ قَوْمِي وَإِنَّمَا تَدَايِنْتُ فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ
حَمْدًا إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لِحَوْمِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنِيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وقالت الحكماء: لَيْسَ لِكَذِّابٍ مُرْوَعَةٌ.

وقالوا: مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَجُزْ صِدْقُهُ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ.

وقال: لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا.

وقال عبد الله بن عمر: خُلْفُ الْوَعْدِ ثُلُثُ التَّفَاقُقِ.

وقال حبيب الطائي في عيَّاش: يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعَدَا حَسْبُوهُ خُلْفٌ وَأَكْثَرَ النَّاسِ
قَوْلًا حَسْبُوهُ كَذِبٌ وَمَنْ قَوْلُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: صَحِيفَةٌ أَفْنِيَتْ لَيْتَ بِهَا وَعَسَى
عُنْوَانُهَا رَاحَةُ الرَّاجِي إِذَا يَتَسَاوَعَدٌ لَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ بَرِمَتْ أَحْشَاءُ
صَدْرِي بِهِ مِنْ طَوْلٍ مَا أَنْحَسَا مَوَاعِدُ عَرَّيْنِي مِنْهَا وَمِيزُ سَنَى حَتَّى مَدَدْتُ
أَبْهَا الْكَفَّ مَقْتَبِسًا قَصَادِفَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمَةٍ بَعْصًا مُوسَى لَمَا
أَبْتَجَسَا كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ بُخْلِ وَمَنْ كَذِبَ فَكَانَ ذَاكَ لَهُ رُوحًا وَذَا تَفَسَا وَالْقَوْلُ بِهِ
اعْلَمْ أَنَّ السَّامِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ فِي الشَّرِّ.

قال الله " تعالى " : " سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ " .

وقال العُتْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعْدِ الْقَصِيرِ قَالَ: نَظَرَ إِلَيَّ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ
وَرَجُلٌ يَسْتُمُّ رَجُلًا بَيْنَ يَدَيَّ فَقَالَ لِي وَبِلكَ - وَمَا قَالَ لِي وَبِلكَ قَبْلَهَا - تَرَهُ
سَمَعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْحَنَّا كَمَا تُنَرُّهُ لِسَاتِكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ فَإِنَّ السَّامِعَ شَرِيكَ
الْقَائِلِ وَإِنَّهُ عَمَدٌ إِلَى شَرِّ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَعُهُ فِي وَعَائِكَ وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةٌ
جَاهِلٌ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا سَقَى قَائِلُهَا.

باب الأدب في العيادة مريض

أبو عمرو بن العلاء فدَحَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ: أَرِيدُ أَنْ أُسَاهَرَكَ
الليلة قال له: أَنْتَ مُعَافِي وَأَنَا مَبْتَلِي فَالْعَافِيَةُ لَا تَدَعُكَ أَنْ تَسْهَرَ وَالبَلَاءُ لَا
يَدَعُنِي أَنْ أَنَامَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لِأَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ وَلِأَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ.

وَدَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةَ عَلِيٍّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ سُورُوكَ لَا يَتَمُّ إِلَّا بِأَنْ تَسْلَمَ وَأَسْقَمَ لِدَعْوَتِ رَبِّي أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كَنْفِكَ النَّعْمَةَ.

فَضَحِكُ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: وَنَعُوذُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ عَيْرِنَا لَيْتَ التَّشَكِّيَ كَانَ بِالْعَوَادِ لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَقَدَيْتُهُ بِالْمُصْطَفِيِّ مِنْ طَارِفِي وَتَلَادِي وَكَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى عَلِيٍّ: بُنِّتُ أَنتَ مُعْتَلٌّ فَقَلْتُ لَهُمْ تَفْسِي الْفِدَاءَ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ يَا لَيْتَ عَلْتَهُ بِي تَمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَأَتِي غَيْرُ مَا جُورٍ وَكَتَبَ آخَرَ إِلَى عَلِيٍّ: وَقَبَيْتَكَ لَوْ تُعْطَى الْهَوَى فَيْكَ وَالْمُنَى لَكَانَ بِنَا الشُّكُوى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ وَكَانَ شَاعِرٌ يَخْتَلِفُ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَيَمْتَدِّحُهُ فَعَابَ عَنْهُ أَيَّامًا لَعَلَّةَ عَرَضَتْ لَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَكْرَمَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي بَقَاءً طَوِيلًا أَحْمِيلاً تَرَاهُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ لَكَيْمًا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا أَتَيْتِي قَدْ أَقْمَتُ عِنْتُكَ قَلِيلًا لَا تُبْرَى مُنْفِذًا إِلَيَّ رَسُولا أَلْذَنْبَ فَمَا عَلِمْتُ سِوَى الشُّكِّ رَ لِمَا قَدْ أَوْلَيْتَنِيهِ حَزِيلًا أَمْ مَلَاً فَمَا عَلِمْتُكَ لِلْحَا فِظِ مِثْلِي عَلَى الرِّمَانِ مَلُولًا قَدْ أَتَى اللَّهَ بِالصَّلَاحِ فَمَا أَنْ كَرْتِ مِمَّا عَهْدْتُ إِلَّا قَلِيلًا وَأَكَلْتُ الدَّرَاجَ وَهُوَ غِذَاءٌ أَقَلْتُ عَلْتِي عَلَيْهِ أَفُولًا وَكَأَنَّي قَدِمْتُ قُبْلَكَ أَتِي كَ غَدًا إِنْ أَحْدُ إِلَيْكَ سَبِيلًا فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ يَعْتَذِرُ: دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ وَجَاهِشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَا دَاكَ مِنْ الْعِذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا وَلَعَلِّي لَوْ قَدْ عَلِمْتُ لَعَاوَدْتُكَ شَهْرًا وَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا أَعَزُّرُ عَلَى بَأْسِ أَرَاكَ عَلِيلاً أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلًا قَوَدَدْتُ أَتِي مَالِكُ لَسَلَامَتِي فَأَعْيَرَهَا لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا فَتَكُونَ تَبْقَى سَالِمًا بِسَلَامَتِي وَأَكُونَ مِمَّا قَدْ عَرَكَ بَدِيلًا هَذَا أَحُّ لَكَ يَسْتَكِي مَا تَشْتَكِي وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ حَلِيلًا وَمَرِيضٌ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحٍ الْكَاتِبُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ يَعُودُهُ وَقَفَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَدَعَا لَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَسْأَلُ الْحَاجِبَ عَنْ مَنَامِهِ وَشَرَابِهِ وَطَعَامِهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا عَادَنِي فِي مَرَضِي هَذَا إِلَّا إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحٍ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ: عِيَادَةُ الْمَرِّءِ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ وَجَلِسُهُ لَكَ مِثْلُ اللَّحْظِ بِالْعَيْنِ لَا تُبْرَمَنَّ مَرِيضًا فِي مُسَاءَلَةٍ يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ تَسْأَلُ بَحْرَفَيْنِ وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَادُوهُ فِي مَرَضِهِ فَأَطَالُوا الْجُلُوسَ عِنْدَهُ: الْمَرِيضُ يُعَادُ وَالصَّحِيحُ يُزَارُ.

وَقَالَ سَفِيَانُ التُّورِيُّ: حُمِقَ الْعَوَّادُ أَشَدُّ عَلَى الْمَرَضِيِّ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ يَجِيئُونَ فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَيَطِيلُونَ الْجُلُوسَ.

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ فَسَأَلَهُ عَنْ عَلْتِهِ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ: مِنْ هَذِهِ الْعَلَّةِ مَاتَ فُلَانٌ وَمَاتَ فُلَانٌ.

فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: إِذَا عُذْتُ الْمَرَضِيَّ فَلَا تَتَّعِ إِلَيْهِمُ الْمَوْتَى وَإِذَا خَرَجْتَ عَنَّا فَلَا تَعُدْ إِلَيْنَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَشِّرُوهُ لِيَلْقَى رَبَّهُ وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ وَلِقْنُوهُ الشَّهَادَةَ وَلَا تُضْجِرُوهُ.

وَمَرَضُ الْأَعْمَشِ فَأَبْرَمَهُ النَّاسُ بِالسُّؤَالِ عَنْ حَالِهِ فَكَتَبَ قِصَّتَهُ فِي كِتَابٍ وَجَعَلَهُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ قَالَ: عِنْدَكَ الْقِصَّةُ فِي الْكِتَابِ فَاقْرَأْهَا.

ولبعضهم: مَرَضَ الْحَبِيبُ فَعُدَّتْهُ فَمَرَضْتُ مِنْ حَدَرِي عَلَيْهِ وَأَتَى إِلَيَّ يَعْوِدُنِي
فَبَرَيْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ وَمَرَضَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَكَتَبَ إِلَيَّ أَخِيهِ
عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي وَجَدْتُ عَلَى جَعَا نِكَ مِنْ فِعَالِكَ شَاهِدًا إِنِّي اعْتَلَّتْ
فِي قَقْدُ ثُ سِوَى رَسُولِكَ عَائِدًا وَلَوْ اعْتَلَّتْ فَلَمْ أَحِدْ سَبِيًّا إِلَيْكَ مُسَاعِدًا
فَأَجَابَهُ: كُجِلْتَ مُقْلَتِي بِشَوْكِ الْقَتَادِ لَمْ أَذِقْ مُدَّ حُمَمَتِ طَعْمِ الرَّقَادِ يَا أَخِي
الْبَاذِلِ الْمَوْدَةَ وَالنَّازِلِ مِنْ مِقْلَتِي مَكَانَ السَّوَادِ مَنَعْتَنِي عَلَيْكَ رِقَّةَ قَلْبِي مِنْ
دُخُولِي إِلَيْكَ فِي الْعُودِ لَوْ يَأْذُنِي سَمِعْتُ مِنْكَ أُنِينًا لَتَقَرَّرَى مَعَ الْأَنِينِ فَوَادِي
وَلِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ: يَا عَلِيًّا أَقْدِيكَ مِنْ أَلْمِ الْعِلَّةِ هَلْ لِي إِلَى اللَّقَاءِ سَبِيلٌ إِنْ
يَحُلُّ! دُونَكَ الْحَجَابُ فَمَا يَحِبُّ عَنِي بَكَ الصَّنَى وَالْعَوِيلُ وَأَنْشُدُ مُحَمَّدُ بْنُ
يَزِيدٍ قَالَ أَنْشُدُنِي أَبُو دُهْمَانَ لِنَفْسِهِ وَقَدْ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ الْأَمْرَاءِ يَعُودُهُ:
بَأَنْفُسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالثُّلْدِ تَقِيكَ الَّذِي تُحْفِي مِنَ السَّقْمِ أَوْ تُبْدِي بِنَا مَعَشَرَ
الْعُودِ مَا بَكَ مِنْ أَدَى فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ قَبِي وَحْدِي وَكُتِبَ أَبُو تَمَامِ
الطَّائِبِي إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ فِي شِكَاةٍ لَهُ: كَمْ لَوْعَةٌ لِلتَّوَدَى وَكَمْ قَلْقٌ لِلْمَجْدِ
وَالْمَكْرَمَاتِ فِي قَلْبِكَ وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي شِكَاةٍ لَهُ
يَعُودُهُ فَقَالَ: اللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا وَكَلْنَا لِلْمَنَابِي دُونَهُ عَرَضَ فَلَيْتَ أَنْ
الَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضِ الْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا
عَوَضٌ وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عَوَضٌ فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ لَوْ يَأْذُنُ كُلُّ
عِبَادِ اللَّهِ وَانْقَرَضُوا وَقَالَ آخَرُ فِي بَعْضِ الْأَمْرَاءِ: وَاعْتَلَّ فَاَعْتَلَّتْ الدُّنْيَا لِعَلَّتِهِ
وَاعْتَلَّ فَاَعْتَلَّ فِيهِ الْبَاسُ وَالْكَرْمُ لَمَّا اسْتَقَلَّ أَنْارَ الْمَجْدِ وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ الصَّبَابَةُ
وَالْأَحْزَانُ وَالسَّقْمُ وَبَلَغَ قَيْسًا مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ أَنْ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ
فَقَالَ: يَقُولُونَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ فَمَا لَكَ تَجْفُوهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ شَفِيِّ اللَّهِ
مَرَضِي بِالْعِرَاقِ فَإِنِّي عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالْعِرَاقِ شَفِيقٌ وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
طَاهِرٍ: أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْهُ عَافِيَةً تُغْنِيكَ عَنْ دَعْوَتِي وَعَنْ جَلْدِكَ وَقَالَ غَيْرُهُ: يَا
أَمَلِي كَيْفَ أَنْتَ مِنْ أَلْمِكَ وَكَيْفَ مَا تَشْتَكِيهِ مِنْ سَقْمِكَ هَذَا يَوْمَانِ لِي
أَعَدَّهُمَا مُدٌّ لَمْ تَلَحْ لِي بُرُوقٌ مُبْتَسِمٌ حَسَدْتُ حُمَاكَ حِينَ قِيلَ لَنَا بِأَنَّهَا قَبَلْتِكَ
فَوْقَ قَمِكَ وَلِسَخِيمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ: تَجَمَّعْنَ شَتَى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ وَوَاحِدَةٍ
حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيًا وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الْخِيَامِ يَعْذُنُنِي أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيًا
وَاللَّعْبَاسِ بْنِ الْأَحْفِ: قَالَتْ مَرَضْتُ فَعُدَّتْهَا فَتَبَرَّمْتُ وَهِيَ الصَّحِيحَةُ وَالْمَرِيضُ
الْعَائِدُ وَاللَّهُ لَوْ قَسَمَتِ الْقُلُوبُ كَقَلْبِهَا مَا رَقَّ لِلْوَالِدِ الضَّعِيفِ الْوَالِدُ وَقَالَ
الْوَائِقُ: لَا بَكَ السَّقْمُ وَلَكِنْ كَانَ بِي وَبِنَفْسِي وَبِأَمِّي وَأَبِي قِيلَ لِي إِنَّكَ صُدَّعْتَ
فَمَا خَالَطْتَ سَمْعِي حَتَّى دِيرَ بِي وَقَوْلِكَ لِلْعُودِ كَيْفَ تَرُونَهُ فَقَالُوا قَتِيلًا قَلْتِ
أَهْوَنُ هَالِكٍ لَنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَاطَرْتُ بِبَالِكَ وَمَنْ
قَوْلُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: رُوحُ التَّوَدَى بَيْنَ أَثْوَابِ الْعُلَا وَصَبَّ يَعْتَنُّ فِي جَسَدِ
لِلْمَجْدِ مَوْصُوبٌ مَا أَنْتَ وَحَدَّكَ مَكْسُورًا شُحُوبَ صَنَى بَلْ كَلْنَا بَكَ مِنْ مُضِينِي
وَمَشْحُوبِ يَا مَنْ عَلَيْهِ حَجَابٌ مِنْ جَلَالَتِهِ وَإِنْ بَدَا لَكَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْجُوبِ الْقَى
عَلَيْكَ يَدًا لِلضَّرِّ كَاشِفَةً كَشَافُ ضُرِّ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ وَمِثْلَهُ مِنْ قَوْلِنَا: لَا عَرُوْا
نَالَ مِنْكَ السَّقْمُ وَالضَّرُّ قَدْ تُكْسِفُ الشَّمْسُ لَا بَلْ يُخَسِّفُ الْقَمَرَ يَا عُرَّةَ
الْقَمَرِ الدَّأْوِي عَضَارُهَا فِدَا لِنُورِكَ مَنِّي السَّمْعُ وَالْبَصَرُ إِنْ يُمَسُّ جَسْمَكَ
مَوْعُوكَا بِصَالِيَةٍ فَهَكَذَا يُوعَكُ الصَّرْغَامَةُ الْهَضْرَةُ أَنْتَ الْخُسَامُ فَإِنْ تُقَلِّ مَضَارُهَا
فَقَبْلَهُ مَا يُقَلِّ الصَّارِمُ الذِّكْرُ رُوحُ مِنَ الْمَجْدِ فِي جُثْمَانِ مَكْرَمَةٍ كَأَمَّا الصُّبْحُ
مِنْ حَدِيثِهِ يَنْفَجِرُ لِأَعْرُو إِنْ نَالَ مِنْكَ السَّقْمُ مَا سَالَا قَدْ يُكْسِفُ الْبَدْرَ أَحْيَانًا إِذَا
كَمَلَا مَا تَشْتَكِيهِ عَلَّةٌ فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً إِلَّا اشْتَكِي الْجُودَ مِنْ وَجَدٍ بِهَا عَلَا
الْأَدَبُ فِي الْإِعْتِنَاقِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَلِيِّ
بْنِ يُونُسَ الْمَدِينِيِّ " قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ مَالِكِ " بِنِ أَنْسَ " إِذَا سُفْيَانُ بْنُ

عُبَيْتَةٌ يَسْتَأْذِنُ بِالْبَابِ فَقَالَ مَالِكُ: رَجُلٌ صَالِحٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ أَدْخَلُوهُ فَدَخَلَ
 فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَردَّ السَّلَامَ فَقَالَ: سَلَامٌ خَاصٌّ
 وَعَامٌّ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَقَالَ مَالِكُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَصَاقَحَهُ مَالِكٌ وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْلَا أَنَّهُا يَدْعُو لِعَاتِقِنَاكَ فَقَالَ
 سُفْيَانُ: قَدْ عَانِقَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
 مَالِكُ: جَعْفَرًا قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ مَالِكُ: ذَاكَ حَدِيثٌ خَاصٌّ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَيْسَ بِعَامٍّ
 فَقَالَ سُفْيَانُ: مَا عَمَّ جَعْفَرًا يَعْمُنَا وَمَا خَصَّهُ يَخُصُّنَا إِذَا كُنَّا صَالِحِينَ أَفْتَأْذِنُ لِي
 أَنْ أَحَدَّثَ فِي مَجْلِسِكَ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ
 اعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبِلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: جَعْفَرُ أَشْبَهَ النَّاسَ
 بِي خَلْقًا

▲ باب الأدب في إصلاح المعيشة

قالوا: مَنْ أَشْبَعَ أَرْضَهُ عَمَلًا أَشْبَعَتْ " بَيْتَهُ " حُبْرًا.
 وقالوا: يَقُولُ الثُّوبُ لِصَاحِبِهِ: أَكْرَمَنِي دَاخِلًا أَكْرَمَكَ خَارِجًا.
 وقالت عائشة: المَغْرَلُ بِيَدِ الْمَرْأَةِ أَحْسَنُ مِنَ الرَّمْحِ بِيَدِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ.

وقال عمرُ بن الخطاب: لَا تَنْهَكُوا وَجْهَ الْأَرْضِ فَإِنْ شَحِمَهَا فِي وَجْهِهَا.
 وقال: فَرَّقُوا بَيْنَ الصَّنَايَا وَاجْعَلُوا مِنَ الرَّأْسِ رَأْسِينَ.

وقال: أَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّبْعِينَ.

وقال أبو بكر لعُلامٍ لَهُ كَانَ يَنْجُرُ بِالثِيَابِ: إِذَا كَانَ الثُّوبُ سَابِغًا فَانْشُرْهُ وَأَنْتَ
 قَائِمٌ وَإِذَا كَانَ قَصِيرًا فَانْشُرْهُ وَأَنْتَ جَالِسٌ وَإِنَّمَا الْبَيْعُ مِكَاسٌ.

وقال عبد الملك بن مَرْوَانَ: مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ فَلْيُصْلِحْهُ فَإِنَّهُ فِي زَمَانٍ
 إِنْ احتَاجَ فِيهِ فَأُولُو مَا يَبْدُلُ دِينَهُ.

▲ باب الأدب في المؤاكلة

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَلْيَشْرَبْ
 بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجُمَحِيُّ قَالَ: قَالَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ
 وَهُوَ أَمِيرُ عَلَى الْبَصْرَةِ لِلْجَارُودِ بْنِ أَبِي سَتْرَةَ الْهُذَلِيِّ: أَتَحْضِرُ طَعَامَ هَذَا
 الشَّيْخِ - يَعْنِي عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ - قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَصِيفِهِ لِي
 قَالَ: نَأْتِيهِ فَنَجِدُهُ مُنْبَطِحًا - يَعْنِي نَائِمًا - فَنَجْلِسُ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ فَيَأْذِنُ
 فَنُسَاقِطُهُ الْحَدِيثُ فَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ السَّمْعِ وَاسْتَمَاعَ وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ثُمَّ
 يَدْعُو بِمَائِدَتِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى جِوَارِيهِ وَأُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ أَنْ لَا تُلْطِفَهُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ
 إِلَّا " إِذَا وُضِعَتْ مَائِدَتُهُ ثُمَّ يُقْبَلُ حَبَازُهُ فَيَمْتَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَائِمًا فَيَقُولُ لَهُ: مَا
 عِنْدَكَ فَيَقُولُ: عِنْدِي كَذَا وَكَذَا فَيَعِدُّدُ مَا عِنْدَهُ - يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَحْبَسَ كُلَّ رَجُلٍ
 نَفْسَهُ وَشَهْوَتَهُ عَلَى مَا يَرِيدُ مِنَ الطَّعَامِ وَيُقْبِلُ الْأَلْوَانَ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا

فتوضع على المائدة ثم يُؤتي بشريفة بتهباء من القُفل رُقطاء من الجَمص ذات جِفافين من العُراق فيأكل مُعذراً حتى إذا ظنَّ أن القوم قد كادوا يمتثلون جتاً على رُكبتيه ثم استأنف الأكل معهم.

قال ابن أبي بُردة: لله ذرُّ عبد الأعلى ما أربطَ جأشَه على وقع الأضراس.

حضر أعرابيُّ سُفرةَ هشام بن عبد الملك فبينما هو يأكل معه إذ تعلقت شَعرةٌ في لُقمة الأعرابيِّ.

فقال له هشام: عندك شعرةٌ في لُقمتك يا أعرابيُّ فقال: وإنك لتلاحظني مُلاحظة من يرى الشُّعرة في لُقمتي والله لا أكلت عندك أبداً.

ثم خرج وهو يقول: وللموتُ خيرٌ من زيارة باخل يُلاحظ أطرافَ الأكيل على عَمَدِ محمد بن يزيد قال: أكل قائدٌ لأبي جعفر المنصور معه يوماً وكان على المائدة محمدٌ المهديُّ وصالحُ ابناه فبينما الرجلُ يأكل من ثريدة بين أيديهم إذ سَقَط بعضُ الطعام من فيه في العَصارة وكان المهديُّ وأخاه عاقاً الأكل معه فأخذ أبو جعفر الطعام الذي سَقَط من فم الرجل فأكله.

فالتفت إليه الرجلُ فقال: يا أمير المؤمنين أمّا الدُّنيا فهي أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك لكن والله لأتركن في مرضاتك الدُّنيا والآخرة.

وحدّث إبراهيم بن السنديُّ قال: كان فتىً من بني هاشم يَدْخُل على المنصور كثيراً " يُسلم من بعيد ويَنصرف ".

فأتاه يوماً فأدناه ثم دعاه إلى العَداء فقال: قد تغذيتُ.

فأمهله الربيعُ حاجبُ المنصور حتى ظنَّ أنه لم يفهم الخطيئة فلما انصرف وصار وراء السُّتر دَفَع في قَفاه.

فلما رأى من الحاجب دَفَعه في قَفاه سَكَا الفتى حالته وما ناله إلى عُمومته فأقبلوا من غد إلى أبي جعفر وقالوا: إنَّ الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا فقال لهم أبو جعفر: إنَّ الربيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفي يده حُجَّة فإن سئتم أمسكنا عن ذلك وأغضينا وإن سئتم سألتهم وأسئتمكم قالوا: بل يسأله أمير المؤمنين ونسمع.

فدعاه فسأله فقال: إنَّ هذا الفتى كان يأتي فيُسلم وينصرف من بعيد فلما كان أمس أدناه أمير المؤمنين حتى سلم من قُزب وتبذل بين يديه ودعاه إلى غدائه فبلغ من جهله بحق المَرتبة التي أحله فيها أن قال: قد تَغدَّيْتُ وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه في يده إلا سدَّ حَلَّة الجوع ومثل هذا لا يُقوِّمه القولُ دون الفعل.

فسكت القومُ وانصرفوا.

وقال بكر بن عبيد الله: أحق الناس بلطمة من أني طعاماً لم يُدعَ إليه وأحقُّ الناس بلطمتين من يقول له صاحب البيت اجلس ها هنا فيقول: لا ها هنا

وأحَقَّ الناس بثلاث لطمات من دُعي إلى طعام فقال لصاحب المنزل: ادْعُ رَبَّةَ الْبَيْتِ تَأْكُلْ مَعَنَا.

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: لا ينبغي للفتى أن يكون مُكْحَلًا ولا مُقَبَّبًا ولا مُكوكبًا ولا سُكامدًا ولا حرامدًا ولا نُقَامدًا ثم فسَّره فقال: أما المُكْحَلُ فالذي يتعزَّق العظم حتى يدَّعه كأنه مُكْحَلَةٌ عاج والمَقَبَّبُ فالذي يُركب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قُبَّة.

والمُكوكب: الذي يتصق في الطُّسْتِ ويتنخَّم فيها حتى يصير بُصَاقه كأنه الكواكب في الطُّسْتِ.

والحَرَامد: الذي يأتي في وقت العَداء والعِشاء فيقول: ما تأكلون فيقولون من بُغْضه: سَمًّا فيُدخل يده ويقول في حِرَامِ العيش بعدكم.

والمُسْكَامد: الذي يُتبع اللقمة بأخرى قبل أن يُسيغها فيختنق كأنه ديك قد ابتلع فأرة.

والتُّقَامد: الذي يضع الطعام بين يديه ويأكل من بين يدي غيره.

ومن الأدب: أن يبدأ صاحبُ الطعام بَعَسَلِ يده قبل الطعام ثم يقول لجلسائه: من شاء منكم فليغسل فإذا عُسِلَ بعد الطعام فليقدِّمهم ويتأخر.

وقال العلماء: لا يُؤم ذو سُلطان في لسُطانه ولا يُجلس على تَكْرِمته إلا بإذنه.

وقال زياد: لا يُسَلِّمُ على قادم بين يدي أمير المؤمنين: ودخل عبد الله بن عَبَّاسٍ على مُعاوية وعنده زيادٌ فرحَّب به مُعاوية ووسَّع له إلى جَنْبه وأقبل عليه يُسأله وُجَادته وزياد ساكيت فقال له ابن عَبَّاسٍ: كيف جَالِكُ أبا المُغيرة كأنك أردت أن تُحدث بيننا وبينك هَجْرَةً فقال: لا ولكنه لا يُسَلِّمُ على قادم بين يدي أمير المؤمنين.

قال ابن عَبَّاسٍ: ما أدركتُ الناس إلا وهم يُسلمون على إخوانهم بين يدي أمرائهم.

فقال له مُعاوية: كُفَّ عنه يابن عَبَّاسٍ فإنك لا تَشَاءُ أن تَعْلِبَ إلا عُلِبْتَ.

السُّبْيَانِيُّ قال: بصق ابن مَرْوان ففَصِرَ في بَصْقته فوقعَت في طَرَفِ البِساطِ فقام رجلٌ من المجلس فمسحَه بَكُمِّه.

فقال عبدُ الملك بن مَرْوان: أَرْبَعَةٌ لا يُسْتَحَى من خِدْمَتهم: الإمام والعالم والوالد والضيف.

وقال يحيى بن خالد: مُسَاءَلَةُ المُلُوكِ عن حالها من تَحِيَّةِ التُّوكَى فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير فقل: صَبَّحَ اللهُ الأميرَ بالتَّعْمَةِ والكَرَامَةِ وإن كان عليلاً فأردت أن تسأله عن حاله فقل: أنزل اللهُ على الأمير الشِّفاءَ والرَّحْمَةَ.

وقالوا: إذا زادك المَلِكُ إكراماً فزِدْه إعظاماً ماذا جَعَلَكَ عَبْدًا فاجعله رَبًّا ولا تُدِيمن النظر إليه ولا تُكثِر من الدُّعاء له في كلِّ كلمةٍ.

ولا تتغير له إذا سَخِطَ ولا تَغتر به إذا رَضِيَ ولا تُلجِف في مسأَلته.

وقالوا: الملوك لا تُسأل ولا تُشَمَّت ولا تُكَيَّف.

وقال الشاعر: إِنَّ المُلُوكَ لا يُحَاطَبُونَ ولا إِذَا مَلُوا يُعَاقَبُونَ وفي المَقَال لا يُتَارَعُونَ وفي العَظاس لا يُشَمَّتُونَ وفي الخِطاب لا يُكَيَّفُونَ يُتَنى عليهم وَيُجَلَّوْنَ فَافْهَم وَصَاتِي لا تَكُن مَجْنُونًا وقالوا: من تمام خِدْمَة الملوك أن يُقَرَّب الخادمُ إليه تَعَلِيه ولا يَدَعه يَمشي إليهما وَيَجعل النعلَ اليمنى قُبالة الرَّجل اليمنى واليسرى قُبالة الرَّجل اليسرى وإذا رأى مُتَّكًا يَحْتَاج إلى إِصلاح أَصلحَه ولا يَنْتظر فيه أمرَه وَيَتفقد الدِّوَاةَ قَبْلَ أن يَأمره وَيَنْقُصَ عنها الغبار إذا قَرِبا إليه وإن رأى بين يديه قِرْطاسًا قد تباعد عنه قَرِبه إليه وَوَضَعه بي يديه على كِسرِه.

وقال أصحابُ معاويةَ لِمُعَاويةَ: إنا ربما جَلَسنا عندك فوقَ مِقْدارِ شَهوتِكَ فأنْتَ تَكْره أن تَسْتَخِفَّنَا فتأمر بالقيام ونحن نَكْره أن نُثَقِّلَ عليك في الجُلوسِ فلو جعلت لنا علامةً تَعْرِفُ بها ذلكَ فقال: علامةُ ذلكَ أن أقول: إذا شِئتم.

وقيل مثلُ ذلكَ لعبد الملك بن مروان فقال.

إذا وضعتُ الحَيْرَ رانَة.

وما سمعتُ بِاللطفِ مَعنى ولا أَكْمَلَ أَدبًا ولا أَحْسَنَ مَذْهَبًا في مُساءلةِ الملوكِ من شَيْبِ بنِ شَيْبَةَ وقوله لأبي جَعْفَرٍ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنِّي أَحِبُّ المَعْرِفَةَ وَأَجِلُّكَ عن السُّؤالِ.

فقال له: فلان بن فلان.

▲ باب الكناية والتعريض

ومن أَحْسَن الكِنَاية اللَّطيفة عن المعنى الذي يَفْبِحُ ظاهره: قيل لِعُمَرَ بن عبد العزيز وقد تَبَّتْ له حُبٌّ تحت أَثْنَيْهِ: أين نَبَتَ بك هذا الحِبْنُ قال بين الرانفة والصَّفْنِ.

وقال آخر وَتَبَّتْ به حِبْنٌ في إبطه: أين نبت بك هذا الحِبْنُ قال: تحت مَنكِبِي.

وقد كَتَبَ اللهُ تَعَالَى في كِتَابِهِ عن الجماع بِالْمُلامِسةِ وعن الحَدَثِ بِالغائِطِ فقال: " أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ " والغائِطُ: القَحْصُ " وهو المُطْمئن من الأرض " وَجَمَعَه: غَيْطَانِ.

" وقالوا ما لهذا الرسول بأكل الطعام "

وإنما كَتَبَ " به " عن الحَدَثِ.

وقال تعالى: " وَاصْمُمْ بَدَكَ إِلَىٰ خَنَازِكٍ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْنِ سَوَاءٍ " .

فكّى " بالسوء " عن البرص .

ودخل الربيع بن زياد على التُّعمان بن المُنذر وبه وَضَح فقال: ما هذا البياض بك فقال: سيف الله جلاه .

ودخل حارثة بن بدر على زياد وفي وجهه أثر فقال له زياد: ما هذا الأثر الذي في وجهك قال: رَكِبْتُ قَرَسِي الْأَشْقَرِ فَمَجَّحَ بِي فَقَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ رَكِبْتَ الْأَشْهَبَ لَمَا فَعَلَ ذَلِكَ .

فكّى حارثة بالأشقر عن النيذ وكّى زياد بالأشهب عن اللب .

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ وَسِرْكٍ أَنْ يَعْيشَ فِجِيءٌ بَزَادٍ بِخُبْرٍ أَوْ بَتَمْرٍ أَوْ يَسْتَمِنُ أَوْ الشَّيْءِ الْمُلَقَفِ فِي الْبِجَادِ تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْإِفَاقِ حِرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ مَا هَذَا الشَّيْءِ الْمُلَقَفِ فِي الْبِجَادِ قَالَ الْأَحْنَفُ: السَّخِينَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال معاوية: واحدة بأخرى والبادي أظلم - والسَّخِينَةُ طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الحَرِيْزَةُ فكانت تُسَبُّ به وفيه يقول حِسَّانُ بن ثابت: رَعِمْتُ سَخِينَةَ أَنْ سَتَّغَلِبَ رَبِّهَا وَلِيُعْلِينَ مُغَالِبِ الْغَلَابِ وَقَالَ آخَرُ: تَعَشَوْا مِنْ خَزْبِرْتِهِمْ فَنَامُوا وَلَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنِ مِصْرَ وَوَلَاهَا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى عُثْمَانَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مَحْشُوَّةٌ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا حَشَوْا جُبَّتَكَ يَا عَمْرُو قَالَ: أَنَا قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ فِيهَا .

ثم قال له يا عمرو: أشعرت أن اللقاح درت بعدك ألبائها فقال: لأنكم أعجفتم أولادها .

فكّى عثمان عن خراج مصر باللقاح وكّى عمرو عن جور الوالي بعده وأنه حرم الرزق أهل العطاء ووقره على السلطان .

وكان في المدينة رجلٌ يُسَمَّى جَعْدَةَ يُرَجِّلُ شَعْرَهُ وَيَتَعَرَّضُ لِلنِّسَاءِ الْمِعْرَبَاتِ فَكَتَبَ رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي بَلْعَانَ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةَ إِزَارِي قَلَائِصُنَا هَذَاكَ اللَّهُ إِيَّا شُغِلْنَا عَنْكُمْ زَمَانَ الْحِصَارِ يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدُ شَيْطَمِي وَيُنَسِّ مَعَقَلُ الدَّوْدِ الطَّوَارِ فَكَّتِي بِالْقَلَائِصِ عَنِ النِّسَاءِ .

وعرض برجل يقال له جَعْدَةَ .

فسأل عنه عمرٌ قَدُلٌ عليه فجرَّ شَعْرَهُ وَتَفَّاهُ عَنِ الْمَدِينَةِ .

وسمع عمرُ بن الخطاب امرأة في الطَّوَّافِ تقول: فَمِنْهُنَّ مَنْ يُسَقَى بَعْدَ مُبْرَدٍ تَقَاحٍ فَيَلْكَمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتٍ وَمِنْهُنَّ مَنْ تُسَقَى بِأَخْضَرِ أَجْنِ أَوَّلِهَا وَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ قَرَّتْ فَفَهُمْ شَكَاوَاهَا فَبَعَثَ إِلَى رَوْجِهَا فَوَجَدَهُ مُتَغَيَّرَ الْفَمِ .

فخبره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها .

فاختار الدرّاهم فأعطاه وطلّقها.

ودخل على زياد رجلٌ من أشرف البصرة فقال له زياد: أين مَسكنك من البصرة قال: في وَسَطها قال له: كم لك من الولد قال: تسعة فلما خرج من عنده قيل له: إنه ليس كذلك في كل ما سألته وليس له من الولد إلاّ واحدٌ وهو ساكن في طَرَف البصرة.

فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك فقال له: ما كذبتُك لي تسعة من الولد قَدَمْتُ منهم ثمانية فهم لي وبقي معي واحد فلا أدري إليّ يكون أم عليّ ومنزلي بين المدينة والجبّانة فأنا بين الأحياء والأموات فمَنزلي في وَسَط البصرة قال: صدقت.

الكناية يورى بها عن الكذب والكفر لما هَزَم الحجاجُ عبدَ الرحمن بن الأشعث وقتل أصحابه وأسرَ بعضهم كتب إليه عبدُ الملك بن مَرْوان أن يَعْرضُ الأسرى على السيف فَمَن أقرَّ منهم بالكفر خلى سبيلَه وَمَن أبى يَفْتله فأُتي منهم بعامر الشَّعبي ومطرّف ابن عبد الله بن الشَّخبر وسعيد بن جُبَيْر فأما الشعبي ومطرّف فدَها إلى التعريض والكناية ولم يُصرِّحاً بالكفر فقيل كلامهما وعفا عنهما وأما سعيد ابن جُبَيْر فأبى ذلك فقتل.

وكان مما عرَّض به الشعبي فقال أصلح الله الأمير تبا المنزل وأحزن بنا الجناب واستحلستنا الخوفَ واكتحلنا السهرَ وخبطتنا فتنهُ لم نكن فيها بررة أنقياء ولا قجرة أقوياء.

قال صدقَ والله ما بُرُّوا بخروجهم علينا ولا قووا خَلِّيا عنه ثم قُدِّم " إليه " مطرّف بن عبد الله فقال له الحجاج: أتقرُّ على نفسك بالكفر قال: إنَّ من شق العصا وسفك الدماء ونكت البيعة وأخاف المسلمين لجديراً بالكفر قال: خليا عنه.

ثم قُدِّم إليه سعيد بن جُبَيْر فقال له: أتقرُّ على وليّ الواثق وأقعد للناس أحمد بن أبي دُواد للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء أتى فيهم بالحارث بن مسكين فقيل له: أتشهد أن القرآن مخلوق قال: أشهدُ أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن هذه الأربعة مخلوقة ومدّ أصابعه الأربع فعرض بها وكَتى عن خلق القرآن وخلص مُهجته من القتل: وعجز أحمد بن نصر فقيه بغداد عن الكناية فأباها فقيل وصليّب.

ودخل بعضُ النِّسّاك على بعضِ الخُلفاء فدعا إلى طَعامه فقال له: الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين وما أذكي نفسي بل الله يُزكّي من يشاء وإنما كره طَعامه.

الأصمعيُّ عن عيسى بن عمر قال بينما ابن عَرَباض يمشي مُقَدِّماً لِطَبِيئِهِ إذ استقبلته الخوارج يَجْرُونَ الناسَ بسيوفهم فقال لهم: هل خرج إليكم في اليهود شيء قالوا: لا قال: فامضوا راشدين فمضوا وتركوه.

ولقي شيطانُ الطاق رجلاً من الخوارج وبيده سيفٌ فقال له الخارجي: والله لأقتلنك أو تبرأ من عليّ فقال له: أنا من عليّ ومن عثمان بريء " يريد أنه

من عليّ وبريء من عثمان " 0 أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قال: قال الوليد " بن عُقْبَةَ " على المنبر بالكوفة: أقسمُ على مَنْ سَمَّاني أشعَرَ بَرَكَاً إلا قام " فخرج عني " فقام إليه رجل من أهل الكوفة فقال له: ومَنْ هذا الذي يقوم " وقال معاويةً لصَعْصَعَةَ بن صوحان: اصعد المنبر فالعن عليّاً " فامتنع من ذلك وقال: أو تُعْفيني قال: لا.

فَصَعَدَ المنبر فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس إنَّ معاوية أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه لعنه الله "

▲ الكناية عن الكذب في طريق المدح

المدائنيّ قال: أتى العُزَيَّان بن الهَيْثَم بسلام سكران فقال له: مَنْ أنت فقال: أنا ابن الذي لا يَنْزِلُ الدَّهْرُ قَدْرَهُ وإن نزلت يوماً فسوف يَعودُ ترى الناسَ أفواجا إلى ضوءِ ناره فمنهم قيامٌ حولها وقُعود فظنَّه ولداً لبعض الأشراف فأمر بتخليته.

فلما كُشف عنه قيل له: إنَّه ابن باقلاني.

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبرمة " القاضي " فقال له: أتعرف هذا الرجل - وكان رُمي عنده بريبة - فقال " نعم " إن له بيتاً وقدماً وشرفاً فخلّى سبيله.

فلما انصرف ابن شبرمة قال له " أصحابه ": أكنت تعرف هذا الرجل قال: لا ولكنني عرفُ أنّ له بيتاً يأوي إليه وقدماً يمشي عليها وشرفه أذناه ومُنكباها.

وخطب رجل لرجل إلى قوم فسألوه: ما جِزفته فقال: هو نَخَّاس الدَوَابِ فزوّجوه فلما كُشف عنه وجدوه يبيع السنائير فلما عتّفوه في ذلك قال: أو ما السنائير دواب ما كذبتكم في شيء.

ودخل مُعَلَى الطائفي على ابن السَّرِيِّ يعوده في مرضه فأنشده شعراً يقول فيه: فأقسم إنَّ منَّ الإله بصحة وتأل السَّرِيِّ بنُ السَّرِيِّ شفاءً لأرتجلن العيسن شهراً بججة وأعتق شُكراً سالماً وصفاً فلما خرج من عنده قال له أصحابه: والله ما نعلم عبدك سالماً ولا عبدك صفاً فمن أردت أن تُعتق قال هما هرتان عندي والحجّ فريضة واجبة فما عَلَيَّ في قولي شيء إن شاء الله تعالى.

▲ باب في الكناية والتعريض في طريق الدعابة

سئل ابن سيرين عن رجل فقال: تُوقِّي البارحة.

فلما رأى جَرَعَ السائل قال: " الله يتوقّى الأنفس حين مَوْتِها والتي لم تَمُتْ في مَنامها " وإنما أردتُ بالوفاة النوم.

ومرّض زياداً فدخّل عليه شُريح القاضي يعوده.

فلما حَرَجَ بَعَثَ إِلَيْهِ مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ يَسْأَلُهُ: كَيْفَ تَرَكْتَ الْأَمِيرَ قَالَ: تَرَكْتُهُ يَأْمُرُ وَيَنْهَى فَقَالَ مَسْرُوقٌ: إِنْ شَرِيحًا صَاحِبُ تَعْرِيبِ " عَوِيصِ " وَكَانَ سَيْنَانَ بْنِ مُكَّمَلِ النَّمِيرِيِّ يُسَافِرُ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْقَزَارِيَّ يَوْمًا عَلَى بَغْلَةٍ فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ: عُصَّ مِنْ عِنَانِ بَغْلَتِكَ فَقَالَ: إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ.

أَرَادَ ابْنَ هُبَيْرَةَ قَوْلَ جَرِيرٍ: فَعُصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغَتْ وَلَا كَلَابًا وَأَرَادَ سَيْنَانَ قَوْلَ الشَّاعِرِ: لَا تَأْمَنَنَّ قَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارٍ وَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى يَدِهِ بَازِيٌّ فَقَالَ التَّمِيمِيُّ لِلنَّمِيرِيِّ: هَذَا الْبَازِيُّ لَكَ فَقَالَ لَهُ النَّمِيرِيُّ: نَعَمْ وَهُوَ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا.

أَرَادَ التَّمِيمِيُّ قَوْلَ جَرِيرٍ: أَنَا الْبَازِيُّ الْمُطَلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِحْتُ لَهَا مِنَ الْجَوْ أَنْصَابًا وَأَرَادَ النَّمِيرِيُّ قَوْلَ الطَّرْمَاحِ: تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكْتَ سُبُلَ الْمَكَارِمِ صَلَّتِ وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ مُحَارِبٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ الْهَلَالِيِّ وَهُوَ وَالِي أَرْمِينِيَّةٍ وَقَرِيبٌ مِنْهُ عَدِيرٌ فِيهِ ضَفَادِعُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدٍ: مَا تَرَكْنَا شَيْخَ مُحَارِبٍ تَنَامُ اللَّيْلَةَ فَقَالَ لَهُ الْمُحَارِبِيُّ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ أَوْ تَذَرِي لَمْ ذَلِكَ قَالَ: وَلَمْ قَالَ: لِأَنَّهَا أَضَعَّتْ بُرْقُعًا لَهَا قَالَ: قَبِّحَكَ اللَّهُ تَبَقَّ بِلَا شَيْءٍ شَيْخُ مُحَارِبٍ وَمَا خَلَّتْهَا كَانَتْ تَرِيشٌ وَلَا تَبْرِي ضَفَادِعُ فِي ظَلَمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَيْتُ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ وَأَرَادَ الْمُحَارِبِيُّ قَوْلَ الشَّاعِرِ: لِكُلِّ هَلَالِيٍّ مِنْ اللَّؤْمِ بُرْقُعٌ وَابْنُ يَزِيدٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصٌ وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ: اسْتَعْرِضْ لِي هَذَيْنِ الْقَرَسَيْنِ فَقَالَ: أَحَدُهُمَا أَحَشُّ وَالْآخَرُ هَزِيمٌ يَعْنِي قَوْلَ النَّجَاشِيِّ: وَتَجَى ابْنُ هِنْدٍ سَابِحٌ ذُو عُلَالَةٍ أَحَشُّ هَزِيمٌ وَالرَّمَّاحُ دَوَانِي فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَمَا إِنَّ صَاحِبَهُمَا عَلَى مَا فِيهِ " لَا " يُشْتَبُّ بِكَتَائِهِ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يُزِمِي بِكَتَائِهِ.

وَشَاوِرُ زِيَادٌ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ فِي أَمْرَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَقَالَ: لَا خَيْرَ لَكَ فِيهَا إِنْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَقْبَلُهَا فَتَرَكْهَا وَخَالَفَهُ الرَّجُلُ إِلَيْهَا وَتَزَوَّجَهَا.

فَلَمَّا بَلَغَ زِيَادًا خَيْرُهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: أَمَا قُلْتَ لِي إِنَّكَ رَأَيْتَ رَجُلًا يَقْبَلُهَا قَالَ: نَعَمْ رَأَيْتُ أَبَاهَا يَقْبَلُهَا.

وَقَالَ أَعْرَابِيُّ لِعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ احْمِلْنِي وَسُحَيْمًا عَلَى جَمَلٍ فَقَالَ: تَشَدَّتْكَ اللَّهُ يَا أَعْرَابِيَّ أُسْحِيمٌ هَذَا رِقٌّ قَالَ: نَعَمْ ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَمْ يَنْفَعِهِ ظَنُّهُ لَمْ يَنْفَعِهِ وَوَدَّعَ رَجُلٌ رَجُلًا كَانَ يُبَغِّضُهُ فَقَالَ: امضْ فِي سِرٍّ مِنْ حِفْظِ اللَّهِ وَحِجَابِ مَنْ كَلَّاهُ.

فَقَطِنَ لَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: رَفَعَ اللَّهُ مَكَانَكَ وَسَدَّدَ ظَهْرَكَ وَجَعَلَكَ مَنظُورًا إِلَيْكَ.

وَالشَّيْبَانِيُّ قَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي عَتِيْقٍ صَاحِبَ هَزْلٍ وَلَهُوَ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ " الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ " وَكَانَتْ لَهُ أَمْرَةٌ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيْشٍ وَكَانَ لَهَا فَتِيَاثٌ يُغْنِيْنَ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْمَأْتَمِ فَأَمَرَتْ جَارِيَةً مِنْهُنَّ أَنْ تَغْتَبِي بِشَعْرِ لَهَا قَائِلَةً فِي رَوْجِهَا فَتَعْتَتِ الْجَارِيَةُ وَهُوَ يَسْمَعُ: ذَهَبَ إِلَهُ بِمَا تَعِيْشُ بِهِ وَقَمَرَتْ لُبُّكَ أَيَّمَا قَمَرٍ أَنْفَقْتَ مَا لَكَ غَيْرَ مُحْتَشَمٍ فِي كُلِّ زَانِيَةٍ وَفِي الْخَمْرِ فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ قَالَتْ: لِمَوْلَاتِي.

فأخذ قَرْطاساً فكتبه وخرج به فإذا هو بعبد الله بن عُمر بن الخطاب فقال: يا أبا عبد الرحمن قف قليلاً أكلمك فوقف عبد الله بن عمر فقال: ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر وأنشد البيت قال: أرى أن تَعفو وتَصْفح قال: أما والله لئن لقيته لأنيكته فأخذ ابن عُمر يتكلمه ويَزجره وقال: قَبْحك الله.

ثم لقيه بعد ذلك بأيام فلما أبصره ابن عُمر أعرض عنه بوجهه فاستقبله ابن أبي عَتيق فقال له: سألتك بالقبر ومَن فيه إلا سمعت مني حرفين فولاه قفاه وأنصت له قال: علمت أبا عبد الرحمن أنني لقيتُ قائل ذلك الشعر ونكته فصعق عبد الله ولبط به فلما رأى ما تَرَل به دنا من أذنه وقال: أصلحك الله إنها امرأتي " فلانة " .

فقام ابن عمر وقبل ما بي عَيْنيه " وتبسّم ضاحكاً " .

▲ باب في الصمت

كان لُقمان الحكيم يجلس إلى داود صلى اله عليه وسلم " مُقْتَبِسا " وكان عبداً أسود فوجده وهو يعمل دِرْعاً من حديد فعجب منه ولم يَر دِرْعاً قبل ذلك فلم يسأله لُقمان عما يعمل ولم يُخبره داود حتى تَمَّت الدَّرع بعد سنة فقاسها داود على نفسه وقال: زَرَد طافا ليوم قِرَافا.

تفسيره: درع حَصينة ليوم قِتال.

فقال لُقمان: الصمت حُكم وقَليل فاعله.

وقال أبو عبيد الله كاتبُ المهديِّ: كُن على التماس الحظ بالسكوتِ أحرص منك على التماسه بالكلام إنَّ البلاء موكَّل بالمنطق.

وقال أبو الدَّرداء: أنصف أذنيك من فيك فإنما جُعل لك أذنان اثنتان وقَم واحد لِتسمع أكثر مما تقوله ابن عَوْف عن الحسن قال: جلسوا عند مُعاوية فتكلموا وسكت الأحنف فقال مُعاوية: مالك لا تتكلم أبا بَحْر قال: أخافُك إن صدقتُ وأخاف الله إن كذبت.

وقال المُهَلَّب بن أبي صُفْرة: لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه أحبُّ إليَّ من أن أرى للسانه فضلاً على عقله.

وقالوا: مَن ضاق صدره اتسع لسانه ومَن كثر كلامه كثر سَقَطه ومَن ساء خُلُقُه قلَّ صديقُه.

وقال هَرَم ابن جِيان: صاحبُ الكلام بين إحدى مَنزَلتين إن قصَّر فيه خصم وإن أعرق فيه أئم.

وقال شبيب بن شبيبة: مَن سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضرُّها عنه.

وقال أكنم بن صَيْفِي: مَقْتل الرجل بين فكَّيه.

وقال جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم: يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ هَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ وَقَالَ الشَّاعِرُ: الْجِلْمُ رَيْبٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا تَطَقَّتْ فَلَا تَكُنْ مَكْتَارًا مَا إِنْ تَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً لَكِنْ تَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا وَقَالَ لِحَسَنِ بْنِ هَانِيَةَ: حَلَّ جَنْبِيكَ لِرَامِي وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ رَبِّ لَفْظِ سَاقِي أَجَالَ فِتْنَامٍ وَفِتْنَامٍ إِنَّمَا السَّالِمُ مِنْ أَلِّ جَمِّ فَاهُ يَلِجَامُ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: حَظِي مِنَ الصَّمْتِ لِي وَتَفْعُهُ مَقْصُورٌ عَلَيَّ وَحَظِي مِنَ الْكَلَامِ لِغَيْرِي وَوَبَالَهُ رَاجِعٌ عَلَيَّ.

وقالوا: إذا أعجبك الكلام فاصمت.

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم قال: إذا اشتهيت أن تصمت قال: فمتى أصمت قال: إذا اشتهيت أن تتكلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أعطيت العبدُ شراً من طلاقة اللسان.

وسمع عبد الله بن الأهتم رجلاً يتكلم فيخطيء فقال: بكلامك رزق الصمت المحبة.

▲ باب في المنطق

قال الذين فضلوا المنطق: إنما بُعِثَتِ الْأَنْبِيَاءُ بِالْكَلامِ وَلَمْ يُبْعَثُوا بِالسُّكُوتِ.

وبالكلام وُصِفَ فَضِّلُ الصَّمْتِ وَلَمْ يُوصَفِ الْقَوْلُ بِالصَّمْتِ وَبِالْكَلامِ يُؤْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَبُعِظَ اللَّهُ وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " وَالْبَيَانُ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ فَقَالَ: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ".

وَالْعِلْمُ كُلُّهُ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَى أَوْعِيَةِ الْقُلُوبِ إِلَّا اللِّسَانُ فَتَفْعُ الْمَنْطِقِ عَامٌ لِقَائِهِ وَسَامِعُهُ " وَمَنْ بَلَغَهُ " وَتَفْعُ الصَّمْتِ خَاصٌ بِفَاعِلِهِ.

وَأَعْدَلُ شَيْءٌ قِيلَ فِي الصَّمْتِ وَالْمَنْطِقِ قَوْلُهُمْ: الْكَلَامُ فِي الْخَيْرِ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّمْتِ وَالصَّمْتُ فِي الشَّرِّ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ.

وقال عبد الله المبارك صاحبُ الرقائق يَرْتِي مالِكُ بْنُ أَنَسِ الْمَدَنِيِّ: صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنٌ أَهْلُهُ وَقَفَّاقٌ أَبْكَارُ الْكَلَامِ الْمُحْتَمِّمِ وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنَ كُلِّ حِكْمَةٍ وَسَبَّطَتْ لَهُ الْأَدَابُ بِاللَّحْمِ وَالْدَّمِ وَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: تَرَكَ الْحَرَكَةَ عَقْلًا.

وقال بكر بن عبد الله المزني: طول الصمت حُبسة.

وقالوا: الصمت نَوْمٌ وَالْكَلامُ يَقْطَعُهُ.

وقالوا: ما شيءٌ نَنِي إِلَّا قَصْرٌ إِلَّا الْكَلَامُ فَإِنَّهُ كَلِمَا تُنِي طَال.

" وقال الشاعر: الصمتُ شيمته فإنْ أَدَى مَقَالاً كانَ فَضْلاً أَبَدَى السكوتَ
فإنْ تَكْ - لم لم يَدَعُ في القولِ فَضْلاً " محمدُ بنُ سبيرين قال: ما رأيتُ عَلى
أمرأةَ أجملَ من شَحْمٍ ولا رأيتُ عَلى رَجُلٍ أجملَ من فصاحةٍ.

وقال الله تبارك و تعالى فيما حكاه عن نبيّه موسى صلى الله عليه وپسلم
وأستحاشه بعدم الفصاحة: " وَأَخِي هُرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا قَارِئِلُهُ مَعِيَ
رِدْءًا يُصَدِّقُنِي " .

آفات المنطق تكلم ابن السماك يوماً وجارية له تسمع كلامه فلما دخل قال
لها: كيف سمعت كلامي قالت: ما أحسنه لولا أنك تردده قال: أردده ليفهمه
من لم يفهمه قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من قهقهه.

" الأصمعي قال " : قال معاوية يوماً لجلسائه: أيّ الناس أفصح فقال رجلٌ
من السّماط: يا أمير المؤمنين قوم قد ارتفعوا عن رُتّة العراق وتياسرُوا عن
كشكشة بكر وتيامنُوا عن: سَنَسَنَة تَغْلِبُ ليس فيهم عَمْغمة فُضاعة ولا
طمطمانيّة حَمِير.

قال: مَنْ هم قال: قومك يا أمير المؤمنين قُريش قال: صدقت فمن أنت
قال: مِنْ جَرَمٍ قال الأصمعي: جَرَمٌ فُصْحَى الناس.

قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي.

▲ التّمتمة في المنطق

التردّد في التاء والعُقلة: هي التواء اللسان عند إرادة الكلام والحُبسة: تعذر
الكلام عند إرادته واللفف: إدخال حَرْفٍ في حَرْفٍ والرّتة: كالرّج تمّنع أول
الكلام فإذا جاء منه شيء اتصل به "

والعَمْغمة: أن تسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف.

وأما الرّتة: فإنها تكون غريزية وقال الراجز: يأبها المخلّط الأرت ويقال إنها
تكثر في الأشراف.

وأما العَمْغمة: فإنها قد تكون من الكلام وغيره.

لأنها صوتٌ من لا يفهم تقطيع حروفه.

قال عنبرة: " وصاحب ناديته فعَمْغما يُريدُ لبيك وما تكلمّا قد صار من خوف
الكلام أعجمًا " والطمّطمة: أن يكون الكلام مُشبهًا لكلام العجم واللكنة: أن
تُعترض في الكلام اللغّة الأعجمية - وسنفسر هذا حرفاً حرفاً وما قيل فيه إن
شاء الله - واللثغة: أن يُعدّل بحَرْفٍ إلى حَرْفٍ والعُنة: أن يُشرب الحرفُ
صوتَ الحَيْشوم والحُنة: أشد منها والزخيم: حَذَفَ الكلام والفاأة: التردد في
الفاء: يقال: رجل فافاء تقديره فاعال ونظيره من الكلام سابط وخاتام يامّي
ذات الجورب المنسّق أخذت خاتامي بغير حقّ وقال آخر: ليس بفاأة ولا
تمّام ولا مُحَبِّ سَقَطَ الكلام وأما كشكشة تميم: فإن بني عمرو بن تميم إذا

ذَكَرْتُ كَافَ الْمُؤَنَّثِ فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا أَبَدَلْتُ مِنْهَا شَيْئًا لِقُرْبِ الشَّيْنِ مِنَ الْكَافِ فِي الْمَخْرَجِ وَقَالَ رَاجِزُهُمْ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعِي وَأَنْفَعِشِ فُتَدْخِلِينَ اللَّذَّ مَعِي فِي اللَّذِّ مَعَشِ وَأَمَّا كَسْكَسَةَ بَكَرٍ.

فَقَوْمٌ مِنْهُمْ يُبَدِّلُونَ مِنَ الْكَافِ سَيْنًا كَمَا فَعَلَ التَّمِيمِيُّونَ فِي الشَّيْنِ.

وَأَمَّا طَمَطْمَانِيَّةُ حَمِيرٍ: فَفِيهَا يَقُولُ عَنْتَرَةُ: تَأْوِي لَهْ قُلُوصُ النَّعَامِ كَمَا أَوْثُ حِرَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمَطِيمٍ وَكَانَ ضُهِيبٌ أَبُو يَحْيَى رَحِمَهُ اللَّهُ يَرْتَضِخُ لَكِنَّةَ رُومِيَّةٍ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ضُهِيبٌ سَابِقُ الرُّومِ.

وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَرْتَضِخُ لَكِنَّةَ فَارَسِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ زَوْجِ أُمِّهِ شَيْرُوبِ الْأَسْوَارِيِّ.

وَكَانَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ.

يَرْتَضِخُ لَكِنَّةَ أَعْجَمِيَّةٍ وَأُنْشِدُ الْمُهَلَّبَ فِي مَدْحِهِ إِيَّاهُ: بَرِيدُ السُّلْطَانِ - وَذَلِكَ أَنَّ بَيْنَ التَّاءِ وَالطَّاءِ نَسْبًا لِأَنَّ التَّاءَ مِنْ مَخْرَجِ الطَّاءِ.

وَأَمَّا الْعُنَّةُ فَتُسْتَحْسَنُ مِنَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِ.

قَالَ ابْنُ الرَّقَّاعِ " فِي الطَّبِيَّةِ ": تُرْجِي أَعْرَبُ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوَّقَهُ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: إِذَا كَثُرَ تَقْلِيْبُ اللِّسَانِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَلَانَتْ عَدَبَتَهُ.

وَقَالَ الْعُتَّابِيُّ: إِذَا حُبِسَ اللِّسَانُ عَنِ الِاسْتِعْمَالِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ.

وَقَالَ الرَّاجِزُ: كَأَنَّ فِيهِ لِقَفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْيِيْسٍ وَهَمٌّ وَأَرْقُ

▲ باب في الإعراب واللحن

أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ: مَرَّ الشَّعْبِيُّ بِقَوْمٍ مِنَ الْمَوَالِي يَتَذَاكِرُونَ النَّحْوَ فَقَالَ لَهُمْ: لئن أَضْلَحْتُمُوهُ إِنَّكُمْ لَأَوَّلُ مَنْ أَفْسَدَهُ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَيْتَهُ سَمِعَ لِحْنَ صَفْوَانَ وَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ وَخَاقَانَ وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَقَالَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ التَّفْتِيْقِ فِي الثَّوْبِ وَالْجَدْرِيِّ فِي الْوَجْهِ.

وَقِيلَ لَهُ: لَقَدْ عَجِلَ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: شَيْبَتَنِي ارْتِفَاءُ الْمَنَابِرِ وَتَوَقُّعُ اللَّحْنِ.

وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِابْنِ يَعْمَرَ: أَسْمَعْنِي أَلْحَنُ قَالَ: لَا إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا سَبَقَكَ لِسَانُكَ بِبَعْضِهِ فِي أَنْ وَأَنْ قَالَ: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَعَرَّفْنِي.

وقال المأمون لأبي عليّ المعروف بأبي يعلى المُنقريّ: بلغني أنك أمّي وأنت لا تقيم الشعر وأنت تلحن في كلامك فقال: يا أمير المؤمنين أمّا اللحن فربما سبّقتني لساني بالشيء منه وأما الأميّة وكسّر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً وكان لا يُنشد الشعر قال المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني عيباً رابعاً وهو الجهل يا جاهل إنّ ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفي أمثالك تقيصة وإنما مُنع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لتعفي الطلّبة عنه لا لعيب في الشعر والكتاب وقد قال تبارك وتعالى: " وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُتَطَلِّونَ ".

وقال عبدُ الملك بن مروان: الإعراب جمالٌ للوَضِيع واللحن هُجْنَةٌ على الشّريف.

وقال: تَعَلَّمُوا النَحْوَ كما تتعلّمون السّنن والفرائض.

وقال رجلٌ للحسن: إنّ لنا إماماً يلحن قال: أميطوه " عنكم فإن الإعراب حلية الكلام ".

وقال الشاعر: التَّجْوِيبُ يَسْتَسْطِ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنْ فَإِذَا طَلِبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلُهَا فَأَجْلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسِنِ وَقَالَ آخَرُ: التَّحْوِ صَعَبٌ وَطَوِيلٌ سَلَمَةٌ إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرَبَهُ فَيُعْجِمَهُ وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: يَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَحْسَبُ أَنَّ الدَّوَانِقَ سَعَلْتُمْ عَنْ أَنْ تَقُولَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ.

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك وكان الوليد لَحَاناً فقال: يا غلام ادعُ لي صالح فقال الغلام: يا صالحا قال له الوليد: انقص ألفاً فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفاً.

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشرف قُريش فقال له الوليد: من حَتَّتْكَ قال له: فلان اليهودي فقال: ما تقول وبحك! قال: لعلك إنما تسأل عن حَتْنِي يا أمير المؤمنين هو فلان بن فلان.

وقال عبدُ الملك بن مروان: أضربنا في الوليد حُبُّنا له فلم نُلزمه البادية.

وقد يستثقل الإعرابُ في بعض المواضع كما يستخفّ اللحنُ في بعضها.

وقال مالك بن أسماء بن خارقة القزاريّ: منطوقُ بارعٌ وتلحنُ أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً وذلك أنه من حكى نادرةً مُضحكةً وأراد أن يُوفي حروفها حظها من الإعراب طمسيّ حُسنها وأخرجها عن مقدارها ألا ترى أن مُرَبِّداً المدينيّ أكل طعاماً فكظفه ف قيل له: ألا تقيّ قال: وما أقي خبر نقي ولحم طريّ مرّتي طالق لو وجدت هذا فيئاً لأكلته.

قال: وكذلك يُستقيح الإعراب في غير موضعه كما استُقيح من عيسى بن عمر إذ قال وابن هُبيرة وحكي عن بعض المغربيين في اللحن أن جارية له

عَنْتِه: إِذَا مَا سَمِعْتُ اللُّومَ فِيهَا رَفَضْتَهُ فَيَدْخُلُ مِنْ أُذُنٍ وَيَخْرُجُ مِنْ أُخْرَى فَقَالَ لَهَا: مِنْ أُخْرَى يَا فَاعِلَةٌ أَمَا عَلِمْتِكِ أَنْ " مِنْ " تَخْفُضُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لَشَرِيحٍ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ تُوْفِي وَتَرْكُ أَبَاهُ وَأَخِيهِ فَقَالَ لَهُ: أَبَاهُ وَأَخَاهُ فَقَالَ: كَمْ لِأَبَاهُ وَأَخَاهُ قَالَ لِأَبِيهِ وَأَخِيهِ قَالَ: أَنْتَ عَلِمْتَنِي فَمَا أَضْعَعُ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَأَدْرَكَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَفَضِّحِينَ يُقَالُ لَهُ حَفْصٌ لِحْنًا فِي شِعْرِهِ وَكَانَ حَفْصٌ بِهِ اخْتِلَافٌ فِي عَيْنَيْهِ وَتَشْوِيهِ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ فِيهِ: لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنَيْكَ يَا حَفْصَ شَائِغَلٌ وَأَنْفٌ كَمِثْلِ الطُّودِ عَمَا تَتَّبِعُ تَتَّبِعُ لِحْنًا مِنْ كَلَامٍ مُرْفَاشٍ وَخَلْفُكَ مِنْ اللَّحْنِ أَجْمَعِ فَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ وَأَنْفُكَ مَكْفَأٌ وَوَجْهُكَ إِبْطَاءٌ فَمَا فِيكَ مَرْقَعٌ

▲ . باب في اللحن والتصنيف

وكان أبو حنيفة لحنًا على أنه كان في الفُتيا ولطف التَّظَر واحدَ زمانه.

وسأله رجل يوماً فقال له: ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأسَ رجل فقتله أُنْقِيده به قال: لا ولو وكان يَشُر المَرِيسي يقول لجلسائه: قَضَى اللهُ لَكُمْ الحَوَائِجَ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ وَأَهْنُوها فَسَمِعَ قَاسِمَ التَّمَّارِ قَومًا يَضْحَكُونَ فَقَالَ: هَذَا كَمَا قَالَ الشُّعْرَاءُ: إِنَّ سَلِيمِي وَاللَّهُ يَكْلُوها ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَزْرُوها وَيَشُر المَرِيسي رَأْسَ فِي الرَأْيِ وَقَاسِمَ التَّمَّارِ مُتَقَدِّمًا فِي أَصْحَابِ الكَلَامِ وَأَحْتِجَاجُهُ لِيَشُرَ أَعْجَبُ مِنْ لِحْنِ يَشُر.

وَدَخَلَ شَيْبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ عَيْسَى يُعَزِّيهِ عَنْ طِفْلِ أُصِيبَ بِهِ فَقَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ إِنَّ الطِّفْلَ لَا يَزَالُ مُحْبِنُطِيًا عَلَى يَابِ الجَنَّةِ يَقُولُ: لَا أَدْخُلُ حَتَّى يَدْخُلَ أَبُوَايَ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عَيْسَى: سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا جِئْتَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ مُحْبِنُطِيٌّ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّاجِزِ: إِنِّي إِذَا أُنْشِدْتُ لَا أَحْبِنُطِيَّ وَلَا أَحِبُّ كَثْرَةَ التَّمْطِيِّ قَالَ شَيْبِيبُ: أَلَيْ يَقَالُ مِثْلَ هَذَا وَمَا بَيْنَ لَا بَيْنَهَا أَعْلَمَ مِنِّي بِهَا فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: وَهَذِهِ أَيْضًا اللَّبْصَرَةُ لِابْتَانَ يَالْكَعِ فَابَانَ بِتَقْرِيعِهِ عَوَّارِهِ فَأَخْجَلَهُ فَسَكَتَ.

قوله المُحْبِنُطِيَّ: المُتَمَتِّعِ امْتِنَاعِ طَلَبِ لَا امْتِنَاعِ إِبَاءِ وَهُوَ بِالطَّاءِ غَيْرِ مَعْجَمَةٌ وَرَوَاهُ شَيْبِيبُ بِالطَّاءِ المَعْجَمَةٌ.

وقوله ما بين لا بئها خطأ إذ ليس للبصرة لابتان وإنما اللابة للمدينة نوادر من الكلام يقال: ماء نُقَاحٍ للماء العذب وماء فُرَاتٍ وهو أعذب العذب وماء فُغَاعٍ وهو شديد الملوحة وماء حُرَاقٍ وهو الذي يحرق من مَلُوحَتِهِ وماء شُرُوبٍ وهو دون العذب قليلاً وماء مَسُوسٍ وهو دون الشُّرُوبِ وماء شَرِيبٍ وهو العذب.

اجتمع المُفَضَّلُ الصَّيْبِيُّ وَعَبْدُ المَلِكِ بْنُ قَرِيبِ الأَصْمَعِيُّ فَأُنْشِدَ المُفَضَّلُ: تُضْمَتُ بِالمَلِكِ تَوَلِبًا جَدَّاعًا فَقَالَ لَهُ الأَصْمَعِيُّ: تَوَلِبًا جَدِّعًا وَالجَدِّعُ: السَّيِّئُ العَدَاءُ.

فَصَحَّ المُفَضَّلُ وَأَكْثَرَ فَقَالَ لَهُ الأَصْمَعِيُّ: لَوْ نَفَخْتَ فِي السُّبُورِ مَا نَفَعَكَ تَكَلُّمُ بِكَلَامِ التَّمْلِ وَأَصِيبُ.

وقال مروان بن أبي حفصة في قوم من رُواة الشعر لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته: رَوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر لعمرِك ما يَدْرِي البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

▲ . باب نوادر من النحو

وإنَّ كِلاباً هذه عَشِيرَ أَبْطُنٍ وَأَنْتِ بَرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشِيرُ قَالَ: فَجَعَلْتُ أُعْجِبُ مِنْ قَوْلِهِ عَشْرَ أَبْطُنٍ " حَيْثُ أَنْتِ لِأَنَّهُ عَنَى الْقَبِيلَةَ " فَلَمَّا رَأَى عَجَبِي قَالَ: أَلَيْسَ هَكَذَا قَوْلُ الْآخِرِ: وَكَانَ مِجْتَبِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعْبَانَ وَمُعْصِرٌ وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ قُلْتُ لِلخَلِيلِ: لِمَ قَالُوا فِي تَصْغِيرِ وَاصِلٍ: أَوْ يَصِلُ وَلَمْ يَقُولُوا وَوَيْصِلُ قَالَ: كَرِهُوا أَنْ يُشْبِهَ كَلَامُهُمْ بِنِحِ الْكِلَابِ.

وقال أبو الأسود الدؤلي: من العرب من يقول: لولاي لكان كذا وكذا.

وقال الشاعر: وكم مَوطِنٍ لولاي طِخَّتْ كَمَا هَوِي بِأَجْرَامِهِ مِنْ قَتَّةِ النَّيِّقِ مُنْهَوِي وَكَذَلِكَ لَوْلَا أَنْتُمْ وَلَوْلَاكُمْ ابْتِدَاءٌ وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ.

وقال أبو زيد: وراء وُقْدَامٍ لَا يَصْرِفَانِ لِأَنَّهُمَا مُؤْتَنَانِ وَتَصْغِيرِ قَدَّامٍ قُدَّيْمَةٌ وَتَصْغِيرِ وَرَاءِ وُرَيْبَةٍ وَقَدَّامٍ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ لِأَنَّ الدَّالَ مَشْدَدَةً: فَاسْقَطُوا الْأَلْفَ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ وَلِئَلَّا يُصْغَرَ اسْمٌ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرَفٍ.

أبو حاتم قال: يقال أُمُّ بَيْتَةِ الْأُمُومَةِ: وَعَمُّ بَيْنِ الْعُمُومَةِ.

ويقال: مَأْمُومٌ إِذْ شُجَّ أُمُّ رَأْسِهِ.

ورجل مَمُومٌ: إِذَا أَصَابَهُ الْمُومُ.

وقال المازني.

يقال في حَسْبِ الرَّجُلِ أُرْفَةٌ وَوَصْمَةٌ وَابْنَةٌ وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْعَصَا إِذَا كَانَ فِيهَا عَيْبٌ.

ويقال: قَذِيَّتْ عَيْنُهُ إِذَا أَصَابَهَا الرَّمْدُ.

وقد يقال في التقديم والتأخير مثل قول الشاعر: شَرَّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا رَكِيْبٌ عَنَزٌ بِحِجِّ حَمَلًا يَرِيدُ: رَكِبَتْ عَنَزٌ " بِحِجِّ جَمَلًا فِي شَرِّ يَوْمِيهَا: نَصَبٌ لِأَنَّهُ ظَرْفٌ.

وقد يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ الشَّيْءِ إِذَا جَاوَرَهُ.

قال الفرزدق: أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمْرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِغُ قَوْلُهُ: لَنَا قَمْرَاهَا: يَرِيدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.

وكذلك قولُ النَّاسِ فِي الْعُمَرَيْنِ: أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ.

الرِّبَاشِي: يُقَالُ أَخَذَ قِصَّتَهَا وَكُغِبَّتَهَا إِذَا أَخَذَ عُذْرَتَهَا.

قال أبو عُبيدة: المَعِيون الذي ليس له منظر ولا مخبر والمَعِين - الذي قد أصيب بالعين.

والمعين: الماء الظاهر.

أبو عُبيدة قال: سمعت رُؤية يقول: أباريق يريد على الريق.

الأصمعي قال: لقي أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر.

فقال له: كيف رَحَلَك قال: ما تزداد إلا مثالة قال: فما هذه المَعِيوراء التي تَرَكُض يريد ما هذه الحمير التي تَرَكِب.

قال الأصمعي: إنما يُقال: اقرأ عليه السلام.

وأنشد: اقرأ على عَصْر السَّبَاب تحية وإذا لقيت دداً فَقَطْنِي من دِدٍ وقال الفرزدق: وما سبق القيسيُّ من صَعَف عَقَله ولكن طَطَّت عَلماء قُلْفة خالد " أراد: على الماء فحذف "

وهذا آخر كتاب سيبويه.

وقال بعض الوردّاقين: رأيتُ يا حَمَاد في الصَّيْد أَرانِباً تُؤخذ بالأَيْدِي إن دَوِي النَّحو لهم أنفسٌ مَعروفة بالمَكْر والكيد يَصْرِب عبد الله زيدا وما يُريد عبد الله من زيد وأنشد أبو زيد الأنصاري: يا قرطُ قُرْطُ حَيِّ لا أبا لَكُم يا قُرْطُ إنِّي عليكم خائفٌ حَذِرٌ قُلْتُم له اهْجُ تَمِيماً لا أبا لَكُم في قَم قائل هذا التُّرابُ والحَجْر فإن بيتَ تميمٍ ذو سمعتَ به بيتٌ به رَأست في عِرِّها مُضر ذو هنا في مكان الذي لا يتغيَّر عن حاله في جميع الإعراب.

وهذه لغة طيء تجعل ذو في مكان الذي.

حُبَّ المَدَامَة ذو سمعتَ به لم يُبق في غيرها فَصلاً وبعضُ العرب يقول: لا أباك في مكان لا أبا لك " ولأن أبا لك " مضاف.

لذلك بقيت الألف ولو كانت غير مُعرّبة لقلت: لا أب لك بغير ألف: وليس في الإضافة شيء يُشبهه هذا لأنه حال بين المضاف والمضاف إليه وقال الشاعر: أبا الموت الذي لا بدُّ أني مَلّاق لا أباك تُحَوِّفيني وقال آخر: وقد مات سَمَّاح ومات مُرَرَّد وأبِّي كريم لا أباك يُخلدُ وأنشد الفراء لابن مالك العُقيلي: إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء هذا مثل قولهم: بين بين.

وقال محمود الوراق: مَرَج للصدودُ وصالهنَّ فكان أمراً بَيْنَ بَيْنٍ وقال الفرزدق: وإذا الرّجال رأوا يزيدَ رأيتهم حُصَع الرّقاب نواكسَ الأبصارِ قال أبو العباس محمد بن يزيد النَّحوي: في هذا البيت شيء مُسْتَطرف عند أهل النَّحو.

وذلك أنه جمع فاعل على فواعل وإذا كان هكذا لم يكن بين المُذكر والمؤنث قَرْبٌ لأنك تقول: ضاربة وضوارب ولا يقال في المذكر فواعل إلا في

موضوعين وذلك قولهم: فوارس وهوالك ولكنه اضطر في الشعر فأخرجه عن الأصل ولولا الضرورة ما جاز له.

وقال أبو عَسَّان " رَفِيعُ بْنُ سَلَمَةَ " تلميذُ أَبِي عُبيدة " المعروف بِدَمَازٍ يَخاطبُ أبا عَثْمَانَ النَّحْوِيَّ الْإِمَارِيَّ " : تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلِلْتُ وَأَتَعِبْتُ نَفْسِي لَهُ وَالْبَدَنُ وَأَتَعِبْتُ بَكَرًا وَأَصْحَابَهُ بِكُلِّ الْمَسْأَلِ فِي كُلِّ قَنْ سِيوَى أَنْ بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَاءُ لِلْفَاءِ يَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا قَطْنٍ وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِلَى جَنْبِهِ مِنَ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لَعِنَ إِذَا قَلْتُ هَاتُوا لِمَا يُقَالُ لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَاتِينَ " أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا عَلَى التَّصْبِ قَالُوا لِإِضْمَارِ أَنْ وَمَا إِنَّ رَأْيْتُ لَهَا مَوْضِعًا فَأَعْرِفَ مَا قِيلَ إِلَّا بِفَن

باب في الغريب والتعقيب

دخل أبو عَلْقَمَةَ عَلَى أَعْيَنَ الطَّبِيبِ فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَكَلْتُ مِنْ لَحُومِ هَذِهِ الْجَوَازِلِ وَطَلَبْتُ طَبِيبًا فَأَصَابَنِي وَجَعٌ بَيْنَ الْوَابِلَةِ وَدَأْيَةِ الْعُنُقِ فَلَمْ يَزَلْ يَتِمُّو وَيَرْبُو حَتَّى خَالَطَ الْخَلْبَ وَالشَّرَاسِيفَ فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ قَالَ: نَعَمْ خُذْ حَزْبَقًا وَسَلْفَقًا وَشَبْرَقًا فَزَهْزِقْهُ " وَزَفْزِقْهُ " وَاغْسِلْهُ بِمَاءِ دَوْبٍ وَاشْرِبْهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَلْقَمَةَ: لَمْ أَفْهَمْكَ فَقَالَ: مَا أَفْهَمْتُكَ إِلَّا كَمَا أَفْهَمْتَنِي.

وقال له مرّة أخرى: إني أجد مَعْمَعَةً وَقَرْقَرَةً فَقَالَ: أَمَا مَعْمَعَةٌ فَلَا أَعْرِفُهَا وَأَمَا الْقَرْقَرَةُ: فَضْرَاطٌ لَمْ يَنْصَحْ.

وقال أبو الْأَسْوَدُ الدَّوْلِيُّ لِأَبِي عَلْقَمَةَ: مَا حَالُ ابْنِكَ قَالَ: أَخَذْتَهُ الْحَمَى فَطَبَخْتُهُ طَبَخًا وَرَصَّخْتَهُ رَصْخًا " وَقَتَّخْتَهُ قَتْخًا " فَتَرَكْتَهُ قَرْخًا قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ زَوْجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ تُشَارُهُ وَنَهَارُهُ وَتَمَارُهُ وَتَزَارُهُ قَالَ: طَلَّقْتُهَا.

فتزوَّجت بعده فَحَطَّيْتُ وَبَطَّيْتُ فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْنَا " حَطَّيْتُ " فَمَا " بَطَّيْتُ " قَالَ: حَرَفٌ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَبْلُغْ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي كُلَّ حَرْفٍ لَا يَعْرِفُهُ عَمُّكَ فَاسْتَرَهُ كَمَا تَسْتَرُ السُّنُورَ حُرَّاهَا.

ودعا أبو عَلْقَمَةَ بِحَجَّامٍ يَحْجِمُهُ فَقَالَ لَهُ: أَنْقِ عَسَلَ الْمَحَاجِمِ وَإِشْدُدْ قِصْبَ الْمَلَاظِمِ وَأَرْهَفْ طَبَاتَ الْمَشَارِطِ وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَعَجِّلِ التَّرْعَ وَلِيَكُنْ شَرَطُكُمْ وَحَزَا وَمَصَّكَ تَهْزَا وَلَا تَرْدَنَّ أَتْيَا وَلَا تُكْرِهَنَّ أَيَا.

فوضع الْحَجَّامُ مَحَاجِمَهُ فِي جُوتِهِ وَمَضَى عَنْهُ.

وسَمِعَ أَعْرَابِيَّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ " فِي خَلْقَتِهِ " وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْاسْتِسْقَاءِ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَمَوْلَانَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا " اللَّهُمَّ " وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَاجْطِ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ كَأِحَاطَةِ الْقَلَائِدِ بِأَعْنَاقِ الْوَلَائِدِ ثُمَّ أَرْسَخْهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرَسُوحِ السَّجَّيْلِ عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفِيلِ اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْثًا مُغِينًا " مَرِيئًا " مَرِيئًا مُجَلْجَلًا مُسْحَنَفَرًا " هَزِجًا " سَخًّا سَفُوحًا طَبَقًا عَدَقًا مُنْعَجْرًا نَاقِعًا لِعَامَّتِنَا وَغَيْرَ ضَارٍ لِحَاصَّتِنَا.

فقال الأعرابي: يا خليفة نوح هذا الطوفان ورب الكعبة دعني حتى آوي إلى جبل يعصمني من الماء.

وسَمِعَهُ مَرَّةً أُخْرَى يَقُولُ فِي يَوْمٍ بَرْدٍ: إِنَّ هَذَا يَوْمٌ بَلَّةٌ عَصَبُ بَارِدٌ هَلَّوْفٌ
فَارْتَعَدَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: وَاللَّهِ هَذَا مِمَّا يَزِيدُنِي بَرْدًا.

وخطب أبو بكر المنكور فأغرب في حُطْبَتِهِ وَتَقَعَّرَ فِي كَلَامِهِ وَعِنْدَ أَصْلِ الْمِنْبَرِ
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقَالُ لَهُ حَنْشٌ فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: إِنِّي لِأَبْغُضُ
الخطيب يكون قصيحا بليغا متفعا.

وسمعه أبو بكر المنكور الخطيب.

فقال له: ما أحوجك يا حنش إلى مُدْخِرٍ مَفْتُولٍ لِي الْجَلَّازِ لَدُنِ الْمَهْرَةِ
عَظِيمِ الثَّمَرَةِ تُؤْخَذُ بِهِ مِنْ مَعْرُزِ الْعُنُقِ إِلَى عَجَبِ الدَّنْبِ " فَتُعَلَى بِهِ " فَتَكْتُرُ
لَهُ وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِي: فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلْمًا إِذَا لَرَسَخْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ وَمَنْ قَوْلُنَا تَهْدِحُ رَجُلًا
بِاسْتِسْهَالِ اللَّفِظِ وَحُسْنِ الْكَلَامِ: قَوْلُ كَانَ قَرِيدَهُ لِسِخْرِ عَلِيٍّ ذَهْنُ اللَّيْبِ لَا
يَشْمُزُّ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَشِدُّ عَنِ الْقُلُوبِ لَمْ يَعْلُ فِي سَنَعِ اللِّغَاتِ وَلَا
تَوْخَشُ بِالْغَرِيبِ سَيْفٌ تَقْلُدُ مِثْلَهُ عَطَفَ الْقَضِيبِ عَلَى الْقَضِيبِ هَذَا تُجَدُّ بِهِ
الرَّقَابُ وَذَا تُجَدُّ بِهِ الْخُطُوبُ

▲ باب في تكليف الرجل ما ليس من طبعه

قالوا: ليس الفقه بالتفقه ولا الفصاحة بالتفصيح لأنه لا يزيد مُتَزَيِّدٌ فِي كَلَامِهِ
إِلَّا لِنَقْصِ يَجْدِهِ فِي نَفْسِهِ.

ومما اتفقت عليه العربُ والعجمُ قولهم: الطبعُ أملك.

وقال حَفْصُ بْنُ النُّعْمَانَ: الْمَرْءُ يَصْنَعُ نَفْسَهُ فَمَتَى مَا تَبَلَّه يَنْزِعَ إِلَى الْعِرْقِ.

يَأْيُهَا الْمُتَحَلَّى غَيْرَ شِيمَتِهِ وَمِنْ شَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ ارْجِعْ إِلَى خِيَمِكَ
الْمَعْرُوفِ دَيْدُنَةٌ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ وَقَالَ آخَرٌ: وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ
مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيُعَلِّبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا وَقَالَ آخَرٌ: كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٌ
يَوْمًا لِشِيَمَتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ وَقَالَ الْخَرَبِيُّ: يُلَامُ أَبُو الْقَضَلِ فِي
جُودِهِ وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِيضًا وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ: وَلَا تَمِثْ لَأَمْتِكَ يَا
قَيْضُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللُّؤْمُ فِي الْبَحْرِ أَرَادَتْ لِتُنْثِيَ الْقَيْضَ عَنِ
عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْسَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ وَقَالَ حَبِيبٌ: تَعَوَّدَ بَسِطُ
الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ تَنَاهَا لِقَيْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ وَقَالَ آخَرٌ: وَقَالُوا: إِنْ مَلِكًا مِنْ
مَلُوكِ فَارِسَ كَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَازِمٌ مُجَرَّبٌ فَكَانَ يُصَدِّرُ عَنِ رَأْيِهِ وَيَتَعَرَّفُ الْيُمْنُ
فِي مَشُورَتِهِ ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَقَامَ بَعْدَهُ وَوَلَدٌ لَهُ مُعَجَّبٌ بِنَفْسِهِ مَسْتَبِدٌّ
بِرَأْيِهِ " فَلَمْ يُنْزَلْ ذَلِكَ الْوَزِيرَ مِنْزِلَتَهُ وَلَا أَهْتَبِلَ رَأْيَهُ " وَمَشُورَتَهُ قَقِيلٌ لَهُ: إِنْ
أَبَاكَ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ فَقَالَ: كَانَ يَغْلَطُ فِيهِ وَسَامَتْحَنَهُ بِنَفْسِي.

فأرسل إليه فقال له: أيهما أعلبُ على الرجل: الأدبُ أو الطبيعة فقال له
الوزير: الطبيعة أعلبُ لأنها أصلُ والأدبُ قرعٌ وكلُّ قرعٍ يرجع إلى أصله.

فدعا " الملك " بسفرته فلما وُضعت أقبِلت سَنَانِيرُ بِأَيْدِيهَا السَّمْعُ فَوَقَفَتْ
حول السُّفْرَةِ فَقَالَ للوزير: اعْتَبِرْ حَطَّأَكَ وَصَعَّفَ مَذْهَبَكَ مَتَى كَانَ أَبُو هَذِهِ
السَّنَانِيرُ سَمَّاعًا .

فسكت عنه الوزير وقال: أمهلني في الجواب إلى الليلة المُقبلة فقال: ذلك
لك .

فَحَرَجَ الوزيرُ فدعا بَعْلَامَ له فقال: التمسْ لي فَأَرًا واربطه في حَيْطٍ وَجُنَّيْ
به فَاتَاهُ به العِلامُ فعقده في سَبَيْتِهِ وطرحه في كَمِّه ثم راح من الغد إلى
الملك فلما حضرت سُفْرَتَهُ أقبِلت السَّنَانِيرُ بالسَّمْعِ حتى حَفَّتْ بها فحلَّ
الوزيرُ الفأرَ من سَبَيْتِهِ ثم ألقاه إليها فاستبقت السَّنَانِيرُ إليه وَرَمَتْ السَّمْعَ
حتى كاد البيْتُ يضطرم عليهم نارًا .

فقال الوزيرُ: كيف رأيتْ عَليَّةَ الطَّبِيعَةِ على الأَدبِ وَرُجوعَ القَرَعِ إلى أصله
قال: صدقتِ وَرجعَ إلى ما كان أبوه عليه معه فإنما مَدَارُ كل شيء على
طبعه والتكلف مَذْمومٌ من كل وجه .

قال الله " تبارك وتعالى " لنبِيِّه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: " وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ " .

وقالوا: من تَطَبَّعَ بغير طبعه تَرَعَّنَهُ العادةُ حتى تَرَدَّهُ إلى طَبْعِهِ كما أَنَّ المَاءَ
إذا أَسْحَنْتَهُ ثم تَرَكْتَهُ " ساعة " عاد إلى طَبْعِهِ من البرودة والشجرة المُرَّة لو
طلبتها بالعسل لا تُثمر إلا مُرًّا .

▲ باب في ترك المشاركة والممارسة

دخل السَّائِبُ بن صَيْفِيٍّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتعرفني يا
رسول الله قال: وكيف لا أعرف شريكِي في الجاهليَّةِ الذي كان لا يُشارِي ولا
يُمارِي .

وقال ابن المُقَفَّعِ: المُشاركة والمُمارسة يُفسدان الصِّداقة القديمة ويحلان
العقدة الوثيقة وأيسر ما فيها أنهما دَرِيعةٌ إلى المُنافسة والمُغالبة .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي لَيْلى: لا تُمارِ أَخاك فَإِما أن تُعْصِيه وإِما أن تُكْذِبَه .

وقال الشاعر: فَإِياكَ إِياكَ المِراءِ فَإِنَّه إلى السَّبِّ دَعاءٌ وللصَّرْمِ جالبٌ وقال
عبد الله بن عَبَّاسٍ: لا تُمارِ فقيهاً ولا سَفِيهاً فَإِنَّ الفقيهَ يَغْلِبُكَ والسفِيهَ
يُؤْذِيكَ .

وقال صلى الله عليه وسلم: سَبَّابُ المُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقَتالُهُ كُفْرٌ .

▲ باب في سوء الأدب

دخل عُروَةُ بن مَسْعُودِ التَّقْفِيٍّ على النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يُحَدِّثُهُ
ويُشِيرُ بيده إليه حتى تَمَسَّ لحيته والمُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ واقفٌ على رأس رسول

الله صلى الله عليه وسلم بيده السيفُ فقال له: اقبض يدك عن لِحْيَةِ رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع إليك.

فقبض عُروَةَ يده.

وعُروَةَ هذا " هو " عظيم القريتين الذي قالت " فيه " قريش: لولا نُزِّلَ هذا
القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم.

ويقال إنه الوليد بن المغيرة المخزومي.

ولما قَدِمَ وفدُ تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ناداه رجل " منهم " من
وراء الجدار: يا محمد اخرج إلينا.

فأنزل الله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ الْخُرَابِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " .

وفي قراءة ابن مسعود: " بنو تميمٍ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " .

وأنزل الله في ذلك: " لَا تَحْجَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بِنَتْنِكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " .

ونظر أبو بكر " الصديق رضي الله عنه إلى " رجلٍ يبيع ثوباً فقال له: أتبيع
الثوبَ قال: لا عافاك الله قال: لقد علمتم لو تتعلمون! قل: لا وعافاك الله.

وخطب الحسن في دم.

فأجابه صاحب الدم فقال: قد وضعتُ ذلك الدم لله ولؤجوهكم.

قال له الحسن: ألا قلت: قد وضعتُ ذلك لله خالصاً وذكر إعرابي رجلاً بسوء
الأدب فقال: إن حدّثته سابقك إلى ذلك الحديث وإن تركته أخذ في لمن
الدّيار بُقْتَةَ الجِجْرِ فأنشدها حتى أتى على آخرها.

فقال له المهديُّ: دَهَبَ وَاللَّهِ مَنْ كَانَ يَقُولُ هَذَا فَقَالَ لَهُ: كَمَا دَهَبَ وَاللَّهِ مَنْ
يُقَالُ فِيهِ.

فاستجله واستحمقه.

ولما رَفَعَ قُطْرُبُ النحوي كتابه في القرآن إلى المأمون أمر له بجائزة وأذن
له.

فلما دخل عليه قال: قد كانت عِدَّةُ أمير المؤمنين أرفع من جائزته.

فغضب المأمون وهَمَّ به.

فقال له سهل بن هارون: يا أمير المؤمنين: إنه لم يَقُلْ بذات نفسه وإنما
عَلَبَ عليه الحَصْرَ.

ألا تراه كيف يَرْتَح جبينه ويكسِر أصابعه فَسَكَن غضبُ المأمون واستجهله واستحمقه وكان الحسنُ اللؤلؤيَّ ليلةً عند المؤمنون بالرقّة وهو يُسامره إذ تَعَس المأمونٌ والحسنُ يُحَدِّثه فقال له: تَعَسْتَ يا أمير المؤمنين.

فانتبه فقال: سُوقِي وربَّ الكعبة يا غلام خُذ بيده.

ودخل أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك بأزجورته التي أوَّلها: الحمد لله الوهُوب المُجَزَل وهي من أجود شِعْره.

" فاستحسنها هشام وأصغى إليها " فلما أتى على قوله: والشمسُ في الجوّ كَعَيْنِ الأُحُولِ غَضِبَ هشام وكان أحولَ فأمر بصفع قفاه وإخراجه.

ودخل كُتَيْبُ عَزَّة على يزيد بن عبد الملك فبينما هو يُحَدِّثه إذ قال: يا أمير المؤمنين ما معنى قول إذا الأُرْطَى تَوَسَّدَ أبردِيه خُدُودُ جوازيء بالرمْل عَيْنِ فقال له يزيد: وماذا على أمير المؤمنين ألا يعرف ما قال هذا الإعرابي الجِلْف مثلك واستحمقه وأمر بإخراجه.

ودخل كُتَيْبُ عَزَّة على عبد العزيز بن مَرْوَانَ فأنشده مِدْحَتَه التي يقول فيها: وَأَنْتَ فَلَائِقُفَقْدَ وَلَا زَالَ مِنْكُمْ إِمَامٌ يُحْيَا فِي حِجَابِ مُسَدِّنِ أَسْمُ مِنَ الْغَادِينَ فِي كُلِّ حُلَّةٍ يَمِيسُونَ فِي صَبْعٍ مِنَ الْعَصَبِ مُتَّقِنَ لَهُمْ أُرْرُ حُمُرُ الْحَوَاشِي يَطْوُونَهَا بِأَقْدَامِهِمْ فِي الْحَضْرَمِيِّ الْمَلْسَنِ فَاسْتَحْسَنَهَا وَقَالَ لَهُ: سَلْ حَاجَتَكَ فَقَالَ: تُؤَلِّبْنِي مَكَانَ ابْنِ رُمَّانَةَ كَاتِبِكَ فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ! ذَا كَاتِبٌ وَأَنْتَ شَاعِرٌ فَكَيْفَ تَقُومُ مَقَامَهُ وَتَسُدُّ مَسَدَّهُ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ نَدِمَ وَقَالَ: عَجِبْتُ لِأَخِي حَاطَةَ الْعَجَزِ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبُولُهَا لئن عاد عبدُ العزيز بمثلها وأمكنتني منها إذا لا أقولها ووقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث باب معاوية فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث فأسرع محمد في منشئته حتى دخل قبل الأحنف.

فلما رآه معاوية قال له: والله إني ما أذنتُ له قبلك وأنا أريد أن تَدْخُلَ قبله وإنا كما تلى أموركم كذلك نلى أدبكم ولا يزيد مُتَرَبِّدَ في أمره إلا لنقص يجده في نفسه.

وقال عبدُ الملك بن مروان: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخفَّ بهم: العلماء والسُّلطان والإخوان.

فمن استخفَّ بالعلماء أفسد دينه ومن استخفَّ بالسُّلطان أفسد دُنياه ومن استخفَّ بالإخوان أفسد مَرُوءته.

وقال أبو الرِّزَاد: كنتُ كاتباً لِعُمَرَ بن عبد العزيز فكان يكتب إلي عبد الحميد عامله على المدينة في المظالم فيُراجعه فيها فكتب " إليه ": إنه يُخَيَّلُ إليّ أنّي لو كتبتُ إليك أن تُعْطِي رجلاً شاةً لكتبتُ إليّ: أضانا أم معزاً ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتُ إليّ: أذكراً أم أنشَى ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتُ: أصغيراً أم كبيراً فإذا كتبتُ إليك في مظلمة " فنقذ أمري " ولا تراجعني فيها.

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم " بن عبد الله " وعقر نخلهم فكتب إليه: بأي ذلك تبدأ بالدور أو بالنخل فكتب إليه أبو جعفر: إني لو أمرتك بإفساد تمرهم لكتبت: بأي ذلك تبدأ بالصيحاني أم بالبزني وعزله وولى محمد بن سليمان.

" ولمحمود الوراق: كم قد رأيت مساءً من حيث تطمع أن تُسرَّ ولربما طلب الفتى لأخيه منفعة قصيراً " ودخل عدي بن أرطاة على شريح القاضي فقال له: أين أنت أصلحك الله قال: بينك وبين الحائط قال: اسمع مني قال: قلُ تسمع قال: إني رجل من أهل الشام قال: مكان سحيق قال: وتزوجت عندكم قال: بالرفاء والتين قال: وأردت أن أرخلها قال: الرجل أحق بأهله قال: وشرطت لها دارها قال: الشرط أمك قال: فاحكم الآن بيننا قال: قد فعلت قال: فعلى من حكمت قال: على ابن أمك قال: بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك - أراد شريح إقراره على نفسه بالشرط - وكان شريح صاحب تعريض عويص.

ودخل شريك بن عبد الله على إسماعيل وهو يتبحر بعود فقال للخادم: جئنا بعود لأبي عبد الله.

فجاء يربط فقال له إسماعيل: اكسره " وبلك " وقال لشريك: أخذوا البارحة في الحرس رجلاً ومعه هذا البربط.

وقال بعض الشعراء في عي الخادم: ومنى أذعها بكأس من الماء أتني بصحفة وزيب وقال حبيب في بني تغلب من أهل الجزيرة يصفهم بالجفاء وقلة الأدب مع كرم النفوس: لا رقة الحصر اللطيف عدتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب فإذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب وكان قتي يجالس الشعبي وكان كثير الصمت فالتفت إلى الشعبي فقال له: إني لأجد في قفاي حكة أفتأمرني بالحجامة فقال الشعبي: الحمد لله الذي حولنا من الفقه إلى الحجامة.

" قال: وأتى أحمد بن الحصب بعض المتظلمين يوماً فأخرج رجله من الركاب فركله بها.

فقال فيه قل للخليفة يابن عم محمد اشكل وزيرك إنّه ركال " وبعث رجل من التجار وكيلاً له إلى رجل من الأشراف يفتضيه مالاً عليه فرجع إليه مضروباً فقال له: وبلك! مالك قال: سبك فسبته فصرتني.

قال: وما قال لك قال قال: أدخل الله هن الجمار في جر أم من أرسلك قال: دعني من افترائه عليّ وسبّه لي وأخبرني كيف جعلت أنت لأبر الجمار من الخزمة ما لم تجعله لجر أم من أرسلك هلا قلت: أير الجمار في هن أم من أرسلك

▲ باب في تحنك الفتى

قيل لعمر بن الخطاب: إن فلاناً لا يعرف الشر.

قال: ذلك أحرى أن يقع فيه.

وقال سُفيان الثوري: مَنْ لم يُحسن أن يتفتى لم يُحسن أن يتقرى.

وقال عمرو بن العاص: ليس العاقلُ الذي يعرف الخيرَ من الشرِّ إنما العاقلُ الذي يعرف خيرَ الشرِّين.

ومثل ذلك قول الشاعر: رَضِيْتُ ببعضِ الذلِّ خوفَ جميعه كذلك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ وسئلُ المُغيرة بن شُعبة عن عُمر بن الخطَّاب " رضي الله عنه " فقال: كان والله له قَصْلٌ يمنعُه من أن يَخْدعَ وعقلٌ يمنعُه من أن يَنخدع.

قال إياس: لستُ بِحَبِّ والخب لا يَخْدعني.

وتجادل إياس والحسين - وكان الحسنُ يرى كلَّ مُسلمٍ جائزَ الشهادة حتى تَظهر عليه سَفْطَةٌ أو يُجرَّحه المشهود عليه وكان إياسٌ لا يرى ذلك - فأقبل رجلٌ إلى الحسن فقال: إنَّ إياساً رَدَّ شهادتي.

فقام معه الحسنُ إليه فقال: أبا وائلة لم رددت شهادة هذا المُسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم: من صلى إلى قبلتنا فهو المُسلم له مالنا وعليه ما علينا فقال له إياسٌ: يا أبا سعيد يقولُ الله تعالى: " مِمَّن تَرَضَوْنَ مِن الشُّهداء " وهذا ممن لا ترضاه.

وكان عامرُ بنُ عبد الله بن الزبير في غاية الفِضْل والدين وكان لا يعرف الشرَّ فينا هو جالسٌ في المسجد إذ أتى بعطائه فقام إلى منزله فتسببه.

فلما صار في بيته ذكره فقال لخادمه: اذهب إلى المسجد فأئتني بعطائي فقال له: وأين نجده قال سبحان الله! أو بقي أحدٌ يأخذ ما ليس له وقال أيوب: من أصحابي من ارتجى بركة دُعائه ولا أقبل شهادته.

وذكرت فاطمة بنتُ الحسين عليهما السلامُ عند عُمر بن عبد العزيز وكان لها مُعظماً فقيل إنها لا تعرف الشرَّ فقال عُمر: عَدَمُ مَعْرِفَتِهَا بالشرِّ جَبْهَتُهَا الشرُّ.

وكانوا يَسْتَحْسِبُونَ الحُنْكَ للفتى والصَّبْوة للحدِّث ويكرهون الشَّيب قبل أوانه ويُسَبِّهون ذلك بيبوسِ التَّمرة قبل نُصْجِها وأنَّ ذلك لا يكون إلا من ضرر فيها.

فأنفع الإخوان مجلساً وأكرمهم عِشْرَةً وأشدُّهم حِدْقاً وأنبههم نَفْساً مَنْ لم يكن بالشاطر المُتَعَتِّك ولا الرَّاهِد المتسكِّ ولا الماجن المتطرِّف ولا العابد المنقشِّف ولكن كما قال الشاعر: يا هِنْدَ هَلْ لك في شَيْخِ قَتِيٍّ أبداً وقد يكونُ شابُّ غير فُتِيانٍ وقال آخر: وفَتَى وهو قد إنافَ عَلَيَّ الخم سِيبَ يَلْقالك في ثيابِ غلامٍ وقال آخر: قَلْبُكُ مني جانبٌ لا أضيغُه وللهو مني والبطالة جانبٌ كَهْلُ الأناةِ فتى الشُّذاه إذا عَدَا للِرُّوعِ كان القَشَعَمَ الغطريقاً ومن قولنا " في هذا المعنى ": إذا جالسَ الفُتِيانَ أَلْفِيته فتى وجالسَ كَهْلَ الناسِ أَلْفِيته كَهْلاً ونظيره قول ابن حِطَّان: يوماً يَمانُ إذا لاقيت ذا يَمَنٍ وإن لَهقيت مَعديا قَعْدَناني وقولُ عمران بن حِطَّان هذا هذا يحتمل غير هذا المعنى إلا أنَّ هذا

أَقْرَبُ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُ بِهِ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ مَعَ الْيَمَانِيِّ يَمَانِيٍّ وَمَعَ الْعَدْنَانِيِّ عَدْنَانِيٍّ
فِيَحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ لَخَوْفٍ مِنْهُ أَوْ مُسَاعَدَةٍ وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي

▲ باب الحُنْكَةِ وَالْحِدْقِ وَالتَّجْرِبَةِ.

وَقَالُوا: اصْحَبِ الْبِرَّ لِتَتَأَسَى بِهِ وَالْفَاجِرَ لِتَتَحَنَّنَ بِهِ.

وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَصْحَبِ الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ " وَلَمْ " يُوَدِّبِهِ الرَّخَاءُ وَالشَّدَّةُ مَرَّةً وَلَمْ
يَخْرُجْ مِنَ الظِّلِّ إِلَى الشَّمْسِ مَرَّةً فَلَا تَرُجُهُ.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: حَلَبُ فَلَانٍ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَفْوَيْقَهُ إِذْ فَهَمَّ خَيْرَهُ
وَشَرَّهُ فَإِذَا تَرَلَّ بِهِ الْغِنَى عَرَفَهُ " وَلَمْ يُبْطِرْهُ " وَإِذَا تَرَلَّ بِهِ الْبَلَاءُ " صَبَرَ لَهُ وَ
" لَمْ يُنْكَرِهِ.

وَقَالَ هُذَيْبَةُ الْعُدْرِيَّةُ: وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَارِعٌ وَمِنْ صَرْفِهِ
الْمُتَقَلِّبِ وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ زُرَّارَةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

قَدْ عِشْتُ فِي الدَّهْرِ أَطْوَاراً عَلَى طُرُقٍ شَتَّى فَصَادَفْتُ مِنْهُ اللَّيْنَ وَالْقَطْعَا كُلاً
بَلَوْتُ فَلَا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي وَلَا تَخْشَعْتُ مِنْ لَأْوَانِهِ جَرَعَا لَا يَمْلَأُ الْأَمْرَ صَدْرِي
قَبْلَ وَقَعْتِهِ وَلَا أَضِيقُ بِهِ دَرَعَا إِذَا وَقَعَا وَقَالَ آخَرٌ: فَإِنْ تَهَدَّمُوا بِالْعَدْرِ دَارِي
فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَأَضْرَبَ عَنْ
ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ
السَّيْفِ صَاحِبًا سَاعِغِيلاً عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قِضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا
وَسَأَلْتُ هِنْدُ عَنْ مُعَاوِيَةَ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَوْ جُمِعَتْ قَرِيشٌ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ رُمِي
بِهِ فِي وَسْطِهَا لَخَرَجَ مِنْ أَيِّ أَعْرَاضِهَا شَاءَ.

وَهَذَا نَظِيرٌ " قَوْلِ الشَّاعِرِ " : بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ أَصَاحِبُهُ إِلَّا
عِرَاكَ بْنَ نَائِلٍ وَعِلْمِي بِهِ بَيْنَ السَّمَّاطِينَ أَتَهُ سَيَّجُو بِحَقِّ أَوْسَيَّجُو بِبَاطِلٍ وَمَا
كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْنًا وَصَاحِبًا وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أَحْرَجَ فَإِنْ قَالَ قَوْمٌ
إِنَّ فِيهِ سَمَاجَةً فَقَدْ صَدَقُوا وَالذَّلُّ بِالْحُرِّ أَسْمَجٌ وَلِي قَرَسٌ لِلْحَلْمِ بِالْحَمِّ مُلْجَمٌ
وَلِي قَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيمِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ وَمَنْ شَاءَ
تَعْوِيَجِي فَإِنِّي مُعَوِّجٌ وَقَالَ مُعَاوِيَةُ فِي سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ الْغَامِديِّ: هَذَا الَّذِي لَا
يَكْفِكُ مِنْ عَجَلَةٍ وَلَا يُدْفِعُ فِي ظَهْرِهِ مِنْ بُطَاءٍ وَلَا يُضْرِبُ عَلَى الْأُمُورِ ضَرْبَ
الْجَمَلِ النَّقَالِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانئٍ: مَنْ لِلْجَدَاعِ إِذَا الصَّيْدَانُ مَاطَلَهَا بِشَأْوٍ مُطَّلَعِ الْغَايَاتِ
قَدْ قَرَحَا مِنْ لَا يُعْضِغُ مِنْهُ الْبُؤْسُ أَنْمَلَةً وَلَا يُصْعِدُ أَطْرَافَ الرِّبِيِّ قَرَحَا وَقَالَ
جَرِيرٌ: وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُرَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَتَاعِيْسِ

▲ باب في الرجل النفاع الضرار

يُقَالُ إِنَّهُ لَخَرَّاجٌ وَوَلَّاجٌ وَإِنَّهُ لَحَوَّلٌ فُلَّبٌ إِذَا كَانَ مُتَصَرِّفًا فِي أُمُورِهِ نَفَاعًا
لِأَوْلِيَائِهِ ضَرَارًا لِأَعْدَائِهِ.

وإذا كان على غير ذلك قيل: ما يُخْلِي ولا يُمِرُّ ولا يُعِدُّ في العير ولا في النَّفير وما فيه خير يُرَجَى ولا شرٌّ يُتَّقَى.

وقال بعضهم: لا يرضى العاقل أن يكون إلا إماماً في الخير والشرِّ.

وقال الشاعر: إذا أنت لم تنفع فضرر فإنما يُرَجَى القتي كما يُضرر وَيَنفَعُ وقال حبيب: ولم أرَ نفعاً عند من ليس ضائراً ولم لِرَّ ضرراً عند من ليس ينفعُ وسمع إعرابي رجلاً يقول: ما أتى فلانُ بيوم خيرٍ قط فقال: إن لا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر.

وقال الشاعر: وما فعلت بنو دُبَيانَ خيراً ولا فعلت بنو دُبَيانَ شراً وقال آخر: قَبِحَ الإلهُ عداوةً لا تُتَّقَى وَقَرَابَةً يُدَلَى بها لا تَنفَعُ وفخر رجال فقال: أبي الذي قَتَلَ الملوكَ وَعَصَبَ المنابرَ وفعل وفعل.

فقال له رجل: لكنه أسير وقتل وصلب.

فقال: دَعْنِي من أسره وقَتله وصلبه أبوك " هل " حدت نفسه بشيء من هذا قط.

وقال رجل " من العرب " يَدُمُّ قومه وأغارَت بنو شَيْبان على إبله فاستنجدهم فلم لو كنتُ من مارِنٍ لم تَسْتَجِ إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شَيْباناً إذا لقام بَنَصْرِي مَعَشَرُ حَشُونٍ عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجديه لهم طأروا إليه رَرافات ووُحْدانا لا يسألون أخاهم حين يَنذُبهم في التآبِثات على ما قال بُرْهانا لكنَّ قَوْمِي وإن كانوا دَوِي عَدَدٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا " يَجْزُونَ من ظلم أهل الظلم مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَاناً " كَأَنَّ رَبَّنَا لَمْ يَخْلُقْ لَخَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَاناً " فليت لي بهم قوماً إذا رَكِبُوا سَنَنُوا الإِغَارَةَ فُزْسَاناً وَرُكْبَاناً " ولم يُرد بهذا أنه وَصَفَهُم بِالْحِلْمِ ولا بِالْحَشِيَّةِ لله وإنما أراد به الذلَّ والعجز كما قال النَّجاشي في رَهْطِ تَمِيمِ بنِ مُقْبِلٍ: قَبِيلُهُ لا يَخْفِرُونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَةً حَرْدَلٍ ولا يَرِدُونَ المَاءَ إِلا عَشِيَّةً إِذا صَدَرَ الوُرَّادُ عن كُلِّ مَنَهْلٍ وكل من نفع في شيء فقد صرَّ في شيء.

وكذلك قول أشجع بن عمرو: يَرْجُو وَيَخْشَى حَالَتِيكَ الوَرَى كَأَنَّكَ الجَنَّةَ والنَّارَ ومن قولنا في هذا المعنى: من يَرْتَجِي غيرَكَ أو يَتَّقِي وفي يَدَيْكَ الجودُ والبأسُ ما عِشْتَ عَاشَ النَّاسُ في نِعْمَةٍ وَإِنْ تَمَّتْ مَاتَ بِكَ النَّاسُ وقال آخر: وليس قَتَى الفُئَيانِ مَن رَاحَ وَأَعْتَدَى لِشُرْبِ صَبُوحٍ أو لِشُرْبِ عَبُوقٍ وَلَكِنْ قَتَى الفُئَيانِ مَن رَاحَ وَأَعْتَدَى لِضُرِّ عَدُوٍّ أو لِنَفْعِ صَدِيقٍ

▲ باب في طلب الرغائب واحتمال المغارم

في كتاب للهندي: من لم يَرْكَبِ الأهوالَ لَمْ يَتَلِ الرِّغائِبَ وَمَنْ تَرَكَ الأَمَرَ الذي لَعَلَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ حاجَتَهُ مخافة ما لَعَلَهُ يُوقَاهُ فليَيسَ بِبالغِ جَسِيمِا وَإِنَّ الرَّجُلَ ذا المَرِوءَةِ لَيَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ خافِضَ المَنْزِلَةِ فَتَأبَى مُرِوءَتُهُ إِلا أَنْ يَسْتَعْلَى وَيَرْتَفِعَ كالشعلة من النار التي يَصُونُها صاحِبُها وتَأبَى إِلا ارتِفاعاً.

وذو القِصَل لا يَخْفِي فَضْلَهُ وَإِنْ أَحْفَاهُ كَالْمِسْكِ الَّذِي يُخْتَم عَلَيْهِ ثُمَّ لَا يَمْتَعُ ذَلِكَ رِيحَهُ مِنَ التَّذْكِي وَالظُّهُورِ.

ومن قَوْلنا فِي هَذَا الْمَعْنَى: لَيْسَ يَخْفِي فَضْلُ ذِي الْفِضْلِ لِبُرُورِ وَبِإِفْكَ وَإِلَّذِي بَرَزَ فِي الْفَضْلِ غَنِيٌّ عَنِ مُرْكَبِي رُبَمَا غَمَّ هَلَالُ الْإِلِ فِطْرَفِي لَيْلَةً تَشْكُ ثُمَّ جَلَى وَجْهَهُ التُّورُ فَجَلَى كُلَّ حَلْكَ إِنْ ظَهَرَ الْيَمُّ لِاتْرَكَهُ مِنْ غَيْرِ قُلْكَ وَنِظَامَ الْإِدْرَ لَا تَعُ قِدَهُ مِنْ غَيْرِ سَيْلِكَ لَيْسَ يَصْفُو الذَّهَبَ الْإِبْرِيضُ إِلَّا بَعْدَ سَبْكَ هَذِهِ جُمْلَةٌ أَمْثَالُهَا لَمْ فَمِنْ شَاءَ فَتَجِيحُكَ أَبْطَلْتُ كُلَّ يَمَانِيٍّ وَشَامِيٍّ وَمَكِّيٍّ لَيْسَ ذَا مِنْ صَوْغِ عَيْنِيٍّ وَلَا مِنْ تَسْجِ عَكِّي وَقَالُوا: لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنْزِلَتَيْنِ: إِمَّا فِي الْغَايَةِ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ مِنْ تَرْكِهَا.

وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ: إِمَّا مَعَ الْمَلُوكِ مَكْرَمًا وَإِمَّا مَعَ الْعِبَادِ مُتَبَتِّلًا.

وَلَا يُعَدُّ الْعُرْمُ عُرْمًا إِذَا مَا سَاقَ عُنْمًا وَلَا الْعُنْمُ عُنْمًا إِذَا مَا سَاقَ عُرْمًا.

وَنَظَرَ مَعَاوِيَةَ وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِيِّ: أَعَاذَتْنِي مَا أَحْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا وَأَحْشَنَ مِنْهُ فِي الْمَلَمَّاتِ رَاكِبُهُ دَرِينِي وَأَهْوَالَ الرِّمَانِ أَقَاسِيهَا فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ: وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهُوْلَ بُغْيَةً وَلَيْسَ لِرَجُلٍ حَظَّهُ اللَّهُ حَامِلٌ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرَضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَتَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ وَقَالَ الشَّيْخُ: فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا فِي بُيُوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ فَتَى يَمَلَأُ الشَّيْرَى وَيُرْوِي سِنَانَهُ وَيَصْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَمِيِّ الْمَدَجِّجِ وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: قَلُّوا أَنْ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي وَقَالَ آخَرٌ: لَوْلَا شِمَاتُهُ أَعْدَاءُ ذَوِي حَسَدٍ أَوْ أَنْ أَنْالَ بِنَفْعِي مَنْ يُرْجِيْنِي لَكِنْ مُنَافِسُهُ الْأَكْفَاءُ تَحْمِلُنِي عَلَى أُمُورٍ أَرَاهَا سَوْفَ تُزِدُنِي وَكَيْفَ لَا كَيْفَ أَنْ أَرْضَى بِمَنْزِلَةٍ لَا دِينَ عِنْدِي وَلَا دُنْيَا تُؤَاتِينِي وَقَالَ الْخَطِيبَةُ فِي هِجَائِهِ الرَّبْرِ قَانَ بْنِ بَدْرٍ: دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَأَسْمَعَهُ الشَّعْرَ فَقَالَ: مَا أَرَى مِمَّا قَالَ بِأَسَا قَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُجِيتَ بَيْتَ قَطٍّ أَشَدًّا! " عَلِيٌّ " مِنْهُ.

فَأَرْسَلَ إِلَى حَسَّانٍ فَسَأَلَهُ: هَلْ هِجَاهُ فَقَالَ: مَا هِجَاهُ وَلَكِنَّهُ سَلَّحَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْخَطِيبَةِ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبُكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا حَرَ الثِّيَابِ وَتَسْتَبَعُوا فَإِذَا تُذَوِّكِرْتِ الْمَكَارِمُ مَرَّةً فِي مَجْلِسٍ أَنْتُمْ بِهِ فَتَقْتَنَعُوا وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْدِلِ الرَّغَائِبَ وَمَنْ طَلَبَ الْعِظَائِمَ خَاطَرَ بَعْظِيمَتَهُ.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا أَتَى بِرَأْسِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ جَلْسَائِهِ فَقَالَ: إِنَّ يَزِيدَ رَكِبَ عَظِيمًا وَطَلَبَ جَسِيمًا وَمَاتَ كَرِيمًا.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ: لَا تَقْنَعَنَّ وَمَطْلَبٌ لَكَ مُمَكَّنٌ فَإِذَا تَضَايَقْتَ الْمَطَالِبُ فَاقْنَعْ وَمِمَّا جُبِلَ عَلَيْهِ الْحُرُّ الْكَرِيمُ أَنْ لَا يَقْنَعَنَّ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرِ بِشَيْءٍ مِمَّا انْبَسَطَ لَهُ أَمَلًا فِيمَا هُوَ أَسْنَى مِنْهُ دَرَجَةً وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِدَكِّينِ الرَّاجِزِ: إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَاقَعُ فَإِذَا بَلَغَكَ أَتَى صِرْتُ إِلَى

أشرف من منزلتي " هذه " فبعين ما أربيتك - قال له ذلك وهو عامل " المدينة " لسليمان بن عبد الملك - فلما صارت إليه الخلافة قدم عليه دُكين فقال له: أنا كما أعلمتُك أن لي نفساً تواقه وأن نفسي تافت إلى أشرف منازل الدنيا فلما بلغتها وجدتها تتوق إلى أشرف منازل الآخرة.

ومن الشاهد لهذا المعنى أن موسى صلوات الله عليه - لما كلمه الله " عز وجل " تكليماً - سأله النظر إليه إذ كان ذلك لو وصل إليه أشرف من المنزلة التي نالها فانبسط أمله إلى ما لا سبيل إليه ليُستدل بذلك على أن الحرّ الكريم لا يقع بمنزلة إذا رأى ما هو أشرف منها.

ومن قولنا في هذا المعنى: والحرّ لا يكفني من تبل مكرمة حتى يروم التي من دونها العطب يسعني به أمل من دونه أجل إن كفه رهب يستدعيه رعب لذاك ما سال موسى ربه أنظر إليك وفي تسأله عجب يبغي التزيّد فيما نال من كرم وهو النجى لديه الوحي والكذب وقال تأبط شراً في ابن عم له يصفه بزكوب الأهوال وبذل الأموال: وإني لمهّد.

من تنائي فقاصد به لابن عم الصّدق شمس بين مالك قليل التشكي للمهمّ يصيبه كثير التوى شتى الهوى والمسالك يظل بمؤماة ويسمى غيرها وحيداً ويعروري ظهور المهالك ويسبق وقد الرّيح من حيث ينتحي بمُنخرق من سنده المُتدارك إذا خاط عينه كرى التّوم لم يزل له كاليء من قلب شيحان فاتك " ويجعل عينه ربيّة قلبه إلى سلة من جفن أخلق باتك " إذا هره في عظم قرّن تهلت تواجذ أفواه المنايا الصّواحك وقال غيره من الشعراء " بل هي له " إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه أضاع وقاسى أمره وهو مُذير ولكن أخو الحرّم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وللقصد مبصر فذاك قريع الدهر ما عاش حوّل إذا سدّ منه منخر جاش منخر

▲ باب في الحركة والسكون

قال وهب بن منبه: مكتوب في التوراة: ابن آدم خلقتك من الحركة " للحركة " فتحرك وأنا معك.

وفي بعض الكتب: ابن آدم: أمدد يدك إلى باب من العمل أفتح لك باباً من الرزق.

وشاور عُتبة بن ربيعة أخاه شيبه بن ربيعة في النجعة وقال: إني قد أجدبتُ ومن أجدب انتجع.

فذهبت مثلاً.

قال له شيبه: ليس من العز أن تتعرّض للذل.

فذهبت مثلاً.

" فقال عُتبة: لن يفرس الليث الطلا وهو رابض فذهبت مثلاً " أخذه حبيب فقال: أراد بأن يحوي الغنى وهو وادع ولن يفرس الليث الطلا وهو رابض

وقيل لأعشى بكر: إلى كم هذه النجعة والاعتراب ما ترضى بالحفض والدعة فقال: لو دامت الشمس عليكم لمليتموها.

أخذه حبيب فقال: وطول مقام المرء في الحى مخلق لدياجته فاعترب تتجدد فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس إذ ليست عليهم يستزمد قال أبو سعيد أحمد بن عبد الله المكي: سمعت الشافعي يقول: قلت بيتين من الشعر وأنشدنا: إني أرى نفسي تنوق إلى مصر ومن دونها حوض المهامه والقفير فوالله ما المحري اللحفص والغنى أقاد إليها أم أقاد إلى قبري فدخل مصر فمات.

وقال موسى بن عمران عليه السلام: لا تدموا السفر فإني أدركت فيه ما لم يدرك أحد.

يريد أن الله عز وجل كلمه فيه تكلماً.

وقال المأمون: لا شيء ألد من سفر في كفاية لأنك في يوم تحل محلة لم تجلها وتعاشر قوماً لم لا يمنعك حفض العيش في دعة من أن تبدل أوطاناً بأوطان تلقى بكل بلاد إن خللت بها أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان مع أن المقام بالمقام الواحد يورث الملالة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: زُرغباً تزدد حُبا.

وقالت الحكماء: لا تُنال الراحة إلا بالتعب ولا تُدرك الدعة إلا بالنصب.

وقال حبيب: بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تُنال إلا على جسر من التعب وقال أيضاً: على أنني لهم أخو وفراً مجمعا قررت به إلا بشمل مُبدد ولم تعطني الأيام يوماً مسكناً ألد به إلا بنوم مشرد وقال أيضاً: وركب كأطراف الأسيئة عرسوا على مثلها والليل تسطر غياهبه لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه وبعد فهل يجوز في وهم أو يتمل في عقل أو يصح في قياس أن يُحصد رزق بغير بذر أو تُجنى ثمرة بغير عرس أو يُورى رند بغير قدح أو يُتمر مال بغير طلب.

ولهذا قال الخليل بن أحمد: لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا بالوقوف على ما لا تحتاج إليه فقال له أبو شمر المتكلم: فقد احتجت إذاً إلى ما لا تحتاج إليه إذ كنت لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا به قال " له " الخليل وُحك! وهل يقطع السيف الحسام إلا بالضرب أو يجري الجواد إلا بالركض أو هل تُنال نهاية أو تُدرك غاية إلا بالسعي إليها والإيضاع نحوها وقد يكون الإكداء مع الكد والخيبة مع الهيبة.

وقال الشاعر: وما زلتُ أقطع عرّص البلاد من المشرقين إلى المغربين وأدّرع الخوف تحت الدجى وأستصحب الجدّي والقرقدين وأطوي وأشتر ثوب الهموم إلى أن رجعت بحقي حنين إلى كم أكون على حالة مقلّ من المال صفر اليدين فقير الصديق غني العدو قليل الجداء عن الوالدين ومثل هذا قليل في كثير وإنما يحكم بالأعم والأغلب والنجح مع الطلب والجحيم للعجز أصحاب.

وقد شرح حبيبٌ هذا المعنى فقال: هَمَمَ القَتَى في الأرضِ أَعْصَانُ الغِنَى
عَرَسَتْ وليست كلُّ جِينِ ثورِقٍ لكِ الحَاظُ مِرَاضٌ وَدَلَّ غَيْرَ أَنَّ الطَّرْفَ عنها
أَكَلٌ وَأَرَى حَدِيثِكَ وَزِدَا نَضِيرًا جَادَهُ من دمعِ عَيْنِي طَلَّ عَدْبَةُ الألفاظِ لم لم
يَشِينُهَا كَرَّ تَفْنِيدٍ بِسِمْعِي يُضِلُّ أَنَّ عَرَى التي أَنْقَبِي عَنْ سِوَاهَا كُنْزُهَا لِي قُلُّ
ظَلْتُ في أَفْيَاءِ ظِلِّكَ حتى ظَلُّ فَوْقِي لِلْمَتَالِفِ ظَلُّ أَنَّ أَوْلَى مِنْكَ بِي لَهْرَامٌ لا
يَحُلُّ الهَوَانُ حَيْثُ يَحُلُّ مَا مَقَامِي وَحُسَامِي قَاطِعٌ وَسِينَانِي صَارُمٌ مَا يَقُلُّ
سِنَانِي مِثْلُ رَوْضَةِ حَزْنٍ أَصْحَكْتَهَا دِيمَةً تَسْتَهَلُّ دَلِيلِي بَيْنَ فَكَيِّ يَغْلُو كُلُّ صَعْبٍ
رَبِيضٍ قَيْذِلٌ تَمَلًّا مِنْ حَمْرَةِ العَجْزِ أَسْقَى تَهْلًا مِنْ بَعْدِهِ لِي عَلَيَّ إِنْ يَكُنْ قُرْبُكَ
عِنْدِي جَلِيلًا فَأَقُلُّ الحَزْمُ مِنْهُ أَجَلٌ أَقْعِيدًا لِلقَعِيدَةِ الْفَأُ كُلُّ إلفٍ بِي لِعُدْمِي
مَجَلُّ لا يَشْكُ السَّمْعُ حِينَ يَرَاهُ أَنَّهُ بِالْيَدِ سَمِعَ أَرْلَ بَيْنَ تَوَيْبِهِ أَخُو عِزْمَاتِ
يَتَّقِيهَا الحَادِثُ المِصْمِيلُ لَيْسَ تَبُو بِي رِحَالٌ وَبِيدٌ إِنْ تَبَا بِي مَنَزِلٌ وَمَحَلُّ
فَأَقْلِي بَعْضَ عَدَلٍ مُقَلُّ لا يَرَى صَرْفَ الرِّمَانِ يَقُلُّ نَّ وَحَدَّ العَيْسِ إِنَّمَارِ رِزْقٍ
يَجْتَنِيهَا المُسْتَهَبُ المُشْمَعِلُ لا تَفْلِي حَدَّ عِزْمِي يَلُومُ إِنِّي لِلعَزْمِ وَالذَّهْرِ خَلُّ
فَالقَتَى مَنْ لَيْسَ يَرَعَى حِمَاهُ طَمَعًا يَوْمًا لَهُ مُسْتَذِلٌّ مَنْ إِذَا حَاطَبٌ أَطَلَّ عَلَيْهِ
فَلَهُ صَبْرٌ عَلَيْهِ مُطَلُّ يَصْحَبُ اللَّيْلَ الوَلِيدَ إِلَى أَنْ يَهْرَمَ اللَّيْلُ وَمَا إِنْ يَمَلُّ
وَيَرَى السَّيْرَ " قَد " يَلْجُلُجُ مِنْهُ مُضَغَةٌ لِكُنْهَا لِاتَّصِلَ شَمَرَتِ أَثْوَابِهِ تَحْتَ لَيْلٍ
تَوْبُهُ ضَافٍ عَلَيْهِ رِقْلٌ سَاضِعِ النَوْمِ كَيْمَا تَرَبَّنِي وَمِضْعِي مُعْظَمٌ لِي مُجَلُّ

▲ باب التماس الرزق وما يعود على الأهل والولد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: العائد على أهله وولده كالمجاهد المُرابط
في سبيل الله.

وقال صلى الله عليه وسلم: اليد العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى وابدأ " بِنَفْسِكَ
ثُمَّ " بِمَنْ تَعُولُ.

وقال عمرُ بنُ الحَطَّابِ: لا يَفْعُدُ أَحَدُكُمْ عَنِ طَلْبِ الرِّزْقِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ
ارزُقني وقد عَلِمَ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمَطِّرُ دَهَبًا ولا فِضَّةً وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَرزُقُ
النَّاسَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَتِلَا قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فانتشروا في الأرضِ واتَّبِعُوا مِنْ قِصَلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
"

وقال محمدُ بنُ إدريسِ الشَّافِعِيِّ: احْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَدَعْ كَلَامَ النَّاسِ
فإِنَّهُ لا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ السَّنَةِ العَامَّةِ.

ومثله قولُ مالِكِ بنِ دِينَارٍ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَضِرْهُ مَا قَالَ النَّاسُ فِيهِ.

وقال كِطَاهِرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ قَالَ: أَنشَدَنَا أَبُو عُبَيْدِ
القَاسِمِ بنُ سَلَامٍ: لا يَنْقُصُ الكَامِلَ مِنْ كَمَالِهِ مَا سَاقَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى عِيَالِهِ
وقال عمرُ بنُ الحَطَّابِ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " : يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ التَّمَسُّوا الرِّزْقَ
ولا تَكُونُوا عَالَةً عَلَى النَّاسِ.

وقال أَكْثَمُ بنُ صَيْفِيٍّ: مَنْ صَبَّحَ زَادَهُ اتَّكَلَ عَلَى زَادٍ غَيْرِهِ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: خَيْرِكُمْ مَنْ لَمْ يَدَعِ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلَا دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ.

وقال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عملاً من يعيش أبداً واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً.

وذكر رجلٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في العبادة والقوة على العمل وقالوا: صَحْبُنَا فِي سَفَرٍ فَمَا رَأَيْنَا بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْبَدَ مِنْهُ كَانَ لَا يَنْفُتِلُ مِنْ صَلَاةٍ وَلَا يُفْطِرُ مِنْ صِيَامٍ.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن كان يمونه ويقوم به قالوا: كلنا قال: كلكم أعبد منه.

ومرّ المسيحُ برجلٍ من بني إسرائيل يتعبّد فقال: ما تصنع قال: أتعبّد قال: ومن يقوم بك قال: أخي قال: أخوك أعبد منك.

وقد جعل الله طلب الرزق مفروضاً على الخلق كله من الإنس والجن والطيور والهوام منهم بتعليم ومنهم بالهام وأهل التحصيل والنظر " من الناس " يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز وأهل العجز والكسل يطلبونه بأفبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلاية والاحتيال.

▲ باب في فضل المال

قال الله تعالى " الْمَالُ وَالنَّوْتُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا " .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمُجاشعي: إن كان لك مال فلك حسب وإن كان لك خلق فلك مُروءة وإن كان لك دين فلك كرم.

وقال عمرُ بن الخطّاب: حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومُروءته خُلُقه.

وفي كتاب الأدب للجاحظ: اعلم أنّ تَمِيمَ المَالِ آلَةٌ للمكارم وَعَوْنٌ على الدِّينِ وتَأْلِيفٌ للإخوان وأنّ مَنْ فَقَدَ المَالَ قَلَّتِ الرَّغْبَةُ إِلَيْهِ والرَّهْبَةُ مِنْهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِمَوْضِعِ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ اسْتَهَانَ النَّاسُ بِهِ فَاجْهَدْ جَهْدَكَ كُلَّهُ فِي أَنْ تَكُونَ القلوبُ مُعَلِّقَةً مِنْكَ بِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا.

وقال حكيم لابنه: يا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِطَلَبِ المَالِ فلو لم يكن فيه إلاّ أنّه عِزٌّ في قَلْبِكَ وَدُلٌّ في قَلْبِ عَدُوِّكَ لَكَفَى.

وقال عبدُ الله بن عبّاس: الدُّنْيَا العَاقِيَةُ والشَّبَابُ الصِّحَّةُ والمُروءة الصبر والكرّم التَّقْوَى والحسب المَالُ.

وكان سعدُ بن عبّادة يقول: اللهم ارزقني جِدًّا وَمَجْدًا فإنه لا مَجْدَ إلاّ بِفَعَالٍ ولا فَعَالٍ إلاّ بِمَالٍ.

وقالت الحكماء: لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ويحمي به مروءته ويصل به رحمه.

وقال عبد الرحمن بن عوف: يا حذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي وقال سفيان الثوري: المال سلاح المؤمن في هذا الزمان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ الْغِنَى وَنِعَمَ السَّلْمُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ الْغِنَى وَتَلَا " وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ " وقوله: " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَنُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَنِسَاءٍ .

وقال خالد بن صفوان لابنه: يا بُنَيَّ أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما: ذرهمك لمعاشك ودينك لمعادك.

وقال عروة بن الورد: دَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمْ الْفَقِيرُ وَأَحَقُّهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ يُبَاعِدُهُ الْقَرِيبُ وَتَرُدُّرِبَهُ حَلِيلُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ وَيُلْفِي ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فُوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ قَلِيلُ دَنَبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌ وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ قَلِيلٌ دَنَبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌ وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ سَاكِسٌ مَالًا أَوْ أَمُوتَ بَيْلِدَةً يَقُلُّ بِهَا قَطْرُ الدَّمُوعِ عَلَيَّ قَبْرِي وَقَالَ آخَرُ: سَاعَمَلْتُ تَصَّ الْعَيْسَ حَتَّى يَكْفِنِي عَنِّي الْمَالُ يَوْمًا أَوْ عَنِّي الْحَدَثَانِ فَلَلْمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى بِهَا عَلَى الْمَرْءِ بِالْإِقْلَالِ وَسَمُّ هَوَانٍ إِذَا قَالَ لَمْ يُسْمِعْ لِحُسْنِ مَقَالِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانٌ كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بُورِكَ الْغِنَى - بَعِيرٌ لِّسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ الرَّيَاشِيِّ قَالَ: أَنشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ بِنَ عِيَّاشٍ: حَيْرَانٌ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٍ لَهُ مَا لَمْ يَسْفَعْهُ لَهُ دِينَرٌ وَلَا خُلُقٌ لَوْلَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا سُبِقْتَهَا بَدْرًا إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ضَاقَتْ الطَّرِيقُ فَمِنْ يَكُنْ عَنِ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي فَأَكْرِمُ النَّاسَ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقٌ وَقَالَ آخَرُ: أَجَلَكُ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى وَكُلُّ عَنِي فِي الْعِيُونَ جَلِيلٌ وَلَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تُؤْتِ ثَرْوَةً دَلَلْتُ لَدَيْهِمْ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلٌ فَشَرَّفَ دَوِي الْأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِبْتَهُمْ فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفَعْلُهُمْ فِعْلٌ وَأَنشَدَ أَبُو مُحَلِّمٍ لِرَجُلٍ مِنْ وَدِّ " طَلَبْتَهُ بِنَ " قَيْسَى بِنَ عَاصِمٍ: وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ حَهِيمًا كَتَبْتُهُ عَلَى الْوَجْهِ حَتَّى خَاصَمْتَنِي الدَّرَاهِمُ فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْخُصُومَةَ عُلِبْتُ عَلَيَّ وَقَالُوا قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمٌ وَأَنشَدَ الرَّيَاشِيُّ: لَمْ يَبْقَ مِنْ طَلَبِ الْغِنَى إِلَّا التَّعَرُّضُ لِلْحُنُوفِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَهْجَتِي بَيْنَ الْأَسِيَّةِ وَالسِّيُوفِ وَأَطْلَبَنَّ وَلَوْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يَلْمَعُ فِي الصُّفُوفِ وَكَانَ لِأَحِيحَةَ بِنَ الْجَلَّاحِ بِالزُّورَاءِ ثَلَاثِينَ نَاضِحٌ فَدَخَلَ بَسْتَانًا لَهُ فَمَرَّ بِتَمْرَةٍ فَلَقَطَهَا فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: تَمْرَةٌ إِلَى تَمْرَةٍ تَمْرَاتٌ وَجَمَلٌ إِلَى جَمَلٍ دَوْدُ.

ثم أنشأ يقول: إني مُقيم على الزوراء أعمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال فلا يعزرك ذو قربي وذو نسب من ابن عم ومن عم ومن خال كل النداء إذا ناديت بخدني إلا ينادي إذا ناديت يا مالي قالوا تأتي عن الإخوان قلت لهم مالي أحم غير ما تطوى عليه يدي " كان الرماحس بن حفصة بن قيس وابن عم له يدعى ربيعة بن الورد يسكنان الورد وكان ربيعة بن الورد مؤسراً والرماحس مؤسراً كثيراً ما يشكو إليه الحاجة ويعطف عليه ربيعة بعض العطف فلما أكثر عليه كتب إليه: إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرنا وصار على الأدين كلاً وأوشكت صلاتي دوي

الْقَرِيبَ لَهُ أَنْ تَنْكَرَا فَسِيرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسَ الْغَنَى تَعِيشَ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ
فَتُعَذَّرَا فَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تَبْتَغَى مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا وَلَا
تَرْضَى مِنْ عَيْشٍ بَدُونٍ وَلَا تَنَمَّ وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِرًا وَقَالَ بَعْضُ
الْحَكَمَاءِ: الْمَالُ يُوقِرُ الدُّنَى وَالْفَقْرُ يُذِلُّ السَّنَى.

وَأَنشَدَ: بِأَرَى ذَا الْغِنَى فِي النَّاسِ يَسْعَوْنَ حَوْلَهُ فَإِنْ قَالَ قَوْلًا تَابَعُوهُ وَصَدَّقُوا
فَذَلِكَ دَابُّ النَّاسِ مَا كَانَ ذَا عِنَى فَإِنْ زَالَ عَنْهُ الْمَالُ يَوْمًا تَفَرَّقُوا وَأَنشَدَ: مَا
النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَحَيْثُمَا انْقَلَبْتُ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا صُنُوفَ الْمَالِ قَالَ
مُعَاوِيَةَ لَصَّعُصَةَ بِنِ صُوحَانَ: إِنَّمَا أَنْتَ هَاتِفٌ بِلِسَانِكَ لَا تَنْظُرُ فِي أَوْدِ الْكَلَامِ
وَلَا فِي اسْتِقَامَتِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَفْضَلِ الْمَالِ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَدْعُ الْكَلَامَ حَتَّى يَخْتَمِرَ فِي صَدْرِي فَمَا
أُرْهِفُ بِهِ وَلَا أَتْلَهُقُ فِيهِ حَتَّى أَقِيمَ أَوْدَهُ وَأَحْرَرَ مَنَّهُ.

وَإِنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ لِبِرَّةِ سَمْرَاءَ فِي ثُرْبَةِ عَبْرَاءَ أَوْ تَعَجَّةِ صَفْرَاءَ فِي رَوْضَةِ
خَصْرَاءَ أَوْ عَيْنِ حَرَّارَةَ فِي أَرْضِ حَوَّارَةَ.

قَالَ مُعَاوِيَةَ: لِلَّهِ أَنْتَ! فَأَيْنَ الذَّهَبُ وَالْفِصَّةُ قَالَ: حَجْرَانِ يَصْطَلِكَانِ إِنْ أَقْبَلْتَ
عَلَيْهِمَا تَفْدَا وَإِنْ تَرَكَتَهُمَا لَمْ يَزِيدَا.

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ: مَا تَقُولِينَ فِي مِائَةِ مِنَ الْمَعَزِ قَالَتْ: قَنِي قِيلَ لَهَا: فَمِائَةُ مِنَ
الصَّانِ قَالَتْ: عِنَى قِيلَ لَهَا: فَمِائَةُ مِنَ الْإِبِلِ قَالَتْ: مُتَى.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ: عَلَّةُ الدُّورِ مَسْأَلَةُ وَعَلَّةُ النَّخْلِ كَفَافُ وَعَلَّةُ الْحَبِّ
مَلِكٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ: أَفْضَلُ أَمْوَالِكُمْ قَرَسٌ فِي بَطْنِهَا فَرَسٌ يَتَّبِعُهَا فَرَسٌ وَعَيْنٌ
سَاهِرَةٌ لَعَيْنٌ نَائِمَةٌ.

وَأَنشَدَ قَرَجُ بْنُ سَلَامٍ لِبَعْضِ الْعِرَاقِيِّينَ: وَلَقَدْ أَقُولُ لِحَاجِبٍ نُصْحًا لَهُ حَلَّ
الْعُرُوضِ وَيَعُ لَنَا أَرْضًا إِنِّي رَأَيْتُ الْأَرْضَ بِنَبْقَى تَفْعُهَا وَالْمَالُ يَأْكُلُ بَعْضُهُ بَعْضًا
وَاحْدَرُ أَنَا سَا يَظْهَرُونَ مَحَبَّةً وَعُيُوثُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ مَرَضَى تَدْبِيرَ الْمَالِ قَالُوا: " لَا
مَالَ " لِأَخْرَقَ وَلَا عَيْلَةَ عَلَى مُصْلِحٍ وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ.

وَقَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ: لِيُنْفِقِي ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الصَّدَقَةِ
إِنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَفِي مُصَانَعَةِ السُّلْطَانِ إِنْ أَرَادَ الذَّكْرَ وَفِي النَّسَاءِ إِنْ أَرَادَ
تَعِيمَ " الْعَيْشِ.

وَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةً وَلَا يُدْرِكُهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ فَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي
تُطْلَبُ: فَالسَّعَةُ فِي الْمَعِيشَةِ وَالْمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ وَالزَّادُ إِلَى الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ: فَالْكَتْسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ
وَحُسْنُ الْقِيَامِ عَلَيْهِ ثُمَّ التَّنْمِيرُ لَهُ ثُمَّ الْإِنْفَاقُ فِيهَا يُصْلِحُ الْمَعِيشَةَ وَيَرْضَى الْأَهْلَ
وَالْإِخْوَانَ وَيَعُودُ فِي الْآخِرَةِ تَفْعُهُ فَإِنْ أَضَاعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ لَمْ يُدْرِكْ
شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ

واكتساب ولم يُحسن القيامَ عليه يُوشِكُ أن يَفنى وَيَبقى بلا مال وإن هو
أَنفقَه ولم يَبْتَمِرْه لم تمنعه قِلَّةُ الإنفاق من سُرعة التَّفاد كالكُحل الذي إنما
يُؤخذ منه على الميل مثلُ الغبار ثم هو مع ذلك سَرِيعُ نفاذه وإن هو اكتسب
وأصلح وتَمَرَّ ولم يُنفق الأموالَ في أبوابها كان بمنزلة الفقير الذي لا مالَ له
ثم لا يَمنع ذلك ماله من أن يُفارقَه ويذهب حيثُ لا مَنفعة فيه كحابس الماء
في المَوْضع الذي تَنصَبُ فيه المياه إن لم يَخْرُج منه بَقْدُر ما يَدْخُل فيه مَصَل
وسال من نواحيه فيذهب الماء صَياعاً.

وهذا نظير قول الله تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " و وقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: " وَلَا تَحْغَلْ
بَدَنَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَتَسَطَّهَا كُلَّ السَّطِّ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ".

ونظر عبد الله بن عباس إلى دِرْهم بيد رَجُل فقال له: إنه ليس لك حتى
يَخْرُج من يدك.

يريد أنه لا ينتفع به حتى يُنْفِقَه وَيَسْتفيد غيره مكانه.

وقال الحُطَيْبَةُ: مفيد ومثلاف إذا ما سألتَه تَهَلَّلَ وأهتَرَّ اهتزازَ المُهتَدِّ وقال
مُسلِم بن الوليد: لا يَعْرِفُ المَالَ إِلَّا رَبَّتْ يُنْفِقَه أو يومَ يَجْمعه للثَّهب والبَدَدِ
وقال آخر: مُهْلِكُ مالٍ ومُفيدُ مالٍ وقال سُفيان الثُّورِيُّ: مَنْ كان في يده
شيءٌ فَلْيُصْلِحْه فَإِنَّه في زمانٍ إن احتاجَ فيه كان أولَ ما يَبْدُلُه دينه.

وقال المُتَمَلِّسُ: وَحَبْسُ المَالَ أَيَسَّرُ من بُعَاةٍ وَصَرَبُ في البِلَادِ بَعِيرُ زاد سَعْدُ
القَصِيرُ قال: وَلَا نَبِيَّ عُنْبَةَ أمواله بالحِجاز فلما ودَّعته قال لي: يا سَعْدُ تعاهدْ
صغير مالي " فَيَكْتَرُ " ولا تُضَيِّعْ كثيرَه فَيَصْغُرُ فإنه ليس يَشْغَلني كثير مالي
عن إصلاح قَليله ولا يَمْنَعني قَليلُ ما في يدي عن الصبر على كثير مما
يُنُوني.

قال: فَقدِمْتُ المَدِينَةَ فَحدَّثتُ بها رِجالاً فُربِشَ ففَرَّقوا بها الكُتُبَ على
الوُكلاء.

الإقلال قال أرسططاليس: الغنى في العُرْبَةِ وَطَنَ والمقلُّ في أهله غريب.

أخذه الشاعرُ فقال: لَعَمْرُكَ ما الغريبُ بذِي التناهي ولكنَّ المُقلُّ هو الغريبُ
إذا ما المرءُ أَعْوَرَ ضاقَ دَرَعاً بِحاجته وأبعده القريب وقال إبراهيم الشيباني:
رأيتُ في جدارٍ من جُدْرِ بيت المقدس " بيتين مكتوبين بالذهب: وكلُّ مُقلِّ
حين يَعدو لِحاجةٍ إلى كُلِّ مَنْ يَلقى من النَّاسِ مُدْبِئٌ وكان بَنُو عَمِّي يقولون
مَرْحَباً فلما رأوني مُقْتِراً ماتَ مَرْحَبٌ ومن قَوْلنا في هذا المعنى: اقد
أَسْقَطْتُ حَقِّي عليك صَبابتي كما أَسْقَطُ الإفلاسُ حَقَّ عَرِيمٍ وأعدَرُ ما أدمى
الجُفُونِ من البُكا كَرِيمٌ رأى الدُّنيا بكفٍّ لئيمٍ أرى كُلَّ قَدَمٍ قد تَبَحَّحَ في الغنى
وذو الظرفِ لا تَلقاه غيرَ عَدِيمٍ قال الحسن بن هانئ: الحَمْدُ لله ليس لي
تَشَبُّ قَحْفَ ظَهري ومَلني وَلدي مَنْ تَطَرَّتْ عَيْنُه إِلَيَّ فَقدَ أحاطَ علماً بما
حَوته يَدِي وكان أبو الشَّمْقُمُ الشاعرُ أدبياً ظريفاً محارفاً صُغْلوكاً مُتَبَرِّماً
قد لَزِمَ بيته في أطمارِ مَسْحوقَةٍ وكان إذا اسْتَفْتَحَ عليه أحدٌ بابَه خَرَجَ فَتَنظَرَ
من فُرَجِ البابِ فإن أعجبه الواقفُ قَتَحَ له وإلا سَكَتَ عنه.

فأقبل إليه بعض إخوانه فدخل عليه فلما رأى سوء حاله قال له: أبشر أبا الشَّمَقْمَق فإنا رَوِينَا فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَارِبِينَ فِي الدُّنْيَا هُمُ الْكَاسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قال: إن كان والله ما تقول حقاً لأكوننَّ بَرَّازاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: أَنَا فِي حَالٍ تَعَالَى اللَّهُ رَبِّي أَيُّ حَالٍ وَلَقَدْ أَهْزَلْتِ حَتَّى مَحَتِ الشَّمْسُ خَيَالِي مَن رَأَى شَيْئاً مُحَالاً فَأَتَا عَيْنَ الْمَحَالِ وَلَقَدْ أَفْلَسْتُ حَتَّى خَلَّ أَكْلِي لِعِيَالِي فِي حِرَامِ النَّاسِ طَرّاً مِنْ نِسَاءِ وَرِجَالٍ لَوْ أَرَى فِي النَّاسِ حُرّاً لَمْ أَكُنْ فِي ذَا الْمِثَالِ وَقَالَ أَيْضاً: أَثْرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمَا لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ غَيْرُ رَجُلِي كَلَّمَا كُنْتُ فِي جَمِيعٍ فَقَالُوا قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَّبْتُ تَعَلَى حَيْثُمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلاً مَن رَأَى فَقَدْ رَأَى وَرَحْلِي وَقَالَ أَيْضاً: لَوْ قَدْ رَأَيْتَ سَرِيرِي كُنْتَ تَرَحْمَنِي اللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي فِيهِ تَلَيْسُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا لِي فِيهِ شَابِكَةٌ إِلَّا الْحَصِيرَةُ وَالْأَطْمَارُ وَالِدَيْسُ وَقَالَ أَيْضاً: بَرَزْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقِيَابِ فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَيَّ أَحَدٌ حِجَابِي فَمَنْزِلِي الْفِضَاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي سَمَاءُ اللَّهِ أَوْ قَطْعُ السَّحَابِ وَلَا انْتَشَقُّ الثَّرَى عَن عُودٍ تَحْتَ أَوْمَلٍ أَنْ أَشُدَّ بِهِ ثِيَابِي وَلَا خِفْتُ الْإِبَاقَ عَلَيَّ عَيْدِي وَلَا خِفْتُ الْهَلَاكَ عَلَيَّ دَوَابِي وَلَا حَاسَبْتُ يَوْماً قَهْرَماناً مُحَاسِبَةً فَأَعْلَظُ فِي حِسَابِي وَفِي ذَا رَاحَةٍ وَقِرَاعٍ بِأَلِّ قِدَابِ الدَّهْرِ ذَا أبدأ وَدَابِي وَفِي كِتَابِ الْهَيْدِ: مَا التَّبِعُ وَالْإِخْوَانَ وَالْأَهْلَ وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْأَعْوَانَ وَالْحَشَمَ إِلَّا مَعَ الْمَالِ وَمَا أَرَى الْمُرُوءَةَ يُظْهَرُهَا إِلَّا الْمَالُ وَلَا الرَّأْيَ وَالْقُوَّةَ إِلَّا بِالْمَالِ وَوَجِدْتُ مَن لَا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَنَاولَ أَمراً قَعَدَ بِهِ الْعُذْمُ فَيَبْقَى مَقْصِراً عَمَّا أَرَادَ كَالْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأُودِيَةِ مِنْ مَطَرِ الصَّيْفِ فَلَا يَجْرِي إِلَى بَحْرٍ وَلَا نَهْرٍ بَلْ يَبْقَى مَكَانَهُ حَتَّى تَنْسَقَهُ الْأَرْضُ وَوَجِدْتُ مَن لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ وَمَنْ لَا وُلْدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ لَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ لَهُ وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَا شَيْءَ لَهُ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ رَقَصَهُ إِخْوَانُهُ وَقَطَعَهُ ذُوو رَحْمِهِ وَرَبَّمَا اضْطَرَّتْهُ الْحَاجَةُ لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ إِلَى التَّمَاسِ الْرِّزْقِ بِمَا يُعْتَرَّرُ فِيهِ بَدِينَهُ وَدُنْيَاهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلَا شَيْءَ أَشَدَّ مِنَ الْفَقْرِ.

وَالشَّجَرَةُ النَّابِتَةُ عَلَيَّ الطَّرِيقِ الْمَأْكُولَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ أَمْثَلُ حَالاً مِنَ الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَالْقَعْرُ دَاعٍ صَاحِبِهِ إِلَى مَقْتِ النَّاسِ وَمُتْلِفٌ لِلْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ وَمُذْهَبٌ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَمَعْدَنٌ لِلتَّهْمَةِ وَمَجْمَعٌ لِلْبَلَايَا.

وَوَجِدْتُ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ أَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ مَن كَانَ لَهُ مُؤْتَمِناً وَليْسَ مِنْ حَصلَةِ هِيَ لِلْغِنَى مَدْحٌ وَرَيْنَ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ دَمٌ وَشَيْنٌ فَإِنْ كَانَ شُجَاعاً قِيلَ أَهْوَجٌ وَإِنْ كَانَ جَوَاداً قِيلَ مُفْسَدٌ وَإِنْ كَانَ حَلِيماً قِيلَ صَعِيفٌ وَإِنْ كَانَ وَفُوراً قِيلَ بَلِيدٌ وَإِنْ كَانَ صَمُوتاً قِيلَ عَيٌّ وَإِنْ كَانَ بَلِيغاً قِيلَ مَهْذَارٌ.

فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْفَقْرِ الَّذِي يَضْطُرُّ صَاحِبَهُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَلَا سِيَّما مَسْأَلَةَ اللُّثَامِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ " لَوْ كَلَّفَ " أَنْ يَدْخُلَ يَدَهُ فِي قَمِّ تَيْنٍ وَيُخْرِجَ مِنْهُ سُمَّاً فَيَبْتَلِغَهُ كَانَ أَحْفَ عَلَيْهِ مِنَ مَسْأَلَةِ " الْبَخِيلِ اللَّئِيمِ.

السُّؤَالُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَنَّ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ أَحْبَبَهُ فَيَحْتَضِبُ بِهَا عَلَيَّ ظَهْرَهُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ قَصلِهِ فَيَسْأَلُهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ.

وقال: مَنْ فَتَحَ عَلَيَّ نَفْسَهُ بَاباً مِنْ السُّؤَالِ فَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْفَقْرِ.

وقال أکثم بن صَيْفِيٍّ: كُلُّ سُؤَالٍ وَإِنْ قَلَّ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ تَوَالٍ وَإِنْ جَلَّ.

ورَأَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ رَجُلًا يَسْأَلُ بَعْرَفَاتٍ فَفَتَّعَهُ بِالسُّوْطِ وَقَالَ: وَيْلَكَ! أَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ تَسْأَلُ أَحَدًا غَيْرَ اللّٰهِ وَقَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عَبَّاسٍ: الْمَسَاكِينُ لَا يَعْوِدُونَ مَرِيضًا وَلَا يَشْهَدُونَ جِنَازَةً وَلَا يَخْضُرُونَ جُمُعَةً وَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي أَعْيَادِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ يَسْأَلُونَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ اجْتَمَعُوا يَسْأَلُونَ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وقال النُّعْمَانُ بْنُ النَّبْرِ: مَنْ سَأَلَ فَوْقَ حَقِّهِ اسْتَحَقَّ الْجِزْمَانَ وَمَنْ أَلْحَفَ فِي مَسْأَلَتِهِ اسْتَحَقَّ الْمَطْلَ وَالرَّفْقَ يُمْنُ وَالْحُرْقَ شُؤْمٌ وَخَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ وَخَيْرُ الْعَفْوِ مَعَ الْمَقْدِرَةِ.

وقال سُبْرِيحٌ: مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّقِّ فَإِنْ قَصَّاهَا الْمَسْئُولُ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا وَإِنْ رَدَّهَ عَنْهَا رَجَعَ كِلَاهِمَا ذَلِيلًا: هَذَا بَدَلُ الْبُهْلِ وَذَلِكَ بَدَلُ الرَّدِّ.

وقال حَبِيبٌ: كُلُّ السُّؤَالِ بَشَجَى فِي الْحَلْقِ مُعْتَرِضٌ مِنْ دُونِهِ يَشْرَقُ مِنْ تَحْتِهِ جَرَضُ الْخُبْنَى قَالَ: قَالَ أَبُو عَسَانَ: أَخْبَرَنِي أَبُو زَيْدٍ قَالَ: سَأَلَ سَائِلٌ يُمْسِجِدُ الْكُوفَةَ وَقَتَّ الظَّهْرَ فَلَمْ يُعْطَ شَيْئًا فَقَالَ: اللّٰهُمَّ إِنَّكَ بِحَاجَتِي عَالِمٌ لَا تُعْلَمُ أَنْتَ الَّذِي لَا يُعْوزُكَ نَائِلٌ وَلَا يُحْفِيكَ سَائِلٌ وَلَا يَبْلُغُ مَدْحَكَ قَائِلٌ أَسْأَلُكَ صَبْرًا جَمِيلًا وَفَرَجًا قَرِيبًا وَبَصْرًا بِالْهُدَى وَقُوَّةً فِيمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى.

فَتَبَادَرُوا إِلَيْهِ يُعْطُونَهُ فَقَالَ: وَاللّٰهُ لَا رَزَأْتُمْ اللَّيْلَةَ شَيْئًا " وَقَدْ رَفَعْتُ حَاجَتِي إِلَى اللّٰهِ " ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: مَا نَالَ بَاذِلٌ وَجْهَهُ بِسُؤَالِهِ عِوَضًا وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسُؤَالٍ إِذَا التَّوَالُ مَعَ السُّؤَالِ وَرَثْتَهُ رَجَحَ السُّؤَالُ وَشَالَ كُلُّ تَوَالٍ وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ: سَلَ النَّاسَ إِنِّي سَائِلٌ اللّٰهُ وَحْدَهُ وَصَائِلٌ عِرْضِي عَنْ فُلَانٍ وَعَنْ فُلٍ وَقَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ: مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلٌ اللّٰهُ لَا يَخِيبُ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ: لَطِيُّ يَوْمٍ وَلَيْلَتِيْنِ وَلُبْسُ تَوْبِيْنِ بِالْبَيْنِ أَهْوَى مِنْ مِئَةِ لَقَوْمٍ أَغْضُ مِنْهَا جَفُونَ عَيْنِي لِأَحْمَدُ اللّٰهُ حِينَ صَارَتْ حَوَائِجِي بَيْنَهُ وَبَيْنِي وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: يُسْأَلُ النَّاسَ مِفْتَاحَ عَيْتِيْذِ لِبَابِ الْفَقْرِ فَأَلْطَفَ فِي السُّؤَالِ " وَرَوَى أَشْعَبُ الطَّمَّاعُ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: يَحْشُرُ اللّٰهُ عِزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْمًا عَارِيَةً وَجُوهَهُمْ قَدْ أَذْهَبَ حَيَاءُهَا كَثْرَةُ السُّؤَالِ " .

سؤال السائل من السائل مدح أبو الشَّمَقْمَقِ مِرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ فَقَالَ لَهُ: أبا الشَّمَقْمَقِ أَنْتَ شَاعِرٌ وَأَنَا شَاعِرٌ وَغَايَتُنَا كَلْنَا السُّؤَالَ.

وَدَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا بِالسُّؤَالِ فَقَالَ: إِنَّهُ أَسْأَلُ مِنْ ذِي عَصَوِيْنِ.

وقال حَبِيبٌ: لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْمَقَ لِحِيَةٍ مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الْغِنَى مِنْ سَائِلِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ عَيْسَى بْنِ عَمْرِ النَّحْوِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ ذُو

الرُمة الشاعر فَعَرَضْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ شَيْئاً فَقَالَ: " كُل " أَنَا وَأَنْتَ نَأْخُذُ وَلَا نُعْطَى.

الشيب قال قيسُ بن عاصم: الشيبُ خِطَامُ المَنِيَّةِ.

وقال غيره: الشيبُ نذيرُ الموت.

وقال التُّميرِيُّ: الثيبُ عُنوانُ الكِبَرِ.

وقال المُعْتَمِر بن سُلَيْمان: الشيبُ مَوْتُ الشُّعْرِ وَمَوْتُ الشُّعْرِ عِلَّةٌ لِمَوْتِ البَشَرِ.

وقال أعرابيٌّ: كُنْتُ أَنْكِرُ البَيْضَاءَ فَصِرْتُ أَنْكِرُ السَّوداءَ فِيا خَيْرِ مَبْدُولٍ وِيا سَرَّرَ بَدَلٍ.

وقيل للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: عَجِّلْ عَلَيْكَ الشَّيبُ يا رَسولَ اللهِ! قال: سَتَيْبِنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا.

وقيل لعبد الملك بن مَرْوَانَ: عَجِّلْ عَلَيْكَ الشَّيبُ يا أَميرَ المُؤمِنين! قال: سَتَيْبِنِي ارْتِقاءُ المَنابِرِ وَتَوَقُّعُ اللَحَنِ.

وقيل لرجلٍ مِنَ الشُّعراء: عَجِّلْ عَلَيْكَ الشَّيبُ! فقال: وَكِيفَ لا يَعْجَلُ وَأنا أَعْصِرُ قَلْبِي في عَمَلٍ لا يُرْجَى تَوابُهُ ولا يُؤْمَنُ عِقاؤُهُ.

وقال حبيبُ الطائِي: عَدَا الشَّيبُ مَخْتَطًّا بِفَوْدِي خُطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِناها إلی النَّفْسِ مَهَيَّعٌ هُوَ الرُّؤُوسُ يُجْفَى والمُعاشِرُ يُخْتَوَى وَذو الإلفِ يُفْلَى والجَدِيدُ يُرْفَعُ لَهُ مَنظَرٌ في العَيْنِ أبيضٌ ناصِعٌ وَلكنه في القلبِ أَسودٌ أَسْفَعُ بِكَيْثٍ لِقُربِ الأجلِ وَبُعْدِ قِوَاتِ الأملِ وَوَأفِدِ شَيْبٌ طَرا بِعَقْبِ شَبابِ رَحَلِ شَبابِ كانَ لِمَ يَكُنِ وشَيْبٌ كانَ لِمَ يَزَلْ طِوَاكُ بِشَيْرِ البَقا وَجاءَ بِشِيرِ الأجلِ " وَقَالَ أَيْضاً: لا تَطْلُبَنَّ أَثراً بَعينِ فَالشَّيبُ إِحْدَى المِيتِيِّنِ أَبْدَى مَقابِحِ كُلِّ شَيْبٍ وَمَحَا مَحاسِنِ كُلِّ رَينِ فَإِذا رَأَتْكَ الغانِيا تُرَينَ مِنْكَ عَرابَ بَينِ ولُربِما ناقَسَنَ في كِ وَكَنَّ طِوَعاً لِلْيَدِينِ أَيامَ عَمَمِكَ الشَّبابِ وَأنا سَهَلُ العارِضينَ حَتى إِذا نَزَلَ المَشيِ بٌ وَصِرْتُ بَينَ عِمامَتينِ سَوداءَ حالِكَةٍ وَبَيِّ ضاءِ المَناشِرِ كَاللَّجِينِ مَرَجِ الصُّدُودُ وَصاله نِ كُنَّ أَمراً بَينَ بَينِ وَصَبِرْنَ ما صَبَرَ السَّوادُ عَلَي مُصانِعَةٍ وَمَينَ قَفَينِ شَرِّ قَفِيَّةٍ وَأحَدُنْ مِنْكَ الأَطيبينَ فَاقْرَأِ الحِياةَ وَسَلِّ نَفْسَكَ أَوْ قَنادِ الفَرَقَدِينِ وَلَينِ أَصابَتُكَ الحُطوبُ بِكُلِّ مَكروهِ وَشَينِ فَلقدِ أَمِنْتَ بِأَنَّ يُصِيبَكَ ناطِرٌ أَبداً بَينِ وَقَالَ حبيبُ الطائِي: نَظَرْتُ إِليَّ بَينِ مَن لِمَ يَعدِلُ لَمَّا تَمَكَّنَ حَبُّها مِنَ مَفْئِلي لَمَّا رَأَتْ وَصَحَّ المَشييبِ بِلمَّتِي صَدَّتْ صُدُودَ مُجانِبِ مُتَحَمِّلٍ فَجَعَلْتُ أَطْلِبُ وَصالها بِتلطفِ والشَّيبِ بَعْمَرُها بِأَنَّ لا تَفْعَلِي وَقَالَ آخَرَ: صَدَّتْ أَمامَةُ لَمَّا جِئْتُ زائِرُها عَنِّي بِمَطروفَةٍ إِنسانِها عَرِقٌ وَراعِها الشَّيبُ في رَأسي فَقلْتُ لها كِذاكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الحُصْرَةِ الوَرَقِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بنِ أَمِيَّةٍ: رَأَتُنِي العِوانِي الشَّيبُ لَاحِ بِعارضِي فَأَعرَضَنَ عَنِّي بِالْحُدُودِ التَّواضِرِ عَيرَتُنِي بِشَيبِ رَأسي تِوارِيا ابْنَةُ العَمِّ لَيسَ في الشَّيبِ عارٌ إِئِما العارُ في الفِرارِ مِنَ الرِّحِّ ف إِذا قِيلَ أَيُّنَ أَيْنَ الفِرارِ وَمِنَ قولنا في الشَّيبِ: بِدا وَصَحَّ المَشييبِ عَلَي عِدَّارِي وَهَلْ لَيلٌ يَكُونُ بلا تَهارِ وَالبَسَنِي التَّهَى ثِوبا جَدِيداً

وَجَرَدَنِي مِنَ النَّوْبِ الْمُعَارِ شَرِيَتْ سَوَادَ ذَا بِيَاضِ هَذَا فَبَدَّلْتُ الْعِمَامَةَ بِالْخَمَارِ
 وَمَا يَعْثُ الْهَوَى بَيْعًا بِشَرْطٍ وَلَا اسْتَنْشِيَتْ فِيهِ بِالْخِيَارِ وَمَنْ قَوْلُنَا فِيهِ: قَالُوا
 شَبَابُكَ قَدْ وُلِيَ فَقَلْتُ لَهُمْ هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَيَّ كَرَّ الْجَدِيدَيْنِ صِلَ مِنْ هَوِيَّتِ
 وَإِنْ أَبَدِي مُعَابَةٌ فَأَطِيبُ أَلْعَيْشِ وَصِلْ بَيْنَ الْفَيْنِ وَاقْطَعْ حَبَائِلَ خِدْنٍ لَا تُلَائِمُهُ
 فَرَبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى اثْنَيْنِ وَمَنْ قَوْلُنَا فِيهِ: جَارَ الْمَشِيْبُ عَلَى رَأْسِي
 فَغَيَّرَهُ لَمَّا رَأَى عِنْدَنَا الْحُكَّامَ قَدْ جَارُوا سَوَادَ الْمَرْءِ تُنْفِذُهُ اللَّيَالِي وَإِنْ كَانَتْ
 تَصِيرُ إِلَى تَقَادٍ فَاسْوَدِهِ يَعُودُ إِلَى بِيَاضٍ وَأَبْيَضُهُ يَعُودُ إِلَى سَوَادٍ وَمَنْ قَوْلُنَا
 أَيْضًا: أَطْلَالُ لَهْوِكَ قَدْ أَقَوْتُ مَعَانِيهَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِهَا إِلَّا أَثَافِيهَا هَذِي
 الْمَفَارِقُ قَدْ قَامَتْ شَوَاهِدُهَا عَلَى فَنَائِكَ وَالْدُّنْيَا تُرَكِّيهِ الشَّيْبُ سَفْتَجَةٌ فِيهَا
 مُعْتَوْنَةٌ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَسْحِيهَا وَمَنْ قَوْلُنَا أَيْضًا: نَجُومٌ فِي الْمَفَارِقِ مَا تَعُورُ وَلَا
 يَجْرِي بِهَا فَلَكَ يَدُورُ كَأَنَّ سَوَادَ لِمَتِهِ طَلًّا أَغَارَ مِنَ الْمَشِيْبِ عَلَيْهِ نُورٌ إِلَّا إِنْ
 الْقَتِيرَ وَعَيْدُ صِدْقٍ لَنَا لَوْ كَانَ يَزْجُرُنَا الْقَتِيرُ نَذِيرُ الْمَوْتِ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا فَكَدَّبْنَا بِمَا
 جَاءَ النَّذِيرُ وَقُلْنَا لِلْبُفُوسِ لَعَلَّ عُمْرًا يَطُولُ بِنَا وَأَطْوَلُهُ قَصِيرٌ مَتَى كُذِبَتْ
 مَوَاعِدُهَا وَخَانَتْ فَأَوْلَاهَا وَأَخْرَجَهَا عُرُورٌ وَلَمْ أَلْقَ الْمَتَى فِي ظِلِّ لَهْوٍ بِأَقْيَامِ
 سَحَائِبِهَا السُّتُورِ " وَآخِرُ: وَالشَّيْبُ تَنْغِيصُ الصَّبَا فَاقْضِ اللَّبَابَةَ فِي الشَّبَابِ
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الدُّنْيَا الصَّحَّةُ وَالشَّبَابُ.

ولبعضهم: فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِيَضًا قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاطِرِ الْبَصْرِ
 لَنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنِ تَظْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنِ هَمِّي وَلَا فِكْرِي وَلَا بِنِ
 الْمُعْتَرِّ: جَاءَ الْمَشِيْبُ فَمَا تَعَسْتُ بِهِ وَمَضَى الشَّبَابُ فَمَا بُكَأَيْ عَلَيْهِ وَقَالَ
 أَيْضًا: مَاذَا تُرِيدِينَ مِنْ جَهْلِي وَقَدْ عَبَّرَتْ سِنُو شَبَابِي وَهَذَا الشَّيْبُ قَدْ وَحَطًا
 أَرْفَعَ الشَّعْرَةَ الْبِيضَاءَ مُلْتَقَطًا فَيُصِيحُ الشَّيْبُ لِلْسُودَاءِ مُلْتَقَطًا وَسَوْفَ - لَا
 سَكَّ - يُعَيِّنِي فَأَتْرِكُهُ فَطَالَمَا أَعْمَلُ الْمِقْرَاضَ وَالْمُشْطَا " الشَّبَابُ وَالصَّحَّةُ
 قَالَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ: مَا بَكَتِ الْعَرَبُ شَيْئًا مَا بَكَتِ الشَّبَابُ وَمَا بَلَغَتْ بِهِ
 مَا يَسْتَحِقُّهُ.

وقال الأصمعي: أَحْسَنُ أَنْمَاطِ الشُّعْرِ الْمَرَائِي وَالْبُكَاءِ عَلَى الشَّبَابِ.

وقيل لكَثِيرِ عَرَّةٍ: مَا " لَكَ لَا " تَقُولُ الشُّعْرُ قَالَ: ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا أَطْرَبَ
 وَمَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَمَا - أَرْغَبَ.

وقال عبد الله بن عباس: الدُّنْيَا الْعَافِيَةُ وَالشَّبَابُ الصَّحَّةُ.

وقال محمود الوراق: أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْقَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
 فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مُوجِعٌ وَبَيْنَ مُغْدٍ مُعَرِّ إِلَيْهِ وَيَسْتَلِبُهُ الشَّيْبُ شَرِيحَ الشَّبَابِ
 فَلَيْسَ يُعْزِيهِ حَلْقُ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ: وَوَلِيَ الشَّبَابُ فَحَلَّ الدَّمْعُ بِنَهْمَلٍ
 فَقَدُ الشَّبَابِ يَقْفِدُ الرُّوحَ مُتَّصِلًا لَا تُكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنَ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ
 وَاحِدٍ بَدَلٍ وَقَالَ جَرِيرٌ: وَوَلِيَ الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يُرْجَعُ
 وَقَالَ صَرِيحُ الْغَوَانِي: سَلِّ عَيْشَ دَهْرٍ قَدْ مَضَتْ أَيَّامُهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ إِلَى الرَّجُوعِ
 سَبِيلًا وَقَالَ الْحَسَنُ " بِنِ هَانئِ " : وَأَرَانِي إِذْ ذَاكَ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ وَفَوْقِي
 مِنَ الصَّبَا أَمْرَاءٌ يَتْرَبُ عَبْتُ لِرَبْطَتِي فَصَلَّ دَيْلٌ وَلِرَأْسِي دَوَابُهُ فَرَعَاءُ بَقِنَاعٍ مِنْ
 الشَّبَابِ جَدِيدٍ لَمْ تَرَقِّعَهُ بِالْخِضَابِ التَّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْمَشِيْبَ عِذَارِي
 وَتَبْلَى عِمَامَتِي السُّودَاءَ وَقَالَ أَعْرَابِي: لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ لَوْ يُسْتَعَارُ
 جَدِيدُهُ فَيُعَارُ مَا كَانَ أَقْصَرَ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَكَذَلِكَ أَيَّامُ السُّرُورِ قِصَارٌ وَمَنْ قَوْلُنَا

في الشباب: وَلَى الشَّبَابُ وَكُنْتَ تَسْكُنُ ظِلَّهُ فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ ظِلٍّ تَسْكُرُ
وَنَهَى الْمَشِيبُ عَنِ الصَّبَا لَوْ أَنَّهُ يُدْلِي بِحُجَّتِهِ إِلَى مَنْ يَلْقَنُ وَمَنْ قَوْلُنَا فِيهِ:
حَسْرَ الْمَشِيبِ قِنَاعَهُ عَنِ رَأْسِهِ وَصَحَا الْعَوَازِلُ بَعْدَ طَوْلِ مَلَامٍ فَكَانَ ذَلِكَ
الْعَيْشَ ظِلِّ غَمَامَةٍ وَكَأَنَّ ذَلِكَ اللَّهُوَ طَيْفُ مَنَامٍ " وَمَنْ قَوْلُنَا فِيهِ: وَلَوْ شِئْتُ
رَاهِنْتُ الصَّبَابَةَ وَالْهَوَى وَأَجْرِيْتُ فِي اللَّذَاتِ مِنْ مَائَتِينَ وَأَسْبَلْتُ مِنْ تَوْبِ
السَّبَابِ وَلِلصَّبَا عَلِيٍّ رِذَاءٌ مُعْلَمُ الطَّرَفَيْنِ " وَقَالَ آخَرُ: إِنَّ شَرَحَ الشَّبَابِ
وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَرَ كَانَ جُنُوتًا وَقَالَ آخَرُ: قَالَتْ عَهْدُكَ مَجْنُونًا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بَرُّهُ الْكِبَرُ وَمَنْ قَوْلُنَا فِي الشَّبَابِ: كُنْتُ إِفَّ
الصَّبَا قَوْدَعْنِي وَدَاعَ مَنْ بَانَ غَيْرَ مُنْصَرَفٍ أَيَّامٌ لَهْوِي كَطَلِّ إِسْحَلَةٍ وَذَا شَبَابِي
كَرُوضَةٍ أَتَفَّ وَمَنْ قَوْلُنَا فِيهِ: شَبَابِي كَيْفَ صِرْتَ إِلَى تَقَادٍ وَبُدَلَّتِ الْبِيَاضَ مِنْ
السَّوَادِ فِرَاقُكَ عَرَّفَ الْأَحْزَانَ قَلْبِي وَقَرَّقَ بَيْنَ جَفْنِي وَالرُّقَادِ فَيَا لِنَعِيمِ عَيْشِ
قَدْ تَوَلَّى وَيَا لَغَلِيلِ حُزْنٍ مُسْتَفَادٍ كَأَنِّي مِنْكَ لَمْ أَرِيعَ بَرِّعَ وَلَمْ أَرْتَدَّ بِهِ أَحْلَى
مَرَادٍ سَقَى ذَلِكَ التَّرَى وَبَلُّ التَّرِيًّا وَغَادَى تَبَّتْهُ صَوْبُ الْغَوَادِي فَكَمْ لِي مِنْ
غَلِيلٍ فِيهِ خَافٍ وَكَمْ لِي مِنْ عَوِيلٍ فِيهِ بَادِي زَمَانٍ كَانَ فِيهِ الرَّشْدَ عَيْنًا وَكَانَ
الْعَيْ فِيهِ مِنَ الرَّشَادِ يُقْبَلُنِي بَدَلًا مِنْ قَبُولِ وَيُسْعِدُنِي بِوَصْلِ مَنْ سَعَادَ وَأَجْبَهُ
فِيُعْطِينِي قِيَادًا وَيَجْنُبُنِي فَأَعْطِيهِ قِيَادِي

▲ الخضاب

قال النبي صلى الله عليه وسلم: عَيَّرُوا هَذَا الشَّيْبَ " وَجَبَّوهُ السَّوَادَ " .

وكان أبو بكر يَحْضِبُ بِالْحِنَاءِ وَالكَتْمِ .

وقال مالك بن أسماء بن خارجة لجاريته: " قُومِي " اخْضِيبِي رَأْسِي وَلِحْيَتِي
فَقَالَتْ: دَعْنِي قَدْ عَيَّيْتُ بِمَا أَرْقَعُكَ .

فقال مالك بن أسماء: عَيَّرْتَنِي حَلَقًا أَلْبَيْتُ جِدَّتَهُ وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيدًا لَمْ يَعْذُ
حَلَقًا وَدَخَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَقَدْ حَضَبَ فَقَالَ: لَقَدْ أَصْبَحْتَ يَا
أَبَا الْأَسْوَدِ جَمِيلًا فَلَوْ عَلَقْتَ تَمِيمَةَ .

فَأَنْشَأَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَقُولُ: أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِجَتَهُ مَرُّ الْجَدِيدِينَ مِنْ
أَتٍ وَمُنْتَطَلِقٍ لَمْ يُبْقِيَا لِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا يُخَافُ عَلَيْهِ لَدَعُهُ الْحَدَقُ
وَذَكَرَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: بَلَغَنِي عَنِ بَعْضِ الْعَرَبِ فَصَاحَةً فَاتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
يَحْضِبُ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي مَا الَّذِي أَفْصَدَكَ إِلَيَّ قَلْتُ: الْاسْتِنَاسُ بِكَ وَالِاسْتِمَاعُ
مِنْ حَدِيثِكَ قَالَ: يَا بَنَ أَخِي قَصَدْتَنِي وَأَنَا أَخْضِبُ وَالْخَضَابُ مِنْ مُقَدَّمَاتِ
الضَّعْفِ وَلَطَالَمَا قَرَّعْتَ الْوُحُوشَ وَقُدَّتِ الْجِيُوشَ وَرَوَّيْتَ السَّيْفَ وَقَرَّبْتَ
الصَّيْفَ وَحَمَيْتَ الْجَارَ وَأَبَيْتَ الْعَارَ وَشَرِبْتُ الرَّاحَ وَجَالَسْتُ الْمِلَاحَ وَعَادَيْتِ
الْقُرُومَ وَعَلَوْتَ الْخُصُومَ وَالْيَوْمَ يَا بَيْنَ أَخِي الْكِبَرُ وَضَعْفُ الْبَصْرِ تَرَكَ مِنْ بَعْدِ
الضَّفْوِ الْكَدْرَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ: شَيْبٌ نُعَلِّهُ كَيْمَا نُسَرِّ بِهِ كَهَيْئَةَ الثَّوْبِ مَطْوِيًّا عَلَى
خَرْقٍ فَكُنْتُ كَالْعُصْ يَرْتَاحُ الْفَوَاذُ بِهِ فَصَرْتُ عُودًا بِلَا مَاءٍ وَلَا وَرَقٍ صَبْرًا عَلَى
الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّرَقِ " وَدَخَلَ مَعَاوِيَةَ عَلَى ابْنِ
جَعْفَرٍ يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ مُفِيقًا وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ فِي جِرْهَا عَوْدٌ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا بَنَ
جَعْفَرٍ فَقَالَ: هَذِهِ جَارِيَةٌ أَرْوِيهَا رَقِيقَ الشَّعْرِ فَتَرِيدُهُ حُسْنًا بِحُسْنِ نَعْمَتِهَا .

قال: فَلْتَقُلْ .

فَحَرَّكَتْ عُودَهَا وَغَنَّتْ وَكَانَ مَعَاوِيَةَ قَدْ خَضَبَ: أَلَيْسَ عِنْدَكَ بُشْكُرٌ لَلَّتِي جَعَلْتِ
مَا أبيضَ من قَادِمَاتِ الرِّيشِ كَالْحَمَمِ جَدَّتْ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَحْلَقَهُ رَبُّ
الزَّمَانِ وَصَرَفُ الدَّهْرِ وَالقَدَمِ فَحَرَّكَ مَعَاوِيَةَ رِجْلَهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَعْفَرٍ: لَمْ
حَرَّكَتِ رِجْلَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: كُلُّ كَرِيمٍ طَرُوبٌ.

وقال محمود الوراق في الخضاب: للضيف أن يُقرى ويُعرف حقه والشيب
ضيفك فأقره بخضاب وافي بالكذب شلهد ولربما وافي المشيب بشاهد كذاب
فافتح شهادته عليك بخضيه تنفي الظنون به عن المراتب فإذا دنا وقت
المشيب فخله والشيب يذهب فيه كل دهاب وقال آخر: وقائلة تقول وقد
رأيتني أرقع عارضتي من القثير عليك الخطر إن تَدنى إلى بيض ترائثهن حور
فقلت لها المشيب يذير عُمري وليس مُسوداً وجه التذير إن شيباً صلاحه
بخضاب لعداب موكل بعداب فوحق الشيب لولا هوى البيض وأن تسمير
نفس الكعاب لأرخت الحدين من وضر الخطر وأذنت بانقضاء الشيب وقال
غيره: يكرت تحسن لي سواد خضابي لكأن ذاك يُعيدني لشيابي وإذا أديم
الوجه أحلقه البلى لم يتفق فيه بخسن خضاب ماذا ترى يجدي عليك سواده
وخلاف ما يرضيك تحت ثيابي ما الشيب عندي والخضاب لوأصيف إلا كشمس
جللت بسحاب تحفي قليلاً ثم تفشعه الصبا فيصير ما سُيرت به لدهاب ومن
قولنا هذا المعنى: أصمم في العوابة أم أنابا وشيب الرأس قد جلس الشيبا
إذ تصل الخضاب بكى عليه ويضحك كلما وصل الخضابا كان حمامة بيضاء
طلت ثقاتل في مفارقه غرابا قال النبي صلى الله عليه وسلم: من شاب
شيبه في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة.

وقال ابن أبي شيبه: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تئف الشيب
وقال: هو نور المؤمن.

وقالوا: أول من رأى الشيب إبراهيم خليل الرحمن فقال: يا رب ما هذا قال
له: هذا الوقار قال: رب زدني وقاراً.

وقال أبو نواس: يقولون في الشيب الوقار لأهله وشيبي بحمد الله غير وقار
وقال غيره: يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب لقد
جل قذر الشيب إن كان كلما بدت شيبه يعزى من اللهو مركب دخل أبو دلف
على المأمون وعنده جارية وقد ترك أبو دلف الخضاب فغمز المأمون الجارية
ف قالت " له: " شبت أبا دلف إنا لله وإنا إليه راجعون " لا " عليك! فسكت أبو
دلف.

فقال له المأمون: أجها أبا دلف: فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: تهزأت
أن رأيت شبيبي فقلت لها لا تهزئي من يطل عمرُ به يشب شيب الرجال لهم
زين ومكرمة وشيبك لكن الويل فاكثبي وقال محمود الوراق: وعائب عابني
بشيب لم يعد لما ألم وفته فقلت للعائبي بشيبي يا عائب الشيب لا بلغته "
أنشدني أبو عبد الله الإسكندراني " معلم الإخوة: ومما زاد في طول اكتسابي
طلائع شيبتين أمتا بي فأما شيبه ففرغت فيها إلى المقرض من حب
النصابي وأما شيبه فعقوت عنها لتشهد بالبراء من الخضاب " وقال محمد بن
مناذر: لا سلام على الشباب ولا حي يا إله الشباب من معهود قد ليست
الجديد من كل شيء فوجدت الشباب شر جديد صاحب ما يزال يدعو إلى

الغي يوما من دُعَا له برثيد ولنعَم المَشيبُ والوازعُ الشَّي - ب ونعم
المَفَادُ للمستفيد كبر السن قيل لأعرابي قد أخذته كِبرة السن: كيف أصبحت
فقال: أصبحت تقيدني الشعرة وأعثر بالبعرة قد أقام الدهر صغري بعد أن
أقمت صغره.

وقال: " آخر ": لقد كنت أنكِر البيضاء فصرت أنكِر السوداء فيا خير مَبْدول
ويا شرَّ بَدَل.

ودخل المُستَوغر بن ربيعة على معاوية بن أبي سُفيان وهو ابن ثلثمائة سنة
فقال: كيف تجدك يا مُستَوغر فقال: أجدني يا أمير المؤمنين قد لان مِنِّي ما
كنتُ أحبُّ أن يشتدَّ واشتدَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يلين وابتيض مني ما كنتُ
أحبُّ أن يسودَّ واسودَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يبيضَ ثم أنشأ يقول: سلني
أبئك بآيات الكبر نوم العشاء وسُعال باليسخَر " وقلة النوم إذا الليل أعثر "
وقلة الطعم إذا الراد حصر " وسُرعة الطرف وتحميج النظر " وتترك
الحسنة في قُبَل الطهر والناس يبلون كما يئلى الشجر وقال أعرابي: أشكو
إليك وجعاً بركتي وهدجاناً لم يكن في مشيتي كهذجان الرال خلف الهيق
وقال آخر: وقال جرير: تحن العظام الراجفات من الليلى وليس لداء الركبتين
طبيب وقال أعرابي في امرأة " عجوز ": يا بكر حواء من الأولاد وأقدم
العالم في الميلاد عمرك ممدود إلى السادي فحدثنا بحديث عاد ومبتدا
فرعون ذي الأوتاد وكيف حال السيل بالأطواد وقال آخر: إذا عاش سبعين
عاماً فقد ذهب المسرة والقناء كان في عطفان تصر بن دهمان قاد عطفان
وسادها حتى خرف وعمر تسعين ومائة سنة حتى اسود شعره وتبتت
أضراسه وعاد شاباً فلا تُعرف في العرب أعجوبة مثله.

وقال محمد بن منذر في رجل من المعمرين: إنَّ مُعاد بن مُسلم رجلٌ قد
صَحَّ من طولِ عُمره الأبدُ قد شابَ رأسُ الرمان واكتهل الدهر وأثواب عُمره
جدد يا تسر لقمان كم تعيشُ وكم تسحب ديل الحياة يا لبد تسأل غزبانها إذا
حجلت كيف يكون الصداق والرمم ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان
فوجده قد كبا مُهتماً فقالت: ما بال أمير المؤمنين قال: يا شعبي ذكرت قول
رُهير: كاني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي رمتني بناث
الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمى وليس برامي فلو أنني أرمى بنيل
رأيتها ولكنني أرمى بغير سهام على الراحتين تارة وعلى العصا أنوء ثلاثاً
بعدهن قيامي قال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كما قال
ليبد ابن ربيعة وقد بلغ سبعين سنة كاني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها
عن منكبي رداً فلما بلغ سبعاً وسبعين قال: باتت تشكى إلى النفس
مجهشة وقد حملت سبعاً بعد سبعيناً فإن تُرادي ثلاثاً تبلي أماً وفي الثلاث
وفاء للثمانين فلما بلغ مائة سنة قال: فلما بلغ مائة سنة وعشراً قال: أليس
في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عُمر فلما بلغ ثلاثين ومائة
وقد حضرته الوفاة قال: تمئ ابنتي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو
مُضر فقوماً وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمسا وجهها ولا تحلقا شعر وقولا هو
المرء الذي لا صديق أضاع ولا خان الخليل ولا عدو إلى الحول ثم اسم
السلام عليكم ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر قال الشعبي: فلقد رأيت
السرور في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها.

وقال لبيد أيضاً: أليسَ ورأيي إن تراختَ مَيِّتِي لُزُومُ العَصَا تُحْتَى عليها
الأصابعُ أَحَبُّ أخبارِ القُرونِ التي مَضَتْ أَدَبٌ كَأَنَّيَ كلما قَمْتُ رَاكِعٌ فأصْبَحْتُ
مثلَ السيفِ أَخْلَقَ جَفَنَهُ تَقَادُمٌ عَهْدِ القَيْنِ والتَّصَلُّ قاطِعٌ وقالوا: مكتوبٌ في
الرِّبور: مَنْ بَلَغَ السبعينَ أَشْتَكِي من غيرِ علة.

وقال محمد ابن حسان التُّبْطِي: لا تَسْأَلْ نَفْسَكَ العامَ ما أعطتك في العام
الماضي.

وقال مُعاويةُ لما أَسَنَّ: ما مَرَّ شيءٌ كُنْتُ أَسْتَلِدُّهُ وأنا شابٌّ فأجده اليومَ كما
أجده إلا اللبن والحديث الحسن.

عاش صِرَارُ بن عمرو حتى وُلِدَ له ثلاثة عشرَ ذكراً فقال: مَنْ سَرَّه بنوه
ساءته نفسُه.

وقال ابن أبي قَين: مَنْ عاشَ أَخْلَقْتَ الأيامَ جَدَّتْه وخاتَه ثِقَتاه السَّمْعُ والبَصَرُ
قالت عَهْدَتُكَ مَجْنُوناً فقلتُ لها إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بُرُؤُهُ الكِبَرُ قال أبو عُبيدة:
قيل لَشَيْخٍ: ما بَقِيَ منكَ قال يَسْبِقُنِي مَنْ بي يَدِي وَيُذَرِكُنِي مَنْ خَلْفِي وأذكر
القديمَ وأنسى الحديثَ وأنعسَ في الملا وأسهرُ في الخَلا وإذا قَمْتُ قَرُبَتِ
الأرضُ مِنِّي وإذا قَعَدْتُ تَباعدت عَنِّي.

وقال حُمَيد بن تَوْر الهلالي: أرى بَصْرِي قد رابني بعدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ داءٌ أن
تَصِحَّ وتَسَلِّمًا وقال آخر: كانت قَتَاتِي لا تَلِينُ لِعامِرٍ فألانتها الإصباحُ والإمساءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بالسَّلامَةِ جاهداً لِيُصِحِّني فإذا السَّلامَةُ داءٌ وقال أبو العتاهية "
ويروي للقطامي": " أَلَسْتُ تَرَى أَنَّ الرِّمَانَ طواني وبَدَّلَ عَقْلِي كلهُ وبَرَّاني "
" تَحَيِّقُنِي عُضُواً فَعُضُواً فلم يَدَعِ سوى اسمي صحيحاً وحده ولساني ولو
كانت الأسماءُ يَدْخُلُها البلي إِذا بَلَى اسمي لامتدادِ رَمَاني وما لي أبلَى
لِسَبْعِينَ حَجَّةً وَسِعَ أَتَتْ مِنْ بعدها سَتَتان إِذا عَنَّ لي شيءٌ تَحَيَّلَ دونه سَبِيهٌ
ضَبابٌ أو سَبِيهٌ دُخانٌ وقال العزال: أَصْبَحْتُ واللَّهُ مَحْسُوداً على أَمِدٍ مِنَ
الحياةِ قَصارٍ غيرِ مُمْتَدِّ حتى بَقِيْتُ بحمدِ اللّهِ في خَلْفٍ كَأَنَّيَ بينهم من وَحْشَةٍ
وَخَدِي وما أَفارقُ يوماً مَنْ أَفارقه إِلا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخرَ العَهدِ وقال آخر: يا
مَنْ لَشَيْخٍ قد تَحَدَّدَ لِحُمِّهِ أَفتى ثلاثَ عَمائمٍ ألوانا سوداءَ حالكَةً وَسَخَقَ مُفَوِّفٌ
وأجدُّ لوناً بعدَ ذاكِ هِجَاتًا قَصَرَ اللَّيالي حَطَّوهُ قَتَدَاني وَحَتَّينَ قائمِ ضلبي
فتحانتِ إني وإن كان مَسْنَى كِبَرٍ على ما قد تَرَيَنَّ من كِبَرِي أَعَرُفُ من قبل
أَنْ تُفَارِقَنِي موقِعَ سَهْمِي والسهمُ في الوترِ " من صحب من ليس من
نظرائه لخصال فيه كان حارثُهُ بن بَدْرِ العُدَاني فارسَ بني تميم وكان شاعراً
أديباً ظريفاً وكان يُعاقِرُ الشَّرابَ وَيَصْحَبُ زياداً فليل لزياد: إنك تَصْحَبُ هذا
الرجلَ وليس من شاكِلتِكَ إنهُ يُعاقِرُ الشَّرابَ فقال: كيف لا أصحبه ولم أسأله
عن شيءٍ قط إلا وُجِدْتُ عنده منه عِلْماً ولا مَشْيَ أمامي فاضطرَّني أَنْ
أُنابيه ولا مَشْيَ خَلْفِي فاضطرَّني أَنْ التفتَ إليه ولا رَاكِبِي فمَسَّتْ رُكْبَتِي
رُكْبَتَهُ.

فلما هلك زيادُ قال حارثُهُ بنُ بَدْرِ يَرِثِيهِ: أبا المُغَيَّرَةِ والدُّنيا مُعَرَّرَةٌ وإنَّ مَنْ
عَرَّتِ الدُّنيا لَمَعْرُورٌ قد كان عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وكان عندك لِلتَّكْبِيرِ تَكْبِيرٌ
لو خَلَدَ الخَيْرُ والإسلامُ ذا قَدَمٍ إِذا لَخَلَدَكَ الإسلامُ والخيرُ وتماثُ هذه الأبياتُ
قد وقعتُ في الكتابِ الذي أَقَرَدناه لِلْمَرَّاثِي.

وكان زياد لا يُداعِب " أجداً " في مجلسه ولا يَصْحَك فاختصم إليه بنو راسب وبنو الطقاوة في غلام أثبتة هؤلاء وهؤلاء فَتَحَيَّرَ زيادُ في الحَكَم.

فقال له حارثةُ ابن بدر: عِنْدِي أكرمَ اللهَ الأميرَ في هذا الغلام أمرٌ إن أُذِنَ الأميرُ تكلمتُ به فيه قال: وما عندك فيه قال: أرى أن يُلْقَى في رِجْلَةٍ فإن رَسِبَ فهو لِبَنِي راسِبٍ وإن طفا فهو لبني الطقاوة فتبسَّم زياد وأخَذَ تَعْلِيَهُ ودخل ثم حَرَجَ فقال لحارثة: ما حَمَلَكَ على الدُّعابة في مَجْلِسِي قال: طَيِّبَةُ حَضَرْتُنِي أبقي الله الأمير خِفْتُ أن تَفُوتِنِي قال: لا تَعُدْ إلى مثلها.

ولما وَلِيَ عُبيد الله بن زياد بعد موت أبيه اطرحَ حارثةَ بنَ بدر وجفاه.

فقال له حارثةُ: مالك لا تُنزلني المنزلة التي كان يُنزلني أبوك أَدَّعِي أُنْكَ أَفْضَلُ منه أو أعقل قال له: إنَّ أبِي كان بَرَع في الفضل بُرُوعاً لا تَصْرَهُ صُحْبَةَ مثلك وأنا حَدِّثُ أخشى أن تَحْرِقَنِي بِناركِ فَإِنْ شِئْتِ فَأَتْرِكِ الشراب وتكونَ أَوْلَى دِخْلٍ وأخِرَ خارج قال: وألله ما تركته لله فكيف أتركه لك قال: فَتَحَيَّرَ بلداً أَوْلِيكَه.

فاختار سَرَّق من أرض العراق فولاه إياها.

فكتب إليه أبو الأسود الدؤلي وكان صديقاً له: أحارَ بنَ بَدْرِ قَدْ وَليت ولايةً فكنُ جَرْدًا فيها تَحُونُ وتَسْرِقُ وباهِ تَمِيمًا بالغنى إنَّ للغنى لِسَانًا به المرءُ الهيوبَةُ يَنطِقُ وما الناس إلا اثنان إما مُكَدِّبٌ يقول بما يَهْوَى وإمَّا مُصَدِّقٌ يقولون أقوالاً ولا يَحْكُمونها فإن قيل يوماً حققوا لم يُحَقِّقُوا فدع عنك ما قالوا ولا تَكْتَرِثْ بهم فحظك من مال العراقيين سَرَّقَ وكان ابن الوليد البجليُّ وهو ابن أخت خالد بن عبد الله القسريِّ ولي أصبهان وكان رجلاً مُتَسَمِّتًا مُتَّصِلًا قَدِمَ عليه حمزةُ بن بيض بن عَوْفٍ " راغباً " في صُحْبَتِهِ فقبل له: إنَّ مثل حمزة لا يَصْحَبُ مثلك لأنه صاحبُ كِلابٍ ولهو فبعث إليه ثلاثة آلاف دَرْهَمٍ وأمره بالانصراف.

فقال فيه: يابن الوليد المُرْتَجَى سَيِّبُهُ ومن يُجَلِّي الحدث الحالكَا سَبِيلُ مَعْرُوفِكَ مني عَلى بالِ فما بالي عَلى بالِكا حَشُو قَمِيصِي شاعِرُ مُفْلِقِ والجودُ أَمْسَى حَشُو سِرِّبَالِكا يلوَمُكَ النَّاسُ عَلى صُحْبَتِي والمِسْكُ قد يستصحب الرِّامِكا إن كنت لا تَصَحَبُ إلا قَتِي مِثْلِكَ لِنِ تُوْتِي بِأَمْتَالِكا إِنِّي آمِرُو جئتُ أريد الهدى فَعَدَّ على جهلي بإسلامِكا قال له: صدقت وقَرَّبته وحَسُنْتَ منزلته " عنده " .

وكان عبدُ الرحمن بن الحَكَم الأمير قد عَتَبَ على نُدَمائِهِ! فأمرَ نَصْرًا الفتى بإسقاطهم من ديوان عَطائِهِ ولم يَسْتَبْدِلْ بهم.

فلما كان بعد أيام أستوحش لهم فقال لِنَصْرٍ: قد استوحشنا لأصحابنا أولئك فقال له نصر: قد نالهم من سَخَطِ الأمير ما فيه أدبٌ لهم فإن رأى أن يُرْسَلَ فيهم أُرْسِلت قال: أُرْسِل.

فأقبل القومُ وعليهم كآبة فأخَذُوا مجالسهم ولم يَنشِروا ولا خاصُوا فيما كانوا يَحْوِضُونَ فيه فقال الأمير لِنَصْرٍ: ما يَمْنَعُ هؤلاء من الانشراح قال: عليهم

أبقى الله الأمير وَجَمَةَ السُّخْطِ الذي نالهم قال: قُلْ لهم: قد عَقَوْنَا فليُشرحوا.

قال فقام عبد الرحمن بن الشَّمر الشاعر المُتَنَجِّم فجتا بين يديه ثم أنشد شِعراً له أقذع فيه على بعض أصحابه إلا أنه ختمه بيتين بديعين وهما: فيا رَحْمَةَ الله في خَلقه وَمَنْ جُودِهِ أبدأً يَسْكُبُ لئن عَفَتِ صُحْبَةُ أهلِ الذُّنُوبِ لقلَّ مِنَ الناسِ مَنْ يُصَحِّبُ وأحسُّ ما قيل في هذا المعنى قولُ النابغة: ولمسيت بِمُسْتَبَقٍ أختاً لا تَلْمُهُ على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَدَّبِ قولهم في القرآن كتب المَرِيسِيُّ إلى أبي يحيى منصور بن محمد: اكتب إليَّ: القرآنُ خالقٌ أو مَخْلُوقٌ فكتب إليه: عافانا الله وإياك من كلِّ فِتْنَةٍ وَجَعَلْنَا وإِيَّاكَ من أهلِ السُّنَّةِ وممن لا يَرْغَبُ بنفسه عن الجماعة فإنه إن تَفَعَّلَ فأعْظَمَ بها مِثَّةً وإن لا تَفَعَّلَ فهي الهَلْكَةُ ونحن نقول: إنَّ الكلامَ في القرآن يدعة يتكلف المُجِيبُ ما ليس عليه ويتعاطى السائل ما ليس له وما نعلم خالفاً إلا الله وما سيوى الله فمخلوق والقرآنُ كلام الله فأنته بنفسك إلى أسمائه التي سماه الله بها فتكونَ من الصالحين جعلنا الله وإياك من الذين يَحْشَوْنَ رَبَّهُم بالغيب وهم من الساعَةِ مُشْفِقُونَ.

كتاب الجوهرة في الأمثال

" قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه " : قَدْ مَضَى قولنا في العِلْمِ والأدب وما يتولد منهما ويُنسب إليهما من الحكمة النادرة والفيطن البارعة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم وتطيق بها " في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسِرْ شيءٌ مَسِيرَها ولا عَمَّ عُمومها حتى قيل: أسير من مثل.

" وقال الشاعر " : ما أنتَ إلا مَثَلٌ سائرٌ يَعْرِفه الجاهلُ والخابِرُ وقد ضرب الله عزَّ وجلَّ الأمثالَ في كتابه وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه قال الله عز وجل: " يا أَيُّها الناسُ ضُربَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا له . "

وقال: " وَصَرَبَ الله مَثَلًا رَحْلَيْنِ . "

ومثلُ هذا كثير في آي القرآن.

فأولُ ما نبدأ به أمثالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمثالُ العلماء.

ثم أمثالُ أكتَم بن صَيْفِيٍّ وِيزْرَجِمهر الفارسي وهي التي كان يستعملها عفر بن يحيى في كلامه ثم أمثالُ العرب التي رواها أبو عُبيد وما أشبهها من أمثال العامة ثم الأمثالُ التي أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ضرب الله مثلاً صراطاً مُستقيماً وعلى جَنبي الصراط أبوابٌ مُفْتَحَةٌ وعلى الأبواب سُتُورٌ مَرْجِيَّةٌ وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: ادخلوا الصراط ولا تَعَوَّجُوا.

فالصراطُ الإسلامُ والستورُ حدودُ الله والأبوابُ محارمُ الله والداعي القران.

وقال " النبي " صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ مَرَّةً كَذَا وَمَرَّةً كَذَا وَمَثَلُ الْكَافِرِ مِثْلُ الْأَرزَةِ الْمُجذِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ " حتى " يكون انجعافُها بِمَرَّةٍ.

وسأله حُدَيْفَةَ: أَبَعَدَ هَذَا الْخَيْرُ شَرًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: جَمَاعَةٌ " عَلَى " أَقْدَاءٍ وَهُدَّتْ عَلَى دَحْنٍ.

وقوله حِينَ ذَكَرَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَقَالَ: إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ.

وقال لِأَبِي سُفْيَانَ: أَنْتَ أَبَا سَفِيَانَ كَمَا قَالُوا: كُلُّ الصَّيْدِ فِي حَوْفِ الْقَرَا: وَقَالَ حِينَ ذَكَرَ الْعُلُوَّ فِي الْعِبَادَةِ: إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى.

وقال صلى الله عليه وسلم: إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ.

قالوا: وَمَا خَضِرَاءُ الدِّمَنِ قَالَ: الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمُنْبِتِ السُّوءِ.

وَذَكَرَ الرَّبَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَافْتِتَانَ النَّاسِ بِهِ فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ عُبَاؤُهُ.

وقال: الْإِيمَانُ قَيْدَ الْعَتِكِ.

وقال صلى الله عليه وسلم: الْوَلْدُ لِلْفَرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ.

وقال فِي فَرَسٍ: وَجَدْتُهُ بَحْرًا.

وقال: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا.

وقال: لَا تَرْفَعِ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ.

وقال صلى الله عليه وسلم: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ.

وقال: الْحَرْبُ خَدْعَةٌ.

وله صلى الله عليه وسلم وَعَلَى آلِهِ أَمْثَالُ كَثِيرَةٍ غَيْرِ هَذِهِ وَلَكِنَّا لَمْ نَذْهَبْ فِي كُلِّ بَابٍ إِلَى اسْتِقْصَائِهِ وَإِنَّمَا ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نِكْتَفِيَ بِالْبَعْضِ وَنَسْتَدِلُّ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ لِيَكُونَ أَسْهَلَ مَأْخِذًا لِلْحِفْظِ وَأَبْرَأَ مِنَ الْمَلَالَةِ وَالْهَرَبِ.

وتفسيرها: أَمَّا الْمَثَلُ الْأَوَّلُ فَقَدْ قَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما قوله: الْمُؤْمِنُ كَالخَامَةِ وَالْكَافِرُ كَالْأَرزَةِ فَإِنَّهُ شَبَّهَ الْمُؤْمِنَ فِي تَصَرُّفِ الْأَيَّامِ بِهِ وَمَا يَنَالُهُ مِنَ بَلَائِهَا بِالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ مَرَّةً كَذَا وَمَرَّةً كَذَا.

والخامة " فِي قَوْلِ أَبِي عُبَيْدٍ: " الْعَصَّةُ الرَّطْبَةُ مِنَ الزَّرْعِ.

والأرزة: وَاحِدَةُ الْأَرزِ وَهُوَ شَجَرٌ لَهُ ثَمَرٌ يُقَالُ لَهُ الصَّنَوْبُورُ.

والمُجْدِيَّة: الثابتة وفيها لغتان: جَدِّي يجذو وأجْدَى يجذي.

والانجعاف: الانقلاع يقال: جَعَفَت الرجل إذا قلعته وصرعته وضربت به الأرض.

وقوله لَحْدِيْفَة: هُدْنَة علي دَحْن وجماعة على أقداء أراد ما تنطوي عليه القلوب من الصغائن والأحقاد فشبه ذلك بإغضاء الجفون على الأقداء.

والدَّخْن: مأخوذ من الدُّخان جعله مثلاً لما في الصُّدور من الغلِّ.

وقوله: إِنْ مِمَّا يُنْبِت الرِّبْع ما يَفْقُل حَبَطاً أو يُلَمُّ فالْحَبَط كما ذكر أبو عُبيد عن الأصمعي: أَنْ تَأْكُل الدَّابَّة حتَّى تَتَفَخ بِطَنُهَا وَتَمْرَض منه يقال: حَبَطَتِ الدَّابَّةُ تَحْبِط حَبَطاً.

وقوله: أو يُلَم معناه: أو يَقْرُب من ذلك ومنه قوله إذ ذكر أهل الجنة فقال: إِنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَظَرَّ إِلَى ما أَعَدَّ اللهُ له في الجَنَّة فلولا أنه شيء قَصَّاه اللهُ له لَأَلَمَّ أَنْ يَذْهَبَ بَصْرُهُ " يَعْنِي " لما يَرى فيها يقول: لَقْرُب أَنْ يَذْهَبَ بَصْرُهُ.

وقوله لأبي سفيان: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ القَرَا فمعناه أُنْكَ في الرجال كالقرا في الصيد وهو الحمار الوحشي وقال له ذلك يتألفه على الإسلام.

وقوله حين ذكر الغلِّ في العبادة: إِنْ المَنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ ولا ظهراً أبقي.

يقول: إِنْ المُعْدَّ في السير إذا أفرط في الإغذاذ عطبت راحلته من قبل أن يَبْلُغ حاجته أو يَقْضِي سَفَرَهُ فشبهه بذلك مَنْ أفرطَ في العبادة حتَّى يَبْئِثَ حَسِيراً.

وقوله في الرِّبا: مَنْ لَمْ يَأْكُلْ أَصَابَهُ عُبارُهُ إنما هو مَثَلٌ لما ينال الناسَ من حُرْمَتِهِ وليس هناك " تُرابٌ ولا " عُبارٌ.

وقوله: الإيْمَانُ قَيْدُ القَتْلِ أَي مَنَعَ مِنْهُ كَأَنَّهُ قَيْدٌ لَهُ.

وفي حديث آخر: لا يَفْتِكُ مؤمن.

وقوله في فرس: وَجَدْتُهُ بَحْراً وَإِنَّ مِنْ البَيانِ لَسِخْراً إنما هو على التمثيل لا على التحقيق.

وكذلك قوله: الولد لِلْفِرَاشِ وللعاھر الحَجَرِ.

معناه: أَنَّهُ لا حَقَّ لَهُ فِي تَسْبِ الولدِ.

وقوله صلى الله عليه وسلم: لا تَرْقَعْ عَصاكَ عَن أَهْلِكَ إنما هو الأدب بالقول ولم يُردَ أَلَّا تَرْفَعَ عَنْهُمُ العِصا.

وقوله: لا يُلْدَغُ المُوْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ معناه أَنَّ لَدَغَ مرةً يَحْفَظُ مِنْ أُخْرَى.

وقوله: الحرب خدعة يريد أنها بالمكر والخديعة.

حَطَب النعمانُ بن بَشِيرٍ على مَبْر الكوفة فقال: يا أَهْلَ الكوفة إني وجدتُ مَثلي ومَثَلكم كالصَّبِيعِ والتَّعَلبِ أْتيا الصَّبِ في جُحْره فقالا: أبا جِسْل: قال: أَجَبْتما " لَمْ جَبْتُما " قالا: جَبْناك تَحْتَصم قال: في بَيْتِه يُوْتى الحَكَم قالت الصَّبِيع: فَتَحْتُ عَيْبتي قال: فِعَلَ النِّساءِ فَعَلتِ قالت: فلَقَطْتُ تَمرة قال: حُلُوا جَنِيَتِ قالت فاختطفها تُعالة قال: نَفْسِه بَعَى - تُعالة: اسم الثعلب الذكر والأنثى - قالت.

فلطمته لطمه قال حقا قضيت قالت: فلطمني أخرى قال: كان جُرًا فانتصر قالت: فاحكم الآن بيننا قال: حدت حديثين امرأة وإن لم تفهم فأربعة.

وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق: وددت والله أن لي بكم من أهل الشام صرَفَ الدِّينار بالدَّرهم.

قال له رجلٌ منهم: أتدري يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قال: وما ذاك قال: ما قاله أعشى بكر حيث يقول: عُلِقْتُها عَرِضاً وَعُلِقْتُ رجلاً غَيْري وَعُلِقَ أُخْرى ذلِكَ الرِّجْلُ أَحْبَبناكَ نَحْنُ وأَحْبَبتِ أَنْتِ أَهْلَ الشَّامِ وأَحَبَ أَهْلَ الشَّامِ عبد الملك " بن مروان " .

مثل في الرياء يحيى بنُ عبد العزيز قال: حدتني نعيم عن إسماعيل " عن " رجلٍ من ولد أبي بكر الصديق رضوانُ الله عليه عن وهب بن مُتبه قال: تَصَبَّ رجلٌ من بني إسرائيل فحًا فجاءت عُصفورة فنزلت عليه فقالت: مالي أراك مُنَحْنياً قال: لكثرة صلاتي انحنيت قالت: فمالي أراك يادياً عظامك قال: لكثرة صيامي بدت عظامي قالت: فمالي أرى هذا الصوف عليك قال: لِرُهدِي في الدُّنيا لبستُ الصُّوفَ قالت: فما هذا العِصا عندك قال: أتوكأُ عليها وأقضي " بها " حوائجي قالت: فما هذه الحبة في يدك قال: قُرْبان إن مرَّ بي مسكين ناولته إياها قالت: فأني مسكينة قال: فحذيتها.

فَدَنَت فَقبضت على الحبة فإذا الفحُّ في عنقها.

فجعلت تقول قعي قعي تفسيره: لا غرني ناسكُ مُرأٍ بعدك أبداً.

داودُ بنُ أي هِنْدٍ عن السَّعِيبي: أنَّ رجلاً من بني إسرائيل صاد قُبْرَةً فقالت: ما تُريد أن تصنع بي قال: أدبحك فأكلك قالت: والله ما أشفي من قَرَم ولا أغنى من جُوع ولكنتي أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا في يدك والثانية إذا صرْتُ على هذه الشجرة والثالثة إذا صرْتُ على هذا الجبل.

فقال: هاتِ " الأولى " .

قالت: لا تتلهفن علي ما فاتك فخلّي عنها.

فلما صارت فوق الشجرة قال: هاتِ الثانيةَ قالت: لا تصدِّقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت: يا سقي لو دَبَحْتَنِي لأُخْرِجْتَنِي من حَوْصَلْتِي دَرَّةً وَزَنَها عَشْرُونَ مِثْقَالاً.

قال: فَعَصَّ عَلَيَّ بِشَقَّتَيْهِ وَتَلَهَّفَ ثُمَّ قَالَ: هَاتِ الثَّالِثَةَ قَالَتْ لَهُ: أَنْتَ قَدْ نَسِيتِ الْاِثْنَيْنِ فَكَيْفَ أَعْلَمُكَ الثَّالِثَةَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَتَلَهَفَنَّ عَلَيَّ مَا فَاتَكَ فَقَدْ تَلَهَفْتَ عَلَيَّ إِذْ قُتِلْتُ وَقُلْتَ لَكَ: لَا تُصَدِّقَنَّ بِمَا لَا يَكُونُ أَنَّهُ يَكُونُ فَصَدَّقْتَ أَنَا وَعَظَمِي وَرَبِشِي لَا أَرَى عَشْرِينَ مِثْقَالاً فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلْتِي مَا يَزْنَاهَا! وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ: مِثْلُ الدُّنْيَا وَأَفَاتِهَا وَمَخَافَتِهَا وَالْمَوْتِ وَالْمَعَادِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ الْإِنْسَانِ.

قال الحكيمُ: وَجَدْتُ مِثْلَ الدُّنْيَا وَالْمَعْرُورِ بِالدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةِ آفَاتٍ مِثْلَ رَجُلٍ أَلْجَأَ خَوْفٌ إِلَى بَيْتٍ تَدْلَى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِعُضْنَيْنِ نَابِتَيْنِ عَلَيَّ شَفِيرِ الْبَيْتِ وَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فَمَدَّهُمَا فَنَظَرَ فَإِذَا بِحَيَاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ جُحُورِهِنَّ وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ فَإِذَا بَشُعْبَانَ فَاعْرَ فَاةً نَحْوَهُ فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى الْعُضْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِ جُرْدَانٌ أَيْبُضٌ وَأَسْوَدٌ يَقْرَضَانِ الْعُضْنَ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ فَبَيْنَمَا هُوَ مُعْتَمِّمٌ بِنَفْسِهِ وَابْتِغَاءَ الْحِيلَةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبِ مَنْهُ جُحْرٌ نَحَلَ قَدْ صَنَعَهُ شَيْئاً مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالتَّمَاسِ التَّجَاةَ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَذْكَرْ أَنَّ رَجُلَيْهِ فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَّاتٍ لَا يَذْرِي مَتَى تُسَاوِرُهُ إِحْدَاهُنَّ وَأَنَّ الْجُرْدَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَرْضِ الْعُضْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنْهُمَا إِذَا قَطَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهْوَةِ التَّيْنِ وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًّا غَافِلًا حَتَّى هَلَكَ.

قال الحكيمُ: فَشَبَّهَتْ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُوراً وَمَخَافَ الْبَيْتِ وَشَبَّهَتْ الْأَخْلَاطَ الَّتِي بُنِيَ جَسَدُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهَا مِنَ الْمِرَّتَيْنِ وَالتَّلْغَمِ وَالدَّمِّ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ وَشَبَّهَتْ الْحَيَاةَ بِالْعُضْنَيْنِ اللَّذَيْنِ تَعَلَّقُ بِهِمَا وَشَبَّهَتْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَدَوْرَانَهُمَا فِي إِفْنَاءِ الْأَيَّامِ وَالْأَجْيَالِ! بِالْجُرْدَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ اللَّذَيْنِ يَقْرَضَانِ الْعُضْنَ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ وَشَبَّهَتْ الْمَوْتَ الَّذِي لَا يَدُّ مِنْهُ بِاللَّيْنِ الْفَاعِرِ فَاهُ وَشَبَّهَتْ الَّذِي يَرَى الْإِنْسَانَ وَيَسْمَعُ " وَتَطْعَمُ " وَيَلْمَسُ قَيْلِيهِ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وَمَا إِلَيْهِ مَصِيرَةُ الْعُسَيْلَةِ الَّتِي تَطَاعَمُهَا.

من ضرب به المثل من الناس قالت العربُ: أَسْحَى مِنْ حَاتِمٍ وَأَشْجَعُ مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ وَأَذْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ وَأَعَزُّ مِنْ كَلِيبِ وَائِلِ وَأَوْفَى مِنْ السَّمَوَالِ وَأَذْكَى مِنْ إِبَاسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَأَسْوَدُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ وَأَمْنَعُ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ طَالِمٍ وَأَبْلَغُ مِنَ سَحْبَانَ وَائِلِ وَأَحْلَمُ مِنَ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ وَأَصْدَقُ مِنَ أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ وَأَكْذَبُ مِنَ مُسَيْلِمَةَ الْحَتَفِيِّ وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ وَأَمْضَى مِنَ سُلَيْكِ الْمَقَانِبِ وَأَنْعَمُ مِنْ حُرَيْمِ النَّاعِمِ وَأَحْمَقُ مِنْ هَبْنَقَةَ وَأَقْتَكُ مِنَ الْبِرَاضِ.

من يضرب به المثل من النسياء يقال: أَشَامُ مِنَ الْبَسُوسِ وَأَمْنَعُ مِنْ أُمِّ قَرْفَةَ وَأَحْمَقُ مِنْ دُغَةَ وَأَقْوَدُ مِنْ ظَلْمِيَةَ وَأَبْصَرَ مِنْ رَزَقَاءِ الْيَمَامَةِ - الْبَسُوسِ: جَارَةُ جَسَاسِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ وَلَهَا كَانَتْ النَّاقَةُ الَّتِي قُتِلَ مِنْ أَجْلِهَا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ وَبِهَا ثَارَتْ بَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَتَغْلَبِ " الْحَرْبِ " الَّتِي يُقَالُ لَهَا حَرْبُ الْبَسُوسِ.

وَأُمُّ قَرْفَةَ: امْرَأَةٌ مَالِكِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْقَزَارِيِّ وَكَانَ يُعَلِّقُ فِي بَيْتِهَا خَمْسُونَ سَيْفًا كُلُّ سَيْفٍ مِنْهَا لَدِي مَحْرَمٍ لَهَا.

وُدْعَة: امرأة من عَجَل بن لُجَيْم تزوجت في بني العَنْبَر بن عمرو بن تميم.

وزرّقاء بني ثُمير: امرأة كانت باليمامة تُبصر الشَّعْرَةَ البيضاء " في اللبن وتَنْظُرُ الراكب على مسيرة ثلاثة أيام وكانت تُنذر قومها الجُيوش إذا غَزَتْهم فلا يَأْتِيهم جَيْشٌ إلا وقد استعدُّوا له حتى احتال لها بعضٌ من غزاهم فأمر أصحابه فقطعوا شجراً وأمسكوه أمامهم بأيديهم ونظرت الزرّقاء فقالت: إني أرى الشجر قد أقبل إليكم قالوا لها: قد خرفت ورق عقلك وذهب بصرك فكذبوها وصبحتهم الخيل وأغارت عليهم وقتلت الزرّقاء.

قال: فقوِّزوا عينيها فوجدوا عُروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به.

وظُلْمَة: امرأة من هُذَيْل زنت أربعين عاماً " وقادت أربعين عاماً فلما عجزت عن الرِّنا والقوْد اتَّخَذت تَيْساً وَعَنْزاً فكانت تُنزي التَّيس على العنز فيقيل لها: لم تفعلين ذلك قالت: حتى أسمع أنفاس الجماع.

ما تمثلوا به من البهائم قالوا: أشجع من أسد وأجبن من الصَّافر وأمضى من لَيْثٍ عِقْرَيْن وأحدر من عُرابٍ وأبصر من عُقاب " مَلَاع " وأزهي من عُرابٍ وأذل من قراد " بمنسِم " وأسمع من فَرَسٍ وأنوم من فَهْدٍ وأعق من صب وأجبن من صَفْرَدٍ " وأحقد من جَمَلٍ " وأضرع من سِنُورٍ وأسرق من رِبَابَة وأصبر من عَوْدٍ وأظلم من حَيَّةٍ وأحن من نابٍ وأكذب من فاختة وأعز من بيض الأتوق وأجوع من كلبة حومل وأعز من الأبلق العقوق 0 الصَّافر: ذو الصَّفير من الطير والعوْد: المُسِين من الجمال.

والرِّبَابَة: الفأرة تسرق دود الحرير.

والأتوق: طير يقال إنه: يبيض في الهواء.

وفاختة: طير يطير بالرَّطب في غير أيامه.

▲ ما ضرب به المثل من غير الحيوان

قالوا: أهدي من النجم وأجود من الدِّيم وأصبح من الصَّبح وأسْمَح من البَحْر وأنور من اليَّهار وأقوْد من ليلٍ وأمضى من السَّيل وأحمق من رَجُلَة وأحسن من دُمية وأنرّه من روضةٍ وأوسع من الدهناء وأنس من جَدُولٍ وأضيق من قَرَارٍ حافرٍ وأوحش من مَفازةٍ وأثقل من جَبَلٍ وأبقى من الوَحْي في صُمِّ الصَّلاب وأخف من ريش الحواصيل.

مما ضربوا به المثل قولهم: قوس حاجب وقُرط مارية وحجَّام سبابط وشقائيق النعمان وندامة الكسعيِّ وحديث خرافة وكنز التُّطف وحُفا حُنينٍ وعطر منسِم.

أمَّا قوسٌ حاجب فقد فسَّرنا خبره في كتاب الوفود وأما قُرط مارية فإنها مارية بنتٌ ظالم بن وهب بن الحارث بن مُعاوية الكندي وأختها هند الهنود امرأة حُجر أكل المُرار وابنها الحارث الأعرج الذي ذكره النابغة والحارث

الأعرج حَيْرُ الأنام وإياها يَعْنَى حسانُ بن ثابت بقوله: أولادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أبيهم قَبْر ابن ماريةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ وأما حَجامُ ساباط فإنه كان يَحْجُمُ الجيوشَ بِتَسْيِيئَةٍ إلى انصرافهم من شِدَّةِ كَسَادِهِ وكان فارسيًّا وساباط هو ساباط كِسْرَى.

وُتَسَبَت سَفَائِقُ التُّعْمَانِ إليه لأنَّ التُّعْمَانَ بنَ المُنْذِرِ أمرَ بأن تُحْمَى وتُضْرَ قَبْتَهُ فيها استحساناً لها فُتَسَبَت إليه والعربُ تُسَمِّيها الشَّقِيرَ.

وأما حُرَافَةٌ فإن أنسَ بنَ مالكٍ يَرْوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها: إن من أصدق الأحاديث حديث حُرَافَةٍ.

وكان رجلاً من بني عُذْرَةَ سَبَبَهُ الجِنَّ وكان معهم فإذا استرقوا السمعَ أخبروه فيحْيِرُ به أهلَ الأرض فيجدونه كما قال.

وأما كَنْزُ التَّطْفِ فهو رجلٌ من بني يَرْبُوعٍ كان فقيراً يَحْمَلُ الماءَ على ظَهْرِهِ فيَتَطْفَأُ أي يَفْطِرُ وكان أغارَ عليٍّ مالٍ بَعَثَ به باذانٌ من اليمنِ إلى كِسْرَى فأعطى منه يوماً حتى عَرَبَت الشمسُ فَضَرِبَتْ به العربُ المَثَلُ " في كثرة المال "

وأما حُفَا حُتَيْنٍ فإنه كلن إسكافاً من أهل الحيرة ساوَمَهُ أعرابيُّ بحُفَيْنٍ فاختلفا حتى أعْضَبَهُ فأراد أن يَغِيظَ الأعرابيَّ فلما ارتحل أخذ أحدَ الحُفَيْنِ فألقاه في طريق الأعرابيِّ ثم ألقى الآخرَ بموضعٍ آخر على طريقه فلما مَرَّ الأعرابيُّ بالحُفِ الأَوَّلِ قال: ما أشبه هذا بحُفِّ حُتَيْنٍ لو كان معه صاحبه لأخذته فلما مَرَّ بالآخر تَدِمَ على تَرْكِ الأَوَّلِ فأناخَ راحلته وانصرف إلى الأَوَّلِ وقد كَمَنَ له حُتَيْنٌ فوثبَ على راحلته ودَهَبَ بها وأقبل الأعرابيُّ ليس معه غير حُفَي حُتَيْنٍ فَدَهَبَتْ مَثَلًا.

وأما عِطْرُ مَنَشِيمٍ فإنها كانت امرأة تبيع الحنوط في الجاهليَّة فُقِيلَ للقوم إذا تَحَارَبُوا: دَقُّوا عِطْرَ مَنَشِيمٍ يُراد بذلك طيب المَوْتَى.

وأما تَدَامَةُ الكُتْسَعِيِّ فإنه رجل رَمَى فأصاب وظَنَّ أنه أخطأ فكسَّرَ قوسه فلما علم تَدِمَ على كَسْرِ قوسه فَضَرِبَ به المَثَلُ.

▲ أمثال أكتم بن صَيْفِيٍّ وَبُرُزْجَمِهْرُ الفارسي العَقْلُ بالتَّجَارِبِ.

الصَّاحِبُ مُتَّاسِبٌ.

الصديقُ مَنْ صَدَّقَ عَيْنِيهِ.

الغريبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ.

رَبِّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ.

القريبُ مَنْ قَرَّبَ تَفْعُهُ.

لو تكاسفتُم ما تَدافنتُم .
خيرُ أهلكَ مَن كَفَاكَ .
خيرُ سلاحك ما وَقَاكَ .
خيرُ إخوانك مَن لم تَخْبِرْهُ .
رُبَّ غَرِيبٍ ناصِحُ الجَيْبِ وابنُ أبٍ مُنْهَمِ العَيْبِ .
أخوك مَن صَدَقَكَ " النَّصِيحَةَ " .
الأخُ مِرْآةُ أخيه .
إذا عرَّ أخوك فُهْنِ .
مُكْرَهُ أخوك لا يَطلُ تَباعِدُوا في الدِّيَارِ وتَقَارِبُوا في المَحَبَّةِ .
أَيُّ الرِّجَالِ المُهْدَبِ .
من لك بأخيك كله .
إِنَّكَ إن فَرَّجْتَ لاقِ فَرَجًا .
أحسِنِ يُحسِنِ إِلَيْكَ .
ارحم ترحم .
كما تدين تدان .
مَن بَرَّ يوماً بَرَّ به والدهرُ لا يُعْتَرِّ به عَيْنٌ " عَرَفْتُ قَدَّ " رَقَّتْ .
في كلِّ خُبْرَةٍ عِبْرَةٌ .
مِن مَّأْمَنِهِ يُؤْتَى الحَذِرُ لا يَعدُّو المرءُ رِزْقَهُ وإن حَرَصَ .
إذا نَزَلَ القَدْرُ عَمِي البَصْرُ .
إذا نَزَلَ الحَيْنُ نَزَلَ بين الأذُنِ والعَيْنِ .
الحَمْرُ مِفْتَاحُ كلِّ شَرٍّ .
العِنَا رُقِيَةُ الزنا .
القنَاعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ .

خَيْرُ الْعِغْيِ غِنَى النَّفْسِ .
مُنْسَاقٌ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ .
حُذِّ مِنْ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيتَ .
مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْصَيْتَ .
لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفَيْتَ " وَلَا تَضَيِّعْ مَا وَلَيْتَ " الْقَلَمَ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ .
قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ .
رُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِاثْنَيْنِ .
لَنْ تَعْدَمَ الْحَسَنَاءُ ذَامًا .
لَنْ يَعْدَمَ الْغَاوِي لَانَمَا .
لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجَنَازَةِ لَا تَسْخَرُ مِنْ شَيْءٍ فَيُخَوِّرَكَ .
أَخْرَ الشَّرَّ فَإِذَا ثَبَتَتْ تَعَجَّلْتَهُ .
صَغِيرَ الشَّرِّ يُوشِكُ يَوْمًا أَنْ يَكْبُرَ .
يُبْصِرُ الْقَلْبُ مَا يَعْمَى عَنْهُ الْبَصَرُ .
الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضُّرُّ .
الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ .
مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ أَمْرَهُ .
مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ .
مَنْ تَعَطَّمَ عَلَى الزَّمَانِ أَهَاتَهُ .
مَنْ تَعَرَّضَ لِلسُّلْطَانِ أَرْدَاهُ وَمَنْ تَطَامَنَ لَهُ تَخَطَّاهُ مِنْ حَطَايَا يَخْطُو .
كُلُّ مَبْذُولٍ مَمْلُولٍ .
كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٍ فِيهِ .
كُلُّ عَزِيزٍ تَحْتَ الْقُدْرَةِ ذَلِيلٍ .

لكل مقام مقال.
لكل زمان رجال.
لكل أجل كتاب.
لكل عمل ثواب.
لكل نبا مُستقر.
لكل سرّ مُستودع.
قيمة كلّ إنسان ما يُحسن.
أطلب لكلّ علقٍ ومفتاحا.
أكثر في الباطل يكن حقا.
عند القنط يأتي القرج.
عند الصّباح يُحمد السّرى.
الصدق منجاة والكذب مهواة.
الاعتراف يُهدم الاقتراف.
رُبّ قول أنفذ من صؤل.
رُبّ ساعة ليس بها طاعة.
رب عجلة تُعقب ريثاً.
رُبّ كلام أقطع من حُسام.
بعضُ الجهل أبلغ من الجلم.
ربيعُ القلب ما اشتهى.
الهوى شديدُ العمى.
الهوى الإله المعبود.
الرأي نائمٌ والهوى يقظان.
غلب عليك من دعا إليك.

لا راحةً لحَسُودٍ ولا وَفَاءٍ " لَمَلُولٍ " .
لا سرور كطيب النَّفْسِ 0 العُمُرُ أقصرُّ من أن يَحْتَمِلَ الهَجْرَ .
أحقُّ الناسِ بالعَفْوِ أقدَرُهُم على العُقوبةِ .
خيرُ العِلْمِ ما تَفَع .
خيرُ القَوْلِ ما اتَّبَع .
البطنةُ تُذْهَبُ الفِطْنةُ .
سَرُّ العَمَى عَمَى القَلْبِ أوثقُ العُرَى كلمةُ التَّقْوَى .
النِّساءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ 0 الشَّبَابُ شُعبَةٌ من الجنونِ .
السَّقْيِيُّ سَقِيٌّ في بطنِ أمه .
السَّعِيدُ مَن وَعظَ بغيرِهِ لكلِّ امرئٍ في بَدَنِهِ شُغْلٌ .
مَن يَعْرِفُ البلاءَ يُصْبِرُ عليه المَقاديرُ تريكُ ما لا يَحْطُرُ بِبالِكَ .
أفضلُ الزادِ ما تزوَّد " ته " للمعادِ .
الفحلُ أحمى للشَّوْلِ .
صاحبُ الحُطْوةِ غدا مَن بَلَغَ المَدَى .
عواقبُ الصَّبْرِ مَحْمُودَةٌ .
لا تُبْلَغُ الغاياتُ بالأمانِي .
الصَّريمةُ على قَدْرِ العَزيمةِ .
الصَّيْفُ يثني أو يَدُم .
مَن تَفَكَّرَ اعتَبَرَ .
كم شاهدُ لك لا يَنْطِقُ .
ليس منك من عَشَّكَ .
ما تَظُرُ لامرئٍ مثلُ نفسه .
ما سدَّ فِقرَكَ إلا مَلِكٌ يمينَكَ .

ما على عاقل ضيعة.
الغنى في العربة وطن والمقلُّ في أهله غريب.
أول المعرفة الاختبار.
يدك منك وإن كانت سلاءً أنفك منك وإن كان أجدع.
من عرف بالكذب لم يُجز صدقه ومن عرف بالصدق جاز كذبه.
الصحة داعية السقم.
الشباب داعية الهرم.
كثرة الصياح من القشل.
إذا قدّمت المصيبة تركت التعزية.
إذا قدّم الإخاء سمح التناء.
العادة أملك من الأدب.
الرفق يمن والخرق سُوم.
المرأة ربحانة وليست بقهرمانة.
الدالُّ على الخير كفاعله.
المُحاجة قبل المناجزة.
قبل الرماية تُملأ الكنائس.
لكلِّ ساقطة لاقطة.
مقتل الرجل بين فكّيه.
ترك الحركة عَفلة.
طول الصمت حُبسة.
من خير خبر أن تسمع بمطر.
كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للحنونة.
قيّدوا النعم بالشكر.

مَنْ يَزْرَعِ الْمَعْرُوفَ يَحْصُدِ الشُّكْرَ.
لَا تَعْتَرِ بِمُودَّةِ الْأَمِيرِ إِذَا عَنَّكَ الْوَزِيرُ.
أَعْظَمُ مِنَ الْمُصِيبَةِ سُوءُ الْخَلْفِ مِنْهَا.
مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ.
لِقَاءِ الْأَحِبَّةِ مَسْأَلَةٌ لِلْهَمِّ.
قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ كَصِلَةُ الْعَاقِلِ.
مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَاظُ عَلَيْهِ.
قَتَلَتْ أَرْضٌ جَاهِلَهَا وَقَتَلَ أَرْضًا عَارِفُهَا.
أَدْوَى الدَّوَاءُ الْخُلُقَ الدَّنِيَّ وَاللِّسَانَ الْبِذِيَّ.
إِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أَخًا فَاجْعَلْهُ رَبًّا.
احْذَرِ الْأَمِينَ وَلَا تَأْمَنِ الْخَائِنَ.
عِنْدَ الْغَايَةِ يُعْرَفُ السَّابِقُ.
عِنْدَ الرَّهَانِ يُحَمَدُ الْمَضْمَارُ 0 السُّؤَالُ وَإِنْ قَلَّ أَكْثَرَ مِنَ النَّوَالِ وَإِنْ جَلَّ.
كَافِيءُ الْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ أَوْ أَنْشَرِهِ.
لَا خَلَّةَ مَعَ عَيْلَةٍ.
وَلَا مُرُوءَةَ مَعَ ضُرٍّ وَلَا صَبْرَ مَعَ شَكْوَى.
لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ شُرْعَةُ الْعَدْلِ.
عَبْدٌ غَيْرُكَ حُرٌّ مِثْلَكَ.
لَا يَعْدَمُ الْخِيَارَ مَنْ اسْتَشَارَ.
الْوَضِيعُ مِنَ وَصَعِ نَفْسِهِ.
الْمَهِينُ مِنَ تَرَلِّ وَوَحْدِهِ.
مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ.
كَفَى بِالْمَرْءِ كَذْبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.

" كلُّ إناء يَنْضَح بما فيه .

العادة طَبِعُ ثانٍ . "

▲ من أمثال العرب

مما روى أبو عبيد جَرَدناها من الآداب التي أدخلها فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدبِ والمواعظِ كُتُباً غَيْرَ هذا وَصَمَّمْنَا إلى أمثلة العرب القديمة ما جَرَى على السنة العامة من الأمثال المُستعملة وَقَسَّرْنَا من ذلك ما احتاج إلى التفسير فمن ذلك قولهم: في حفظ اللسان: لِعَمْر بن عبد العزيز: التقيُّ مُلْجَمٌ لأبي بكر الصِّديق: " إِنَّ " البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطق.

لابن مَسْعُود: ما شَيءٌ أُولَى بطُول سِجْنٍ من لِسَانٍ.

لأنس بن مالك: لا يكون المؤمن مُؤمناً حتى يَحْتَرِرَ من لِسَانِهِ ولسان غيره.

أَحْدَرُ لِسَانِكَ لا يَضْرِبُ عُتُقَكَ.

جُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ اليَدِ.

رَبِّ كَلَامٍ أَقْطَعُ من حُسامٍ.

القَوْلُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الأَبْرُ.

قال الشاعر: وقد يُرْجَى لِحُجِّ السيفِ بُرءٌ ولا بُرءٌ لما جرح اللِّسانُ اجْتَلَبْنَا هذا البيْتُ لأنه قد صار مثلاً سائراً للعامة وجعلنا لأمثال الشعراء في آخر كتابنا هذا باباً.

وقال أكتم بن صَيْفِي: مَقْتَلُ الرَّجُلِ بين فِكْيِهِ.

وقال: ربما أَعْلَمُ فَأَدْرُ.

يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم لما يَحْذَرُ من عاقبته.

اكثر الكلام وما يتقى منه - قالوا: مَنْ ضاق صَدْرُهُ اتَّسعَ لِسَانُهُ.

ومن أَكْثَرَ أَهْجَرَ: أي حَرَجَ إلى الهُجْر وهو القَبِيح من القَوْلِ.

وقالوا: المِكْثارُ كحاطب ليل.

وحاطِبُ اللَّيْلِ ربما تَهَشَّتْه الحَيَّةُ أو لسعته العَقْرَبُ في احتطابه ليلاً.

وقالوا: أول العيِّ الاختلاط وأساء القَوْلُ الإفراط.

في الصمت - قالوا: الصمْتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعله.

وقالوا: عَيَّ صَامِتٌ حَيْرٌ مِنْ عَيِّ نَاطِقٍ.

والصمُّ يُكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ.

وقالوا: اسْتَكْتَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ الصَّمُوثُ.

والندم على السُّكُوتِ حَيْرٌ مِنَ التَّدَمُّعِ عَلَى الْكَلَامِ.

وقالوا: السُّكُوتُ سَلَامَةٌ.

القصد في المدح - منه قولهم: مِنْ حَقَّنَا أَوْرَفْنَا قَلَيْتُصِد.

يقول: مَنْ مَدَحْنَا فَلَا يَغْلُوَنَّ فِي ذَلِكَ.

وقولهم: لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفْ.

والهَرْفُ: الْإِطْنَابُ فِي الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ.

ومنه قولهم: شَاكِيَةُ أَبِي يَسَارٍ مِنْ دُونَ ذَا يَنْفُقِ الْحِمَارِ.

أخبرنا أبو محمد الأعرابي عن رجل من بني عامر بن صعصعة قال: لقي أبو يسار رجلاً بالمرزبذ يبيع حماراً ورجلاً يساومه فجعل أبو يسار يطري الحمار فقال المشتري: أعرفت الحمار قال: نعم قال كيف سيئره قال: بضطاد به النعام معقولا قال له البائع: شاكية أبو يسار من دون ذَا يَنْفُقِ الْحِمَارِ.

والمُشَاكِهَةُ: الْمُقَارَبَةُ وَالْقَصْدُ.

صدق الحديث - منه قولهم: مِنْ صَدَقَ اللَّهُ تَجَا.

ومنه قولهم: سُبَّني وَاصْدُقْ.

وقالوا: الْكُذْبُ دَاءٌ وَالصَّدَقُ شِفَاءٌ.

وقولهم: لَا يَكْذِبُ الرَّائِدُ أَهْلَهُ.

معناه أن الذي يَرْتَادُ لِأَهْلِهِ مَنْزِلًا لَا يَكْذِبُهُمْ فِيهِ.

وقولهم: صَدَّقْني سِنَّ بَكْرِهِ.

أصله أن رجلاً ابتاع من رجل بغيراً فسأله عن سنه فقال له: إنه بازل فقال له: أِنْخَهُ فَلَمَّا أَنَاخَهُ قَالَ: هِدْعٌ هِدْعٌ - وهذه لفظة تُسَكَّنُ بِهَا الصَّغَارُ مِنَ الْإِبِلِ - فَلَمَّا سَمِعَ الْمُشْتَرِي هَذِهِ الْكَلِمَةَ.

قال: صَدَّقْني سِنَّ بَكْرِهِ.

ومنه قولهم: الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَدَامٌ.

وهي امرأة لَجِيم بن صَعْب والد حَنِيفَة وَعِجْل ابني لجيم وفيها قال: إذا قالت
حَدَام فَصَدَّقُوها فَإِنَّ القَوْلَ ما قالَتْ حَدَام من أصاب مرة وأخطأ مرة - منه
قولهم: شُخِبَ في الإِناءِ وشُخِبَ في الأرض " شُبه بالحالب الجاهل الذي
يَحْلِب شُخْباً في الإناءِ وشُخِباً في الأرض " وقولهم: يَشُجُّ مرة ويأسو أخرى.

وقولهم: سَهَمَ لك وسهم عليك.

وقولهم: أطرقني وميشي.

" والطَّرَق: ضَرَبُ الصوف بالمِطْرَقة "

والمَيْشُ أن يُخلطَ الشُّعْرَ بالصُّوفِ والمِطْرَقة: العُود الذي يُصْرَب به بين ما
حُطِّط.

سوء المسألة وسوء الإجابة - قالوا: أساء سَمِعاً فأساء جابة.

وهكذا تُحكى هذه الكلمة جابة بغير ألف وذلك أنه اسم موضوع.

يقال أجنبي فلان جابةً حسنة فإذا أرادوا المصدر قالوا: إجابة بالألف.

وقالوا: حدت امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة.

كذا في الأصل والذي أحفظ فأزيع أي أمسك.

وقولهم: إليك يُساق الحديث.

من صمت ثم نطق بالفهامة - قالوا: سكت ألفاً وتطق خلفاً 0 الخلف من
كل شيء: الرديء.

المعروف بالكذب يصدق مرة - قولهم: مع الخواطيء سَهْمُ صائب.

وَرُبَّ رَمِيَةٍ من غير رام.

وقولهم: قد يصدق الكذوب.

المعروف بالصدق يكذب مرة - قالوا: لكل جواد كَبُوة ولكل صارم تَبُوة ولكل
عام هَفُوة.

وقد يَعْثر الجواد.

ومن لك بأخيك كُله.

وأَيُّ الرجال المَهْدَب.

كتمان السر - قالوا: صدرك أوسع لسرك.

وقالوا: لا تُفَشِ سِرِّكَ إِلَى أُمَّةٍ وَلَا تَبْلُ عَلَى أُمَّةٍ.

يقول: لا تُفَشِ سِرِّكَ إِلَى امْرَأَةٍ قُبْدِيهِ وَلَا تَبْلُ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفَعٍ قَتَبَدَوْ عَوْرَتِكَ.

ويقولون إذا أسرُّوا إلى الرجل: اجعل هذا في وعاء غير سَرِبِ.

وقولهم: سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ.

وقيل لأعرابي: كيف كَيْثَمَانِكَ السِّرُّ فقال: ما صَدْرِي إِلَّا الْقَبْرِ.

إنكشاف الأمر بعد اكتتامة - قولهم: حَصَّحَ الْحَقُّ: وقولهم: أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرَّغْوَةِ.

وفي الرَّغْوَةِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: فَتَحَ الرَّاءَ وَضَمَّهَا وَكَسَرَهَا.

وقولم: صَرَّحَ الْمَخْضُ عَنِ الرَّبْدِ.

وقالوا: أَفْرَحَ الْقَوْمُ بَيَضَتِّهِمْ أَي أَخْرَجُوا قَرَحَتَهَا يَرِيدُونَ أَظْهَرُوا سِرَّهُمْ.

وقولهم: بَرِحَ الْحَفَاءُ وَكُشِفَ الْغِطَاءُ.

إبداء السر - قالوا: أَفْضَيْتُ إِلَيْكَ بِشُقُورِي أَي أَخْبَرْتُكَ بِأَمْرِي وَأَطْلَعْتُكَ عَلَى سِرِّي.

وقولهم: أَخْبَرْتُكَ بِعَجْرِي وَبُجْرِي أَي أَطْلَعْتُكَ عَلَى مَعَايِي.

والعَجْرُ: الْعُرُوقُ الْمَنْعَقَةُ وَأَمَّا الْبُجْرُ فَهِيَ فِي الْبَطْنِ خَاصَّةً.

وتقول العامة: لَوْ كَانَ فِي جَسَدِي بَرَصٌ مَا كَتَمْتُكَ.

الحديث يتذكر به غيره - قالوا: الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ - وَهَذَا الْمَثَلُ لَصَبَّةِ ابْنِ أَدِّ وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ: سَعْدٌ وَسَعِيدٌ.

فخرجا في طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان صببة كلما رأى رجلاً مُقْبِلاً قال: أَسْعُدُ أَمْ سَعِيدٌ فَذَهَبَتْ مَثَلًا.

ثم إن صببة بينما هو يسير يوماً ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحرام إذ أتى على مكان فقال له الحارث: أترى هذا الموضع فإني لقيت فتى هينئذ كذا وكذا فقتلته وأخذت منه هذا السيف فإذا بصفة سعيد فقال له صببة: أرني السيف أنظر إليه فناوله فعرفه فقال له: إن الحديث ذو شجون ثم ضرب به حتى قتله فلامه الناس في ذلك وقالوا: أقتلت في الشهر الحرام! قال: سبق السيف العدل فذهبت مَثَلًا.

ومنه: دَكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا.

وأصل هذا أن رجلاً حَمَلَ لِيَقْتُلَ رَجُلًا وَكَانَ بِيَدِهِ الْمَحْمُولُ عَلَيْهِ رُوحٌ فَأَنْسَاهُ
الدَّهْشُ وَالْجَرَعُ بِهَا فِي يَدِهِ فَقَالَ لَهُ الْحَامِلُ: أَلَيْقَ الرَّوحِ قَالَ الْآخِرُ: فَإِنَّ
رُوحِي لَمَعِي! ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى صَاحِبِهِ فَهَزَمَهُ أَوْ قَتَلَهُ.

ويقال: إِنَّ الْحَامِلَ صَحَرَ أَوْ مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيِّ أَخُو الْخَنَسَاءِ وَالْمَحْمُولُ عَلَيْهِ يَزِيدُ
بِنِ الصَّعِقِ.

العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبيده - منه قولهم: رُبَّ سَامِعٍ بَخِرِي لِمَ
يَسْمَعُ عَذْرِي.

وَرُبَّ مَلُومٍ لَا دَنْبَ لَهُ.

وَلَعَلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتِ تَلُومِ.

وقولهم: الْمَرْءُ أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ.

الاعتذار في غير موضعه - منه قولهم: تَرَكَّ الدَّنْبَ أَيْسُرُ مِنَ التَّمَاسِ الْعُدْرِ.

وَتَرَكَّ الدَّنْبَ أَيْسُرُ مِنَ طَلَبِ التَّوْبَةِ.

التعريض بالكناية - منه قولهم: أَعَنَّ صُبُوحٌ تُرَقِّقُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: إِيَّاكَ أَعْنِي
وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ.

المن بالعروف - قالوا: شَوَى أَخُوكَ فَلِمَا انْضَجَ رَمَدٌ.

وقولهم: فَضَلُّ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ دَنَاءَةٌ وَقَضَلُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ مَكْرَمَةٌ.

الحمد قبل الاختبار - لَا تَحْمَدَنَّ أُمَّةً عَامَ آسْتِرَائِهَا وَلَا حُرَّةً عَامَ يَتَائِهَا.

وقولهم: لَا تَهْرِيفَ قَبْلَ إِنْجَازِ الْوَعْدِ - قالوا: أَنْجَزْ حُرًّا مَا وَعَدَ.

وقولهم: الْعِدَّةُ عَطِيَّةٌ.

وقولهم: مِنْ آخِرِ حَاجَةٍ فَقَدْ صَمِنَها.

وقالوا: وَعَدُّ الْحَرِّ فِعْلٌ وَوَعْدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ.

وقالت العامة: الْوَعْدُ مِنَ الْعَهْدِ.

التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلاً - حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ وَمَا
اعْتَذَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَ الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْقَادِمِ مِنْ سَفَرِهِ: حَيَّرْ
مَا رُؤِدٌ فِي أَهْلِ وَمَالٍ.

أَي جَعَلَكَ اللَّهُ كَذَلِكَ.

وقولهم: بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْلَ الْعُمَرِ أَي أَقْصَاهُ.

وقولهم: نِعَمَ عَوْفُكَ أَي نَعِمَ بِالْك 0 وقولهم فِي التُّكَاحِ: عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيُمْنِ.

وقولهم: بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ يَرِيدُ بِالرِّفَاءِ: الْكثْرَةُ يُقَالُ مِنْهُ: رِفَاتُهُ إِذَا دَعَا لَهْ بِالْكَثْرَةِ.

وقولهم: هُنَّتْ وَلَا تُنَكَّهُ أَي أَصَابَكَ خَيْرٌ وَلَا أَصَابَكَ ضُرٌّ.

وقولهم: هَوَتْ أُمَّهُ.

وهيَلَّتْهُ أُمَّهُ.

يَدْعُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَرِيدُونَ الْحَمْدَ لَهُ.

وَنَحْوُهُ: قَاتَلَهُ اللَّهُ وَأَخْرَاهُ اللَّهُ إِذَا أَحْسَنَ.

ومنه قولُ امرئِءِ الْقَيْسِ: مَا لَهُ عُذٌّ مِنْ تَقَرُّهِ تَعْيِيرِ الْإِنْسَانِ صَاحِبِهِ بِعَيْبِهِ -
قَالُوا: رَمْتَنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ.

وقولهم: عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَيْرَهُ نَسِيَ بُجَيْرَ خَبْرَهُ.

وقولهم: مُخْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ وَقَوْلُهُمْ: تُبْصِرُ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيكَ
وَلَا تُبْصِرُ الْجَذَعَ فِي عَيْنِكَ.

الدعاء على الإنسان - منه قولهم: فَاهَا لِفَيْكَ يَرِيدُ الْأَرْضَ لِفَيْكَ.

وقولهم: يَفِيكَ الْحَجَرُ وَيَفِيكَ الْأَثْلُبُ.

وقولهم: لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ.

ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكران في رمضان قال له:
لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ أَوْلَادُنَا صِيَامٌ وَأَنْتَ مُفْطِرٌ وَضَرَبَهُ مَائَةً سَوْطًا.

ومنه قولهم: بَجَنَبِهِ فَلْتَكُنِ الْوَجْبَةَ.

يَرِيدُ الصَّرْعَةَ.

ومنه قولهم: مِنْ كِلَا جَانِبَيْكَ لَا لِيَّيْكَ أَي لَا كَانَتْ لَكَ تَلْبِيَةٌ وَلَا سَلَامَةٌ مِنْ كِلَا
جَانِبَيْكَ.

والتَّلْبِيَةُ: الْإِقَامَةُ بِالْمَكَانِ وَقَوْلُهُمْ: بِهِ لَا يَطْبِي.

وقال الفرزدق: أَقُولُ لَهُ لِمَا أَتَانِي تَعِيَّهُ بِهِ لَا يَطْبِي بِالصَّرِيمَةِ أَعْفَرًا وَمِنْهُ
قَوْلُهُمْ: جَدَعَ اللَّهُ مَسَامِعَهُ.

وقولهم: عَقْرًا خَلْقًا.

يريد عَقَرَهُ اللهُ وحَلَقَهُ.

ومنه قولهم: لا لَعَاءَ له أي لا أقامه الله.

قال الأخطل: ولا لَعَاءَ لَبْنِي دَكُوانَ إذا عَثَرُوا ولِحَبِيبٍ: صَفراءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قد رَكَّبَتْ جُثْمَانَهُ في تَوْبِ سَقْمٍ أَضْفَرَ قَتْلُهُ سَرًّا ثم قالتُ جَهْرَةً قولَ القَرزِذِقِ لا يَطْبِي أَعْقَرَ رَمَى الرَّجُلَ غَيْرَهُ بالمَعْضَلاتِ - منه قولهم: رَمَاهُ بِأَقْحافِ رَأْسِهِ.

وَرَمَاهُ بِالثَّلاثَةِ الأَثافي يَرِيدُ قِطْعَةً مِنَ الجَبَلِ يُجْعَلُ إِلى جَنْبِها أَثْفِيانٌ وتكون هي الثالثة.

ومنه: يا لِلْعَضِيهَةِ والأَفِيكَةِ إذا المَكَرَ والخِلايَةَ - منه قولهم: قَتَلَ في ذِرْوَتِهِ.

أي خادَعَهُ حتى أَزالَهُ عَن رَأْيِهِ.

قال أبو عُبيد: ويُرَوِّي عَن الرُّبَيْرِيِّ أَنَّهُ حينَ سَأَلَ عائِشَةَ الخُرُوجَ إِلى البَصْرَةِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا زالَ يَفْتَلُ في الدَّرْوَةِ والغارِبِ حتى أَجابَتْ.

وقولهم: ضَرَبَ أَخْماساً لِأَسْداسٍ يَرِيدُونَ المُمَاكَرَةَ.

وقال آخَرٌ: إذا أَرادَ امرؤُ مَكَراً جَنَى عِلاًاً وظَلَّ يَضْرِبُ أَخْماساً لِأَسْداسٍ ومِنهُ قولهم: الذَّنْبُ يَأدُو لِلغَرالِ أَي يَحْتَلُهُ لِوُقوعِهِ.

اللهو والباطل - منه قولهم: جاء فلان بالثُّرَّةِ وجرى فلان السُّمَّةَ وهذا من أسماء الباطل.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما أنا من دِدٍ ولا دُدٌ مني.

وفيه ثلاث لغات: دُدٌ ووددا مثل قفا ووددن مثل حَرَن.

خلف الوعد - منه قولهم: ما وَعَدُهُ إِلا بَرَقَ حُلبٌ وهو الذي لا مَطَرٍ مَعَهُ.

ومنه: ما وَعَدُهُ إِلا وَعَدَ عُرقوبٌ وهو رجلٌ مِنَ العَماليقِ أَتاهُ أَخوهُ يسأَلُهُ فقال: إذا أَطلعتَ هَذِهِ النَخْلَةَ فلكَ طَلعها فَأَتاهُ لِلِعدَةِ فقال: دَعَّها حتى تَصيرَ بَلحاً فلما أَبلحت قال: دَعَّها حتى تَصيرَ رَطباً فلما أَرَبطت قال: دَعَّها حتى تَصيرَ تَمراً فلما أَتمرت عَمَدَ إِليها عُرقوبٌ فَجَرَّها ولم يُعْطِ أَخاهُ شَيْئاً فَصارَتْ مثلاً سائراً في الخُلفِ.

قال الأَعشى: اليَمَنُ العَمُوسُ - منه قولهم: جَدَّها جَدُّ العَيْرِ الصُّليانَةِ وذلك أَن العَيْرَ رُبما اِقْتَلَ الصُّليانَةَ إِذا ارتعاهَا.

ومنه الحديثُ المرفوعُ: اليَمينُ العَمُوسُ تَدَعُ الدَيَّارَ بلاعٍ.

قال أبو عُبيد: اليَمينُ العَمُوسُ هي المَصْبُورَةُ التي يُوقَفُ عَلَيْها الرَّجُلُ فَيَخْلِفُ بِها وَسَمَّيْتُ عَمُوساً لِعَمْسِها حاليها في المائِمِ.

ومنه قولهم: اليمين جُنْث أو مَنْدَمَة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان حالفاً فَلْيَخْلَفْ بالله.

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم في الرجل المبرز في الفضل - قولهم: ما يُشَقُّ عُبَارُهُ.

وأصله السابق من الحَيْل.

وقولهم: جَزِيّ المَذَكِّي حَسَرَتْ عنه الحُمْر.

أي كما يَسْبِقُ الفرسُ القارِح الحُضْرَ وقولهم: جَزِيّ المَذَكِّيَاتِ غِلَاءٌ أو غِلَابٌ.

وقولهم: لَيْسَتْ له هِمَّةٌ دون العَايَةِ القُصْوَى.

الرجل النبه الذكر - قولهم: ما يُخَجِّرُ فلانٌ في العِكْمِ.

العِكْمِ.

العِكْمِ: الجوّالق يريد أنه لا يخفي مكانه.

وقولهم: ما يومٌ حَلِيمَةٌ بِسْرٍ.

وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء فضربت مثلاً لِكُلِّ أمر مشهور.

وقولهم: أشْهَرُ من القَرَسِ الأَبْلَقِ.

وقولهم: وهل يَخْفِي على النَّاسِ النَّهَارِ.

ومثله: وهل يَخْفِي على الناصر الصُّبْحِ.

وقولهم: وهل يجهل فلاناً إلا من يجهل الرجل العزيز يعذبه الذليل - منه قولهم: إن البغاث بأرضنا تستنسر.

البغاث صغار الطير.

تستنسر: تصير نسوراً.

وقولهم: لا حَرَّ بوادي عوف.

يريدون عوف بن محمّ الشيباني وكان منيعاً.

وقولهم: تمرّد مارد وعزّ الأَبْلَقِ.

ما رد: حصن بدومة الجندل.

والأبلى: حصن " السمؤال " .

ومن عزَّ بَرَّ ومن قلَّ ذلٌّ ومن أمر فلٌّ.

أمر: كثر.

الرجل الصعب - منه قولهم: فلان ألوى بعيد المستمرّ.

وقولهم: ما بللت منه بأفوق ناصل.

وأصله السهم المكسور والفوق الساقط التّصل.

يقول: فهذا ليس كذلك " ولكنه كالسّهم القويّ " .

وقولهم: ما يقعق لي بالشّنان.

وقولهم: ما يصطلى بناره.

وقولهم: ما تقرن به صعبة.

النجذ يلقي قرنه - منه قولهم: إن كنت ربحاً فقد لاقيت إعصاراً والحديد بالحديد يفلح.

والفلح: الشق.

" ومنه: فلاحه الأرض وهو شقها بالحرث " .

ولا يفلّ الحديد إلا الحديد.

والثّبع يقرع بعضه بعضاً ورمي فلان بحجره أي قرنٌ بمثله.

الأريب الداھي - هو هتر أهتار.

وصلُّ أصلال.

الصّلُّ: من الحيّات شبه الرجل بها.

ومثله: حيّة ذكر وحيّة وإِ.

وقولهم: هو عضلة من العضل.

وهو باقعة من البواقع.

وحوّل قلب.

ومؤدم مبشر يقول: فيه لين الأدمة وخشونة البشرة.

وفلان يعلم من حيث تؤكل الكتف.

النبية بلا منظر ولا سابقة - قال أبو عبيد: هو الذي تسميه العرب الخارجيَّ يريدون خرج من أبا مروان لست بخارجيَّ وليس قديم مجدك بانتحال وقولهم: تسمع بالمعيديَّ خيرٌ من أن تراه وهو تصغير رجل منسوب إلى معدّ.

وقالوا: نفس عصام سوّدت عصاما الرجل العالم النحرير - قالوا: إنه لنقاب وهو الفطن الذكيّ.

وقالوا: إنه لعصّ وهو العالم النحرير.

وقولهم: أنا جذيلها المحكّ وعذيقها المرجّب.

قال الأصمعيّ: الجذيل: تصغير الجذل وهو عود ينصب للإبل الجرباء لتحتكّ به من الجرب فأراد أنه يشفى برأيه.

والعذيق: تصغير عذق والعذق " بالفتح ": النخلة نفسها فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناء مرتفعاً يدعّمها لكيلا تسقط فذلك الثرجيب وصعّرها للمدح.

ومثله قولهم: إنه لجذل حكاك: ومنه قولهم: عنيته تشفي الجرب.

والعنية: شيء تُعالج به الإبل إذا جربت.

وقولهم: لذي الجلم قبل اليوم ما تُفزع العصا وأوّل من فُرعت له العصا سعد بن مالك الكِنانيّ ثم فُرعت لعامر بن الظرب العدواني وكان حكّم العرب في الجاهلية فكبر حتى أنكر عقّله فقال لبيه: إذا أنا زعت فقوموني وكان إذا زاغ فُرعت له العصا فينزع عن ذلك.

ومنه قولهم: إنه الألمعيّ وهو الذي يُصيب بالظنّ.

وقولهم: ما حككت قرحة إلا أدميتها.

وقولهم الأمور تشابه مُقبلةً وتظهر مُدبرة ولا يعرفها مُقبلة الرجل المجرب - منه قولهم: إنه لشراب يأنقع أي مُعاود للخير والشرّ.

وقولهم: إنه لخراج ولاج.

وقولهم: حلب الدهر أشطّره وشرب أفويقه أي اختبر من الدهر خيره وشّره.

فالشطر: هو شطر الحلبة والفيقة: ما بين الحلبتين.

وقولهم: رجل مُنجدّ وهو المَجْرَب وأصله من التواجد يقال: قد عضّ على ناجذيه إذا استحكم: وقولهم: أول العزو أخرج.

وقولهم: لا تَعْرُزُ إِلَّا بَغْلَامٍ قَدْ غَزَا.
وقولهم: زاحِمٌ بَعُودٌ أَوْدَعُ.
" معناه: لا تَسْتَعِنُ إِلَّا بِمُسِنَّةٍ مُخَكَّمَةٍ أَوْدَعُ ".
وقولهم: الْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْخِمْرَةَ.
وقالت العامة: الشارِفُ لَا يُصَفِّرُ لَهُ.
الذَّبُ عَنِ الْحَرَمِ - قالوا: الْفَحْلُ يَحْمِي سَوْلَهُ.
والخَيْلُ تَجْرِي عَلَى مَسَاوِيهَا.
يقول: إِنْ الْخَيْلُ وَإِنْ كَانَتْ لَهَا عُيُوبٌ فَإِنَّ كَرَمَهَا يَحْمِلُهَا عَلَى الْجَرِيِّ.
وقولهم: النَّسَاءُ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ إِلَّا مَا دَبَّ عَنْهُ.
وقولهم: النَّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ.
وقولهم: كُلُّ ذَاتِ صِدَارٍ خَالَةٌ يَرِيدُ أَنَّهُ يَحْمِيهَا كَمَا يَحْمِي خَالَتَهُ.
الصِّلَةُ وَالْقَطِيعَةُ - منه قولهم: لَا خَيْرَ لَكَ فِيمَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ:
وقولهم: إِنَّمَا يُضِنُّ بِالصَّانِينَ.
وقولهم خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ.
وقولهم: أَلْقِ حَبْلَهُ عَلَى غَارِيهِ.
وقولهم: لَوْ كَرِهْتَنِي يَدِي قَطَعْتُهَا.
الرَّجُلُ يَأْخُذُ حَقَّهُ قَسْرًا - منه قولهم: يَزْكِبُ الصَّعْبَ مِنْ لَا دَّلُولَ لَهُ.
وقولهم: مُجَاهِرَةٌ إِذَا لَمْ أَجِدْ مَخْتَلًا.
يقول: آخِذْ حَقِّي قَسْرًا وَعِلَانِيَةً إِذَا لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ بِالسَّتْرِ وَالْعَافِيَةِ.
وقولهم: حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ يَقُولُ: أَخَذْتُهَا بِالْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ إِذْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا
بِالرَّفْقِ.
وقولهم: التَّجَلَّدُ خَيْرٌ مِنَ التَّبَلُّدِ.
وَالْمَنِيَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدَّنِيَّةِ.
وَمَنْ عَرَّ بَرًّا.

الإطراق حتى تصاب الفرصة - منه قولهم: مخربق لينباع.
مخربق: مُطْرِق.

لينباع: لينبعث.

يقول: سكت حتى يُصيب فرصته فيثب عليها.

وقولهم: تَحَسَّبها حمقاء وهي باخس.

وقولهم: خبره في صدره.

وقولهم: أحمق بلغ.

يقول: مع حُمقه يُدرك حاجته.

الرجل الجلد المصحح - أطْرِي فَإِنَّكَ نَاعِلَة.

أصله أن رجلاً قال لرأعية له كانت تزعى في السهولة وتترك الحزونة فقال لها: أطْرِي أَي حُذِي طَرَّر الوادي وهي نواحيه فإنك ناعلة يريد فإن عليك تغلين.

وقولهم: به داء ظبي معناه أنه ليس به " داء كما ليس " بالظبي داء وقالوا: الشجاع مَوْقَى.

الذل بعد العز - منه قولهم: كان جملاً فاستنوق أي صار ناقه.

وقولهم: كان حماراً فاستأن أي صار أناناً.

وقولهم: الحور بعد الكور وقولهم: دُلُّ لو أجد ناصرأ.

أصله أن الحارث بن " أبي شمر العسَّاني سأل أنس ابن أبي الحَجَّير عن بعض الأمر فأخبره فلطمه الحارث فقال أنس: دُلُّ لو أجد ناصرأ فلطمه ثانية فقال: لو نهيت الأولي لم تَلطم الثانية فذهبتا مثلين " وقولهم: الانتقال من ذل إلى عز - منه قولهم: كنت كُراعاً فصرت ذراعاً.

وقولهم: كنت عَنزاً فاستئيست.

وقولهم: كنت بُغاثاً فاستئسرت أي صرت تسرا.

تأديب الكبير - قالوا: ما أشدَّ فِطام الكبير! وقولهم: عود يُقَلِّح أي جمل مُسِين تُتقى أسنائه.

وقالوا: من العناء رياضة الهرم.

قال الشاعر: وتَرَوْضِ عِرْسَكَ بعد ما هَرِمْتُ ومن العَناءِ رِياضَةُ الهَرِمِ وقولهم:
أَعْيَيْتَنِي بِأَشْرٍ فَكَيْفَ بَدُرْدُرٍ.

يقول أَعْيَيْتَنِي وَأَنْتِ شَابَةٌ فَكَيْفَ إِذَا بَدَتْ دَرَادِرَكَ وَهِيَ مِغَارِزُ الأَسنانِ.

الذليل المستضعف - منه قولهم: فلان لا يَعْوَى ولا يَنْبَحُ من ضعفه يقول: لا
يتكلم بخير ولا شر.

وقولهم: أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقاءُ مُرَوِّبٍ وَهُوَ السِّقاءُ الَّذِي يُلَفُّ حَتَّى يَبْلُغَ أَوانَ
المَخْضِ.

وقالوا: أَهْوَنُ مَظْلُومٍ عَجُوزٌ مَعْقُومَةٌ.

وقولهم: لَقَدْ ذَلٌّ مِنْ بَالٍ عَلَيْهِ التَّعَالِبُ.

الذليل يستعين بأذل منه - قالوا: عَبْدٌ صَرِيخُهُ أُمَّةٌ.

وقولهم: مُثَقَّلٌ اسْتَعَانَ بِدَقْنِهِ وَأَصْلُهُ البَعِيرُ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الجِمْلُ الثَقِيلُ فلا يَقْدِرُ
على النهوض به فيعتمد على الأرض بدقنه.

وقولهم: العَبْدُ مِنْ لا عَبْدَ لَهُ.

الأحمق المائق - قالوا: عَدُوُّ الرَّجُلِ حُفْمُهُ وَصَدِيقُهُ عَقْلُهُ.

وقولهم: حَرَقَاءُ عَيَّابَةٌ وَهُوَ الأَحْمَقُ الَّذِي يَعْيبُ النَّاسَ.

قالوا: فِي الرَّجُلِ إِذَا اشْتَدَّ حَمَقُهُ جَدًّا: تَأْطَةُ مُدَّتْ بِمَاءِ.

الثأطة: الحماة فإذا أصابها الماء ازدادت قَساداً وَرُطوبَةً.

الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان - منه قولهم: تَجَنَّبَ رَوْضَةَ وَأَحَالَ يَعْذُو.

يقول: تَرَكَ الخَيْرَ وَاخْتارَ الشَّقَاءَ.

وقولهم: لا يَخْلُو مَسْكَ السَّوِّءِ عَنِ عَرَفِ السَّوِّءِ.

يقول: لا يَكُونُ جِلْدُ رَدِيءٍ إِلا وَالرَّيْحُ المُنْتَنَةَ مَوْجُودَةً فِيهِ.

ومنه قول العامة: قِيلَ لِلشَّقِيِّ: هَلُمَّ إِلى السَّعَادَةِ قال: حَسْبِي ما أَنَا فِيهِ.

ومنه قول العامة: أَنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يَحْتَنِقُ وقولهم: لا يَعْدَمُ الشَّقِيُّ مُهَيِّزاً
أَي لا يَعْدَمُ الشَّقِيُّ رِياضَةَ مُهْرٍ.

الرجل تريد اصلاحه وقد أعياك أبوه قبل - منه قولهم: لا تَقْتَنِ مِنْ كَلْبٍ سَوءِ
جِرْوا.

وقال الشاعر: تَرَجُو الْوَلِيدَ وَقَدْ أَعْيَاكَ وَالِدُهُ وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَلَدَا
الْوَاهِنِ الْعِزْمِ الضَّعِيفِ الرَّأْيِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَا لَهُ أَكْلٌ وَلَا صَيَّورٌ أَي لَيْسَ لَهُ
قُوَّةٌ وَلَا رَأْيٌ.

قال الأصمعيّ: طلب أعرابي ثوباً من تاجر فقال: أعطني ثوباً له أكل يعني
قوة وحصافة.

ومنه قال أبو عبيد: هو الرجل الذي لا رأي له ولا عزم.

فهو يتابع كلَّ أحد على رأيه ولا يثبت على شيء وكذلك الإمرة الذي يتابع كل
أحد على أمره.

ومنه قولهم: هو يَنْتُ الْجَبَلِ ومعناه الصدى يُجيبك من الجبل أي هو مع كل
متكلم يُجيبه بمثل كلامه.

الذي يكون ضاراً لا نفع عنده - من قولهم: المِعْرَى تَبْهِي وَلَا تُبْنِي.

" معناه أن المِعْرَى لا تكون منها الأبنية " وهي بيوت الأعراب وإنما تكون من
وَبَرِ الْإِبِلِ وَصُوفِ الضَّانِ وَلَا تَكُونُ مِنَ الشُّعْرِ وَرَبَّمَا صَعَدَتِ الْمِعْرَى إِلَى
الْخِباءِ فَحَرَّقَتْهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُمْ تَبْهِي يَقَالُ: أَبْهَيْتُ الْبَيْتَ إِذَا خَرَّقْتَهُ فَإِذَا انْخَرَقَ
قِيلَ: بَيْتٌ بَاهٍ.

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه - منه قولهم: ترى الفئيان كالنخل وما
يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ.

وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث: إنك لمنظراني قال: نعم ومخبراني.

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم - قال الأصمعي:
ويقال: لَنْ يَزَالَ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا فَإِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا.

قال أبو عبيد: معناه أن الغالب على الناس الشرُّ والخير في القليل من
الناس فإذا كان التساوي فإنما هو في الشر.

ومن أشدَّ الهجاء قولُ القائل: سواسية كأسنان الجمار.

ومنه قولهم: الناس سواء كأسنان المُسْطِط.

وقولهم: الناس شباه وشنَّى في الشَّيْمِ " وكلهم يَجْمَعُهُ بَيْتُ الْأَدَمِ ".

وقولهم: الناس أحياف أي مُفْتَرِقُونَ فِي أَخْلَاقِهِمْ.

والأخيف من الخيل: الذي إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء.

ومنه قولهم: بيت الإسكاف لأن فيه من كل جلد رُقعة.

المتساويان في الخير والشر - هما كَقَرَسِي رِهَانِ.

وكُزِّبْتِي بَعِير.

وهما زَنْدَان فِي وَعَاء.

هذا فِي الْخَيْرِ وَأَمَّا فِي الشَّرِّ فَيُقَالُ: هُمَا كَحِمَارِي الْعِبَادِيَّ " حِينَ قِيلَ لَهُ: أَي حِمَارِيكَ شَرٌّ قَالَ: هَذَا ثُمَّ هَذَا "

الْفَاضِلَانِ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ.

وقولهم: مَاءٌ وَلَا كَصَدَّاءِ.

وصدءاء: رَكِيْبَةٌ ذَاتُ مَاءٍ عَدْبٌ.

وقولهم: قَتِيٌّ وَلَا كَمَا لِكَ.

وقولهم: فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ.

وَاسْتَمَجَدَا الْمَرْخَ وَالْعَقَارَ وَهُمَا أَكْثَرُ الشَّجَرِ نَارًا.

الرَّجُلُ يَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَلَى غَيْرِهِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: كُلُّ مُجْرٍ بِالْحَلَاءِ يُسَرُّ.

وَأَصْلُهُ الَّذِي يُجْرِي فَرَسَهُ فِي الْمَكَانِ الْخَالِيِ فَهُوَ يُسَرُّ بِمَا يَرَى مِنْهُ.

الْمَكَافَأَةُ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: هَذِهِ بَتْلُكَ وَقَوْلُهُمْ: أَضِيءُ لِي أَقْدَحُ لَكَ أَي كُنْ لِي أَكُنْ لَكَ.

وقولهم: اسْقِي رَقَاشَ إِنَّهَا سَقَايَةٌ.

يَقُولُ: أَحْسِنُوا إِلَيْهَا إِنَّهَا مُحْسِنَةٌ.

الْأَمْثَالُ فِي الْقُرْبَى التَّعَاطُفُ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ - قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: مِنْهُ قَوْلُهُمْ: يَا بَعْضِي دَعْ بَعْضًا.

وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ زُرَّارَةَ بِنْتُ عُدَيْسِ رَجُلٍ ابْنَتَهُ مِنْ سُؤَيْدِ ابْنِ رَبِيعَةَ فَكَانَ لَهُ مِنْهَا تِسْعَةُ بَنِينَ وَأَنَّ سُؤَيْدًا قَتَلَ أَخًا صَغِيرًا لِعَمْرُو بْنِ هِنْدِ الْمَلِكِ وَهَرَبَ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ابْنُ هِنْدٍ فَارْسَلَ إِلَى زُرَّارَةَ: إِنَّ ابْنَتِي بَوْلَدَهُ مِنْ ابْنَتِكَ فَجَاءَ بِهِمْ فَأَمَرَ عَمْرُو بَقْلَهُمْ فَتَعَلَّقُوا بِجَدِّهِمْ زُرَّارَةَ.

فَقَالَ: يَا بَعْضِي دَعْ بَعْضًا فَذَهَبَتْ مِثْلًا.

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي التَّحْنِ عَلَى الْأَقْرَابِ - قَوْلُهُمْ: لَكِنْ عَلَى بَلَدِ قَوْمٍ عَجْفِي.

وقولهم: لَكِنْ بِالْأَثَلِثِ لَحْمٌ لَا يُظَلَّلُ.

وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ بَيْهَسًا الَّذِي يُلَقَّبُ بِتَعَامَةِ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَيْنَ قَوْمِ حَرْبٍ.

فقتلوا سَبْعَةَ إِخْوَةٍ لِيَبْهَسَ وَأَسْرُوا بِيَهْسِيًّا فَلَمْ يَقْتُلُوهُ لِصِغَرِهِ وَارْتَحَلُوا بِهِ
فَنَزَلُوا مِنْزِلًا فِي سَفَرِهِمْ وَتَحَرَّوْا جُرُورًا " فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ " فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: ظَلَّلُوا لَحْمَ جُرُورِكُمْ " لِنَلَا يَفْسُدَ " فَقَالَ بِيَهْسُ: لَكِنْ بِالْأَثْلَاثِ لَحْمٌ لَا
يُظَلِّلُ - يَعْنِي لَحْمَ إِخْوَتِهِ الْقَتْلَى - ثُمَّ ذَكَرُوا كَثْرَةَ مَا عَنِمُوا فَقَالَ بِيَهْسُ: لَكِنْ
عَلَى بَلَدِ قَوْمٍ عَجْفِي.

ثم إنه أفلت أو خَلَّوا سبيلَه فرجع إلى أمه فقالت أنجوت من بينهم وكانت لا
تَحَبُّه فقال لها: لو حَيْرت لاخترت.

فلما لم يكن لها ولدٌ غيره رَقَّتْ له وَتَعَطَّفَتْ عليه.

فقال بيَهْسُ: التَّكْلِ أَرْأَمَهَا قَدَّهَبْتَ كَلِمَاتُهُ هَذِهِ الْأَرْبَعُ كُلَّهَا أَمْثَالًا.

ومنه قولهم: لَا يَعْدَمُ الْخَوَارِ مِنْ أُمِّهِ حَتَّى.

وقولهم: لَا يَصُرُّ الْخَوَارِ مَا وَطِئَتْهُ أُمُّهُ.

وقولهم: بِأَبِي أَوْجُهُ الْيَتَامَى.

حماية القريب وإن كان مبغضاً - من ذلك قولهم: آكَلْ لَحْمِي وَلَا أَدَّعُهُ يُؤْكَل.

ومنه لَا تَعْدَمَ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ نَصْرًا.

وقولهم الْحَفَائِظُ تُحَلِّلُ الْأَحْقَادَ.

وقولهم فِي ابْنِ الْعَمِّ: عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ.

وقولهم: كَفَّكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَتْ شَلَاءً.

وقولهم: انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.

إِعْجَابُ الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: كُلُّ فِتْنَةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ.

وقولهم: الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ.

وقولهم: رُيِّنَ يَا عَيْنَ وَالِدٍ وَوَلَدُهُ.

وقولهم: حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَا تَوَدُّ.

وقولهم: مَنْ يَمْدَحُ الْعَرُوسَ إِلَّا أَهْلُهَا تَشْبِيهِ الرَّجُلِ بِأَبِيهِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَنْ
أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

وقولهم: الْعُصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا.

وقولهم: ما أشبه حَجَلَ الجَبَالِ بألوانِ صُخُورِهَا! وقولهم: ما أشبه الحَوَلِ بالقَبَلِ! وما أشبه الليلةَ بالبارحةِ! وقولهم: شينِشنةَ أعرفها من أخزمِ يقال هذا في الولدِ إذا كانت فيه طبيعة من أبيه.

قال زهير: وهَلْ يُنْبِتُ الحَطَبِيُّ إِلَّا وَشِجْهُ وَتُعْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ وَمِنَهُ قَوْلُ العَامَةِ: لَا تَلِدِ الدَّئِبَةُ إِلَّا ذَبَابًا.

وقولهم: حَذُو النَّعْلِ بالنَّعْلِ.

وحَذُو القِذَّةِ بالقِذَّةِ.

والقِذَّةُ: الريشةُ من ريشِ السهمِ تُحْدَى على صاحبِها.

تحاسد الأقراب - من ذلك قولهم: الأقراب هم العقارب.

وقال عُمر: تَراوَرُوا وَلَا تَجاوَرُوا.

وقال أكتم: تَباعدوا في الدِّيارِ وتَقاربوا في المَحَبَةِ.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هُريرة: رُزُ عِبًّا تَرَدَّدَ حَبًّا.

ومنه قولهم: فَرَّقَ بَيْنَ مَعَدَ تَحَابٍ.

يريد أن ذوي القَرَبى إذا تَدانَوْا تحاسدُوا وتباغضوا.

قولهم في الأولاد - قالوا: مَن سَرَّه بنوه ساءتُه نفسُه أي من يرى فيهم ما يسرُه يرى في نفسه ما يسوءُه.

وقولهم: إِنَّ بَنِي صَيْبِيَّةٍ صَيْفِيَّونَ أَفْلَحَ مَن كان لَهُ رِبعِيونَ الولدِ الصَيْفِي: الذي يُولدُ للرجالِ وقد أَسَنَّ.

والربعي: الذي يُولدُ له في عُنفوانِ شبابه أخذ من ولدِ البقرةِ الصَيْفِي والربعي.

ويقال للمرأة إذا تَبَّتْ غيرَ ولدها: ابْنُكَ مَن دَمَى عَقَبِيكَ.

الرجل يُؤتى من حيث أَمَن - قالوا: من مَأمنه يُؤتى الحَذِر.

وقال عَدِي بن زيدِ العبادي: لو بَغِيرَ الماءِ حَلَقَى شَرِقُ كُنْتُ كَالغِصانِ بِالماءِ أَغْتِصارِي قال الأصمعي: هذا من أشرفِ أمثالِ للعرب.

يقول: إِنَّ كُلَّ مَن شَرِقَ " بشيءٍ يستغيثُ بالماءِ كُنْتُ من كُرْبَتِي أَفْرُ إِلَيْهِمْ فَهَمُّ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الفِرَارُ ومثله قولُ العباسِ بنِ الأحنف: قَلْبِي إلى ما ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجاعي كيف احتراسي مَن عَدُوِّي إذا كان عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلاعي " وقال آخر: مَن عَصَّ داوِي بَشْرَبِ الماءِ عُصْتَهُ فكيف يَصنعُ مَن قد

عَصَ بِالماءِ " الأمثال في مكارم الأخلاق الحلم قال أبو عُبيد: من أمثالهم في الجلم: إذا نزل " بك " الشرُّ فأقعد أي فاحلم ولا تسارع إليه.

ومنه قولُ الآخر: الحَلِيمَ مَطِيَّةَ الجُھول.

وقولهم: لا يَنْتَصِفُ حَلِيمٌ من جاهل.

وقولهم: آخر الشرِّ فإن شئتَ تعجَّلتَه.

وقولهم في الحَلِيم: إنه لواقع الطير ولساكن الرِّيح.

وقولهم: في الحَلَماء: كأنما على رؤوسهم الطير.

ومنه قولهم: رُبَّما أَسْمَعُ فَأَدَّر.

وقولهم: حَلَمِي أَصْمٌ وَأُذُنِي عَيْرٌ صَمَّاء.

العفو عند المقدرة منه قولهم: مَلَكْتُ فَأَسْجِح.

وقد قالت عائشة رضوان الله عليها لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس قدنا من هودجها وكلمها فأجابته: مَلَكْتُ فَأَسْجِح " أي ظفرت فأحسن.

فجهزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة - وقال بعضهم: سبعين - حتى قَدِمَت المدينة "

ومنه قولهم: " إِنْ " المَقْدِرَةُ تُذْهَبُ الحَفِيظَةُ.

وقولهم: إذا ارْجَحَنَّ شاصياً فارقَعْ يَدَا المساعدة وترك الخلاف من ذلك قولهم: إذا عَزَّ أخوك فَهَنْ.

وقولهم: لولا الوئام هلك اللئام.

الوئام: المباهاة: يقول لولا المباهاة لم يفعل الناسُ خيراً.

مدارة الناس قالوا: إذا لم تَغْلِبْ فاحْلِب.

يقول: إذا لم تغلب فاحدع ودار والطف.

وقولهم: إلا حِطِيَّةٌ فلا أَلِيَّة.

معناه: إن لم يكن حُطُوءة فلا تَقْصِير.

" إلية: من " ألا يالو.

ويأتلي أي يقصر.

" ومنه قول الله عز وجل: " ولا تأتوا أولو القُصَل منكم والسَّعة " .

وقولهم: سوء الاستمساك خَيْر من حُسن الصرعة.

ومنه قولُ أبي الدرداء: إنا لنبشُّ في وُجوه قوم وإنَّ قلوبنا لتلعنهم.

ومنه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: شرار الناس من دَراه الناسُ لشرِّه.

ومنه قولُ شبيب بن شيبَةَ في خالد بن صفوان: ليس له صديق في السرِّ ولا عدوُّ في العلانية.

يريد أنَّ الناس يُدارونه لشرِّه وقلوبُ الناس تُبغضه.

مفاكهة الرجل أهله منه قولهم: كل أمرئ في بيته صبيٌّ.

يريد حُسن الخلق والمُفاكهة ومنه قولُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إنا إذا حلَّونا قللنا.

ومنه قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: خيَّركم خَيْركم لأهله.

ومنه قولُ معاوية: إنهنَّ يعلبن الكرام ويغلبهنَّ اللئام.

اكتساب الحمد واجتناب الذم - قالوا: الحمد مَعْنَم والذمُّ مَعْرَم.

وقولهم: " إنَّ " قليل الذمِّ غيرٌ قليل.

وقولهم: إنَّ خيراً من الخير فاعله وإنَّ شراً من الشرِّ فاعله.

وقولهم: الخَيْر يَبْقَى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أَخْبثُ ما أُوعيت مِن زادِ الصبرِ على المصائب - من ذلك قولهم: هَوْنٌ عَلَيْكَ ولا تُولِعِ بِإِسْفَاقِ وقولهم: من أراد طولَ البقاء فليوطن نفسه على المصائب.

وقولهم: المُصيبة للصابر واحدة وللجارع اثنتان.

وقال أكتَم بن صَيْفِيٍّ: حيلةٌ من لا حيلة له الصبر.

وذكروا عن بعض الحكماء أنه أُصيب بابن له فبكى حَوْلًا ثم سَلَا فقبل له: مالك لا تَبكي قال كان جُرْحًا فَبَرِيئ.

قال أبو خِرَاش الهُدَلي: بلى إنها تَغْفو الكُوم وإنما تُوكَل بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمْضِي ومنه قولهم: لا تلهف على ما فاتك.

منه قولهم: اصطناع المَعروف يَقي مَصارع الشُّوء.

وقولهم: الجود محبَّة والبخل مَبغضة.

وقول الحُطَيْئَةِ: مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ الْكَرِيمِ لَا يَجِدُ مِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَيْتِي يَبْحَلُ لَا أَنَا.

وقولهم: بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفُّ.

وقولهم: مَا كَلَفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَائِقَتِهَا وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ وَقَالَ آخَرُ: يَرَى الْمَرْءُ أَحْيَانًا إِذَا قَلَّ مَالُهُ مِنَ الْخَيْرِ تَارَاتٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا مَتَى مَا يَرْمَاهَا قَصَّرَ الْفَقْرُ كَفَّهُ فَيَضَعُفُ عَنْهَا وَالغِنَى يُضِيْعُهَا الْقِنَاعَةَ وَالِدَعَةَ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ وَقَوْلُهُمْ: يَكْفِيكَ مَا يَبْلُغُكَ الْمَحَلُّ.

وقال الشاعر: مَنْ شَاءَ أَنْ يُكْثِرَ أَوْ يُقَلِّلَ يَكْفِيهِ مَا بَلَغَهُ الْمَحَلَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكَارِهِ يَحْمَدُ الْعَوَاقِبَ - قَالُوا: عَوَاقِبُ الْمَكَارِهِ مَحْمُودَةٌ.

وقالوا: عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِيَّ.

وقولهم: لَا تُدْرِكُ الرَّاحَةَ إِلَّا بِالتَّعَبِ.

أَخَذَهُ حَبِيبٌ فَقَالَ: عَلِيٌّ أَتَنِي لَمْ أَحِجْ مَالًا مُجَمَّعًا فَفُرْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمَلٍ مُبَدَّدٍ وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مَسْكَنًا أَلَدُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشْتَرَدٍّ وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ أَيْضًا: بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُلْيَا فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ الْإِتْنَفَاعِ بِالْمَالِ - قَالُوا: خَيْرٌ مَالِكَ مَا تَفَعَّلَ.

وَلَمْ يَضِعْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ.

وَنَظَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى دِرْهَمٍ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ يَدِكَ.

وقولهم: تَقْيِيرُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ تَوْفِيرٌ مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ.

قال الشاعر: أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ إِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ الْمُتَصَافِيَانِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: هُمَا كَنْدَمَاتِي جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ الْمَلِكِ.

وَنَدِيمَاهُ رَجُلَانِ مِنْ بَلَقَيْنِ يُقَالُ لِهَمَا: مَالِكٌ وَعَقِيلٌ.

" بَلَقَيْنِ: يَرِيدُ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ " .

وقولهم: " هُمَا أَطْوَلُ صُحْبَةٍ مِنَ الْقَرَقِدِينَ .

قال الشاعر: " وَكُلُّ أَحٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْقَرَقِدَانِ خَاصَّةُ الرَّجُلِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: عَيْبَةُ الرَّجُلِ .

يَرِيدُونَ خَاصَّتَهُ وَمَوْضِعَ سَرِّهِ .

ومنه الحديث في حُزَاعَةِ: كَانُوا عَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْئِئُهُمْ وَكَافِرُهُمْ .

مَنْ يَكْسِبُ لَهُ غَيْرَهُ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَيْسَ عَلَيْكَ عَزْلُهُ فَاسْحَبْ وَجْرًا .

وقولهم: وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِد.

وقولهم: حَيْرَ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنِ نَائِمَةٍ.

المروءة مع الحاجة - منه قولهم: تَجُوعُ الْحَرَّةَ وَلَا تَأْكُلُ بِتَدْيِيهَا.

وقولهم: سَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ وَحَيْرُ الْغِنَى الْقِنَاعَةُ.

ومنه الحديث المرفوع: أَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ.

قال الشاعر: فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَجَسِّعًا وَتَجَمَّلْ وَمِنْهُ قَوْلُ هُدَيْةِ الْعُدْرِيِّ:
وَلَسْتُ بِمُفْرَاحٍ إِذَا دَهْرٌ سَرَّنِي وَلَا جَارِعٌ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ وَلَا أَتَمْنَى الشَّرِّ
وَالشَّرِّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبَ الْمَالَ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ -
منه قولهم: حَرَفَاءٌ وَجَدتْ صُوفًا.

وَعَبْدُ مَلِكٍ عَبْدًا " فَأَوْلَاهُ تَبًّا " .

وقولهم: مَنْ يَطْلُ ذَيْلُهُ يَنْتَطِقُ بِهِ.

وَمَرَعَى وَلَا أَكَّوْلَةَ.

وَعَشْبٌ وَلَا بَعِيرٌ.

وَمَا لُ وَلَا مُنْفِقٌ.

الحض على الكسب - منه قولهم: اطلب تظفر.

وقولهم: مَنْ عَجَزَ عَنْ زَادِهِ اتَّكَلَ عَلَى زَادِ غَيْرِهِ.

وقولهم: مَنْ الْعَجَزُ تُبِجَتِ الْفَائِقَةُ.

وقولهم: لَا يَفْتَرِسُ اللَّيْثُ الطَّبِّيُّ وَهُوَ رَابِضٌ.

وقول أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمَلٌ مَا هَكَذَا تُورِدُ يَا سَعْدُ الْإِيْلُ الْخَبِيرُ بِالْأَمْرِ
الْبَصِيرُ بِهِ - منه قولهم: عَلَى الْحَبِيرِ سَقَطَتْ.

وقولهم: كَفِي قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ حَبِيرًا.

وقولهم: لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي جَمَالِهِمْ حُبْرٌ.

وقولهم: عَلَى يَدِي دَارَ الْحَدِيثِ.

وقولهم: تُعَلِّمَنِي بَضْبٌ أَنَا حَرَشُتُهُ.

يقول: أَتُخْبِرُنِي بِأَمْرِ أَنَا وَلَيْتَهُ وُلُّ الْقَوْسِ بَارِيهَا.

وقولهم: الخيلُ أعلمُ بفُرسانها.

وقولهم: كل قوم أعلمُ بصناعتهم.

وقولهم: قَتَلَ أرضاً عالمُها.

وقتلَت أرضٌ جاهلُها.

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه - من ذلك قولهم: ما وراءك يا عصام أول من تكلم به النابغة الدبباني لعصام صاحب النعمان وكان النعمان مريضاً فكان إذا لقيه النابغة قال له: ما وراءك يا عصام وقولهم: سيأتيك بالأخبار من لم تُرود.

وإليك يُساق الحديث.

انتحال العلم بغير آله - منه قولهم: لكالحادي وليس له بغير وقال الخطيئة: لكا لماشي وليس له جِذاء.

وقولهم: إنباض بغير توتير.

وكقباضي على الماء.

أخذه الشاعر فقال: ومَن يَأمن الدنيا يكن مثلَ قابضٍ على الماءِ خائئهُ فُرُوجُ الأصابعِ من يوصي غيره وينسي نفسه - يا طَيِّبُ طَيِّبٌ لِنَفْسِكَ.

ومنه: لا تعطيني وتَعْطِطِ أَي لا توصيني وأوصي نَفْسَكَ.

الأخذ في الأمور بالاحتياط - منه قولهم: أن تَرِدَ الماءَ بماءِ أَكَيْسٍ.

وقول العامة.

لا تَصُبِّ ماءً حتى تجدَ ماءً.

وقولهم: عَشٌّ ولا تَغْتَر.

يقول: عَشٌّ إِبْلَكَ ولا تَغْتَر بما تُقَدِّم عليه.

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلاً أتاهم فقال: كل لا يَنْفَع مع الشَّرِّ عملٌ كذلك لا يَصُرُّ مع الإيمان تَقْصِيرُ فكلهم قال: عَشٌّ ولا تَغْتَر.

وقولهم: ليس بأوَّلٍ مَن عَرَه السراب.

وقولهم: اشْتَرَّ لِنَفْسِكَ ولِلشُّوقِ.

ومنه الحديثُ المرفوع عن الرجل الذي قال أُرْسِلُ ناقتي وأتوكَّل قال: " بل اعقلها وتوكل.

الاستعداد للأمر قبل نزوله - منه قولهم: قبل الرَّمي يُراش السَّهم.
وقولهم: قبل الرِّماءِ تُملأ الكنائن.

وقولهم: حُذ الأمر بقوابله أي باستقباله قبل أن يُدبر.

وقولهم: شرُّ الرأي الدَّبريُّ.

وقولهم: المُحاجزة قبل المناجزة.

وقولهم: التقدُّم قبل التندم.

وقولهم: يا عاقدُ اذكر خلا.

وقولهم: خيرُ الأمور أحمدها مَعَبَّة.

وقولهم: ليس للأمر بصاحب مَنْ لم يَنْظُر في العواقب.

طلب العافية بمسالمة النَّاس - قولهم: مَنْ سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العِتَارَ.

وأحذرُ تَسْلَمَ.

ومنه قولهم: جَرُّوا له الخَطِيرَ ما انْجَرَ لكم.

الخطير: زِمَامُ الناقة.

ومنه قولهم: لا تَكُنْ أدنى العَيْرين إلى السَّهم.

يقول: لا تَكُنْ أدنى أصحابك إلى مَوْضِعِ التَّلْفِ وكن ناحيةً أو وَسْطاً.

قال كعب: إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ كَلْباً فلا تَكُنْ كَلْبَ أصحابك.

وتقول العامة: لا تَكُنْ لسانَ قَوْمٍ.

توسط الأمور - من ذلك قولهم: لا تَكُنْ حُلُواً فَتُسْتَرَطَ ولا مُرّاً فَتُنْعَى أي
تُلْفَظَ يقال: أَعَى الشيءُ إذا اشتدَّتْ مرارته.

" قال الشاعر: ولا تَكُ آنيّاً حُلُواً فَتُحْسِبَ ولا مُرّاً فتُنشِبَ في الجِلاق " وتقول
العامة: لا تَكُنْ حُلُواً فتؤكل ولا مُرّاً فتُلْفَظَ.

وتوسَّطَ الأمور أدنى السلامة.

ومنه قول مُطَرِّف بن " عبد الله بن " الشَّخِير: الحَسنة بي السَّيِّئتين وخيرُ
الأمور أوسطها.

وشرُّ السَّير الحَفْحَقَة.

قوله: بين السيتين يريد بين المُجَاوِزَة والتقصير.

ومنه قولهم: بين المُمِخَة والعَجْفَاء.

" يريد " بين السمين والمهزول.

ومنه قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: خيرُ الناس هذا التَّمَطُ الأَوْسَطُ يَلْحَقُ بهم التالي ويرجع إليهم الغالي.

الإِتَابَة بعد الاجرام - منه قولهم: أقصرَ لَمَّا أبصرَ.

ومنه أُتِيْعُ السيئةُ الحسنَة " تمحها " .

والتائبُ من الذنبُ كمن لا ذنبَ له.

والندمُ تَوْبَة.

والاعترافُ يَهْدِمُ الاقتراف.

مدافعة الرجل عن نفسه - جاحش فلان عن خَيْطِ رَقْبَتِهِ.

وخيط الرقبة: النخاع يقول: دافع عن دمه ومُهجته.

وقالت العامّة: " ومنه " : أدفع عن نفسي إذا لم يكن عنها دافع.

قولهم في الانفراد - الذنبُ خالياً أسد.

يقول: إذا وجدك خالياً اجترأ عليك.

ومنه الحديث المأثور: الوَجِيدُ شيطان.

وفي الحديث الآخر: عليكم بالجماعة فإنَّ الذُّنْبَ إنما يُصِيبُ من العَنَمِ الشَّارِدَة.

من ابتلى بشيء مرة فخافه أخرى - منه الحديث المرفوع: لا يُلْسَعُ المؤمن من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ.

يريد أنه إذا لُسع مرّة " منه " تحفظ من أخرى.

وقولهم: مَنْ لَدَغْتَهُ الحَيَّةُ يَفَرِّقُ من الرِّسَنِ.

وقولهم: مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وهذا أَثْرُهُ يُضْرَبُ هذا المثل للذي قد اخْتَبِرَ وَجُرِّبَ وقولهم: كل الجِدَاءِ يَحْتَذِي الحَافِي الوَقِعَ الوَقِعَ: الذي يمشي في الوَقِعَ وهي الحجارة.

قال أعرابي: يا ليت لي تَعْلين من جلد الصَّبَعِ وشُرْكا من آستها لا تنقطع كلَّ الجِذاء يحتذي الحافي الوَقِيعُ اتباع الهوى - قال ابن عَبَّاس: ما ذَكَرَ اللهُ الهوى في شيء إلا دَمَهُ.

قال الشعبي: قيل له هَوَى لأنه يَهْوَى به.

ومن أمثالهم فيه: حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمَى وَيُصِمُّ.

وقالوا: الهوى إله مَعْبُود.

الحذر من العطب - قالوا: وقولهم: أعورُ عَيْنِكَ والحَجَرِ.

وقولهم: الليلَ وأهضامَ الوادي.

وأصله أن يسير الرجلُ ليلاً في بَطُونِ الأودية حذَّره ذلك.

وقولهم: دَع خَيْرَها لِشَرِّها.

وقولهم: لا تُراهن على الصَّعْبَةِ.

وقولهم: أَعْدَرُ مَنْ أَدَّرَ.

حسن التدبير والنهي عن الخرق - الرَّفْقُ يُمْنُ والحُرْقُ سُؤْمُ.

وَرُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكْلَاتِ.

وقولهم: قَلْبُ الأَمْرِ ظَهْرًا لِيَطْنَ.

وقولهم: " اضْرِبْ " وَجْهَ الأَمْرِ وَعَيْنَيْهِ وَأَجْرُ الأَمْرِ عَلَى أَذْلالِها أَي عَلَى وُجُوهِها.

وقولهم: وَجْهَ الحَجَرِ وَجْهَةً ما " له " .

وقولهم: وَلى حارِها مَنْ وَلى قارِها.

المشورة - قالوا: أَوَّلَ الحَزْمِ المَشُورَةُ.

ومنه: لا يهلك امرؤ عن مَشُورَةٍ.

قال ابن المُسَيَّب: ما أَسْتَشِرْتُ في أمرٍ وأَسْتَحِرْتُ وأبالي على أَيِّ جَنبِي سَقَطْتُ.

الجد في طلب الحاجة - أَبْلُ عُدْرًا وَخَلَاكَ دَمٌّ.

" يقول: إنما عليك أن تَجْتَهد في الطلب وتُعْذِرَ لِكَيْلَا تُدَمَّ فيها وإن لم تكن تَقْضَى الحاجة " .

ومنه: هذا أَوَانُ الشَّدِّ فاشتدِّي زيم وقولهم: اضرب عليه جِرْوَتَكَ أَي وَطَّنْ عَلَيْهِ تَفْسُكَ.

ومنه: اجمعُ عليه جَرَامِيرَكَ واشدَدَ له حيازيمَكَ.

وقولهم: سَمَّرَ دَيْلاً وَأَدَّرَعَ لَيْلاً.

ومنه: أُنْتُ بِهِ " مِنْ " حِسُّكَ وَبَسُّكَ.

ومنه قول العامة: جئ به من حيث أيسرَ وليس.

الأيس: الموجود.

والليس: التأنى في الأمر - من ذلك قولهم: رب عجلة تُعَقِّبُ رَيْنًا.

وقولهم إِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى.

وقال القطامي: قَدْ يُذْرِكُ الْمَتَائِيَّ بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجَلِ الرَّلُّ وَمِنْهُ: صَحَّ رَوَيْدًا أَي لَا تَعْجَلْ.

والتَّشْفُ أَنْقَعَ أَي أَرَوَى يُقَالُ: شَرِبَ حَتَّى تَقَعَ.

ومنه: لَا يُرْسَلُ السَّاقُ إِلَّا مُمَسَّكًا سَاقًا.

سوء الجوار - منه قولهم: لَا يَنْفَعُكَ مِنْ جَارِ سَوْءٍ تَوَقُّعٌ.

والجارُّ السُّوءُ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ.

ومنه: هَذَا أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكٍ.

" وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: الْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ.

الرفيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ.

ومنه قولهم: بَعَثْتُ جَارِيَّ وَلَمْ أَبْعَثْ دَارِيَّ.

يقول: كُنْتُ رَاغِبًا فِي الدَّارِ إِلَّا أَنِّي بَعَثْتُهَا بِسَبَبِ الْجَارِ السَّوِّءِ "

سوء المرافقة - أَنْتِ تَتَّقِي وَأَنَا مَتَّقٍ فَمَتَى تَتَّفِقِ.

التَّتِيقُ: السَّرِيعُ الشَّرُّ.

والمَتَّقِي: السَّرِيعُ الْبُكَاءِ وَيُقَالُ: الْمَمْتَلَى مِنَ الْغَضَبِ وَالتَّتِيقُ وَالمَتَّقِي مَهْمُوزَانِ.

وقولهم: مَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنِّعَامِ يَرِيدُ أَنْ مَسْكِنَ الْأَرْوَى الْجِبْلُ وَمَسْكِنَ النِّعَامِ الرَّمْلُ - الْأَرْوَى: جَمْعُ أَرْوَبَةٍ - وَمِنْهُ: لَا يَجْتَمِعُ السِّيفَانُ فِي عِمْدٍ.

ومنه: لا يَلْتَاط هذا بَصْفري أي لا يَلْصُق بَقَلْبِي.

العادة - قالوا: العادةُ أملكُ من الأدب.

وقالوا: عادةُ السَّوءِ شرٌّ من المَعْرَمِ.

وقالوا: أَعْطِ العبدَ زِرَاعاً يَطْلُبُ باعاً.

ومنه قوله تعالى: " أَيْنَمَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ "

ومنه: رجع فلان على قَرَوَائِهِ.

ومنه الحديث: لا تَرْجِع هذه الأمة عن قَرَوَائِهَا.

اشتغال الرجل بما يعنيه - منه: كلُّ امرئٍ في شأنه ساع.

وقولهم: هَمُّكَ ما أَهَمَّكَ.

همك ما أَدْبَكَ.

وقولهم: ولي حارها من تَوَلَّى قارها.

قلة الاكثراثِ - منه قولهم: ما أباليه بالة.

وسئل ابن عباس عن الوضوء من اللبن فقال: ما أباليه بالة.

وقولهم: اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ.

وقولهم: الكلابَ على البقر.

يقول: خلَّ الكلابَ وبقرَ الوَحْشِ.

قلة اهتمام الرجل بصاحبه - هان على الأملس ما لاقى الدَيْرِ.

ما يلقى الشجي من الحَلِيِّ.

قال أبو زيد: الشجي مخفف والخلِّي مشدد: ومنه قول العامة: هان على

الصحيح أن يقول للمريض: لا بأس عليك.

الجنشع والطمع - منه قولهم تُقَطِّعُ أعناقَ الرِّجالِ المطامعُ ومنه قولهم: عَنُّكَ خَيْرٌ لَكَ من سَمِينِ غيرِكَ.

وقولهم: المَسْئَلَةُ حُمُوشِ في وجه صاحبها.

وقال أبو الأسود في رجل دنيء: إذا سئِلَ أَرَزَ وإذا دُعِيَ انتَهَرَ.

ومنه قولُ عَوْنِ بن عبد الله: إذا سألَ أَلْحَفَ وإذا الشره المطعام - منه قولهم: وَحَمَى ولا حَبَلُ أي لا يذكر له شيء إلا اشتهاه كَشَهْوَةِ الحَبْلِ وهي الوَحْمَى.

ومنه: المرء تَوَاق إلى ما لم يَتَل.

وقولهم: يَبْعَثُ الكلابَ عن مَرابضها أي يَطْرُدُها طَمَعاً أن يَجِدَ شيئاً يأكله من تَحْتِها.

ومنه قولهم: أَرَادَ أن يأكلَ بِيَدَيْنِ.

ومنه الحديثُ المرفوع: الرَّعْبَةُ سُؤْمٌ.

الغلط في القياس - منه قولهم: ليس قَطاً مثلَ قُطَيٍّ.

وقال ابن الأَصلِيّ: ليس قَطاً مثل قُطَيٍّ ولا ال مَرَعِيٍّ في الأَقوامِ كالرَّاعي ومنه قولهم: مُدَكِّيَةٌ تقاس بالجدِّاع.

يُضْرَبُ لمن يَقِيسُ الكَبِيرَ بالصَغيرِ.

والمُدَكِّيَّةُ هي المُسِنَّةُ من الخيلِ.

وضع الشيء في غير موضعه - منه: كُمُسْتَبْضِعُ التَّمْرِ إلى هَجَرَ.

وهجر: معدن التمر.

قال الشاعر: فَإِنَّا بَوَمَرٍ يَهْدِي القَصَائِدَ نَحَوْنَا كُمُسْتَبْضِعُ تَمراً إلى أَهْلِ حَبِيرَا
ومنه قولهم: كُمَعْلَمَةٌ أمُّها الرضاع.

ومنه الحديث المرفوع: رُبُّ حَامِلٍ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أَفْقَهُ منه.

وفيمن وَضَعَ الشيء في غير موضعه " قولهم " : طَلَمَ مَنْ اسْتَرَعَى الذئبَ العَتَمَ.

وقال ابن هَرَمَةَ: كَتَارِكَةٌ بِيضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمَلْحِفَةٌ بِيضٌ أُخْرَى جَنَاحًا كَفَرَانَ
النعمة - منه: سَمَّنُ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ.

أَحْسَبُكَ وَتَرَوْنِي! قَالَه فِي مَخَاطَبَةِ فَرَسِهِ أَي أَغْلَفَكَ الحَشِيشَ وَتَرَوْتُ عَلَيَّ
ومنه قولُ الأَخْرِ: أَعْلِمَهُ الرِّمَاطَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي التَّدْبِرَ -
منه قولهم: لا ماءَ كِ أَبْقَيْتِ ولا دَرَنِكَ أَنْقَيْتِ.

وقولهم: لا أبوك تُشِرِ ولا التراب تَفِدُ.

أصل هذا المثل لرجل قال: ليتني أعرف قبر أبي حتى آخذ من تُرابه على رأسي.

التهمة - منه قولهم: عسى الغوير أبوساً.

والأبوس: جمع بأس.

قال ابن الكلبي: الغوير: ماء معروف للكلب.

وهذا مثل تكلمت به الزباء وذلك أنها وجهت قصيراً اللخمي بالغير ليحلب لها من بئر العراق وكان يطلبها بدم جذيمة الأبرش فجعل الأحمال صناديق وجعل في كل صندوق رجلاً معه السلاح ثم تنكب بهم الطريق وأخذ على الغوير فسألت عن خبره فأخبرت بذلك فقالت: عسى الغوير أبوساً.

تقول: عسى أن يأتي الغوير بشرّ واستنكرت أخذه على غير الطريق.

ومنه: سقّطت به النصيحة على الطئنة أي نصحته فاتهمك.

ومنه: لا تنقش الشوكة بمثلها " فإنّ صلّعها معها ".

يقول: لا تستعين في حاجتك بمن هو ومنه:

إذا غاب منها كوكب لآح كوكب

وقولهم: رأس برأس وزيادة حسمائة.

قالها الفرزدق في رجل كان في جيش فقال " صاحب الجيش ": من جاء برأس فله للمطلوب منه الحاجة أنصح " منه لك ".

تأخير الشيء وقت الحاجة إليه - منه: لا عطر بعد عروس.

وأصل هذا أنّ عروساً أهديت فوجدها الرجل تفة فقال لها: أين الطيب قالت: ادخرته قال: لا عطر بعد عروس.

وقولهم: لا بقاء للحميّة بعد الحرمة.

يقول: إنّما يحمي الإنسان حريمه فإذا ذهب فلا حميّة له.

الإساءة قبل الإحسان - منه: يسبق دبرته غراؤه.

الغرار: قلة اللبن.

والدرة: كثرته.

ويسبق سيله مطرؤه.

البخل - ما عنده خير ولا مير سواء هو والعدم.

والعدم والعدم لغتان.

ما بضّ حجره.

والبضّ: أقلّ السيلان.

ما تَبُلُّ إحدى يديه الأخرى.

الجبين - إنّ الجبان حَتَفَه من قَوْقه .

" ومثله " في القرآن: " يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ " .

ومنه: كلُّ أَرَبٍ تَقُور.

وَوَقَفَ شَعْرَهُ واقشعرت دُؤَابته.

معناه: قام شعره من القزع.

وَشَرِقَ بِرِيقِهِ.

الجبان يتواعد بما لا يفعل - الصّدق يُنبئ عنك لا الوعيد.

يُنْبئ " عنك ": يَدْفَع عنك مَنْ يَنْبئ.

ومنه: أَوْسَعْتُهُمْ شَتْمًا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِل.

وقيل لأعرابيٍّ خاصمٍ امرأته إلى السلطان " ف قيل له: ما صنعت معها " قال:
كَبَّهَا اللهُ لَوَجْهَهَا ولو أمرَ بي إلى السِّجْن.

الاستغناء بالحاضر عن الغائب - قولهم: إن دَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرِّبَاطِ.

خَمْسَمِائَةَ " درهم.

فبرز رجل وقتل رجلاً من العدو فأعطاه خمسمائة درهم " ثم برز ثانية فقتل
فبكى عليه أهله فقال لهم الفرزدق: أما تَرْضُونَ رَأْسًا بِرَأْسٍ وَزِيَادَةً
خَمْسَمِائَةَ الْمَقَادِيرِ - منه قولهم: المقاديرُ تُرِيكُ ما لا يَخْطُرُ بِبَالِكِ.

وقولهم: إذا نزل القدر عَشَىَّ البَصْر.

وإذا نزل الحينَ عَطَىَّ العين.

ولا يُغْنِي حَدْرٌ من قَدْر.

ومن مَامَنهُ يُؤْتِي الحَدْر.

وقولهم: وكيف تَوَقَّى ظَهْرَ ما أنت رَاكِبُهُ.

الرجل يأتي إلى حتفه - منه قولهم: أتتكَ بحائِنٍ رجلاه.

لا تَكُنْ كالباحث عن المدينة.

وقولهم: حَنَفَهَا تحمِلُ ضَانٌ بأُظْلَافِهَا.

ما يقال للجاني على نفسه - يَدَاكَ أُوَكَّتَا وَفُوكَ تَفَخَ.

وأصله أَنَّ رجلاً تَفَخَ زَفًّا وَرَكِبَهُ فِي النهرِ فأنحَلَّ الوِكَاءُ وَخَرَجَتِ الرِّيحُ وَغَرِقَ الرجلُ فَاسْتغَاثَ بِأَعْرَابِيٍّ عَلَى ضِفَّةِ النهرِ فقال: يَدَاكَ أُوَكَّتَا وَفُوكَ تَفَخَ.

جالب الحين إلى أهله - منه قولهم: دَلَّتْ عَلَى أَهْلِهَا رَقَاشٌ وَرَقَاشٌ كَلْبَةٌ لِحِيٍّ مِنَ الْعَرَبِ مَرَّ بِهِمْ جَيْشٌ لَيْلاً وَلَمْ يَتَنَبَّهُوا لَهُمْ فَتَبَحَتْ رَقَاشٌ فَدَلَّتْ عَلَيْهِمْ.

وقالوا: كانت عليهم كراغية البكر.

يَعْنُونَ نَاقَةَ ثَمُودَ.

وقال الأخطل: ضفادع في ظلِّمَاءٍ لَيْلٌ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّتْ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حِيَةَ الْبَحْرِ تصرف الدهر - منه قولهم: مَرَّةً عَيْشٌ وَمَرَّةً جَيْشٌ.

ومنه: اليوم حَمَرٌ وَغَدًا أَمْرٌ قاله امرؤ القيس أو مهلهل أخو كليب لما أتاه موثٌ أخيه وهو يشرب.

وقالوا: عِشَ رَجَبًا تَرَى عَجَبًا.

وقالوا: أتى الأبد على لُبد.

وقال الشاعر: فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمًا نُسَاءً وَيَوْمًا نَسْرٌ وقولهم: مَنْ يَجْتَمِعُ تَتَقَعَقَعُ عُمُدُهُ.

وأنشد: أَجَارَتْنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرَّقُ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلِقُ الْأَمْرَ الشَّدِيدَ الْمُعْضَلُ - منه قولهم: أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ.

وَأَيْنَ يَصَعُ الْمَخْنُوقُ يَدَهُ وَمِنْهُ " قَوْلُهُمْ " : لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ.

ومنه قولهم: رَأَى الْكُوكَبَ ظُهُرًا.

قال طرفة: وَثَرِيهِ النَجْمِ يَجْرِي بِالظُّهُرِ هَلَاكُ الْقَوْمِ - منه قولهم: طَارَتْ بِهِمُ الْعُنُقَاءُ.

وطارت بهم عُقَابٌ مَلَاعَ.

يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَأَحْسَبُهَا مَعْدُولَةٌ عَنْ مَيْلَعِ.

وَالْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا.

قال أبو عُبيد: يقال: إن الحَوَايا في هذا الموضع مَرْكَب من مَرَآب النساء
واحدتها حَوِيَّة وأحسب أصلها أن قوماً قُتِلوا فحُيِلوا على الحَوَايا " فظنَّ
الراؤون أن فيها نساء فلما كشفوا عنها أبصروا القَتلى فقالوا ذلك " فصارت
مثلاً .

ومنه: أتتهم الذُّهيم تَرْمِي بالرَّصْف.

معناه: الداهية العظيمة.

وهذا أمر لا يُنادى وُلَيْده معناه أن الأمر اشتدَّ حتى دَهلت المرأة أن تدعو
وُلَيْدها.

ومنه: التقت حَلقتا البطان وبَلَغ السيل الرُّبى وجاوز الحِزام الطُّبين.

وتقول العامَّة: بلغ السُّكينُ العظم.

إصلاح ما لا صلاح له - منه قولهم: كدابةٌ وقد حَلِم الأديم حَلِم: فسد.

وكتب الوليد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت: فإنك والكتاب إلى عليٍّ كدابةٌ
وقد حَلِم الأديم في شعر له.

صفة العدو

- يقال في العدو: هو أَرَق العين وإن لم يكن أَرَق وهو أَسود الكَيْد وأَصهب
السُّبال.

البخيل يعتل بالعسر - منه قولهم: قَبِل البُكاء كان وجهك عابساً.

ومنه: قبل التَّفاس كنت مُصَفَّرَة.

اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل - منه: خذ من الرِّصْف ما عليها.

وخذ من جَدَع ما أعطاك.

قال ابن الكلبي: وأصل هذا المثل أن غَسَّان كانت تُؤدِّي إلى ملوك سَلِيح
دينارين كلَّ سنة عن كل رجل وكان الذي بلى ذلك سَبْطَة بن المُنذر
السَّلِيحي فجاء سَبْطَة إلى جَدَع بن عمرو الغَسَّاني يسأله الدِّينارين فدَخَل
جَدَع منزله واشتمل علي سيفه ثم خرج فضرب به سَبْطَة حتى سَكَت ثم
قال له خُذ من جَدَع ما أعطاك فامتنعت غَسَّان من الدينارين بعد ذلك وصار
الملك لها حتى أتى الإسلام.

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه - منه قولهم: سَمُّكُمْ " هُرِيْق " في
أديمكم.

ومنه يا مُهْدِي المال كُلُّ ما أهديت.

ومنه قول العامة: الحمار جَلَبه والحمار أكله.

موت البخيل وماله وافر - منه مات فلان عريضَ البطان.

ومات بِيَطنته لم يَتَعَصَّعْصَ منها شيء.

والنَّغْضُغْضُ: النقصان.

البخيل يعطي مرة - منه قولهم: ما كانت عطيتَه إلا بيضة العُفْر وهي بيضة الديك.

قال الزُّبَيْرِيُّ: الدَّيْكَ رَبَّما باض بيضة وأنشد لبشار: قد رَزَّرتني رَوْرَةَ في الدَّهرِ واحدة تَنِّي ولا تَجْعَلِها بيضة الدَّيْكَ ومنه قولُ الشاعِر: لا تَعجِبَنَّ لِخَيْرِ زَلٍّ من يَدِه فالكوكبُ النَّحسُ يَسْقِي الأَرْضَ أحياناً ومنه قولهم: من الحَوَاطِئِ سَهْمٌ صائبٌ.

والليلُ طويلٌ وأنت مُقْمِرٌ.

وأصل هذا " أن " سُلَيْكُ بن سُلَكَةَ كان نائماً مُشْتَمِلاً فَجَنَّمَ رجلٌ على صدره وقال له: استأسِرْ فقال له: الليل طویل وأنت مُقْمِرٌ " ثم قال له: استأسِرْ " يا حَبِيبُ فَصَمَّه صَمَّةً صَرِطَ منها فقال له: أَصْرِطاً وأنت الأعلى فذهبت أيضاً.

طلب الحاجة المتعذرة - منه قولهم: تَسألني بِرامَتين سَلْجِماً.

وأصله أن امرأة تَشَهَّت على زوجها سَلْجِماً وهو ببلد قَفْر فقال هذه المقالة.

والسَّلْجَمُ: اللَّفْتُ.

ومنه شَرُّ ما رام امرؤ ما لم يَتَلَّ.

ومنه: السائلُ فوق حَقِّه مُسْتَحِقُّ الجِرْمانِ.

ومنه قولهم: إنك إن كلفتنِي ما لم أُطِيقِ ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقِ الرضا بالبعض دون الكل - منه: قد يَرَكِبُ الصَّعْبُ من لا دَلُولَ له.

وقولهم: خُذْ من جَدَعِ ما أعطاك.

وقولهم: خُذْ ما طَفَّ لَكَ أي ارض بما أمكنك.

ومنه قولهم: رَوُجٌ من عُودِ خَيْرٍ من عُعودِ.

وقولهم: ليس الرِّيُّ " عن " التَّشافِ أي ليس يَرَوِي الشاربُ بِشربِ الشُّفاةِ كُلِّها وهي بقية الماء في الإناء.

ولكنه يَرَوِي قبل بلوغ ذلك.

وقولهم: لم يُحَرِّمِ من فُصِدَ له.

ومعناه: أنهم كانوا إذا لم يَقْدِرُوا على قِرَى الصَّيْفِ فَصَدُوا له بغيراً وعالجوا دمه بشيء حتى يمكن أن يأكله.

ومنه قول العامة: إذا لم يكن شَحْمٌ فَتَفَس.

أصل هذا أن امرأة لَبِسَتْ ثِيَاباً ثم مَشَتْ وأظهرت البُهِرَ في مِشْيَتِهَا بارتفاع تَفْسِهَا فَلَقِيَهَا رجلٌ فقال لها: إني أعرفك مَهْزولة فَمَنْ أين هذا النفس قالت: إن لم يكن شَحْمٌ فَتَفَس.

وقال ابن هانئ: التنوق في الحاجة - منه قولهم: فعلتَ فيها فعلَ من طَبَّ لَمَنْ أَحَبَّ.

ومنه قولهم: جاء تَضِبُّ لِنَاتِهِ على الحاجة معناه لشدة جِرْصِهِ عليها.

وقال يَشْرُ بن أبي خازم: خيلاً تَضِبُّ لِنَاتِهَا لِلْمَعْنَمِ استتمام الحاجة - أَتَبَعَ الفرس لجامها يريد أنك قد جُدَّتْ بِالْقَرَسِ وَاللَّجَامِ أُيَسِرَ حَاطِباً فَأَتَمَّ الحاجة.

ومنه: تَمَامُ الرَّبِيعِ الصَّيْفِ وَأَصْلُهُ فِي الْمَطَرِ فَالرَّبِيعُ أَوَّلُهُ وَالصَّيْفُ آخِرُهُ.

المصانعة في الحاجة - مَنْ يَطْلُبُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِي مَهْرَهَا.

وقولهم: الْمُصَانَعَةُ تُبَسِّرُ الْحَاجَةَ.

وَمَنْ اشْتَرَى فَقَدْ اشْتَوَى.

يقول: مَنْ اشْتَرَى لِحْمًا فَقَدْ أَكَلَ شِوَاءً.

تعجيل الحاجة - قولهم: السَّرَاحُ مِنَ النِّجَاحِ.

النفسُ مُولَعَةٌ بِحَبِّ الْعَاجِلِ.

الحاجة تمكن من وجهين - منه قولهم: كلا جانبي هَرَشَى لِهِنَّ طَرِيقَ.

هَرَشَى: عَقَبَةٌ.

ومنه: هو على حَبْلِ ذِرَاعِكَ أَي لا يخالِفُكَ.

مَنْ مَنَعَ حَاجَةَ فَطَلَبَ أُخْرَى - منه قولهم: إِلاَدَهُ فَلَادَهُ.

قال ابن الكلبي: معناه أن كاهناً تَقَاضَى إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنَ الْعَرَبِ: فَقَالَا: أَخْبِرْنَا فِي أَي شَيْءٍ جِئْنَاكَ قَالَ: فِي كَذَا وَكَذَا قَالَا: إِلاَدَهُ أَي انظر غير هذا النظرِ.

قال: إِلاَدَهُ فَلَادَهُ " ثم أخبرهما بها "

قال الأصمعي: معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن.
الأمرُ يَحْدُثُ دونه الأمر.

وقولهم: أَخْلَفَ رُؤْيِعِيًّا مَطْنُهُ.

وأصله أن راعياً اعتاد مكاناً فجاءه يرعاه فوجده قد تغيَّرَ وحال عن عهده.
ومنه قولهم سَدَّ ابن بَيْضِ الطَّرِيقِ سَدًّا.

وابن بيض: رجل عقر ناقة في رأس تَنْبِيَّةٍ فسَدَ بها الطريق.

اليأس والخيبة - منه قولهم: جاء بِخُفْيِ حُنِينٍ.

وقد فسرناه في الكتاب الذي قبل هذا.

ومنه: أَطَالَ الغيبة وجاء بِالْحَيِّيةِ.

ونظير هذا قولهم: سَكَتَ أَلْفًا وَتَطَقَ خَلْفًا أي أطال السكوت وتكلم بالقيح
وهذا المثل يقع في باب العيِّ وله ها هنا وجه أيضاً.

وقال الشاعر: ومازلتُ اقطعُ عَرَضَ البِلَادِ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَعْرَبِينَ وَأَدْرَعُ
الخوفَ تحتَ الدُّجَى وَأَسْتَصْحِبُ الجَدَى وَالْفَرْقَدَيْنِ وَأَطْوِي وَأُنْشُرُ ثوبَ
الهُمومِ إلى أن رَجَعْتُ بِخُفْيِ حُنِينٍ طلب الحاجة في غير موضعها - قالوا: لم
أجد لشفرتي مَحْرًا.

وقولهم: كَدَمْتَ غير مَكْدَمٍ.

وقولهم: تَفَخَتْ لو تنفخ في قَحْمٍ.

وقالت العامة: يَضْرِبُ في حديدٍ باردٍ.

طلب الحاجة بعد فواتها - منه قولهم: لا تطلب أثراً بعد عَيْنٍ.

وقولهم: " في " الصيْفِ صَيَّعَتِ اللبِنِ.

معناه أن الرجل إذا لم يُطْرَقَ ماشيته في الصيْفِ كان مُصَيَّعًا " لألبانها عند
الحاجة ".

الرضا من الحاجة بتركها - منه قولهم: نجا برأسه فقد رَجِحَ.

وقولهم: وقول العامة: الهزيمة مع السلامة غنيمة.

وقال امرؤ القيس: وقد طَوَّقْتُ في الآفاقِ حَتَّى رَضِيْتُ مِنَ الغنِمةِ بالإيابِ
وقال آخر: الليلُ داج والكباشُ تَنْطِخُ فَمَنْ تَجَأُ برأسه فقد رَجِحَ من طلب
الزيادة فانتقص - منه: كطالب القَرْنِ جُدِعَتْ أَدْنُهُ.

وقولهم: كطالب الصَّيد في عريسة الأسد.

وقولهم: سَقَطَ العِشاءُ بها على سِرْحان.

يريد دابة حَرَجَتْ تطلب العِشاءَ فصادفت ذئباً.

ونظير هذا من قولنا: طلبتُ بك التَّكثيرَ فازددتُ قِلَّةً وقد يَخسر الإنسان في طلب الرِّيحِ الرجل يخلو بحاجته - منه قولهم: خلا لكِ الجَوْ فيبضى واصْفى ومنه: " رَمِي " بَرَسَنِكَ على غاربك.

وهذا المثلُ قالته عائشة لابن أخت مَيْمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ذهبت والله ميمونة ورُمي بَرَسَنِكَ على غاربك.

ارسالك في الحاجة من تثق به - أُرْسِلَ حكيماً ولا توصه.

وقولهم: الحريص يَصِيد لك لا الجواد.

يقول: إنَّ الذي له هوىٌّ وجرِصٌ على حاجتك هو الذي يُقوم بها لا القويُّ عليها ولا هوى له فيها.

ومنه قولهم: لا يُرَحِّلَنَّ رحلكَ مَنْ ليس معك.

ومنه في " هذا " المعنى: الحاجة يجعلها تُصَبَّ عينيه ويَحْمِلها بين أذنه وعاتقه ولم يجعلها بظَّهر.

قضاء الحاجة قبل السؤال - لا تسأل الصارخ وانظر ماله.

يريد لم يأتك مُستصرخاً إلا من دُعر.

أصابه فأغثه قبل أن يسألك.

ومنه كَفي بَرغائها منادياً.

ومنه: يُخِير عن مجهوله " مَعْلُومُه " .

وقولهم: في عَيْنه قَرَاؤُه.

يَعْنون في نظرك إلى القرس ما يُعْنيك عن قَراره.

الانصراف بحاجة تامة مقضية - جاء فلان ثانياً من عِنانه.

فإن جاء بغير قضاء حاجته قالوا: جاء يضربُ أصدْرَيْه أي عَطْفِيه.

وجاء وقد لَقِظَ لِجَامِه.

وجاء سَبَهَلًا.

فإن جاء بعد شدة قيل: جاء بعد اللتيا والنتي.

وجاء بعد الهياط والمياط.

تجديد الحزن بعد أن يبلى - منه قولهم: حرك لها حوارها تحن.

وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام: أخرج إليهم قميص عثمان رضوان الله عليه الذي قُتل فيه.

ففعل ذلك معاوية فأقبلوا يبكون فعندها قال عمرو: حرك لها حوارها تحن.

جامع أمثال الظلم - منه قولهم: الظلم مَرْتَعه وَخِيم.

وفي الحديث: الظلم ظلمات يوم القيامة.

الظلم من نوعين - منه: أَحْسَفًا وسوءَ كَيْلَة.

ومنه: أَعْدَهُ كَعُدَّة البعير وَمَوْتُ في بيت سَلُولِيَّة.

وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلجا إلى امرأة من سَلُول فهلك عندها.

ومنه: أَعْيَرَة وَجُبْنًا.

قالت امرأة من العرب لزوجها تُعْيِرُه حين تخلف عن عدوه في منزله ورآها تنظر إلى قتال الناس فَضْرَبَهَا.

فقالت: أَعْيَرَة وَجُبْنًا.

وقولهم: أكَسَفًا وإمساكًا.

أصله الرجل يلقاك بعبوس وكُلُوح مع بُخل ومَنَع.

وقولهم: ياعَبْرَى مُقْبِلَة يا سَهْرَى مُدْبِرَة.

يُضْرَب للأمر الذي يكره من وجهين.

ومنه قول العامة: كالمُستغيث من الرَّمضاء بالنار وقولهم: للموت تَرَع والموت بَدْر.

وقولهم: كالأشقر إن تقدم نجر وإن تأخر عُقر.

وقولهم: كالأرقم إن يُقْتَل يُنْقِم وإن يُتْرَك يَلْقَم.

يقول: إن قتلته كان له من ينتقم منك وإن تركته قتلك.

ومنه: هو بين حاذفٍ وقاذفٍ.

الحاذف: الضارب بالعصا.

والقاذف: الرامي بالحجر.

من يزداد غمًا على غم - منه قولهم: صَعْتُ على إِبَّالة.

الصَّغْت: الخُزْمة الصغيرة من الحطب.

والإِبَّالة: الكبيرة.

" ومنه قولهم: كَفْتُ إلى وَئِيَّة.

الكِفْتُ: القِدْر الصغيرة.

والوئِيَّة: القِدْر الكبيرة.

يُضْرَب للرجل يحمل البليَّة الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة " ومنه قولهم:
وَقَعُوا فِي أُمِّ جُنْدَب.

إِذَا ظَلَمُوا.

المغبون في تجارته - منه قولهم: صَفَقَ لَمْ يَشْهَدَهَا حَاطِب.

وأصله أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ حَاطِبٍ بَاعَ بَيْعَةً عُيْنٍ فِيهَا.

ومنه قولهم: أَعْطَاهُ اللَّفَاءَ غَيْرَ الْوَفَاءِ.

سرعة الملامة - منه: ليس من العَدْلِ سرعة العَدْلِ.

ومنه رَبِّ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ.

وقولهم: الشَّعِيرُ يُؤْكَلُ وَيُدَمُّ.

وقولُ العامة: أَكَلًا وَذَمًّا.

وقولُ الحجاج: قُبِّحَ وَاللَّهِ مِنَّا الْحَسَنُ الْكَرِيمُ يَهْتَضِمُهُ اللَّئِيمُ - لَوْ ذَاتُ سِيَوَارٍ
لَطَمْتَنِي.

ومنه: دَلٌّ لَوْ أَجِدَ نَاصِرًا.

الانتصار من الظالم - هذه بتلك والبادي أَظْلَم.

ومنه: مَنْ لَمْ يَدُدْ عَن حَوْضِهِ يَهْدَم.

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه - قالوا: مَنْ حَفَرَ مُغَوَّاةً وَقَعَ فِيهَا.
والمغَوَّاةُ: البئرُ تُحْفَرُ للدُّنَابِ ويُجْعَلُ فِيهَا جَدْيٌ فَيَسْقُطُ الذَّنْبُ فِيهَا لِيَصِيدَهُ
فِيصَادُ.

ومنه: يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتِمُرُ.

ومنه: عَادَ الرَّمِي عَلَى التَّرَعَةِ.

وهم الرِّمَاءُ يَرْجِعُ عَلَيْهِمْ رَمِيَّهُمْ.

وتقول العامة: كَالْبَاحِثِ عَنِ مُدْيَةِ.

ومنه قولهم: رُمِيَ بِحَجْرِهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ.

المضطر إلى القتال - مُكْرَهُ أَخُوكَ لَا يَطُلُ.

قَدْ يَحْمِلُ الْعَيْرُ مِنْ ذَعْرِ عَلَى الْأَسَدِ الْمَأْخُوذِ بِذَنْبِ غَيْرِهِ - جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي
عَلَيْكَ.

ومنه: " كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ وَمِنْهُ: كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَاقَتِ الْبَقْرُ
يَعْنِي عَافَتِ الْمَاءَ.

وقال أنس بن مُدْرِكٍ: يَعْنِي ثَوْرُ الْمَاءِ وَهُوَ الطَّحْلُبُ يُقَالُ: ثَارَ الطَّحْلُبُ ثَوْرًا
وَتَوْرَانًا.

ومنه قولهم: كُلُّ شَاةٍ بِرِجْلِهَا تُنَاطُ.

يُرِيدُ: لَا يُؤْخَذُ رَجُلٌ بِغَيْرِ دَنْبِهِ.

المتبريء من الشيء - مَا هُوَ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ.

مَا هُوَ مِنْ بَرِّي وَلَا مِنْ عِطْرِي.

مَالِي فِيهِ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ.

ومنه قولهم: بَرِئْتُ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ.

ومنة: لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي.

وَمَا أَنَا مِنْ دَدٍ وَلَا دَدٌ مِنِّي.

سوء معاشرته الناس - قالوا: النَّاسُ شَجَرَةٌ بَعُيَ.

لَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْأَسْنَةِ الْعَامَةِ.

وقولهم: رَضِيَ النَّاسُ غَايَةً لَا تَدْرِكُ.

ومنه الحديثُ المرفوع: النَّاسُ كِبَالٌ مَائَةٌ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً " واحدة " .

ومنه قولهم: النَّاسُ يُعَيَّرُونَ وَلَا يَغْفِرُونَ وَاللَّهُ يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ.

وقال مالكُ بن دينار: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَصِرْهُ قَوْلُ النَّاسِ فِيهِ.

وقول أبي الدرداء: إِنْ قَارَصَتْ النَّاسَ قَارِصُوكَ إِنْ تَرَكَتْهُمُ لَمْ يَزْكُوكَ.

الجبان وما يذم من أخلاقه - منه قولهم: إِنْ الْجَبَانَ حَنَفَهُ مِنْ قَوْقِهِ.

وهو من قول عمرو بن أمية: لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنْ الْجَبَانَ حَنَفَهُ مِنْ قَوْقِهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَحْسَبُهُ أَرَادَ " أَنْ " حَذَرَهُ وَتَوَقَّيْهِ لَيْسَ بَدَافِعَ عَنْهُ الْمَنِيَّةُ.

" قَالَ أَبُو عَمْرِو " : وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ عِنْدِي وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْجَبَنِ وَأَنَّهُ وَجَدَ الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَذُوقَهُ وَهَذَا مِنَ الْجَبَنِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ الْجَبَانَ حَنَفَهُ مِنْ قَوْقِهِ يَرِيدُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى مَنِيَّتِهِ كَأَنَّمَا تَحُومُ عَلَى رَأْسِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ " إِذْ وَصَفَهُمُ بِالْجَبَنِ " : " يَحْسَبُونَ كُلَّ صَنِيْعَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو " .

وكما قال جرير للأخطل يُعَيِّرُهُ " إِيقَاعَ قَيْسٍ بِهِمْ " : حَمَلْتُ عَلَيْكَ رِجَالَ قَيْسٍ حَيْلَهَا شَعْنًا عَوَابَسَ تَحْمِيلُ الْأَبْطَالَا مَا زِلْتَ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خِيَلًا تَكْرُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالًا وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ مَا كَانَ مَعْنَاهُ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَنَّهُ يَابُ الْجَبَانَ وَمَا يُدَمُّ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَلَيْسَ أَخْذُ الْحَذَرِ مِنَ الْجَبَنِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّ أَخْذَ الْحَذَرِ مُحَمَّدٌ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ: " حُذُوا حَذَرَكُمْ " وَالْجَبَنِ مَدْمُومٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

ومنه الشعر تمثل به سعد بن مُعَاذٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: لَيْتَ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كُلُّ أَرْبٍ تَفُورٍ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْأَرْبِ مِنَ الْإِبِلِ لِكثرةِ شره ويكون ذلك في عَيْنِيهِ فَكَلَّمَا رَأَاهُ ظَنَّ أَنَّهُ شَخْصٌ " يَطْلُبُهُ " فَيَنْفِرُ مِنْ أَجْلِهِ.

ومنه قولهم: بَصَبَصَنَ إِذْ حُدِينَ بِالْأَذْنَابِ.

ومنه قولهم: وَقَوْلُهُمْ: حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ.

وهذا المثل لعبيد بن الأبرص قاله للنعمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له: أَنَشِدْنِي شِعْرَكَ: أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَقَالَ عَبِيدٌ: حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ.

ومنه: قَفَّ شَعْرَهُ وَاقْشَعَرَتْ دُؤَابَّتُهُ.

" مَعْنَاهُ: قَامَ شَعْرُهُ " مِنْ الْقَرَعِ.

إفلات الجبان بعد اشفائه - منه قولهم: أفلت وانحص الدَّئِبُ ومنه: أفلت وله حُصَّاصٌ.

وُبروى في الحديث: إن الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ الْأَدَانَ أَذْبِرَ وَلَهُ حُصَّاصٌ.

ومنه: أفلتني جُرَيْعَةُ الدَّقْنِ إِذَا كَانَ مِنْهُ قَرِيبًا كَقُرْبِ الْجَزْعَةِ مِنَ الدَّقْنِ ثُمَّ أَفْلَتَهُ.

ومنه قول العامة: إن يُفَلت العَيْرُ فقد ذرَقَ.

وقولهم: أفلتني وقد بَلَ النِّيفِقُ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ التِّيْفِقَ الْجَبَانَ يَتَهَدَّدُ غَيْرَهُ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَاءَ فُلَانٌ يَنْقُضُ مِدْرَوِيَهُ أَي يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ.

وَالْمِدْرَوَانُ: قَرْعَا الْأَلَيْتَيْنِ.

وَلَا يَكَادُ يُقَالُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ يَتَهَدَّدُ بِهَا حَقِيقَةً.

ومنه: أْبْرَقَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُكَ.

وَأَقْصِدْ بَدْرَعَكَ.

وَلَا تَبْقُ إِلَّا عَلَى نَفْسِكَ.

تصرف الدهر - منه: مَنْ يَجْتَمِعُ تَتَقَعَّقُ عُمْدُهُ: أَي إِنْ الْاجْتِمَاعَ دَاعِيَةَ الْاِفْتِرَاقِ.

ومنه: كُلُّ ذَاتٍ بَعْلٌ سَتِّيْمٌ.

ومنه البيت السائر: ومنه: لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ.

الاستدلال بالنظر على الضمير - منه قولهم: شَاهِدِ الْبُعْضَ اللَّحْظَ.

وَجَلَّى مَحَبُّ تَطَّرَهُ.

قَالَ زُهَيْرٌ: فَإِنْ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تَخْبِرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ: خَذْ مِنَ الْعَيْشِ مَا كَفَى وَمِنَ الدَّهْرِ مَا صَقَا عَيْنَ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصَ لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَا نَفِي الْمَالِ عَنِ الرَّجْلِ - مِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ.

معناه: لَا شَيْءَ لَهُ.

ومنه: مَا لَهُ هَلْعٌ وَلَا هَلْعَةٌ وَهُمَا الْجَدْيُ وَالْعَتَاقُ.

ومنه: مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ.

معناه: لَيْسَ أَحَدٌ يَهْرُبُ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ يَقْرُبُ إِلَيْهِ فَلَيسَ لَهُ شَيْءٌ.

وقولهم: مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ وَهُمَا الصَّائِنَةُ وَالْمَاعِزَةُ.

وما به تَبَضُّ ولا حَبَضُّ.

قال الأصمعيّ: التَّبَضُّ: التحرُّك ولا أعرف الحَبَضُّ.

وقال غيره: النَّبَضُّ والحَبَضُّ في الوتر فالنَّبَضُّ: تحرُّك الوتر والحَبَضُّ: صوته.

وقال: والنَّيْلُ يَهْوِي تَبَضًّا وحَبَضًّا ومنه قولهم: ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ هما الشعر والصوف.

ولم يَعْرِف الأصمعيّ السَّعْنَةَ والمَعْنَةَ.

إذا لم يكن في الدار أحد - منه قولهم: ما بالدار شَفْرٌ ولا بها دُعُوِيٌّ ولا بها دَبِّي.

معناه: ما بها من يدعو من يَدِبُّ.

وما بها من عَرِيبٍ ولا بها دُورِيٌّ ولا طُورِيٌّ وما بها وَاِبرٍ وما بها صَاِفرٍ وما بها ديارٍ وما بها نَاِفِخٍ صَرَمَةٌ وما بها أَرَمٌ.

معنى هذا كله: ما بها أحد.

ولا يقال منها شيء في الإثبات والإيجاب وإنما يقولونها في النَّفْيِ والجَحْدِ.

اللقاء وأوقاته - منه: لَقِيت فلاناً أولَ عَيْنٍ يعني أولَ شيء.

وقال أبو زيد: لَقِيتُه أولَ عَائِنَةٍ ولَقِيتُه أولَ وَهْلَةٍ ولَقِيتُه أولَ ذَاتِ يَدَيْنِ ولَقِيتُه أولَ صَوِّكَ وأولَ بَوِّكَ.

فإن لَقِيتُه فجأةً من غير أن تُرِيدَه قلت: لَقِيتُه نِقَاباً ولَقِيتُه التَّقَاطاً إذا لَقِيتُه من غير طَلَبٍ.

وقال الراجز: وَمَنْهَلٌ وَرَدْتَهُ التَّقَاطاً وَإِنْ لَقِيتُه مُوَاجِهَةً قلت: لَقِيتُه صِفاحاً ولَقِيتُه كِفاحاً ولَقِيتُه كَفَةً كَفَةً.

قال أبو زيد: فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَذَكَّرَهُ قلت: رُفِعَ لِي رَفَعاً وَأَشِبَّ لِي إِشْبَاباً.

فإن لَقِيتُه وليس بينك وبينه أحدٌ قلت: لَقِيتُه صَحْرَةً بَحْرَةً وهي غيرُ مُجْرَاةٍ.

فإن لَقِيتُه في مكانٍ قَفْرٍ لا أَنيسَ به قلت: لَقِيتُه بوَحْشٍ إِصْمَتَ غيرِ مُجْرَى أيضاً ولَقِيتُه بين سَمْعِ الأَرْضِ وبصرِها.

فإن لَقِيتُه قبل الفجر قلت: لَقِيتُه قبل " كل " صِيحٍّ وَتَفْرٍ.

النفر: التفرق.

وإن لقيته بالهاجرة قلت: لقيته صَكَّةً عُمَىً " وصَكَّةً أَعْمَى "

قال: رؤية يصف الفلاة إذ لمعت بالسراب في الهاجرة: فإن لقيته في
اليومين والثلاثة قلت: لقيته في القَرَطِ ولا يكون القَرَطُ في أكثر من خمس
عشرة ليلة.

فإن لقيته بعد شهر ونحوه قلت: لقيته من عُفْر.

فإن لقيته بعد الحول ونحوه قلت: لقيته عن هَجْر.

فإن لقيته بعد أعوام قلت: لقيته ذات العُرِيم.

فإن لقيته في الزمان قلت: لقيته ذات الزُّمِين.

والغِبُّ في الزيارة: هو الإبطاء فيها.

والاعتمار في الزيارة: هو التردد فيها.

في ترك الزيارة - منه قولهم: لا آتيك ما حنَّ التَّيْبُ وما أطَّت الإبل وما
اختلفت الدَّرَّةُ والجِرَّةُ وما اختلف المَلَوَانُ وما اختلف الجديدان.

ولا آتيك الشمس والقمرَ وأبدَ الأبدَ ويقال: أبد الآبدين ودهر الداهرين وحتى
يرجع السهمُ إلى فُوقه وحتى يَرْجِع اللبْنُ في الصَّرْع.

ولا آتيك سِنَّ الحِسْلِ.

تفسيره: التَّيْب.

جمع ناب وهي المُسِنَّة من الإبل.

والدَّرَّة: الحَلْبَة من اللبن.

والجِرَّة: من اجترار البعير.

والملوان والجديدان: الليل والنهار.

والحِسْل: هو ولد الضبِّ.

يقول: حتى تَسْقُط أسنانه ولا تسقط أبداً حتى يموت.

استجهال الرجل ونفي العلم " عنه " - منه قولهم: ما يعرف الحوُّ من اللوِّ.

وما يعرف الحيُّ من الليِّ ولا هَرِيرًا من غرير ولا قَبِيلًا من دَبِير.

وما يعرف أيَّ طَرَفَيْهِ أطرل وأكبر.

وما " يعرف هراً من يرّ.

أي ما " يعرف من يهّره ممن يبرّه.

والقبيل: ما أقبلت به من قتل الحبل.

والدبير: ما أدبرت " به " منه.

وأيّ طرفيه أطول: أنسبُ أبيه أم نسب أمّه.

▲ أمثال مستعملة في الشعر

- قال الأصمعي: لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوّله مثلٌ وآخره مثلٌ إلا ثلاثة أبيات منها بيئتٌ للحطيئة: مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَارِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَبَيْنَانِ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ: وَأَفْلَيْتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيصاً وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفَرَ الْوِطَابُ وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَلَا أُدْرِي كَيْفَ أَغْفَلُ الْقَدِيمَ مِنْهُ الْأَصْمَعِيُّ.

فمنه قولٌ طرفة: سُبْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَبَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مِنْ لَمْ تُرَوِّدْ وَفِي هَذَا مِثْلَانِ مِنْ أَشْرَفِ الْأَمْثَالِ.

ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع هذا البيت فقال: إن معناه من كلام النبوة ومن ذلك قول الآخر: ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ إلا بما تجدُ " ففي الصدر مثلٌ وفي العجز مثلٌ .

ومن ذلك قول الحسن بن هانئ: أيها المنتاب عن عُقره لست من ليلى ولا سمره إن العرب تقول: انتاب فلان عن عُقره أي تباعد عن أصله.

لست من ليلى ولا سمره مثلٌ ثانٍ.

وليس في البيت الثاني إلا مثلٌ واحد.

ومن قولنا في بيتٍ أوّله مثلٌ وآخره مثلٌ: وقد صرح الأعداء بالبين وأشترق الصُّبْحُ لذي العَيْنِ وبعده أبياتٌ في كل بيتٍ منها مثلٌ وذلك: وَعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ بَعْدَ الْقَلَا شَقِيقَ رُوحِ بَيْنِ جِسْمَيْنِ وَأَصْبَحَ الدَّاحِلُ فِي بَيْنِنَا كَسَاقِطٍ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ قَدْ أَلَيْسَ الْبِعُضَّةُ ذَا وَذَا لَا يَصْلُحُ الْعِمْدُ لِسَيْفَيْنِ مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ يَكُونُ أَنْفًا بَذْهَنَ عَيْنَيْنِ وَمِنْ قَوْلِنَا الَّذِي هُوَ أَمْثَالٌ سَائِرَةٌ: قَالُوا شِبَابُكَ قَدْ وُلِيَ فَقُلْتُ لَهُمْ هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَيَّ كَرِ الْجَدِيدَيْنِ صِلْ مِنْ هَوِيَّةٍ وَإِنْ أَبَدَى مَعَاتِبَةَ فَأَطِيبِ الْعَيْشَ وَصِلْ بَيْنَ الْفَيْنِ واقطع حبائل خل لا تلائمه فرّما ضاقت الدنيا علي اثنينٍ وقلت بعد هذا في المدح: فَكَرْتُ فِيكَ أَبْحُرُ أَنْتَ أَمْ قَمَرٌ فَقَدْ تَحَيَّرَ فِكْرِي بَيْنَ هَدْيَيْنِ أَوْ قَلْتُ بَدْرًا رَأَيْتُ الْبَدْرَ مُنْتَقِصًا فَقُلْتَ شَتَّانِ مَا بَيْنَ الْبُدَيْرَيْنِ وَمِنْ الْأَمْثَالِ الَّتِي لَمْ تَأْتِ إِلَّا فِي الشَّعْرِ أَوْ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْكَلَامِ: مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ: تَرَجُّو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ " وَقَالَ آخَرُ: مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مِنْ لَيْسَ صَابِرًا عَلَى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ آخَرَى قِيلَ وَلَمَّا بَلَغَ حَاتِمًا قَوْلَ الْمُتَلَمِّسِ: وَأَعْلَمُ عِلْمٌ

صدق غير ظنٍّ لَتَقْوَى الله مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ وَحِفْظِ الْمَالِ أَيْسُرُ مِنْ بُعَاهِ وَسَيْرُ فِي أَلْبِلَادِ بَغِيرِ زَادٍ وَإِصْلَاحِ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ قَالَ: قَطَعَ اللهُ لِسَانَهُ! يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى الْبُخْلِ أَلَا قَالَ: لَا الْجُودُ يَفْنِي الْمَالَ قَبْلَ قِتَانِهِ وَلَا الْبَخْلُ فِي مَالِ السَّحِيحِ يَزِيدُ فَلَا تَلْتَمِسْ مَالًا بَعِيشَ مُقْتَرٍ لِكُلِّ عَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدٌ وَقَالَ غَيْرُهُ: إِذَا كُنْتُ لَا أَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَقَلْتُ: أَكَافِيهِ فَإِنَّ التَّفَاضُلُ وَلَكِنِّي أَعْضِي الْجُفُونَ عَلَى الْقَدَى وَأَصْفَحُ عَمَّا رَابَنِي وَأَجَامِلُ مَتَى مَا يَرَبُنِي مِفْصَلٌ فَقَطَعْتُهُ بَقِيْتُ وَمِيَالِي لِلنُّهُوضِ مَفَاصِلٌ وَلَكِنْ إِدَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرْنِي وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ التَّحَامُلُ وَقَالَ: يُدَيُّونَ لِي سَمًّا وَأَسْقِيهِمُ الْحَيَا وَيَقْرُونََنِي سَرًّا وَشَرِي مُؤَخَّرُ كَاتِبِي سَلَبْتُ الْقَوْمَ نُورَ عُيُونِهِمْ فَلَا الْعَذْرُ مَقْبُولٌ وَلَا الذَّنْبُ يُعْفَرُ وَقَدْ كَانَ إِحْسَانِي لَهُمْ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَكِنْ إِحْسَانِ الْبَغِيضِ مُكْفَّرٌ وَلِغَيْرِهِ: لَمْ يَبْقَ مِنْ طَلَبِ الْغِنَى إِلَّا التَّعَرُّضُ لِلْحَتُوفِ فَلَا قَبْلَنَ وَإِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ يَلْمَعُ فِي الصَّفُوفِ إِنِّي أَمْرٌ لَمْ أَوْتِ مِنْ أَدَبٍ وَلَا حِطِّ سَخِيفٍ لَكِنَّهُ قَدْرٌ يَزُولُ مِنَ الْقَوِي إِلَى الضَّعِيفِ

▲ كتاب الزمردة في المواعظ والزهد

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا في الأمثال وما تفننوا فيه على كل لسان ومع كل زمان ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد ورجاله المشهورين به ونذكر المُنْتَحَلَ من كلامهم والمواعظ التي وَعظت بها الأنبياء وأَسْتَحْلَصَهَا الْآبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ وَجَرَّتْ بَيْنَ الْحُكَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَمَقَامَاتِ الْعُبَادِ بَيْنَ أَيْدِي الْخُلَفَاءِ.

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

قال الله تبارك وتعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ " إلى آخر السورة.

وقال جل ثناؤه: " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ نُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِنَّهُ تُرْجَعُونَ " وقال " أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ " إلى قوله: " عَلِيمٌ " .

فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ.

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ثم مواعظ الآباء للأبناء ثم مواعظ الحكماء والأدباء ثم مقامات العباد بي أيدي الخلفاء.

ثم قولهم في الزهد ورجاله المعروفين ثم المشهورين من المنتسبين إليه.

والموعظة ثقيلة على السمع مُحَرَّجَةٌ عَلَى النَّفْسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْقَبُولِ لِاعْتِرَاضِهَا الشَّهْوَةَ وَمُضَادَّتِهَا الْهَوَى الَّذِي هُوَ رِبِيعُ الْقَلْبِ وَمَرَادُ الرُّوحِ وَمَرْبَعُ اللِّهْوِ وَمَسْرَحُ الْأَمَانِيِّ إِلَّا لَنْ تُرْجَعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غِيهَا حَتَّى يُرَى مِنْهَا لَهَا وَأَعْظُ وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ: السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيره لَا يَعْتُونَ مَنْ وَعَظَهُ غَيْرُهُ وَلَكِنْ مَنْ رَأَى الْعِبْرَ فِي غَيْرِهِ فَاتَّعَظَ بِهَا فِي نَفْسِهِ.

ولذلك كان يقول الحَسَنُ: آفَدَعُوا هذه النفوس فإنها طَلَعَتْ وحادثوها بالذِّكْرِ فإنها سريعة الدُّثور وَاغْصُوهَا فإنها إن أَطِيعَتْ تَزَعَّتْ إلى شَرِّ غَايَةٍ.

وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختم مَوْعِظَتِهِ: يا لها من مَوْعِظَةٍ لو صادفت من القلوب حِيَاةً.

وكان ابن السَّمَاكِ يقول إذا فَرَّغَ من كلامه: أَلَسْتُ تَصِفُ وقلوب تعرف وأعمال تُخَالَفُ.

وقال يُونُسُ بن عُيَيْدٍ: لو أَمِرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا.

يريد ثِقَلُ المَوْعِظَةِ على السَّمْعِ وَجُنُوحِ النَفْسِ إلى مُخَالَفَتِهَا.

ومنه قولهم: أَحَبُّ شَيْءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا وَقَوْلُهُمْ: وَالشَّيْءُ يُزَعَّبُ فِيهِ جِبِينَ يَمْتَنِعُ والمَوْعِظَةُ مانِعَةٌ لك مما تَشْتَهِي حَامِلَةٌ لك على ما تَكْرَهُ إلا إن تَلَقَّاهَا بِسَمْعٍ قد قَتَقْتَهُ العِبْرَةَ وقلب قَدَحَتْ فِيهِ الفِكْرَةَ ونفس لها من عِلْمِهَا زاجر ومن عقلها رادع فَيُفْتَحُ لك بِأَبِّ التَّوْبَةِ وَيُوصَحُّ لك سَبِيلُ الإِنَابَةِ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكَّارِ وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ.

يريد أنَّ الطَّرِيقَ إلى الجَنَّةِ احتمالُ المكَّارِ في الدُّنْيَا والطَّرِيقَ إلى النَّارِ ركوبُ وخيرُ المَوْعِظَةِ ما كانت من قائلٍ مخلصٍ إلى سامِعٍ مُنْصِفٍ.

وقال بعضهم: الكَلِمَةُ إذا حَرَجَتْ من القلبِ وَقَعَتْ في القلبِ وإذا حَرَجَتْ من اللِّسَانِ لم تُجَاوِزِ الأَذَانَ.

وقالوا: ما أَحْسَنَ التَّاجِ! وهو على رَأْسِ المَلِكِ أَحْسَنُ وما أَحْسَنَ الدُّرِّ! وهو على تَحْرِ الفِئَاةِ أَحْسَنُ وما أَحْسَنَ المَوْعِظَةَ! وهي من الفاضلِ النَّبِيِّ أَحْسَنُ وقال زياد: أيها النَّاسُ لا يَمْتَنِعْكُمْ سِوَى ما تَعْلَمُونَ مِمَّا أن تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ ما تَسْمَعُونَ مِمَّا قال الشَّاعِرُ: اَعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَّرْتُ في عَمَلِي يَنْفَعَكَ قَوْلِي ولا يَصْرُرُكَ تَقْصِيرِي وقال عبدُ الله بن عَبَّاسٍ.

ما انْتَفَعْتُ بِكلامٍ أَحَدٍ بَعْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما انْتَفَعْتُ بِكلامٍ كَتَبَهُ إِلَيَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كَتَبَ إِلَيَّ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ المَرْءَ يَسِرُهُ إِدْرَاكُ ما لَمْ يَكُنْ لِيَفْوَئَهُ وَيَسْوُهُ قَوْثُ ما لَمْ يَكُنْ لِيُذِرْكَهَ فَلْيَكُنْ سِرورُكَ بما نِلْتَ من أَمْرِ آخِرَتِكَ وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ على ما فَاتَكَ مِنْهَا.

وما نِلْتَ من أَمْرِ دُنْيَاكَ فلا تَكُنْ بِهِ قَرِحاً وما فَاتَكَ مِنْهَا فلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً وَلْيَكُنْ هَمُّكَ ما بَعْدَ المَوْتِ.

ووقَّفَ حَكِيمٌ بِيابِ بَعْضِ المُلُوكِ فَحُجِبَ فَتَلَطَّفَ بِرُقْعَةٍ أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ.

وكتب فيها هذا البيت: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرْجَى لِهَ الغِنَى وَأَنَّ الغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الفَقْرِ فَلَمَّا قَرَأَ البَيْتَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْتَعَلَ وَجَعَلَ لاطئَةً على رأسه وخرج

في ثوبٍ فصّال: فقال له: واللّه ما اتّعتطُ بشيء بعد القرآن اتعاطي بيّتك هذا ثم قضى حوائجه.

▲ مواعظ الأنبياء عليهم السلام

قال أبو بكر أبي شُبّة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: يكفي أحدكم من الدنيا قدرُ زادِ الرّكاب.

وقال صلى الله عليه وسلم: ابن آدم اغتتم خمساً قبل خمس: شبابتك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وقرارك قبل شغلك وحياتك قبل موتك.

عبد الله بن سلام قال: لما قدّم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتيتُه فلمّا رأيتُ وجهه علّمتُ أنّه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول: أيها الناس أطعموا الطعامَ وأفشوا السلامَ وصلوا والناس نيام.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: ألا أُخبركم بخيركم مُجالسةً قالوا: بلى يا رُوح الله قال: مَنْ تُذكركم بالله رؤيته ويَزِيد في عمَلكم مِنْطِقُه وَيَشُوقكم إلى الجنة عمله.

وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين: ويلكم يا عبید الدُّنيا! كيف تُخالِف فروغكم أصولكم وأهواؤكم عقولكم قولكم شفاءً يبرئ الداءَ وفِعْلُكم داء لا يقبل الدواء لسئتم كالكرمّة التي حَسَنَ وَرَقها وطابَ ثَمَرها وَسَهْلَ مُرْتَقاها ولكنكم كالسّمرة التي قَلَّ وَرَقها وكثُر شوكها وصَعِبَ مُرْتقاها.

ويلكم يا عبیدَ الدُّنيا! جعلتم العملَ تحت أقدامكم من شاءَ أخذَه وجعلتم الدُّنيا فوق رؤوسكم لا يمكن تناوُلها فلا أنتم عبیدُ نُصحاء ولا أحرارُ كِرام.

ويلكم يا أُجْرَاءَ السَّوْء! الأجر تأخذون والعملَ تفسدون سوف تَلْقَوْنَ ما تحذرون إذا نظر ربُّ العمل في عمَلِه الَّذي أفسدتم وأجره الَّذي أخذتم.

وقال عليه السلام للحواريين: اتخذوا المساجدَ بُيوتاً والبيوتَ منازلَ وكُلُّوا بَقْلَ البرية واشربوا الماءَ القَرّاح وانجُوا من الدُّنيا سالمين.

وقال عليه السلام للحواريين: لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب وانظروا في أعمالكم كأنكم عبید فإنما الناسُ رجلان: مُبتلى ومُعافي فارحموا أهلَ البلاء واحمدوا الله على العافية.

وقال عليه السلام لهم أيضاً: عجباً لكم تَعْمَلُونَ لِلدُّنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عمل ولا تَعْمَلُونَ لِلآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها إلا بعمل.

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للمكذّبين من بني إسرائيل: يا تسَل الأفاعي من ذلكم على الدخول في مساخط الله المُوبقة لكم ويلكم! تقربوا بِعَمَلٍ صالح ولا تَعُرَّتْكم قرابتكم من إبراهيم " عليه السلام " فإن الله قادر على أن يَسْتخرج من هذه الجنادل تسلاً لإبراهيم.

إن الفأس قد وُضِعَتْ في أصول الشجر فأخِيق بكلِّ شَجَرَةٍ مُرَّةَ الطَّعْمِ أَنْ تَقْطَعَ وتُلْقَى في النار.

وقال شَعْبَاءُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَنْطَقَ اللهُ لِسَانَهُ بِالْوَحْيِ: إِنَّ الدَّابَّةَ تَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ الرِّبَاضَةِ لِينًا وَقُلُوبَكُمْ لَا تَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ المَوْعِظَةِ إِلَّا قَسْوَةً إِنَّ الجَسِدَ إِذَا صَلَحَ كَفَاهُ القَلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ وَإِنَّ القَلْبَ إِذَا صَلَحَ كَفَاهُ القَلِيلُ مِنَ الحِكْمَةِ.

كم من سِرَاجٍ قَدْ أَطْفَأَتْهُ الرِّيحُ وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ قَدْ أَفْسَدَهُ العُجْبُ.

يا بني إِسْرَائِيلَ اسْمَعُوا قَوْلِي فَإِنَّ قَائِلَ الحِكْمَةِ وَسَامِعَهَا شَرِيكَانِ وَأَوْلَاهُمَا بِهَا مَنْ حَقَّقَهَا بِعَمَلِهِ.

وقال المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ تَطَرَّوْا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذْ تَطَرَّ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَإِلَى اجْلِهَا إِذْ تَطَرَّوْا إِلَى عَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا حَشَوْا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَتَرَكَوْا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتَرُكُهُمْ هُمْ أَعْدَاءُ لِمَا سَالَمَ النَّاسُ وَسَلَّمَ لِمَا عَادَى النَّاسُ لَهُمْ خَبِرُوا وَعِنْدَهُمُ الخَبَرُ العَجِيبُ بِهِمْ تَطُقُ الكِتَابُ وَبِهِ تَطْقُوا وَبِهِمْ عِلْمُ الهُدَى وَبِهِ عِلْمُوا لَا يَرَوْنَ أَمَانًا دُونَ مَا يَرْجُونَ وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ.

وَهَبْ بِنِ مَنَّته: قَالَ " قَالَ " دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ ابْنِ آدَمَ لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا وَتَحْتِهَا لَكَ نِعْمَةٌ وَفَوْقَهَا لَكَ نِعْمَةٌ فَمَنْ أَيْنَ يُكَافئُكَ بِمَا أُعْطِيْتَهُ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ إِنِّي أُعْطِي الكَثِيرَ وَأَرْضَى مِنْ عِبَادِي بِالْقَلِيلِ وَأَرْضَى مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِي بِأَنْ يَعْلَمَ العَبْدُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْ عِنْدِي لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

ولَمَّا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ وَيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا أَسْرَرَّ بِذَلِكَ إِلَى خَلِيلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ العَازِرُ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ: إِنَّ اللهُ لَا يَبْتَلِي بِمِثْلِ هَذَا مِثْلَكَ وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَخْتَبِرَكَ أَوْ يَخْتَبِرَ بِكَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَبْتَلِيكَ بِمِثْلِ هَذَا لِيَبْتَلِيَنَّكَ وَلَا لِيُضِلَّكَ وَلَا لِيُعْتَنِكَ وَلَا لِيَنْقُصَ بِهِ بِصِبْرَتِكَ وَإِيمَانِكَ وَيَقِينِكَ فَلَا يَرُوعَنَّكَ هَذَا وَلَا يَسْوَأَنَّ بِاللهِ طَنُكَ وَإِنَّمَا رَفَعَ اللهُ اسْمَكَ فِي البَلَاءِ عِنْدَهُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ البَلَايَا حَتَّى كُنْتَ أَعْظَمَهُمْ مِخْنَةً فِي نَفْسِكَ وَوَلَدَكَ لِيَرْفَعَكَ بِقَدْرِ ذَلِكَ فِي المَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ وَالْقَصَائِلِ فَلَيْسَ لِأَهْلِ الصَّبْرِ فِي فَضِيلَةِ الصَّبْرِ إِلَّا فَضْلٌ صَبْرِكَ وَلَيْسَ لِأَهْلِ الثَّوَابِ فِي فَضِيلَةِ الثَّوَابِ إِلَّا فَضْلٌ ثَوَابِكَ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ وُجُوهِ البَلَاءِ الَّذِي يَبْتَلِي اللهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ لِأَنَّ اللهُ أَكْرَمُ فِي نَفْسِهِ وَأَعْدَلُ فِي حِكْمِهِ وَأَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ ذَبْحَ الوَلَدِ الطَّيِّبِ بِيَدِ الوَالِدِ النَّبِيِّ المُّصْطَفِيِّ وَأَنَا أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنِّي حَتْمًا عَلَى اللهِ أَوْ رَدًّا لِأَمْرِهِ أَوْ سُخْطًا لِحُكْمِهِ وَلَكِنْ هَذَا الرَّجَاءُ فِيهِ وَالظَّنُّ بِهِ فَإِنَّ عَزَمَ رَبُّكَ عَلَى ذَلِكَ فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ عِلْمِهِ بِكَ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُعَرِّضْكَ لِهَذَا البَلَاءِ الجَسِيمِ وَالحَطْبِ العَظِيمِ إِلَّا لِحُسْنِ عِلْمِهِ بِكَ وَصِدْقِكَ وَتَصَبْرِكَ لِيَجْعَلَكَ إِمَامًا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

من وحي الله تعالى إلى أنبيائه أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيٍِّّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: إِنِّي أَنَا اللهُ مَالِكُ المُلُوكِ قُلُوبُ المُلُوكِ بِيَدِي فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُ المُلُوكَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُ المُلُوكَ عَلَيْهِمْ نِقْمَةً.

ومما أنزل الله على المسيح " عليه السلام " في الإنجيل: شوقناكم فلم
تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا.

يا صاحبَ الخمسين ما قدّمتَ وما أخّرتَ ويا صاحبَ السّتين قد دنا حصادك
ويا صاحبَ السّبعين هلمّ إلى الحساب.

وفي بعض الكتب القديمة المنزلة: يقول الله عزّ وجل يومَ القيامة: يا عبادي
طالما ظمّتم وتقلّصت في الدنيا شفاهكم وغارت أعينكم عطشاً وجوعاً
فكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

وأوحى الله تعالى إلى نبيّ من أنبيائه: هبّ لي من قلبك الخشوع ومن تفسك
الخشوع ومن عينيك الدموع وسلّني فأنا القريب المجيب.

وفي بعض الكتب: عبّدي كم أتحبّ إليك بالتّعّم وتتبعّص إلي بالمعاصي!
حَبِّري إليك نازل وشرك إليّ صاعد.

وأوحى الله إليّ نبيّ من أنبيائه: إن أردت أن تسكن غداً حظيرةً القدّيس فكنْ
في الدنيا فريداً وحيداً طريداً مهموماً حزيناً كالطير الوُحْدانيّ يطلّ بأرض
القلّة ويتردّد ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر فإذا جنّ عليه الليل أوى
وحده استيحاشاً من الطير واستئناساً بربه.

ومما أوحى الله إليّ موسى في التوراة: يا موسى بن عمران يا صاحبَ جبل
لَبْنان أنت عبّدي وأنا الملك الدّيّان لا تستذلّ الفقير ولا تعيظ العنيّ " بشيء
يسير " وكن عند ذكرى خاشعاً وعند تلاوة وحيّ طائعاً أسمِعني لداذة
التوراة بصوت حزين.

وقال وهب بن مُتبه: أوحى الله إليّ موسى عند الشجرة: لا تُعجبك زينةُ
فرعون ولا ما مَتّع به ولا تَمُدّنْ إلى ذلك عيتك فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينةُ
المترفين ولو شئتُ أن أوتيكَ زينةً يَعْلَم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته
تعجز عنها فعلتُ ولكني أرغبتُك عن ذلك وأزوتته عنك فكذلك أفعَل بأوليائي
إني لأدودهم عن نعيمها ولذاذتها كما يدود الراعي الشفيقُ عتمه عن مراتع
الهلكة وإني لأحميهم عيشها وسلّوتها كما يحمي الراعي دّوده عن مَبَارِك
العُرّ.

وذكر عن وهب بن مُتبه: أنّ يوسف لما لَبِث في السجن بضع سنين أرسل
الله جبريلَ إليه بالبشارة بخروجه فقال: أما تعرّفني أيها الصّدّيق قال يوسف:
أرى صورةً طاهرةً وروحاً طيباً لا يُشبهه أرواح الخاطئين قال جبريلُ: أنا الرّوح
الأمين رسولُ ربّ العالمين قال يوسف: فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت
سيد المرسلين ورأس المُقرّبين قال: ألم تعلم أيها الصّدّيق أن الله يطهر
البيوت بطهر النبيين وأن البقعة التي تكون فيها هي أطهر الأرضين وأنّ الله
قد طهر بك السجن وما حوله يا بن الطاهرين قال يوسف: كيف تُشبهني
بالصالحين وتسميني بأسماء الصادقين وتعدّني مع آبائي المُخلصين وأنا أسير
بين هؤلاء المجرمين قال جبريلُ: لم يكلم قلبك الجرع ولم يغير خلقك البلاء
ولم يتعاطمك السجن ولم تطأ فراش سيّدك ولم يُنسك بلاء الدنيا الآخرة
ولم يُنسك بلاء نفسك أباك ولا أبوك ربك وهذا الرّمان الذي يَفُك الله فيه

عُنُقِكَ وَبَعْتِكَ فِيهِ رَقَبَتِكَ وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ فِيهِ حِكْمَتَكَ وَيُصَدِّقُ رُؤْيَاكَ وَيُنْصِفُكَ
مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَيَجْمَعُ لَكَ أَجْرَتَكَ وَيَهَبُ لَكَ مُلْكَ مِصْرَ تَمْلِكُ مَلُوكَهَا وَتُعَبِّدُ
جِبَابِهَا وَتُصَغِّرُ عِظْمَاءَهَا وَبِذَلِكَ لَكَ أَعْرَتُهَا وَيُخَدِّمُكَ سُوقُهَا وَيُحَوِّلُكَ حَوَالَهَا
وَيَرْحَمُ بِكَ مَسَاكِينَهَا وَيُلْقِي لَكَ الْمَوَدَّةَ وَالْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَجْعَلُ لَكَ الْيَدَ
الْعُلْيَا عَلَيْهِمُ وَالْأَثْرَ الصَّالِحَ فِيهِمْ وَيُرِي فِرْعَوْنَ حُلْمًا يَفْرَعُ مِنْهُ حَتَّى يَسْهَرَ لَيْلَهُ
وَيُدْهَبَ نَوْمَهُ وَيُعْمَى عَلَيْهِ تَفْسِيرَهُ وَعَلَى السَّحْرَةِ وَالْكَهْنَةِ وَيُعَلِّمُكَ تَأْوِيلَهُ.

▲ مواعد الحكماء

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أوصيكم بخمس لو ضربتم عليها
آباط الإبل لكان قليلاً: لا يَرْجُونَ أَحَدَكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَسْتَحْيُونَ
إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ.

وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس
من الجسد فإذا قُطِعَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ.

وقال أيضاً: من أراد الغنى بغير مال والكثرة بلا عَشْيَةٍ فليتحول من دُلِّ
المَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ "أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وقال الحسن: مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ خَافَ النَّاسَ
أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وقال بعضهم: مَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَخْلَصَ سِرِيرَتَهُ أَخْلَصَ اللَّهُ عِلَاتِيَّتَهُ.

قال العُتْبِيُّ: اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: قَالُوا: لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى
قَلْبِكَ مَا لَا يُطِيقُ وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ وَلَا تَتَّقُ بِأَمْرَاءٍ وَلَا تَغْتَرَّ
بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ.

وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند موته حين
استخلفه: أوصيك بتقوى الله إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وعملاً بالنهار
لا يقبله بالليل وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤَدَّى الفرائض وإنما نُقِلَتْ مَوَازِينُ مَنْ
ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ
فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا وَإِنَّمَا حَقَّتْ مَوَازِينُ مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا
الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ
وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَإِذَا سَمِعْتَ بِهِمْ قُلْتَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ
وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَفْجَحِ أَعْمَالِهِمْ وَأَمْسَكَ عَنْ حَسَنَاتِهِمْ فَإِذَا سَمِعْتَ بِهِمْ قُلْتَ:
أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا لَا
يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ.

فإذا حفظت وصيبي فلا يكون غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك وإن
ضيعت وصيبي فلا يكون غائبٌ أكره إليك من الموت ولن تُعجزه.

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأَهم يعوده في مرضه فرآه يُصَوِّب بصره في صندوق في بيته وُيَصَعِّده ثم قال: أبا سَعِيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أُوَدِّ منها زكاةً ولم أَصِل منها رَجْمًا قال: تَكَلِّئَكَ أَمَكْ ولمن كنتَ تَجْمعها قال: لِرَوْعة الزِمان وَجَفوة السلطان ومُكاثرة العَشيرة.

قال: ثم مات فَشَهِدَه الحسَنُ فلما فَرَغ من دَفْنِه قال: انظروا إلى هذا المِسكين أَناه شيطانُه فَحَدَّرَه رَوْعة زَمانه وَجفوة سُلطانِه ومُكاثرة عَشيرتِه عما رزقه الله إياه وَعَمَرَه فيه انظروا كيف خرج منها مَسْلوبًا محروبًا.

ثم التفت إلى الوارث فقال: أيها الوارث لا تُخَدَعَنَّ كما خُدِعَ صَوْبُحِك بالأمس أَناك هذا المال حلالاً فلا يكونن عليك وبالا أَناك عفوًا صِفوا ممن كان له جَموعًا مَنوعًا من باطل جَمعه ومن حقٍّ مَنعه قطع فيه لَجَجَ البِحر ومفاوِزَ القِفار لم تَكُدح فيه يَمين ولم يَغْرِق لك فيه جَبين.

إنَّ يومَ القيامةِ يومَ ذو حَسَرَاتٍ وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك فيالها عَثرة لا تُقال وتوبة لا تُنال.

ووعظاً حكيماً قوماً فقال: يا قوم اسْتَبْدِلُوا العَواري بالهبات تَحْمَدُوا العُقبَى واستَقْبِلُوا المصائب بالصبر تستجيبوا النعمى واستدِيموا الكرامة بالشكر تَسْتَوْجِبُوا الزيادة واعرفوا فَضْلَ البقاء في النعمة والعنى في السلامة قبل الفِتنة الفاجشة والمثلية البينة وانتقال العمل وحلول الأجل فإنما أنتم في الدنيا أغراض المَنايا وأوطان البلبايا ولن تنالوا نِعْمَةً إلا يَفراق أخرى ولا يَسْتقبل مُعَمَّرٌ مِنكم يوماً من عُمُرِه إلا بانتقاص آخر من أجله ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر.

فأنتم أعوان الخُوف على أنفسكم وفي معاشكم أسبابٌ مَتاياكم لا يَمنعكم شيء منها ولا يَشغَلكم شيء عنها.

فأنتم الأَخلاف بعد الأَسلاف وستكونون أسلافاً بعد الأَخلاف.

بكل سبيل منكم صَرِيحٌ مُنْعَفِرٌ وقائمٌ يَنْتظرُ فمن أيِّ وجه تَطْلُبون البقاء وَهَذانِ اللَّيْلِ والنهارُ كَم يَرْفعا شيئاً قَطْ إلا أَسرعا الكثرة في هَدْمِه ولا عقداً أمراً قَطْ إلا رَجَعاً في نقضه.

وقال أبو الدَّرْداء: يا أهل دَمَشق مالكم تَبْنون ما لا تسكنون وتأمّلون ما لا تُدْرِكون وتَجْمعون ما لا تأكلون هذه عادٌ وشمود قد مَلَّئوا ما بين بُصْرَى وَعَدَن أموالاً وأولاداً فمن يَشْتري مني ما تركوا بدرهمين وقال ابن سُبْرَمَةَ: إذا كان البَدَن سقيماً لم يَنْجع فيه الطعام ولا الشراب وإذا كان القلب مُعَرَّماً يَحِبُّ الدنيا لم تَنْجع فيه الموعظة.

وقال الرَّبيع بن حُثَيْم: أَقِللِ الكلام إلا من تَسع: تكبيرٍ وتهليلٍ وتَسْبِيحٍ وتَحْمِيدٍ وسؤالِ الخَيْرِ وتَعَوُّدِكَ من الشَّرِّ وأمرِكَ بالمعروفِ ونَهْيِكَ عن المُنْكَرِ وقرآءَتِكَ القرآن.

قال رجل لبعض الحكماء: عِظْنِي.

قال: لا يَرَاك اللهُ بحيث تَهَاك ولا يَفْقِدُكَ من حيثُ أَمَرَكَ.

وقيل لحكيم: عِظْنِي.

قال: جميعُ المواعظ كُلِّها مُنتظمة في حرفٍ وإحدٍ قال: وما هو قال: تُجَمِّع على طاعة الله فإذا أنت قد حَوَيْتِ المواعظ كُلِّها.

وقال أبو جعفر لسُفْيَانِ عِظْنِي.

قال: وما عَمِلْتِ فيما عَلمْتِ فأعِظْكَ فيما جهَلْتِ.

قال هارون لابن السمَّاء: عِظْنِي.

قال: كفي بالقرآن واعظاً يقول الله تبارك وتعالى: " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.

إِزْمَ دَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ " .

إلى قوله " فَصَبَّ عَلَيْهِمُ رَبُّكَ سَوُوطَ عَذَابٍ.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ " .

مكاتبة جرت بين الحكماء عَنَّتْ حَكِيمٌ عَلَى حَكِيمٍ فَكَتَبَ الْمَعْتُوبُ عَلَيْهِ إِلَى الْعَاتِبِ: يَا أَحِي إِنَّ أَيَّامَ الْعُمُرِ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَحْتَمِلَ الْهَجْرَ.

فَرَجَعَ إِلَيْهِ.

وكتب الحسنُ إلى عُمَرَ بن عبد العزيز: أما بعد فكأنك بالدنيا لم تُكُنْ وبالآخرة لم تَرَلْ.

والسلام.

وكتب إليه عُمر: أما بعد فكأنَّ آخر من كُتِبَ عليه الموت قد مات والسلام.

ابن المُبارك قال: كتب سَلْمَانُ الفارسيُّ إلى أبي الدرداء: أما بعد فإنك لن تنال ما تُريد إلا بتَرْكِ ما تشتهي ولن تنال ما تأمل إلا بالصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ.

فَلْيَكُنْ كَلَامُكَ ذِكْرًا وَصَمْتُكَ فِكْرًا وَنَظْرُكَ عِبْرًا فَإِنَّ الدُّنْيَا تَتَقَلَّبُ وَبَهْجَتُهَا تَتَغَيَّرُ فَلَا تَغْتَرَّ بِهَا وَليَكُنْ بَيْتُكَ الْمَسْجِدَ وَالسَّلَامَ.

فأجابه أبو الدرداء: سلامٌ عليك أما بعد فإني أُوصيك بتَقْوَى اللهِ وأن تأخذ من صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ ومن شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ ومن فِرَاعِكَ لِشُغْلِكَ ومن حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ ومن جَفَائِكَ لِمَوَدَّتِكَ واذكر حَيَاةً لا مَوْتَ فِيهَا فِي إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ: إما في الجنة وإما في النار فإنك لا تَدْرِي إلى أَيِّهِمَا تَصِيرُ.

وكتب أبو موسى الأشعريّ إلى عامر بن عبد القيس: أما بعد فإنني عاهدتك على أمر وبلغني وكتب محمد بن النضر إلى أخ له: أما بعد فإنك على منهج وأمامك منزلان لا بد لك من نزول أحدهما ولم يأتك أمانٌ فتطمئن ولا براءة فتتكل.

وكتب حكيم إلى آخر: اعلم حافظك الله أنّ النفوس جُبلت على أخذ ما أُعطيت ومَنع ما سُئلت فأحملها على مَطِيَّة لا تُبْطِيءُ إذا رُكبت ولا تُسْبِقُ إذا قُدِّمَتْ وإنما تحفظاً لنفوسٍ على قَدْرِ الخوف وتطلب على قَدْرِ الطمع وتطمع على قدر السبب.

فإذا استطعت أن يكون معك حَوْف المُشْفِق وقناعة الرّاضي فافعل.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حيوة: أما بعد فإنه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير: ومن عَلِمَ أن الكلامَ عملٌ قلَّ كلامُهُ إلا فيما يَنْفَعُهُ.

وكتب عمر بن الخطاب إلى عُتْبة بن غزوان عامله على البصرة: أما بعد فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك وتأمّر فينقذ أمرك فيالها نعمةً إن لم ترفعك فوق قَدْرِكَ وتطعك على مَنْ دونك فاحترس من النعمة أشدّ من احتراسك من المُصيبة وإياك أن تسقط سَقَطَةً لا لعلها - أي لا إقالة لها - وتغز عثره لا تُقالها والسلام.

وكتب الحسن إلى عمر: إن فيما أمرك الله به شغلا عما نهاك عنه والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن: اجمع لي أمر الدنيا وصِف لي أمر الآخرة.

فكتب إليه: إنما الدنيا حُلْمٌ والآخرة يَقْظَةٌ والموت متوسّط ونحن في أضغاث أحلام من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسِر ومن نظر في العواقب نجَا ومن أطاع هواه ضلَّ ومن حلم غيم ومن خاف بيلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن علم عمل فإذا رَلَلت فأرجع وإذا تدميت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك وأعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه.

▲ مواعد الآباء للأبناء

قال لقمان لابنه: إذا أتيت مجلس قوم فأرمهم بسهم السلام ثم اجلس فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سَهمك مع سيهامهم وإن أفاضوا في غير ذلك فتخل عنهم وانهمض.

وقال: يا بني استعذ بالله من شَرار الناس وكُن من خيارهم على حدّ.

ومثل هذا قولُ أكنم بن صَيْفي: احذر الأمين ولا تأتمن الخائن فإنّ القلوب بيد غيرك.

وقال لقمان لابنه: لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولا بلاءها عقوبة للعاصين.

يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك.

يا بني لا تُصَيِّع مَالَك وتُصْلِح مَالَ غيرك فإنَّ مَالَك ما قَدَّمت وما لَ غيرك ما تركت.

يا بني إنه من يَرْحَم يُرْحَم ومن يَصْمُت يَسْلَم ومن يَقُل الخَيْر يَعْتَم وَمَنْ يَقُل الباطل يَأْتَم ومن لا يملك لِسَانَهُ يَنْدَم.

يا بني زاحم العلماء بَرُكْبَتَيْكَ وأنصت إليهم بأذنيك فإنَّ القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميِّتة بمطر السماء.

وقال خالد بن صفوان لابنه: كُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً أقلَّ ما تكون في الباطن مَالاً ودَعُ من أعمال السرِّ ما لا يَصْلِح لك في العلانيَّة.

وقال أعرابي لابنه: يا بني إنه قد أَسْمَعَكَ الدَّاعِي وأَعذر إليك الطالب وانتهى الأمرُ فيكَ إلى حَدِّهِ ولا أَعْرِفُ أعظمَ رزِيَّةٍ ممن صَبَّحَ اليقين وأَخْطَأهُ الأملُ.

وقال عليُّ بن الحسين لابنه وكان من أفضل بني هاشم: يا بني اصبر على التَّوَابِ ولا تَعْرِضْ لِلْحُتُوفِ ولا تَجِبْ أَخَاكَ من الأمر إلى ما مَضَرَّتْهُ عليك أكثر من مَنَّفَعَتِهِ لك.

وقال حكيم لبنيه: يا بني إياكم أن تكونوا بالأحداث مُعْتَرِينَ ولها آمين فإني والله ما سَخِرْتُ من شيء إلا نزل بي مثله فاحذروها وتوقعوها فإنما الإنسان في الدُّنْيَا غَرَضٌ تَتَعَاوَرُهُ السُّهُامُ فَمَجَاوِزٌ لَهُ وَمُقَصِّرٌ عَنْهُ ووَاقِعٌ عَنْ يَمِينِهِ وشماله حتى يُصِيبَهُ بعضها واعلموا أن لكل شيء جَرَاءً ولكل عمل ثواباً.

وقد قالوا: كما تَدِينُ تُدَانُ ومن بَرَّ يوماً بَرَّ به.

وقال الشاعر: إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أناس حوادِثَهُ أَنَاخَ بِأَحْرِيَّتًا فُقُلٌ لِلشَّامِتِينَ بنا أفيقوا سَتَلِقَى الشَّامِتُونَ كما لَقِينَا وقال حكيم لابنه: يا بني إني مُوصِيكَ بوصيَّةٍ فإن لم تحفظ وصيتي عَنِّي لم تَحْفَظْهَا عن غيري: اتَّقِ الله ما استطعت وإن قَدَّرْتَ أن تكون اليومَ خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليومَ فافعل وإياك والطمعُ فإنه قَفْرٌ حَاضِرٌ وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ فَإِنَّكَ لَنْ تَيَأْسَ من شيء قط إلا أغناكَ اللهُ عنه وإياك وما يُعْتَذِرُ منه فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَذِرَ من خير أبداً وإذا عثر عاثر فاحمد الله أن لا تكون هو.

يا بني خذِ الخَيْرَ من أهله ودع الشَّرَّ لأهله وإذا قُمتَ إلى صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ وَقَالَ عَلِيُّ بنِ الحُسَيْنِ عليهما السلام لابنه: يا بني إن الله لم يَرِضَكَ لي فأوصاك بي ورَضِيَنِي لَكَ فَحَدِّثْنِي مِنْكَ واعلم أنَّ خَيْرَ الآبَاءِ لِلأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ تَدْعُهُ المودة إلى التفريط فيه وخَيْرَ الأَبْنَاءِ لِلآبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ إلى العُقوقِ له.

وقال حكيم لابنه: يا بني إن أشدَّ الناس حسرةً يومَ القيامة رجلٌ كَسَبَ مالاً من غيرِ جِلِّه فأدخله النارَ وأورثه مَنْ عَمِلَ فيه بطاعة الله فأدخله الجنة.

عَمْرُو بن عُثْبَةَ قال: لما بلغتُ خمسَ عشرة سنة قال لي أبي: يا بني قد تَقَطَّعَتْ عنكَ شرائع الصِّبَا فالزَمَ الحياءَ تكن من أهله ولا تُزَايلِه فَتَيِّبِ منه ولا يَغْرَنْكَ من اغْتَرَّ بالله فيكَ فَمَدِّحْ بما تعلمُ خلافه من نفسك فإنه من قال فيكَ من الخير ما لم يَعْلَمَ إذا رَضِيَ قال فيكَ من الشرِّ مثله إذا سَخِطَ.

فاستأنس بالوُحْدَةِ من جُلُساءِ السَّوءِ تَسَلَّمَ من غِبِّ عواقبهم.

وقال عبد الملك بن مَرْوَانَ لَبْنِيهِ: كُفُّوا الأذى وابدلوا المعروف واغفوا إذا قَدَّرْتُمْ! ولا تَبْخَلُوا إذا سئلتهم ولا تُلْجِفُوا إذا سألتهم فإنه من ضَيَّقَ ضَيِّقَ عليه ومن أعطى أَخْلَفَ الله عليه.

وقال الأشعث بن قيس لبنيه: " يا بني " " لا " تَذِلُّوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم ولتخفَّ بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم فإن لكل امرئ تبعاً وإياكم وما يعتذر " منه " أو يُسْتَحَى فإنما يُعْتَذِرُ من ذنب ويستحى من غيب وأصلحوا المالَ لجفوة السلطان وتغيّر الزمان وكفوا عند الحاجة عن المسألة فإنه كفي بالردِّ مَنعاً وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرِّزْقُ قَدْرًا وامنعوا النساءَ من غير الأكفاء فإنكم أهلٌ يَبْتَيتُ يتأسى بكم الكريمُ ويتشرف بكم اللئيمُ وكونوا في عوامِّ الناس ما لم يَضْطربَ الحبلُ فإذا اضطرب الحبلُ فالحقوا بعشائركم.

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في عَيْبَةِ غايها: أمّا بعد فإنَّ مَنْ اتقى الله وقاته ومن اتكل عليه كفاه ومن شكّر له زاده ومن أقرضه جزاه فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاءً بصرك فإنه لا عمل لمن لا يتيه له ولا خير لمن لا حشية له ولا جديد لمن لا خلق له.

وكتب عليُّ بن أبي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام: من عليّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان المقرّر للزمان المسّسَلَم للحدّثان: المُدْبِر العُمرِ المُؤمِّل ما لا يُدْرِك السالك سبيل مَنْ قد هلك غرض الأسقام ورهينة الأيام وعبد الدنيا وتاجر الغرور وأسير المتأيا وقرين الرزايا وصرع الشهوات ونصب الآفات وخليفة الأموات أما بعد يا بني فإن فيما تفكّرت فيه من إدمار الدنيا عني وإقبال الآخرة إليّ وجموح الدهر عليّ ما يُرْعِبُنِي عن ذكر سواي والاهتمام بما ورائي غير أنه حين تفرّد بي همّ نفسي دون همّ الناس قَصَدْتَنِي رأي " وصرفني عن هواي " وصرّح بي مَحْضُ امرئ فأفضى بي إلى جدِّ لا يُزْرِي به لعب وصدق لا يشو به كذب ووجدتُك يا بُنَيَّ بغضي بل ووجدتُك كُلِّي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك لأصابني وحتى كأنّ الموت لو أتاك أتاني فعند ذلك عتّاني من أمرك ما عتّاني من أمر نفسي.

كتبْتُ إليك كتابي هذا يا بُنَيَّ " مُستظهِراً به " إن " أنا " بقيت " لك " أو قنيت فإنني موصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول: " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْتَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى

سَبَقًا حُفْرَةً مِّنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُسِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آتَايَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " وأيُّ سبب يا بُني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى " إن أنت أخذت به "

أخي قلبك بالمؤعدة وتوره بالحكمة وأمنه بالزهد ودلله بالموت وقوه بالغنى عن الناس وحذره صولة الدهر وتقلب الأيام والليالي.

وإعرض عليه أخبار الصين وسير في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوه وأين حلوا فإنك تجدهم قد انتقلوا عن دار الأحياء ونزلوا دار العزبة وكأنك عن قليل يا بني قد صرت كأحدهم فيع دنياك بأخرتك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والأمر فيما لا تكلف وأمر بالمعروف وبيدك ولسانك وأنه عن المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله وحض العمرات للحق ولا تأخذك في الله لومة لائم واحفظ وصيبي ولا تذهب عنك صفحا فلا خير في علم لا ينفع.

واعلم " أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة " وأنه لا غنى لك فيه عن حُسن الارتياح مع بلاغك من الراد.

فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيؤايفيك به في معارك فأغتنمه فإن أمامك عقبة كؤدا لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا فأجمل في الطلب وأحسن المكتسب فرب طلب قد جر إلى حرب وإنما المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب يقينه.

واعلم أنه لا غنى يعدل الجنة ولا فقر يعدل النار.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إلى ابنه محمد بن الحنفية: إن تَقَه في الدين وعَوَّد نفسك الصبر على المَكروه وكل تَفْسَك في أمورك كلها إلى الله عز وجل فإنك تكليها إلى كهف.

وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والجِرمَان.

وأكثر الاستخارة له واعلم أن من كانت مَطِيئته الليل والنهار " فإنه " يُسار به وإن كان لا يسير فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة.

فإن قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك وإن كنت غير قابل تصيحتي إياك فاعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك وأنت في سبيل من كان قبلك فأكرم نفسك عن كل دنيئة وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعترض بما تبدل من نفسك " عوضا "

وإياك أن تُوجف بك مطايا للطمع وتقول: متى ما أخرجت نزعك فإن هذا أهلك من هلك قبلك.

وأمسك عليك لسانك فإن لَافِيكَ ما فرط من صمتك أيسر عليك من إدراك ما فات من منطقتك واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء فحُسن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد والحُرْفَة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء أحفظ لسيره ولربما سعى فيما يضره.

إياك والاتِّكَالَ على الأمانى فإنها بضائع التُّوكى وتثبط عن الآخرة والأولى.

ومن خير حظِّ الدنيا القَرين الصالح فقارنْ أهلَ الخَيْرِ تَكُنْ منهم وباينِ أهلَ الشَّرِّ تَبِينْ عنهم ولا يَغْلِبَنَّ عليكِ سوءُ الظنِّ فإنه لن يَدَعَّ بينك وبين خليلٍ صلِحاً.

أذكِ قلبك بالأدب كما تذكى النار الحطب واعلم أن كُفْرَ النِّعمة لُومٌ وصُحبة الأحمق سُومٌ ومن الكَرَمِ مَنعُ الحَرَمِ ومَن حَلَمَ سادَ ومَن تَفَهَّمَ ازدادَ.

آمَحَصْ أخاك النصيحةَ حسنةً كانت أو قبيحةً.

لا تَصْرَمْ أخاك على ارتيابٍ ولا تَقْطعه دون استعتابٍ وليس جزاء من سرَّك أن تَسُوّه.

الرزق رِزْقان: رِزْقٌ تَطْلِبُه ورِزْقٌ يَطْلُبُكُ فإن لم تأتِه أتاكَ.

واعلم يا بُني أن مالَكَ من دُنياكَ إلا ما أصلحت به من مَثْواك فأَنْفِقْ من حَيْرِكَ ولا تَكُنْ خازناً لِعَيْرِكَ وإن جَزَعْتَ على ما يُفْلِتُ من يديكَ فاجزِعْ على ما لم يَصِلْ إليك.

ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه وأبصر الأعمى رُشْدَه ولم يَهْلِكْ أمرؤ اقتصد ولم يَفْتقر من رَهْد.

مَن ائتمن الزمانَ خانَه ومن تَعظَّمْ عليه أهانَه.

رأسُ الدين اليقين وتمام الإخلاص اجتناب المعاصي وخيرُ المقال ما صدَّقته الفِعال.

سَلْ عن الرَّفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدَّار واحمل لِصَدِيقِكَ عليكِ واقبل عَدْرَ مَن اعتذر إليك وأخر الشرَّ ما استطعت فإنك إذا شِئتَ تَعَجَّلته.

لا يكن أخوك على قَطِيعتك أقوى منك على صِلته وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان.

لا تُمَلِّكن المرأة من الأمر ما يَجاوز نفسها فإنَّ المرأة رِيحانة وليست بِقَهْرمانَةٍ فإنَّ ذلك أدومٌ لحالها وأرْحى لبالها.

واغْضُضْ بصرَها بِسِنَّرِكَ واكفُفْها بحجابك وأكرم الذين بهم تَصُولُ وإذا تناولتْ بهم تَطُول.

اسأل الله أن يُلْهمك الشكر والرَّشِدَ ويُقوِّبك على العمل بكلِّ حَيْرٍ ويَصْرِفْ عنك كلَّ مَحْذُورٍ برحمته والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته.

▲ . مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي فقال له: إنه لما سَهَّل علينا ما توَعَّر على غيرنا من الوصول إليك قُمْنَا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكَيْفَانِ وَلَا سِيَّما حِينَ اتَّسَمَتْ بِمَيْسَمِ التَّوَاضِعِ وَوَعَدَتِ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثْبَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهِ فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمْحِيصِ.

وقد جاء في الأثر: مَنْ حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَدَبَهُ عَلَى الْجَهْلِ وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ فَأَدْبَرَ عَنْهُ فَأَقْبَلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَهْدَى إِلَيْكَ مِنْ أَلْسِنَتِنَا قَبُولَ تَحْقِيقٍ وَعَمَلَ لَا قَبُولَ سُبْمَعَةٍ وَرِبَاءٍ فَإِنَّمَا هُوَ تَنْبِيهُ مِنْ عَقْلَةٍ وَتَذْكَيرٍ مِنْ سَهْوٍ وَقَدْ وَطِنَ اللَّهُ " عَزَّ وَجَلَّ " تَنْبِيَّهُ " عَلَيْهِ السَّلَامُ " عَلَى نُزُولِهَا فَقَالَ تَعَالَى: " وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " .

مقام رجل من العبيد عند المنصور بينما المنصور في الطراف بالبيت ليلاً إذ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ.

فَجَرَحَ الْمَنْصُورُ فَجَلَسَ نَاحِيَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ يَدْعُوهُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَاسْتَلَّمَ الرُّكْنَ وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: مَا الَّذِي سَمِعْتُكَ تَذْكَرُ مِنْ ظُهُورِ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ وَمَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَسَّنَتْ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي.

فَقَالَ: إِنَّ أَمَنَتِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا وَإِلَّا احْتَجَرْتُ مِنْكَ وَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي فَلِي فِيهَا شَاغِلٌ.

قال: فَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ فُقُلْ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الَّذِي دَخَلَ الطَّمَعُ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ لَأَنْتَ فَقَالَ: فَكَيْفَ ذَلِكَ وَوَيْحَكَ! يَدْخُلُنِي الطَّمَعُ وَالصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي قَبْضَتِي وَالْحَلَوُ وَالْحَامِضُ عِنْدِي قَالَ: وَهَلْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصِّ وَالْأَجْرِ وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ وَخَرَّاسًا مَعَهُمُ السَّلَاحُ ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ عَنْهُمْ فِيهَا وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ فِي جَبَايَاتِ الْأَمْوَالِ وَجَمَعَهَا " وَقَوَّيْتَهُمْ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ " وَأَمَرْتَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ نَفَرًا سَمِيْتَهُمْ وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِصْالِ الْمَظْلُومِ وَلَا الْمَلْهُوفِ وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي " وَلَا الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ " إِلَيْكَ وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَهْ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفْرَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَأَثَرْتَهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ وَأَمَرْتَ أَنْ لَا يُحْجَبُوا دُونَكَ تَجْبِي الْأَمْوَالَ وَتَجْمَعُهَا قَالُوا: هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ فَمَا لَنَا لَا نَخُونُهُ فَأَيْتَمَرُوا أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا وَلَا يَخْرُجُ لَكَ عَامِلٌ " فَيُخَالِفُ أَمْرَهُمْ " إِلَّا حَوْنُوهُ عِنْدَكَ وَنَفْوُهُ حَتَّى تَسْقُطَ مِنْزِلَتُهُ فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ أَعْظَمَهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ وَصَاتَعُوهُمْ فَكَانَ أَوْلَى مِنْ صَاتَعَهُمْ عُمَّالُكَ بِالْهِدَايَا وَالْأَمْوَالَ لِيَقْبُووا بِهَا عَلَى ظَلَمِ رِعْيَتِكَ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذَوُو الْمَقْدَرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رِعْيَتِكَ لِيَنَالُوا ظَلَمَ

مَنْ دُونَهُمْ فَامْتَلَأْتُ بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّمْعِ ظُلْمًا وَبَغْيًا وَفُسَادًا وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ فَإِنْ جَاءَ مُتَظَلِّمٌ جِيْلَ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُ.

فَإِنْ أَرَادَ رَفِيعٌ قِصَّتَهُ إِلَيْكَ عِنْدَ ظُهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ تَهَيَّيْتُ عَنْ ذَلِكَ وَوَقَفْتُ لِلنَّاسِ رَجُلًا يَنْظُرُ فِي مَظَالِمِهِمْ فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الْمُتَظَلِّمُ فَبَلِّغْ بِطَانَتِكَ خَبْرَهُ سَأَلُوا صَاحِبَ الْمَظَالِمِ أَنْ لَا يَرْفَعَ مَظَلَمَتَهُ إِلَيْكَ " فَإِنَّ الْمُتَظَلِّمَ مِنْهُ لَهُ بِهِمْ حُرْمَةٌ فَاجَابَهُمْ خَوْفًا مِنْهُمْ " فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ وَيَشْكُو وَيَسْتَعِيثُ وَهُوَ يَدْفَعُهُ فَإِذَا أَجْهَدَ وَأُخْرِجَ ثُمَّ ظَهَرَتْ صَرَخٌ بَيْنَ يَدَيْكَ فَيُضْرَبُ ضَرْبًا مُبْرِحًا يَكُونُ تَكَالُفًا لغيره وَأَيْتٌ تَنْظُرُ فَمَا تُنْكِرُ فَمَا بَقَاءَ الْإِسْلَامِ " عَلَى هَذَا " وَقَدْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَافِرُ إِلَى الصَّيْنِ فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وَقَدْ أَصِيبُ مَلِكُهَا بِسَمْعِهِ قَبِيكِي بَكَاءً شَدِيدًا فَخِثَهُ جُلَسَاؤُهُ عَلَى الصَّبْرِ فَقَالَ أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي لِلْبَلِيَّةِ النَّازِلَةِ بِي وَلَكِنِّي أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِذْ قَدْ ذَهَبَ بِسَمْعِي فَإِنَّ بَصْرِي لَمْ يَذْهَبْ نَادُوا فِي النَّاسِ أَنْ لَا يَلْبَسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مُتَظَلِّمٌ.

ثُمَّ كَانَ يَرْكَبُ الْفَيْلَ طَرَفِي النَّهَارِ وَيَنْظُرُ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا.

فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ بَلَّغْتُ رَأْفَتَهُ بِالْمُشْرِكِينَ هَذَا الْمَبْلُغُ وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ لَا تَغْلِبُكَ رَأْفَتُكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَيَّ شُخَّ نَفْسِكَ فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لَوْلَدِكَ فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الْوَلَدِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مَالُهُ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونَهُ يَدُ شَحِيحَةٍ تَحْوِيهِ فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يُلَطِّفُ بِذَلِكَ الْوَلَدِ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَلَسْتُ الَّذِي تُعْطِي بِلِ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي مِنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لِتَشُدَّ بِهِ السُّلْطَانَ فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي بَنِي أُمِّيَّةٍ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ جَمْعُهُمْ مِنَ الدَّهْبِ وَمَا أَعْدُّوا مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ وَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْمَالَ لِطَلْبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَوَاللَّهِ مَا فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزِلَةٌ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِخِلَافِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ تُعَاقِبُ مَنْ عَصَاكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ فَقَالَ الْمَنْصُورُ: لَا فَقَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الَّذِي حَوَّلَكَ مُلْكَ الدُّنْيَا وَهُوَ لَا يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ وَلَكِنْ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ قَدْ رَأَى مَا عُقِدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ وَعَمَلْتَهُ جَوَارِحُكَ وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِصِرِّكَ وَاجْتَرَحْتَهُ يَدَاكَ وَمَسَّتْ إِلَيْهِ رِجْلَاكَ هَلْ يُعْنِي عَنْكَ مَا شَجَحْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا إِذَا انْتَرَعَهُ مِنْ يَدِكَ وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ قَالَ: قَبِيكِي الْمَنْصُورُ ثُمَّ قَالَ: لِيَتَّبِعِي لَمْ أَحْلُقْ.

وَبِحُكِّ! فَكَيْفَ أَحْتَالُ لِنَفْسِي فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ النَّاسَ أَعْلَامًا يَفْرَعُونَ إِلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَيَبْرَصُونَ بِهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ فَاجْعَلْهُمْ بِطَانَتَكَ يُرْشِدُونَ وَشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِكَ يُسَدِّدُونَ قَالَ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنِّي قَالَ: خَافُوكَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقَتِكَ وَلَكِنْ أَفْتَحْ بَابَكَ وَسَهِّلْ حِجَابَكَ وَانصُرِ الْمَظْلُومَ وَاقْمِعِ الظَّالِمَ وَخُذِ الْقِيَّءَ وَالصَّدَقَاتِ مِنْ جِلِّهَا وَاقْسِمِهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِهَا وَأَنَا ضَامِنٌ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ وَيَسَاعِدُوكَ عَلَى صِلَاحِ الْأُمَّةِ.

وجاء المؤدّنون فسلموا عليه فصلّى وعاد إلى مَجْلِسِه وطَلِبَ الرَّجُلَ فلم يوجد.

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور قال الأوزاعي: دخلت عليه فقال لي: ما الذي بطأ بك عني قلت: وما تريد مني يا أمير المؤمنين قال: الاقتباس منك قلت: يا أمير المؤمنين أنظر ما تقول فإن مكحولاً حدّثني عن عطية بن بسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ بَلَغَهُ عن الله نصيحةً في دينه فهي رحمةٌ من الله سيقت إليه فإن قبلها من الله بشكرو إلا فهي حُجّةٌ من الله عليه ليزداد إثماً ويزداد الله عليه عُصياً " وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا وإن سخط فله السخط ومَنْ كرهه فقد كرهه الله عز وجل لأن الله هو الحق المبين "

ثم قلت: يا أمير المؤمنين إنك تجملت أمانة هذه الأمة وقد عُرضت على السّموات والأرض فأبين أن يحملتها وأشققن منها.

وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس في تفسير قول الله عز وجل: " [لا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا](#) " [لا](#)

قال: الصّغيرة: التّبسم.

والكبيرة: الضحك.

فما ظنك بالقول والعمل فأعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره فقد قال لله: يا صفيّة عمّة محمّد ويا فاطمة بنت محمّد استوهبا أنفسكما من الله فأبى لا أعني عنكما من الله شيئاً.

وكذلك جدك العباس سأل إمارة من النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي عمّ نفسٌ تُحييها خيرٌ لك من إمارة لا تُحْصِيها.

نظراً لعمه وشقيقه عليه من أن يلي فيحيد عن سُنيّه جنّاح بعوضة فلا يستطيع له نفعاً ولا عنه دفعاً.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما من راعٍ يبئث غاشاً لرعيته إلا حرّم الله عليه رائحة الجنّة.

وحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ولما استطاع من عوراتهم ساتراً وبالحق فيهم قائماً فلا يتخوف مُحسنهم منه رهقاً ولا مُسيئهم عدواناً فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدةٌ يستاك بها ويردع المنافقين عنه فاتاه جبريلُ فقال: يا محمد ما هذه الجريدة التي معك انزكها لا تملأ قلوبهم رُعباً.

فما ظنك بمن سفك دماءهم وقطع أبتارهم ونهب أموالهم يا أمير المؤمنين إن المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه يخدش

حَدَّثَهُ، أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدَهُ فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لِمِ يَبْعَثُكَ جَبَّارًا تَكْبِيرَ قُرُونِ أُمَّتِكَ.

واعلم يا أمير المؤمنين أن كلَّ ما في يدك لا يعدلُ شربةً من شرابِ الجنة ولا ثمرةً من ثمارها ولو أن ثوباً من ثياب أهل النار عُلق بين السماء والأرض لأهلك الناسَ رائحته فكيف بمن تقممه! ولو أن دنوباً من " صديد أهل النار " صبَّ على ماء الدنيا لأحّمه فكيف بمن تجرعه! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وُضعت على جبل لأذابته فكيف بمن يسلك فيها ويبرد فضلها على عاتقه! كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك حجّ سليمان بن عبد الملك فلما قدّم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأعرج وعنده ابن شهاب فلما دخل قال: تكلم يا أبا حازم.

قال: فيم أتكلّم يا أمير المؤمنين قال: في المخرج من هذا الأمر قال: يسيّر إن أنت فعلته قال: وما ذاك قال: لا تأخذ الأشياء إلا من جِلها ولا تصعها إلا في أهلها قال: ومن يقوى على ذلك قال: من قلده الله من أمر الرعيّة ما قلده.

قال: عطني يا أبا حازم قال: اعلم أنّ هذا الأمر لم يصِرْ إليك إلا بموت من كان قبلك وهو خارجٌ من يدك بمثل ما صار إليك.

قال: يا أبا حازم أشير عليّ قال: إنما أنت سوق فما نفق عندك حُمِلَ إليك من خير أو شرٍّ فاشتر أيّهما شئت.

قال: مالك لا تأتينا قال: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين إنّ أدبتي فتنتني وإن أقصيتني أخربتني وليس عندك ما أرجوك له ولا عندي ما أخافك عليه.

قال: فارفع إلينا حاجتك قال: قد رفعتها إلى ما من هو أقدّر منك عليها فما أعطاني منها قبيلتُ وما منعتني منها رصيئتُ.

مقام ابن السمّك عند الرشيد دخل عليه فلما وقف بين يديه قال له: عطني يابن السمّك وأوجز.

قال: كفي بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ: " إلى قوله " لِرَبِّ الْعَالَمِينَ " .

هذا يا أمير المؤمنين وعيدٌ لمن طَفّفَ في الكيلِ فما طنّك بمن أخذه كلّ وقال له مرة: عطني وأتي بماء ليشربه فقال: يا أمير المؤمنين لو حُبستُ عنك هذه الشربة أكنت تفديها بمُلكك قال: نعم قال: فلو حُبستُ عنك حُرُوجُها أكنت تفديها بمُلكك قال: نعم " قال " : فما خيرٌ في مُلك لا يساوي شربة ولا بولة.

قال: يا بن السماك ما أحسن ما بلغني عنك! قال: يا أمير المؤمنين إن لي عيوباً لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مؤدّة وإنّي لخائف في الكلام الفينة وفي السرّ العرّة وإنّي لخائف على نفسي من قلة خوفاً عليها.

كلام عمرو بن عبّيد عند المنصور دخل عمرو بن عبّيد على المنصور وعنده ابنه المهديّ فقال له أبو جعفر: هذا ابن أمير المؤمنين ووليّ عهد المسلمين ورجائي أن تدعو له فقال: يا أمير المؤمنين أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول.

فاستعبر أبو جعفر وقال له: عطني أبا عثمان قال: يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها هذا الذي أصبح في يدك لو بقي في يد من كان قبلك لم يصل إليك.

قال: أبا عثمان أعني بأصحابك قال: ارفع علم الحق يتبعك أهله ثم خرج فأبعه أبو جعفر بصرة فلم يقبلها وجعل يقول: كلّمكم يمّشي رويد كلّمكم خاتل صيد غير عمرو بن عبّيد خبر سفيان الثوري مع أبي جعفر لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف وسفيان لا يعرفه قُضِرَ بيده على عاتقه وقال: أتعرفني قال: لا ولكنك قبضت عليّ قبضة جبار.

قال: عطني أبا عبد الله قال: وما عملت فيما علمت فأعطتك فيما جهلت قال: فما يمنعك أن تأتينا قال إن الله نهى عنكم فقال تعالى: " [وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمُ النَّارُ](#) ".

فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى كلام شبيب بن شيبه للمهدي قال العنبي: سألت بعض آل شبيب بن شيبه أتخفظون شيئاً من كلامه قالوا: نعم قال للمهدي: يا أمير المؤمنين إن الله إذ قسم الأقسام في الدنيا جعل لك أسنانها وأغلاها فلا ترض لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضي لك به من الدنيا فأوصيك بتقوى الله فعليكم تزلت ومنكم أخذت وإليكم تردّ.

من كره الموعظة لبعض ما يكون فيها من الغلظ أو الخرق قال رجل للرّشيد: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أعطك بعض الغلظة فاحتملها قال: كلا إن الله أمر من هو خير منك بالآنة القول لمن هو شرّ مني قال لنبيه موسى " عليه السلام " إذ أرسله إلى فرعون: " [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى](#) ".

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ما أحب إن قبلته قال: هات يا أعرابي قال: إني سأطلق لساني بما خرسيت عنه الألسن من عطتك تأديّة لحق الله تعالى وحق إمامتك إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة سلّم للدنيا فلا تأمنهم على ما أئتمنك الله عليه فإنهم لا يألونك خيالاً والأمانة تضييعاً والأمة عسفاً وحسفاً وأنت مسؤول عما أجتروا وليسوا مسؤولين عما أجترحت فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أحسر الناس صفة يوم القيامة وأعظمهم غبناً من باع آخرته بدنيا غيره.

قال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو أحد سيفيك.

قال: أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك.

ووعظ رجل المأمون فأصغى إليه مُنصتاً فلما فرغ قال: قد سمعتُ موعظتك فاسأل الله أن ينفعنا بها وبما عَلِمنا غيرَ أنَّا أحوجُّ إلى المُعَاونة بالفعال مِنَّا إلى المُعَاونة بالمقال فقد كثر القائلون وقلَّ الفاعلون.

العُتْبِيُّ قال: دَخَلَ رجلٌ من عَبْدِ القَيْسِ على أَبِي فَوَعِظَهُ فلما فَرَّغَ قال أَبِي له: لو أُعْظِنَا بما عَلِمْنَا لا تُتَفَعَّنَا بما عَلِمْنَا ولكِنَّا عَلِمْنَا عِلْمًا لَزِمْنَا فِيهِ الحُجَّةَ وَعَقَلْنَا عَقْلًا مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ التَّقِيَّةُ فَوَعِظْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالتَّنْقِيلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمِنْ صَعَرٍ إِلَى كِبَرٍ وَمِنْ صِحَّةٍ إِلَى سَقَمٍ فَأَبِينَا إِلَّا المُقَامَ على العَقْلَةِ وَإِثَارًا لِعَاجِلٍ لَا بَقَاءَ لِأَهْلِهِ وَإِعْرَاضًا عَنْ أَجْلِ إِلَيْهِ المَصِيرِ.

سعد القَصِيرِ قال: دَخَلَ أَناسٌ مِنَ القُرَآئِ على عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَانَ فقالوا: إِنَّكَ سَلَطْتَ السِّيفَ على الحَقِّ ولم تَسَلِطِ الحَقَّ على السِّيفِ وَجِئْتَ بِهَا عَشْوَةَ حَفِيَّةٍ.

قال كَذَّبْتُمْ: بل سَلَطْتَ الحَقَّ وَبِهِ سُلِّطْتَ فَاعْرِفُوا الحَقَّ تَعْرِفُوا السِّيفَ فَإِنَّكُمْ الحَامِلُونَ لَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ أَفْضَلُ وَالوَاضِعُونَ لَهُ حَيْثُ حَمَلَهُ أَعْدَلُ وَنَجِنَ فِي أَوَّلِ زَمَانٍ لَمْ يَأْتِ آخِرُهُ وَآخِرُ دَهْرٍ قَدْ فَاتَ أَوَّلُهُ فَصَارَ المَعْرُوفُ عِنْدَكُمْ مُنْكَرًا وَالمُنْكَرُ مَعْرُوفًا وَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ مَهْلًا قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لِنَفْسِي هَلَا قالوا: فَتَخْرَجُ آمِنِينَ قال: غيرَ رَاشِدِينَ وَلا مَهْدِيِينَ.

جاد قوم سَفَرٌ عَنِ الطَّرِيقِ فَدَفَعُوا إِلَى رَاهِبٍ مُنْفَرِدٍ فِي صَوْمَعَتِهِ فَنَادَوْهُ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَسَأَلُوهُ عَنِ الطَّرِيقِ فقال: ها هُنَا وَأَومَأَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَعَلِمُوا مَا أَرَادَ فقالوا: إِنَّا سَأَلُوكَ قال: سَلُوا وَلا تُكثِرُوا فَإِنَّ النِّهَارَ لا يَرْجِعُ وَالعُمُرَ لا يَعودُ وَالمُتَلَبِّ حَثِيثٌ قالوا: عَلامَ النِّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ قال: على نَبَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ قالوا: إِلَى أَيْنِ المَوْئِلِ قال: إِلَى ما قَدَّمْتُمْ قالوا: أَوْصِنَا قال: تَزَوَّدُوا على قَدَرِ سَفَرِكُمْ فَخَيَّرَ الزَّادَ ما بَلَغَ المَحَلَّ ثُمَّ أَرشَدَهُم الجادَّةَ وَأَنقَمِعَ.

وقال بعضهم: أتيت الشامَ فمررتُ بِدَيْرٍ حَرَمِلَةٍ فَإِذا فِيهِ رَاهِبٌ كَأَنَّ عَيْنِيهِ مَزادَتانِ فَقُلْتُ لَهُ: ما يُبْكِيكَ قال: يا مُسْلِمُ أَبْكِي على ما قَرَّطْتُ فِيهِ مِنْ عُمْرِي وَعَلى يَوْمِ يَمْضِي مِنْ أَجْلِي لَمْ يَحْسُنْ فِيهِ عَمَلِي.

قال: ثم مررتُ بَعْدَ ذلكَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَغَزَا الرُّومَ وَقُتِلَ.

قال أَبُو زَيْدٍ الحِيرِيُّ: قُلْتُ لِثُوبَانَ الرَاهِبِ: ما مَعْنَى لُبْسِ الرُهْبَانِ هَذَا السَّوَادَ قال: هُوَ أَشْبَهُ بلباسِ أَهْلِ المِصائِبِ قُلْتُ: وَكُلُّكُمْ مَعشَرَ الرُهْبَانِ قَدْ أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ قال: يَرْحَمُكَ اللهُ وَهَلْ مُصِيبَةٌ أَعْظَمُ مِنْ مِصائِبِ الذُّنُوبِ على أَهْلِها قال أَبُو زَيْدٍ: فما أَذْكَرُ قولَهُ إِلَّا أَبْكَاني.

حَبِيبُ العَدَوِيِّ عَنِ موسى الأَسْوَارِيِّ قال: قال: لَمَّا وَقَعَتْ الفِئْتَةُ أَرَدْتُ أَنْ أَحْرِزَ دِينِي فَخَرَجْتُ إِلَى الأَهْوَازِ فَبَلَغَ أَزادَمَرْدَ قُدومي فَبِعْتِ إِلَيَّ مَتاعًا فَلَمَّا

أردت الانصراف بلغني أنه ثقيل فدخلت عليه فإذا هو كالحفاش لم يبق منه إلا رأسه فقلت: ما حالك قال: وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويدخل قبراً موجئاً بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ثم خرجت نفسه.

العُتْبِيُّ قال: مررتُ براهبٍ باكِ فقلتُ: ما يُبكيك قال: أمرٌ عَرَفْتُهُ وَقَصَّرْتُ عن طلبه ويومٌ مَضَى من عُمرِي نقص له أَجْلِي ولم يَنْقُصْ له أَمْلِي.

باب كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العُباد: ما أقامكم في الشَّمس قالوا: طَلَبَ الظَّلَّ.

قال علقمَةُ لأسودَ بنِ يزيد: كم تُعَدِّبُ هذا الجسدَ الصَّعيفَ قال: لا تنال الراحة إلا بالتَّعب.

وقيل لآخر: لو رفقت بنفسك قال: الخَيْرُ كُلُّهُ فيما أُكْرِهتَ النفوسُ عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم: حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكاره.

وقيل لمَسروق بن الأجدع: لقد أضرت بيدك قال: كرامته أريد.

وقالت له امرأته قَبْرُوز لما رأته لا يُفطِرُ من صيام ولا يفتِّرُ عن صلاة: ويلك يا مسروق! أما يعبد الله غيرك أما خلقت النار إلا لك قال لها: وبحك يا فيروز! إن طالب الجنة لا يسأم وهارب النار لا ينام.

وسئكت أم الدرداء إلى أبي الدرداء الحاجة فقال لها: تصبري فإن أماننا عَقَبَةٌ كئوداً لا يجاوزها إلا أخفُّ الناسِ حِمْلًا.

ومر أبو حازم بسوق الفاكهة فقال: مَوَّعدك الجنة.

ومرَّ بالجرَّارين فقالوا له: يا أبا حازم هذا لحم سمين فاشتر قال: ليس عندي ثَمَنُهُ قالوا: نُؤخرُك قال: أنا أؤخر نفسي.

وكان رجل من العُباد يأكل الرُّمانَ يقشره ف قيل له: لم تفعل هذا فقال: إنما هو عدوٌّ فاتَّخَنَ فيه ما أمكنك.

وكان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قام للصلاة أخذته رَعْدَةٌ فسئِلَ عن ذلك فقال: وَيَحْكُم! أتدرون إلي من أقوم ومن أريد أن أناجي وقال رجل ليونس بن عُبيد: هل تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن قال: لا والله ولا أحداً يقول بقوله.

وقيل لمحمد بن علي بن الحسين أو لعلي بن الحسين عليهما السلام: ما أقلَّ وَلَدٌ أبيض قال: العجبُ كيف وُلِدْتُ له! وكان يصلي في اليوم واللييلة ألفَ رَكعة فمتى كان يتفرغ للنساء وحجَّ خمسة وعشرين حجَّةً راجلاً.

ولما ضُرب سعيذُ بن المُسيَّب وأقيم للناس له امرأة: " يا شيخ " لقد أقمتم مقام خزية فقال: من مقام الخزية فررتُ.

وشكا الناسُ إلى مالك ابن دينار القحطَ فقال: أنتم تستبطنون المطر وأنا أستبطن الجارة.

وشكا أهل الكوفة إلى الفضيل بن عياض القحطَ فقال: أمدُّ برأ غير الله تريدون.

وذكر أبو حنيفة أيوب السخثانيّ فقال: رحمه الله تعالى ثلاثاً لقد قدّم المدينة مرة وأنا بها فقلت: لأفعدنّ إليه لعلّي أتعلق منه بسقطة فقام بين يدي القبر مَقاماً ما ذكرته إلا اقشعرّ له جدي.

وقيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم قالوا: كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تُفقد.

وكان عطاء أفضس أشلّ أعرج ثم عمي وأمه سوداء تسمى بركة.

وكان الأوقص المخزومي قاضياً بمكة فما رآني مثله في عفاه ورُده فقال يوماً لجلسائه: قالت لي أمي: يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجامع الفئيان عند القيان " إنك لا تكون مع أحدٍ إلا تحطنك إليه العيون " فعليك بالدين فإن الله يرفع به الحسياسة ويطمّ به التقيصة.

فنفعني الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليتُ القضاء.

الفضيل بن عياض قال: اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة فقال مالك بن دينار: ما هو إلا طاعة الله أو النار.

فقال محمد بن واسع: ما هو كما تقول ليس إلا عفو الله أو النار.

قال مالك: صدقت.

ثم قال مالك: إنه يُعجبني أن يكون للرجل مَعيشة على قدر ما يقوته.

قال محمد بن واسع: ولا هو كما تقول ولكن يُعجبني أن يُصبح الرجل وليس له عَداءٌ وُيمسى وليس له عَشَاءٌ وهو مع ذلك راضٍ عن الله.

قال مالك: ما أحوجني إلى أن يُعلّمني مثلك.

جعفر بن سليمان قال: سمعتُ عبد الرحمن بن مَهديّ يقول: ما رأيتُ أحداً أفسف من شعبة ولا أعبد من سُفيان الثوري ولا أحفظ من ابن المبارك وما أحبُّ أن ألقى الله بصحيفة أحدٍ إلا بصحيفة بشر بن منصور مات ولم يدع قليلاً ولا كثيراً.

عبد الأعلى بن حماد قال: دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت فإذا به من السرور في أمر عظيم فقلت له: ما هذا السرور قال: سبحان الله! أخرج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمُعتابين وأقدم على حجّ هارون الرشيد قبله عن عابد بمكة مُجاب الدعوة مُعترل في جبال تهامة فاتاه

هارون الرشيدُ فسأله عن حاله ثم قال له: أوصني ومُرني بما شئت فوالله لا عصيتك.

فسكت عنه ولم يرُدَّ عليه جواباً.

فخرج عنه هارون فقال له أصحابه: ما منعك إذ سألك أن تأمره بما شئت - وقد خلف أن لا يعصيك - أن تأمره بتقوى الله والإحسان إلى رعيته فخط لهم في الرَّمْل: إنِّي أعظمُّ الله أن يكونَ يأمره فيعصيه وأمره أنا فيطيعني.

علي بن حمزة ابن " أخت " سُفيان الثوري قال: لما مَرِضَ سُفيان مَرَضَهُ الذي مات فيه ذهبُ بَبْؤِه إلى دَيْرَانِي فَأَرَبْتُهُ إِيَّاهُ فقال: ما هذا ببول حَنيفِي قلت: بلى والله من خيارهم.

قال: فأنا أذهب معك إليه.

قال: فدخل عليه وجسَّ عِرْقَه فقال: هذا رَجُلٌ قَطَعَ الحُزْنَ كَيْدَهُ.

مُؤرِّق العِجْلِيّ قال: ما رأيتُ أحداً أفقه في وَرَعِه ولا أورَع لا فِقهه من محمد بن سيرين ولقد قال يوماً: ما عَثَيْتُ امرأةً قط في نوم ولا يقظة إلا امرأتي أم عبد الله فإني أرى المرأة في النوم فاعلم أنها لا تجلُّ لي فأصرف بصري عنها.

الأصمعي عن ابن عَوْن قال: رأيت ثلاثة لم أر مثْلهم: محمد بن سيرين بالعراق والقاسم بن محمد بالحجاز ورجاء بن حيوة بالشام.

العُتْبِيّ قال: سمعت أشياخنا يقولون: انتهى الرُّهْدُ إلى ثمانية من التابعين: عامر بن عبد القيس والحسن بن أبي الحسن البَصْرِيّ وهَرَم بن حَبَّان وأبي كيف يكون الزهد العُتْبِيّ يرفعه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الرُّهْدُ في الدنيا قال: أما إنه ما هو بتَّحْرِيم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الرُّهْدُ في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك.

وقيل للرُّهْرِيّ: ما الرُّهْدُ قال: أما إنه ليس تشعيت اللَّمَّة ولا قسفت الهَيْتَة ولكنَّه صرْف النفس عن الشُّهُوَة.

وقيل لآخر: ما الرُّهْدُ في الدنيا قال: أن لا يَغْلِب الحرامُ صَبْرَكَ ولا الحلالُ شُكْرَكَ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله مَنْ أزهْدُ الناس في الدنيا قال مَنْ لم يَنْس المَقَابِر واليَلَى وأثر ما يَبْقَى على ما يَفْنَى وعَدَّ نَفْسَه مع الموتى.

وقيل لمحمد بن واسع: مَنْ أزهْدُ الناس في الدُّنْيَا قال: مَنْ لا يبالي بيَد مَنْ كانت الدنيا.

وقيل للخليل بن أحمد: مَنْ أزهْدُ الناس في الدُّنْيَا قال: مَنْ لم يَطْلُب المَقْفُود حتى يَفْقِد المَوْجُود.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الزهد في الدنيا مِفْتَاحُ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ " والرغبة في الدنيا مِفْتَاحُ الزُّهْدِ فِي الْآخِرَةِ " .

وقالوا: مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ امْرَأَتَانِ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا اسْخَطَتِ الْآخْرَى .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ نَزَعَ اللَّهُ وَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: الزاهد الذي إن أصاب الدنيا لم يفرح وإن أصابته الدنيا لم يحزن يضحك في المَلَا وَيَبْكِي فِي الْخَلَا .

وقال الفُضَيْلُ: أَصْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الرِّضَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى .

▲ ، صفة الدنيا

قال رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا الدُّنْيَا .

قال: مَا أَصِيفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ وَأَخْرُهَا قَنَاءٌ حَلَالُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عِقَابٌ مَنْ أَسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ .

قيل لأرسطاطاليس: صِفْ لَنَا الدُّنْيَا .

فقال: مَا أَصِيفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا قَوْتُ وَأَخْرُهَا مَوْتُ .

وقيل لحكيم: صِفْ لَنَا الدُّنْيَا .

قال: أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَجَلٌ مُطِيلٌ عَلَيْكَ وَشَيْطَانٌ فَتَّانٌ وَأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ الْعِتَا تَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبُ وَتَرْجُوها فَتَخِيبُ .

وقيل لعامر بن عبد القيس: صِفْ لَنَا الدُّنْيَا .

قال: الدُّنْيَا وَالِدَةٌ لِلْمَوْتِ نَاقِضَةٌ لِلْمُبْتَرَمِ مُرْتَجِعَةٌ لِلْعَطِيَّةِ وَكُلُّ مَنْ فِيهَا يَجْرِي إِلَى مَا لَا يَدْرِي .

وقيل لبكر بن عبد الله المُزَنِّيِّ: صِفْ لَنَا الدُّنْيَا .

فقال: مَا مَضَى مِنْهَا فَحُلْمٌ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِيٌّ وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَعْلَبَةَ: صِفْ لَنَا الدُّنْيَا قَالَ: أَمْسُكَ مَذْمُومٌ مِنْكَ وَيَوْمُكَ غَيْرٌ مَحْمُودٌ لَكَ وَعَدُّكَ غَيْرٌ مَأْمُونٌ عَلَيْكَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ .

وقال: الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْآخِرَةُ وَعَدُّ صِدْقٍ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ يَفْصَلُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ .

وقال: الدنيا حَصْرَةٌ حَلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهَا فِيهَا وَمَنْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا كَانَ كَالْأَكِيلِ الَّذِي لَا يَشْبَعُ.

وقال ابن مَسْعُودٍ: لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ صَيِّفٌ عَلَى الدُّنْيَا وَمَالُهَا عَارِيَةٌ فَالصَّيْفُ مُزْتَجِلٌ وَالْعَارِيَةُ مَرْدُودَةٌ.

وقال المسيح عليه السلام: الدنيا لإبليس مَزْرَعَةٌ وَأَهْلُهَا حُرَّاتٌ.

وقال إبليسُ: مَا أَبَالِي إِذَا أَحَبَّ النَّاسُ الدُّنْيَا أَنْ لَا يَعْبُدُوا صَنَمًا وَلَا وَتَّنَا الدُّنْيَا أَفْتَنُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي الدُّنْيَا أُمَّ دَقْرٍ.

والذفر: التتن.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضَّحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ: مَا طَعَامُكَ قَالَ: اللَّحْمُ وَاللَّبَنُ قَالَ: ثُمَّ إِلَى مَاذَا يَصِيرُ قَالَ: يَصِيرُ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَرَبٌ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مِثْلًا لِلدُّنْيَا.

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه: اتَّخَذُوا الدُّنْيَا قَنْطَرَةً فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا.

وفي بعض الكتب: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا: مَنْ خَدَمَنِي فَاحْدُمِيهِ وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتخدمِيهِ.

وقيل لُتُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا الْبَشَرِ وَيَا طَوِيلَ الْعُمُرِ كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا قَالَ: كَبَيْتٍ لَهَا بَابَانِ دَخَلْتُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَخَرَجْتُ مِنَ الْآخَرِ.

وقال لُقْمَانُ لابنه: إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِيضٌ قَدْ هَلَكَ فِيهِ الْأَوْلَادُ وَالْآخِرُونَ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ تَقْوَى اللَّهِ وَعِدَّتَكَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَزَادَكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فَإِنْ نَجَوْتَ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ هَلَكْتَ فَبِذَنْبِكَ.

وقال محمد بن الحنفية: مَنْ كَرُمْتَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا.

وقال: إِنَّ الْمُلُوكَ حَلَّلُوا لَكُمْ الْحِكْمَةَ فَخَلُّوا لَهُمُ الدُّنْيَا.

وقيل لمحمد بن واسع: إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالذُّونِ قَالَ: إِنَّمَا رَضِيَ بِالذُّونِ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا.

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين: أَنَا الَّذِي كَفَأْتُ الدُّنْيَا عَلَيَّ وَجْهَهَا فَلَيْسَ لِي زَوْجَةٌ تَمُوتُ وَلَا بَيْتٌ يَحْرَبُ.

شكا رجل إلى يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَجَعًا يَجِدُهُ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذِهِ دَارٌ لَا تَوَافِقُكَ فَالْتَمِسْ لَكَ دَارًا تُوَافِقُكَ.

لقي رجلٌ رَاهِبًا فَقَالَ: يَا رَاهِبَ صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ: الدُّنْيَا تُخَلِّقُ الْأَبْدَانَ وَتُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَتَبَاعِدُ الْأُمِّيَّةَ وَتُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ قَالَ: فَمَا حَالُ أَهْلِهَا قَالَ مَنْ ظَفَرَ بِهَا تَعَبَ وَمَنْ قَاتَنَتْهُ نَصَبَ قَالَ: فَمَا الْغِنَى عَنْهَا قَالَ: قَطَعُ الرَّجَاءَ مِنْهَا قَالَتْ:

فأين المَخْرَج قال: في سُلوك المَنْهَج قال: وما ذاك قال بَدَل المجهود والرِّضا بالمَوْجود.

قال الشاعر: ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبها فحيثما انقلبت يوماً به انقلبوا يُعظّمون أcha الدنيا وإن وَتَبَت يوماً عليه بما لا يَشْتَهِي وَثَبُوا وقال آخر: يا خاطَب الدنيا إلى نفسه تَنَحَّ عن خطبتها تَسَلِّم إنَّ التي تَخَطُبُ عَرَازَةَ قَريبَهُ العُزْس من الماتَم داود بن المُحَبَّر قال: أخبرنا عبدُ الواحد بن الخطاب قالت: أقبلنا قافلين من بلاد الروم حتى إذا كُنَّا بين الرُّصافة وحمص سمعنا صوتاً من تلك الجبال تسمعه أذاننا ولا تُبصره أبصارنا يقول: يا مَسْئوريا مَحْفُوظ انظر في سترٍ مَن " وحِفظ مَن " أنت إنما الدنيا سَنُوك فانظر أين تَصَع قدميك منها.

وقال أبو العتاهية: رَضيت بذي الدنيا كَكُلِّ مُكاثِرٍ مُلِحٍّ على الدنيا وكلِّ مُفَاخِرٍ أَلْمَ تَرَهَا تَسْقِيهِ حتى إذا صَبَا قَرَّتْ خَلَقَهُ منها بِشْفَرَةٍ جازر " ولا تَعْدُلُ الدنيا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لدى الله أو مَقْدَارَ نَعْبَةٍ طَائِرٍ " فَلَم يَرِضَ بالدنيا ثواباً لِمُؤْمِنٍ ولم يَرِضَ بالدنيا عِقَاباً لِكافِرٍ وقال أيضاً: هي الدنيا إذا كَمَلْتُ وَتَمَّ سِرُّوْها حَذَلْتُ وَتَفَعَل في الذين بَقُوا كما فيمَن مَضَى فَعَلت وقال بعضُ الشعراء يَصِفُ الدنيا: لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلة ما بعدها متحوِّلاً فساخِطُ أَمْرٍ لا يَبْدُلُ غَيْرَهُ وَرَاضٍ بِأمرٍ غَيْرِهِ سَبِيدُ وقال هارون الرشيد: لو قِيلَ للدنيا صِفي لنا نفسك وكانت مَمَّن يَنْطِقُ ما وَصفت نفسها بأكثر من قول أبي نُواس: إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكشَّفت له عن عَدُوٍّ في ثِيابِ صديقٍ وما الناسُ إلا هالكٌ وابن هالكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكين عَرِيقٌ وقال آخر في صفة الدنيا: قَرُحْنَا وِراحَ السَّامِتُونَ عَشِيَّةً كَأَنَّ عَلَيَّ أَكْتافِنا فَلَقِ الصَّخْرَ لِحا اللهُ دُنيا يَدْخُلُ النارَ أَهلها وَتَهْتِكُ ما بين الأَقاربِ من سِترٍ ولأبي العتاهية: كَلِّنا يُكثِرُ الملامَةَ لِدُنيا يا وكل يَحِبُّها مَفْتُونٌ والمقاديرُ لا تَناءُلُها الأُوْهام لُطفاً ولا تَراها العُيونُ ولِرِكبِ القِناءِ في كلِّ يومٍ حَرَكَاتٍ كَأَنَّهُنَّ سُكُونٌ ومِن قولنا في وصف الدنيا: ألا إنما الدُّنيا نِصارَةٌ أَيْكَةٍ إذا اخضَرَ منها جانبٌ جَفَّ جانبٌ هِيَ الدَّارُ ما الأَمالُ إلا فَجائِعٌ عليها ولا اللَدائِثُ إلا مِصائِبُ فلا تَكْتَحِلُ عَيْنُكَ فيها بِعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنكِ ذاهبٌ وقال أبو العتاهية: أَصْبَحْتُ الدنيا لنا فَتَنَةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ على ذَلِكا قَدِ أَجْمَعَ الناسُ على دَمِّها ولا أرى منهم لها تارِكا وَقَالَ إبراهيم بن أدهم: تُرَقِعُ دُنيانا بِتَمزِيقِ دِيننا فلا دِيننا يَبقى ولا ما تُرَقِعُ وما سَمِعْتُ في صفة الدنيا والسبب الذي يُحِبُّها الناسُ لِأجله يابُلُغُ من قول القائل: نِراعٌ يَذْكَرُ المَوْتَ في حينِ ذِكرِهِ وَتَعْتَرِضُ الدنيا فَتَلْهُو وتَلْعَبُ ونحن بُنُو الدُّنيا حُلِفْنا لَعَبِها وما كُنْتَ منه فهو شيءٌ مُحِبِّبٌ فَذَكَرَ أن الناسَ بَنُو الدنيا وما كان الإنسانُ منه فهو مُحِبِّبٌ إِلَيْهِ.

واعلم أنَّ الإنسانَ لا يُحِبُّ شيئاً إلا أن يُجائِسَهُ في بعض طَبائِعِهِ وَأَنَّ الدنيا جائَسَتِ الإنسانَ في طَبائِعِهِ كُلِّها فَأَحَبُّها بِكُلِّ أَطرافِهِ.

وقال بعض ولد ابن شُبْرمة: كُنْتُ مع أبي جالِساَ قَبْلَ أن يَلِيَ القِضاءَ فَمَرَّ به طارِقٌ مِن أبي زيادٍ في مَوْكَبٍ نَبيلٍ فلما رَأاهُ أَبِي تَنَقَّسَ الصُّعَداءُ وقال: ثم قال: اللهم لي دِيني ولهم دُنياهم.

فلما ابتلى بالفُضاء قلتُ: يا أبتِ أتذكر يومَ طارق فقال: يا بُني إنهم يجدون حَلْفاً مِن أبيك وإنَّ أباك لا يجد حَلْفاً منهم إنَّ أباك حَظَب في أهوائهم وأكل من حَلوائهم.

وقال الشَّعبي: ما رأيتُ مَثَلنا ومثِلَ الدُّنيا إلا كما قالت كُتَيْب عَزَّة: أسيئي بنا أو أحسني لا مَلومةَ لَدِينا ولا مَقْلِيَّةَ إن تَقَلتِ وأحكمتِ بيتَ قيل في تَمثيلِ الدُّنيا قولُ الشاعِر: وَمَن يَأْمَنِ الدُّنيا يَكُن مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِثَهُ فُرُوحُ الْأَصَابِعِ وَحَدَّثَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْقَرَجِ الرَّيَّاشِي قَالَ: رَأَيْتُ الْأَصْمَعِيَّ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ وَيَسْتَحْسِنُهُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا: مَا عَذْرُ مُرْضِعَةٍ بِكَاسِ الْمَوْتِ تَقْطِمُ مَن عَدَّتْ وَلَقَطَهْرِيَّ بْنِ الْفُجَاءَةِ فِي وَصْفِ الدُّنْيَا حُطْبَةً مَجْرَدَةً تَقَعُ فِي جَمَلَةِ الْحُطْبِ فِي كِتَابِ الْوَاسِطَةِ.

قولهم في الخوف سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْخَائِفِينَ لِلَّهِ فَقَالَ: هُمُ الَّذِي صَدَّقُوا اللَّهَ فِي مَخَافَةِ وَعَيْدِهِ فَقُلُوبُهُمْ بِالْخَوْفِ قَرِيبَةٌ وَأَعْيُنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَكْبَرِ دُمُوعِهِمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ يَقُولُونَ: كَيْفَ تَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَامِنَا وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا وَعَلَى جِهَتِهِمْ طَرِيقُنَا وَبَيْنَ يَدَيْ رَبِّنَا مَوْقِفُنَا.

وقال عليٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: أَلَا إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً مُخْلِصِينَ كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَكَهَيِّبُوا وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شَرُّوهُمْ مَأْمُونَةٌ وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَلِيلَةً لِعُقُوبِي رَاحَةً طَوِيلَةً أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ: رَبَّنَا رَبَّنَا يَطْلُبُونَ فَكَاكَ قُلُوبِهِمْ: وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ بَرَّةٍ أَتْقِيَاءُ كَانَهُم الْقِدَاحُ - الْقِدَاحُ: السِّهَامُ يَرِيدُ فِي ضَمِّرَتِهَا - يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَقُولُ: مَرَضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ: حَوْلَطُوا وَلَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

وقال منصور بن عَمَّارٍ فِي مَجْلِسِ الزُّهْدِ: إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مِثَالاً بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عَلَاقٍ الدُّنْيَا فَهَمُ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ قَدْ تَصَحَّحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَافْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِبِهِمْ يَنَاجُونَ ذَا الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظْمَةَ وَدَخَلَ قَوْمٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعُودُونَهُ فِي مَرَضِهِ وَفِيهِمْ شَابٌّ ذَابِلٌ نَاجِلٌ.

فقال له عُمر: يا فتى ما بلغ بك ما أرى قال: يا أمير المؤمنين أمراض وأسقام.

قال له عمر: لَتَصُدَّقَنِي.

قال: بلى يا أمير المؤمنين دُقت يوماً حلاوة الدنيا فوجدتها مُرَّةً عواقبها فاستوى عندي حَجْرُهَا وَدَهْيُهَا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّنَا بَارِزاً وَإِلَى النَّاسِ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَاطْمَأْثُ تَهَارِي وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَقَلِيلٌ كُلُّ مَا أَنَا فِيهِ فِي جَنبِ ثَوَابِ اللَّهِ وَخَوْفِ عِقَابِهِ.

وقال ابنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ: بَلِّغْنِي فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " إِلَّا مَنْ أَمَّنَ اللَّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ " الَّذِي يَلْقَى رَبَّهُ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ.

فبكى وقال: ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا التفسير.

وقال الحسن: إِنَّ خَوْفَكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ خَيْرٌ مِنْ أَمْنِكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ.

وقال: ينبغي أن يكون الخوفُ أغلبَ على الرجاءِ فإنَّ الرجاءَ إذا غلبَ الخوفَ فسَدَ القلبُ.

وقال: عجباً لمن خافَ العقابَ ولم يكف ولمن رجا الثوابَ ولم يعمل.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لرجل: ما تصنع فقال: أرجو وأخاف قال: من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه.

وقال الفضيل بن عياض: إني لأستحي من الله أن أقول: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَوْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ مَا خِفْتُ وَلَا رَجَوْتُ غَيْرَهُ.

وقال: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

وقال: وعُد وقال عمر بن دَرّ: عبادَ الله لا تَغْتَرُّوا بِطُولِ جَلْمِ اللَّهِ وَاحْذَرُوا أَسْفَهُ فَإِنَّهُ قَالَ عَرٌّ وَجَلٌّ: " فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَحْمَعِينَ.

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ " .

وقال محمد بن سلام: سمعت يونس بن حبيب يقول: لا تأمن من قَطع في خمسة دراهم أشرف عُضو فيك أن تكون عُقوبته في الآخرة أضعاف ذلك.

وقال الربيع بن خثيم: لو أَنَّ لِي بَفْسَيْنِ إِذَا عَلِقَتْ إِحْدَاهُمَا سَعَتِ الْآخَرَى فِي فَكَاكِيهَا وَلَكِنهَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فَإِنِ أَنَا أَوْثِقْتُهَا مَنْ يَفْكُهَا وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ طَالَ فِي الْآخِرَةِ عَمُّهُ وَمَنْ أَخْلَفَ الْوَعِيدَ لَهَا عَمَّا يُرِيدُ وَمَنْ خَافَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ضَاقَ دَرْعًا بِمَا فِي يَدَيْهِ.

وقال محمود الوراق: يا غافلاً تَرْنُو بَعِيَّتِي رَاقِدٌ وَمُسَاهِدًا لِلأَمْرِ غَيْرَ مُسَاهِدٍ تَصِلُ الذُّنُوبُ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي عَرَكَ الْجَنَانِ بِهَا وَقَوَّرَ الْعَابِدَ وَنَسِيَتْ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ وَقَالَ نَابِغَةُ بِنْتِ شَيْبَانَ: إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرَ خَالِي كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا تَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا بِنَارٍ يُرْجَى لِلْمُحْسِنِ وَيُخَافُ عَلَيْهِ وَيَخَافُ عَلَيْهِ الْمُسِيءُ وَيُرْجَى لَهُ.

وفي الحديث المرفوع: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ وَالنَّاسُ يَعَيِّرُونَ وَلَا يَغْفِرُونَ.

وفي حديث آخر: لا تُكْفِّرُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ.

وَتُوَفِّي رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ فَرَفَعَ بِرَأْسِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: مَا يَبْكِيَكُمَا قَالَا: تَبْكِي لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ قَالَ: لَا تَبْكِيَا فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ الَّذِي بِيَدِ اللَّهِ مِنْ أَمْرِي بِأَيْدِيَكُمَا ثُمَّ مَاتَ.

فأتى جبريلُ عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن فتى تُوقى اليومَ فأشَّهده بأنه من أهل الجنة.

فسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا: ما عَلِمنا عنده شيئاً من خَيْرٍ إلا أنه قالَ لنا عند الموت كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مِن ها هنا أوتي إنَّ حُسْنَ الظنِّ بالله من أفضل العمل عنده.

وَتُوقِي رجل بجوار ابن ذرِّ وكان مُسرفاً على نفسه فتحامى الناسُ من جنازته وبلغ ذلك عُمَرَ بن ذرِّ فأوصى أهله: إذا جهزتموه فأذُنوني ففعلوا فَشَّهَدَهُ والناسُ معه فلما أَدْلِي وَوَقَفَ على قبره فقال: رَحِمَكَ اللهُ أبا فلان فلقد صَحَبْتُ عُمَرَكَ بالتَّوْحِيدِ وَعَقَّرْتُ وَجْهَكَ لِلَّهِ بالسُّجُودِ فَإِنْ قالوا مُذْنِبٌ وذو خَطايا فمِنَّا غيرُ مُذْنِبٍ و " غير " ذي خَطايا هُوَ المَوْتُ لا مَنجى من الموت والذي يُحاذِرُ بعد الموت أنْكَى وَأَقْطَعُ ثم قال: اللَّهُمَّ فَأَقِل العَثْرَةَ وَاغْفُ عن الرِّثْلَةَ وَعُدِّ بِحِلْمِكَ على جهل من لم يَرْجُ غيرَكَ ولم يَثِقُ إلا بك فإنك واسع المَغْفِرَةِ.

يا رب أين لذي الخطأ مَهْرَبٌ إلا إليك.

قال داود بن أبي هُند: فبلغني أنَّ سعيد بن المُسَيَّب قال حين بلغه ذلك: لقد رغب إلى مَنْ لا مَرغَب إلا إليه كَرَّهاً وإني أرجو من الله له الرحمة "

الأصمعي قال: سمعتُ أعرابياً يقول في دُعائه وأبتهاله: إلهي ما توهمتُ سَعَةَ رحمتك إلا وكانت نَعْمَةً عَفُوك تَفَرِّع مسامعي: أن قد عَقَّرْتُ لك.

فصَدَّقَ ظني بك وَحَقَّقَ رجائي فيك يا إلهي.

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت: وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بِجَمِيلِ الظنِّ ما اللَّهُ صانِعُ قولهم في التوبة مرَّ المسيح " بن مَرِيمٍ " عليه السلام بِقَوْمٍ من بني إسرائيل يَبْكون فقال لهم: ما يُبكيكم قالوا: تَبْكي لذنوبنا قال: اتركوها تُعْفَرْ لكم.

وقال عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: عجباً لِمَنْ يَهْلِكُ ومعه النجاة! قيل له: وما هي قال: التوبة والاستغفار.

وقالوا: كان شابٌّ من بني إسرائيل قد عَبدَ الله عشرين حِجَّةً ثم عصاه عشرين حجةً فبينما هو في بيته يتراءى في مرآته نَظَرَ إلى الشَّيْبِ في لِحْيته فسَاءَهُ ذلك فقال: إلهي أطعْتُكَ عشرين سنةً وَعَصَيْتُكَ عشرين سنةً فإن رجعتُ إليك تَقْبَلْني فَسَمِعَ صوتاً من زاوية البيت ولم ير شَخْصاً: أَحَبَبْنَا فَأَحَبَّبْنَاكَ وَتَرَكْنَا فتركناك وَعَصَيْتْنَا فَأَمَهَلْنَاكَ وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْنَا قَبَلْنَاكَ.

عبد الله بن العلاء قال: خَرَجْنَا حُجَّاجاً من المدينة.

فلَمَّا كُنَّا بِالْحُلَيْفَةِ نَزَلْنَا فَوَقَّفَ عَلَيْنَا رجلٌ عليه أثوابٌ رَثَّةٌ له منظر وهَيْئَةٌ فقال: مَنْ يَبْغِي خادماً مَنْ يَبْغِي ساقياً مَنْ يَمْلَأُ قِرْبَةً أو إِداوَةَ فقلنا: دونك هذه القِرْبُ فاملأها.

فأخذها وانطلق فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طيناً
فَوَضَعَهَا وَهُوَ كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ثُمَّ قَالَ: لَكُمْ غَيْرُ هَذَا قَلِينَا: لَا وَأَطَعَمْنَا
قَارِصًا حَازِرًا فَأَخَذَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ ثُمَّ اعْتَرَلَ وَقَعَدَ يَأْكُلُ أَكْلَ جَائِعٍ
فَأَدْرَكْتَنِي عَلَيْهِ الرَّقَّةُ فَقِمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ وَقَلْتُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ
يَقَعْ مِنْكَ الْقَارِصُ مَوْقِعًا فِدُونِكَ هَذَا الطَّعَامَ فَكَلَهُ.

فَتَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ قَوْرَةٌ هَذِهِ النَّارُ قَدْ أَطْفَأْتُهَا
وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى بَطْنِهِ.

فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيتُ من هيئته.

فقال لي رجلٌ كان إلى جانبي: أتعرفه قلت: ما أعرفه قال: هذا رجل من
بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتأب وخرج
منها فقعد وما يعرف له أثر.

فأعجبني قوله ثم لحقتُ به وناشدته الله وقلتُ له: هل لك أن تعادلني فإن
معي فضلاً من راحلتي وأنا رجل من بعض أخوالك فجزاني خيراً وقال: لو
أردت شيئاً من هذا لكان لي مُعداً ثم أنس إليّ وجعل يحدثني وقال: أنا رجلٌ
من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبرٍ شديدٍ وجبروتٍ وبدخٍ وإني
أمرتُ خادماً أن تحشو لي فراشاً ومخدةً من حريرٍ بورٍ تثير ففعلتُ فإني
لنائم إذ أيقظتني قمعٌ ورّدة أغفلته الخادم فقمْتُ إليها فأوجعتها ضرباً.

ثم عُدتُ إلى مصجعي بعد أن خرج ذلك القمع من المخدة فأتاني آتٍ في
منامي في صورة قطيعة فتهرني وررتني وقال: أفق من عشيّك وأبصر من
جبرتك ثم أنشأ يقول: يَا خَدُّ إِيَّاكَ إِنْ تُوسِدْ لَيْتَا وَسِدْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمٌّ
الْجَنْدَلِ فَاْمَهْدُ لِنَفْسِكَ صَالِحاً تَنْجُو بِهِ فَلْتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَانْتَبَهُتْ قَزِعًا
وخرجتُ من ساعتِي هارِباً بِيَدَيْنِي إِلَى رَبِّي.

وقالوا: علامة التوبة الخروج من الجهل والندم على الذنب والتجافي عن
الشهوة وترك الكذب والانتهاة عن خلق السوء.

وقالوا: التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأولُ التوبة الندم.

ومن قولنا في هذا المعنى: يَا وَيْلَانَا مِنْ مَوْقِفِي مَا بِهِ أَخَوْفٌ مِنْ أَنْ يَعْدِلَ
الْحَاكِمُ يَا رَبِّ عَفْرَانِكَ عَنْ مُذْنِبِ اسْرَفٍ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ:
فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا " :
إِنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا يَتَوَيُّ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ.

وقال ابن عباس في قول الله عز وجل " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ يَحْهَالَةَ ثُمَّ تَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ " : إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَرْكَبُ ذَنْبًا وَلَا يَأْتِي
فَاحْشَةً إِلَّا وَهُوَ جَاهِلٌ.

وقوله: " ثُمَّ تَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ " قال: كُلُّ مَا كَانَ دُونَ الْمُعَايِنَةِ فَهُوَ قَرِيبٌ
وَالْمُعَايِنَةُ أَنْ يُوَحِّدَ بِكَظْمِ الْإِنْسَانِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: " إِذَا حَصَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ
إِنِّي تُتُّ الْآنَ " .

قال أهل التفسير: هو إذا أُخذ بكظمة.

وقال ابن شُبْرُمة: إني لأعجب ممن يَحْتَمِي مخافة الضرر ولا يدعُ الذنوبَ مخافة النار.

▲ المبادرة بالعمل الصالح

قال الله عزَّ وجلَّ: " وَيَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَنَّةٍ " وقال تعالى: " وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ".

وقال الحسن: بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل فإنَّ لكم ما أمضيتم لا ما أبقيتم.

وقالوا: ثلاثة لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح ودفن الميت وإنكاح الكفء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ابن آدم أغنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وقراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك.

وقال الحسن: " ابن آدم " ضمَّ قبل أن لا تقدِّر على يومٍ تصومه كأنك إذا ظمئتَ لم تكن رويتَ وكأنك إذا رويتَ لم تكن ظمئتَ.

وكان يزيد الرقاشي يقول: يا يزيدُ مَنْ يصوم عنك أو يُصَلِّي لك أو يتَرَضَّى لك ربك إذا ميتٌ وكان خالدُ بن معدان يقول: إذا أنت لم تزرع وأبصرتَ حاصداً تدمتَ على التفريط في زمن البذر وقال ابن المبارك: ركبتُ مع محمد بن النَّضر في سفينة فقلتُ: بأي شيء أَسْتَجِرُّ منه الكلامَ فقلتُ له: ما تقول في الصَّوم في السفر فقال: إنما هي المبادرة يا بن أخي.

فجاءني والله بفُتيا غير فُتيا إبراهيم والشعبي.

ومن قولنا في هذا المعنى: بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخِصَاءِ مُجْتَهِداً والموتِ وَبِحِكِّ لم يَمَدِّ إليك يَدَا وأرقبُ من الله وَعَدَاً لَيْسَ يُخْلِفُهُ لا بُدَّ لله من إنجاز ما وَعَدَا وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: فيم أنتم قالوا: تَرَجُّو وَتَخَاف قال: مَنْ رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هَرَب منه.

تَرَجُّو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ مَسَالِكهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ وقال آخر: اعْمَل وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَدَرٍ وَأَعْلِمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ واعلم بأنك ما قَدَّمْتَ من عَمَلٍ يُحْصَى عَلَيْكَ وما خَلَّفْتَ مَوْرُوثٍ وَقَدَّمْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم صَحْفَةً فيها جُبْزٍ شَعِيرٍ وقطعة من كَرِشٍ وقالت: يا رسولَ الله دَبَّحْنَا اليومَ شاةً فما أَمْسَكْنَا منها غيرَ هذا فقال: بل كلها أَمْسَكْتُمْ غيرَ هذا.

العجز عن العمل قال رجلٌ لِمُؤرِّقِ العِجْلِي: أشكو إليك نفسي إنها لا تُريد الصلاة ولا تَسْتَطِيع الصبرَ على الصَّيام قال: بئس الثناء أثنت به على نفسك

فإذا ضَعَفَتْ عن الخير فاصْغَفْ عن الشرِّ فإنَّ الشاعر قال: احْزَنْ عَلَيَّ أَنْكَ لَا تَحْزَنْ وَلَا تُسِئْ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ وَاضْعُفْ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعَى ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمَكِّنُ وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: اجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ فَإِنْ قَصَرَ بِكُمْ ضَعْفٌ فَاْمَسْكُوا عَنِ الْمَعَاصِي.

وقال الحسنُ رحمه الله: من كان قوياً فليعتمد على قوته في طاعة الله ومن كان ضعيفاً فليتكف عن معاصي الله.

وقال عليُّ " بن أبي طالب عليه السلام: " لَا تَكُنْ كَمَنْ يَعْجِزُ عَنِ شُكْرِ مَا أُوتِيَ وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ وَيَبْهَى النَّاسَ وَلَا يَنْتَهِي.

وكان الحسنُ إذا وَعَظَ يقول: يا لها موعظةً لو صادفت من القلوب حياةً أَسْمَعَ حَسِييساً وَلَا أَرَى أَنْيساً ما لهم تَفَاقَدُوا عَقُولَهُمْ فَرَأَشِ نَارَ وَدُبَابِ طَمَعٍ.

وكان ابن السَّمَاكِ إذا فَرَّغَ مِنْ مَوْعِظَتِهِ يقول: أَلْسِنَةَ تَصِفُ وَقُلُوبَ تَعْرِفُ وَأَعْمَالَ تَخَالِفُ.

وقال: الحسنة نورٌ في القَلْبِ وَقُوَّةٌ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: يَا أَيُّهَا الْمَشِيخَةُ الَّذِينَ لَمْ يَتْرَكُوا الذُّنُوبَ حَتَّى تَرَكَهُمْ الذُّنُوبُ ثُمَّ ظَنُّوا أَنَّ تَرَكَهَا لَهُمْ تَوْبَةٌ وَلَيْتَهُمْ إِذْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ لَمْ يَتَمَنَّوْا عَوْدَهَا إِلَيْهِمْ.

وكان مالكُ بن دينار يقول: ما أشدَّ فِطَامَ الْكَبِيرِ وَيُنْشِدُ: وَتَرَوْضَ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرَمْتَ وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةَ الْهَرَمِ وَمِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ وَصَّاحٍ قَالَ: إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَتُبْ مَسْحَ إِبْلِيسَ بِيَدِهِ عَلَيَّ وَجْهَهُ وَقَالَ: يَا أَبِي وَجْهَهُ لَا أَفْلَحَ أَبَدًا.

قال الشاعر: فإذا رأى إبليسُ عُزْرَةَ وَجْهَهُ حَيَاً وَقَالَ قَدِيثٌ مِنْ لَا يُفْلِحُ وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: أَبَا سَعِيدٍ أَرَدْتُ أَنْ أَصْلِيَ فَلَمْ أَسْتَطِعْ قَالَ: قَيِّدْكَ ذَنْبُكَ.

قولهم في الموت قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوانُ الله عليه: ما عندك من ذِكْرِ الْمَوْتِ أَبَا حَفْصٍ قَالَ: أُمْسِي فَمَا أَرَى أَنِّي أَصْبِحُ وَأَصْبِحُ فَمَا أَرَى أَنِّي أُمْسِي قَالَ: الْأَمْرُ أَوْشَكَ مِنْ ذَلِكَ أَبَا حَفْصٍ أَمَا إِنَّهُ يَخْرُجُ عَنِّي نَفْسِي فَمَا أَرَى أَنَّهُ يَعُودُ إِلَيَّ.

وقال عبد بن شدَّاد: أرى داعي الموت لا يُفْلِعُ و " أرى " مَنْ مَضَى لَا يَرْجِعُ وَمَنْ بَقِيَ فَإِلَيْهِ يَنْزِعُ.

وقال الحسن: ابن آدم إنما أنت عدَدٌ فَإِذَا مَضَى يَوْمُكَ فَقَدْ مَضَى بَعْضُكَ.

وقال أبو العتاهية: الناس في عَقَلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَةِ تَطْحَنُ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ اكَتَفَى بِالْيَسِيرِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْكَلَامَ عَمَلٌ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُ.

وكان أبو الدَّرْدَاءِ إِذَا رَأَى جِنَّازَةً قَالَ: اغْدِي فَإِنَّا رَائِحُونَ أَوْ رُوحِي فَإِنَّا غَادُونَ.

وقال رجل للحسن: مات فلانُ فجأة فقال: لو لم يمُتْ فجأةً لَمَرِضَ فجأةً ثم مات.

وقال يعقوب صلواتُ الله عليه للتبشير الذي أتاه بقميص يوسف: ما أذري ما أتيتك به ولكن هون الله عليك سكرات الموت.

وقال أبو عمرو بن العلاء: لقد جَلَسْتُ إلى جَرِير وهو يُملي على كاتبه: وَدَّعَ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَجِيلٌ ثم طلعت جِنَارُهُ قَامَسِكَ وقال: سَيَّبَنِي هذه الجنائز قلت: قَلِمَ تَسُبُّ النَّاسَ قال: يَبْدَءُونِي ثم لا أعفو وأعتدي ولا أبتدي.

ثم أنشد يقول: تُرَوِّعُنَا الْجِنَائِرُ مُفِيلَاتٍ فَتَلْهُو حِينَ تَذْهَبُ مُدْبِرَاتٍ كَرَوِّعَةَ هَجْمَةٍ لِمُغَارٍ سَبْعٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ وَقَالُوا: مَنْ جَعَلَ الْمَوْتَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ لَهَا عَمَّا فِي يَدَيْهِ.

وقالوا: اتخذ نوحٌ بيتاً من حُصٍّ فقيل له: لو بنيت ما هو أحسن من هذا قال: هذا كثيرٌ لمن يموت.

وأحكم بيتٍ قالته العربُ في وَصْفِ الموت بيتُ أمية بن أبي الصَّلْتِ حيث يقول: يُوشِكُ مَنْ قَرِ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَاتِهِ يُوَأْفِقُهَا مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَاتِهَا وَقَالَ إِصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ: كَانَ بَنَجْرَانَ عَابِدٍ يَصِيحُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صِيحَتَيْنِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ: قَطَعَ الْبَقَاءُ مَطَالِعَ الشَّمْسِ وَعُدُّوْهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمَسِّي وَطَلُوعُهَا حَمْرَاءَ قَانِيَةٍ وَعُرُوبُهَا صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ الْيَوْمِ يُخْبِرُ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِفَضْلِ قَصَائِهِ أَمْسَ قَالَ آخِرُ: زِينَتُ بَيْتِكَ جَاهِلًا وَعَمَرْتَهُ وَلَعَلَّ غَيْرَكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ سَائِرَةً بِهِ فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِالْمَوْتِ وَالْمَرْءُ مُرْتَهَنٌ بِسَوْفٍ وَلَيْتَنِي وَهَلَاكُهُ فِي السَّوْفِ وَاللَّيْتُ لِلَّهِ دَرٌّ فَتَى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ فَعَدَا وَرَاحَ مُبَادِرَ الْفَوْتِ كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا قَدْ بَكَوْا أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بُكُوا الدُّنْيَا لَمَنْ بَعْدَهُمْ وَدَّهَمَ لَوْ قَدَّمُوا مَا يَرَكُوا كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوقَةٍ وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكُوا وَقَالَ الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ: أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيْرَ كَرُّ الْعِدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ إِذَا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٍ قَتِي نُرُوحٍ وَتَعَدُّوْا لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةً مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ عَدِيِّ بْنِ رَيْدٍ: أَبَانَ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهَا وَتَمُودَ بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْأَسِيرَةِ وَالْآنَ مَا طِ أَفْضَتْ إِلَى التُّرَابِ الْخُدُودِ وَصَحِيحُ أَمْسَى يَعودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَدْنَى لِلْمَوْتِ مِمَّنْ يَعودُ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَعِيدُ كَانَ قَدْ صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا هُنَاكَ بِمَا لَدَيَّا كَانَ الْبَاكِيَاتِ عَلَيَّ بِوَمَا وَلَا يُغْنِي الْبَكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا ذَكَرْتُ مَنِيَّتِي فَنَعَمْتُ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَحِيكَ يَا أَحْيَا وَقَالَ: سَتَخْلُقُ جِدَّةً وَتَجُودَ حَالٌ وَعِنْدَ الْحَقِّ يَخْتَبِرُ الرِّجَالَ وَاللُّدُنْيَا وَدَائِعُ فِي قُلُوبِهَا جَرَتْ الْقَطِيعَةُ وَالْوَصَالُ تَخَوُّفٌ مَا لَعَلَّكَ لَا تَرَاهُ وَتَرْجُو مَا لَعَلَّكَ لَا تَنَالُ وَقَدْ طَلَعَ الْهَلَالُ لَهْدَمِ عُمْرِي وَأَفْرَحُ كُلَّمَا طَلَعَ الْهَلَالُ وَلَهُ أَيْضًا: مَنْ يَعْيشُ يَكْبُرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ وَالْمَتَايَا لَا تُبَالِي مِنْ أَتَتْ نَحْنُ فِي دَارِ بِلَاءٍ وَأَذَى وَشَقَاءٍ وَعَنَاءٍ وَعَنْتَ مَنْزِلٌ مَا يَتَّبِعُ الْمَرْءُ بِهِ سَالِمًا إِلَّا قَلِيلًا إِنْ تَبَّتْ أَيْهَا الْمَعْرُورُ مَا هَذَا الصَّبَا لَوْ تَهَيَّتِ النَّفْسَ عَنْهُ لِانْتَهتْ مَنْ لِي إِذَا جُدَّتْ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَكَانَ مَنِّي نَحْوَ الْمَوْتِ قَيْدِ يَدٍ وَالِدَمْعُ يَهْمَلُ وَالْأَنْفَاسُ صَاعِدَةٌ فَالِدَمْعُ فِي صَبَبِ وَالنَّفْسُ فِي صُعْدِ ذَلِكَ الْقَضَاءِ الَّذِي لَا شَيْءَ يَصْرِفُهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ

والجسد ومن قولنا فيه: أُلْهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزَيْرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى سَفِيرٍ فَيَا
مَنْ عَرَّهَ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ أَنْفَرِحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تَرِيكَ مَكَانَ
قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرْتِكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسَلِّبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تَرُدُّ إِلَى الْمُعِيرِ وَتَعْتَاضُ الْيَقِينَ مِنْ
النُّطِّي وَدَارَ الْحَقِّ مِنْ دَارِ الْعُرُورِ وَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ: وَلَيْسَ مِنْ مَنَزِلٍ يَأْوِيهِ ذُو
نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْلُوكٌ وَهُوَ أَيْضًا: وَلَهُ أَيْضًا: أَوْمَلَّ أَنْ أَحَلَدَ
وَالْمَنَابِيَا يَتَيْنَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ التَّوَاجِي وَمَا أُدْرِي إِذَا أَمْسَيْتَ حَيًّا لَعَلِّي لَا أُعِيشُ
إِلَى الصَّبَاحِ وَقَالَ الْعُرَالُ: أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مَجْهُودًا عَلَى أَمَلٍ مِنَ الْحَيَاةِ قَصِيرٍ
غَيْرِ مُمْتَدِّ وَمَا أَفَارِقُ يَوْمًا مَنْ أَفَارِقُهُ إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ أَنْظِرْ إِلَيَّ
إِذَا أَدْرَجْتُ فِي كَفَنِي وَأَنْظِرْ إِلَيَّ إِذَا أَدْرَجْتَ فِي اللَّحْدِ وَأَقْعُدْ قَلْبًا وَعَايُنَ مَنْ
يُقِيمُ مَعِي مِمَّنْ يُشْبِعُ نَعْشِي مِنْ ذَوِي وَدِّي هَيْهَاتَ كُلَّهُمْ فِي سَنَانِهِ لِعَبِّ يَزْمِي
الْتِرَابَ وَيَحْتُوهُ عَلَى حَدِّي وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ: تَعَى لَكَ ظِلُّ الشَّبَابِ الْمَشِيْبِ
وَنَادَيْتُكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخَطُوبُ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِرَيْبِ الْمُنُونِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ
قَرِيبٌ وَقَبْلَكَ دَاوِي الطَّبِيبِ الْمَرِيضِ فِعَايِشِ الْمَرِيضِ وَمَاتِ الطَّبِيبِ أَحْيَى ادْخُرْ
مَهْمَا أُسْتَطَعَتْ لِيَوْمِ بُوْسِيكَ وَافْتِقَارِكَ قَلْتَنَزِلَ بَمَنْزِلٍ تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الدَّخَارِكِ
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِي: أَيُّهَا الْأَمَلُ مَا لَيْسَ لَهُ رِبْمًا عَرَّ سَفِيهَا أَمَلُهُ رُبٌّ مَنْ
بَاتَ يُمَتِّي نَفْسَهُ حَالًا مِنْ دُونِ مُتَاهِ أَجَلِهِ وَالْفَتَى الْمُحْتَالَ فِيمَا نَابَهُ رِبْمًا
صَاقَتْ عَلَيْهِ حَيْلُهُ قُلْ لِمَنْ مَثَلٌ فِي أَشْعَارِهِ يَهْلِكُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ نَافِسُ
الْمُحْسَنِ فِي إِحْسَانِهِ فَسَيَكْفِيكَ سِنَاءُ عَمَلِهِ وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ: أَيْنَ
كَيْسَرِي كَيْسَرِي الْمُلُوكِ أَنْوَشِرِ وَأَنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ وَتَبُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامِ
مُلُوكِ الرُّومِ لِمَ يَبْقَى مِنْهُمْ مَذْكَورٌ وَأَخُو الْحَصْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَهُ تَجَبِّي إِلَيْهِ
وَالْحَابُورِ شَادَهُ مَزْمَرًا وَجَلَلَهُ كَلِسَ سَأَ فِلَلَطِيرِ فِي دَرَاهِ وَكُورِ سَرَّهُ مَالُهُ
وَكَثْرُهُ مَا يَمُ لَكَ وَالْبَحْرُ مُعْرَضًا وَالسَّيْدِيرُ فَارِعَوِي قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا عِبَ طَةَ حَيِّ
إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكَ وَالنَّعْمَةَ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقَبُورِ ثُمَّ
صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَالَوْتَ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورِ وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُدْرِي:
يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْرُورٌ فَادْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرٌ حَتَّى مَتِي أَنْتَ
فِيهَا مُدْتَفٌ وَلَهُ لَا يَسْتَفِرُّنَّكَ مِنْهَا الْبَدَنُ الْخُورُ قَدْ بَحَتْ بِالْجَهْلِ لَا تُخْفِيهِ عَنْ
أَحَدٍ حَتَّى جَرَتْ بِكَ أَطْلَاقًا مُحَاضِرٍ تَرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ
أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرٌ فَاسْتَفِدِرْ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضِينَ بِهِ فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُعْتَبَطٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرِ حَتَّى كَانُ
لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهَمُهُ وَالذَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِيهِ دَهَارِيرِ قَوْلُهُمْ فِي الطَّاعُونَ قَالَ أَبُو
عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ الطَّاعُونَ
وَقَعَ فِي الشَّامِ فَانصَرَفَ بِالنَّاسِ: أفرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ
عَمْرٌ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أبا عُبيدة نَعَمْ تَفَرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ
أَنَّ لَكَ إِبْلًا هَبَطَتْ بِهَا وَادِيًا لَهُ جِهَتَانِ إِحْدَاهُمَا حَصِيْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدِيْبَةٌ أَلَيْسَ لَوْ
رَعَيْتَ الْحَصِيْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَلَوْ رَعَيْتَ الْجَدِيْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَكَانَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ غَائِبًا فَأَقْبَلَ فَقَالَ: عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا
عَلَيْهَا وَإِذَا وَقَعَ فِي أَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ.

فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرَ ثُمَّ انصَرَفَ بِالنَّاسِ.

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرّ من الطاعون: يا أمير المؤمنين إنَّ الله تعالى يقول: " قَل لَنْ يَنْفَعَكُم الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ".

قال: ذلك القليل نَطْلُبُ.

العُتْبِيُّ قال: وَقَعَ الطاعونُ بالكوفة فخرج صديق لِشُرَيْحٍ إلى النَّجَفِ فكتب إليه شُرَيْحٌ: أما بعد فَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي هَرَبْتَ مِنْهُ لَمْ يَسْقُ إِلَى أَجْلِكَ تَمَامَهُ وَلَمْ يَسْلُبْهُ أَبَاكَ وَإِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي صُرْتَ إِلَيْهِ لَيُعِينُ مَنْ لَا يُعْجِزُهُ طَلَبٌ وَلَا يَفُوتُهُ هَرَبٌ وَأَنَا وَإِيَّاكَ عَلَى بَسَاطِ مَلِكٍ وَإِنَّ النَّجَفَ لَمَا وَقَعَ الطاعونُ الجارفُ أطافَ النَّاسُ بِالْحُسَيْنِ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ بِكُمْ رَبُّكُمْ أَفَلَعِ مُذِيبٌ وَأَنْفَقَ مَمْسُكٌ.

وخرج أعرابيٌّ هارباً من الطاعون فلدغته أفعى في طريقه فمات فقال أخوه يَرْتَبُهُ: طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ قَهْلِكَ لَيْتَ شِعْرِي صَلَّةٌ أَيُّ شَيْءٍ قَتَلَكَ أَجْحَافٌ سَائِلٌ مِنْ جِبَالٍ حَمَلِكَ وَالْمَتَايَا رَاصِدَاتٌ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجْلَكَ حَكِيٌّ أَنْ مَاءَ الْمَطَرِ اتَّصَلَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فَقَطَعَ الْحَسَنَ بْنَ وَهَبٍ عَنْ لِقَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيَّاتِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ: يُوضِحُ الْعَذْرَ فِي تَرَاحِي اللَّقَاءِ مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ فَسَلَامٌ إِلَيْهِ أَهْدِيهِ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ لِسَيِّدِ الْوُزَرَاءِ لَسْتُ إِدْرِي مَاذَا أَدُمُّ وَأَشْكُو مِنْ سَمَاءٍ تُعَوِّقُنِي عَنْ سَمَاءٍ غَيْرِ أَتَى أَدْعُو لَهَا تَيْكُ بِاللُّكِّ لِ وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ أَحْسَنُ مِنْ تَسْعِينَ بَيْنَا سُدًى جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ مَا أَحْوَجَ النَّاهِسَ إِلَى مَطَرَةٍ تَزِيلُ عَنْهُمْ وَصَرَ الرَّبِّتِ فَبَلَغَ قَوْلُهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَافُونَ رَأياً لَقَدْ عَرَّضْتَ لِي نَفْسَكَ لِلْمَوْتِ فَيَزُرُّمُ الْمُلْكَ فَلَمْ تُنْفِهِ حَتَّى قَلَعْنَا الْقَارَ بِالرَّبِّتِ لِزُرِّي لَا يَزُرِّي بِأَحْسَابِنَا أَحْسَابِنَا مَعْرُوفَةَ الْبَيْتِ وَقِيلَ لِابْنِ أَبِي دَوَادٍ: لِمَ لَا تَسْأَلُ حَوَائِجَكَ الْخَلِيفَةَ بِحَضْرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: لَا أَحِبُّ أَنْ أَعْلِمَهُ شَأْنِي.

وقد حدّث أبو القاسم جَعْفَرُ أَنْ مُحَمَّدًا الْحَسَنِيَّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَا الْعَلَّابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَجِيعِ التُّوْبَخْتِي قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي وَكَانَ مِنْ لَجَقِ الصَّحَابَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْكُوفَةَ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا قَالُوا: بَكْرُ بْنُ الطَّرْمَاحِ فِيسْمَعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَيْدَ بْنَ حُسَيْنٍ يَقُولُ: لِمَا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى بَنِيهِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو فَكَانَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَتَى فِيهَا بَنِيهِ أَشْبَهَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَاكِ وَبَاكِ وَصَارِحَةَ حَتَّى إِذَا هَدَّاتِ عَبْرَةَ الْبُكَاءِ عَنِ النَّاسِ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَالَوْا حَتَّى تَذْهَبَ إِلَى عَائِشَةَ رَوْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْظُرَ حُرَّتَهَا عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقام النَّاسُ جميعاً حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهَا فَوَجَدُوا الْخَبَرَ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا وَإِذَا هِيَ فِي عَمْرَةَ الْأَحْزَانِ وَعَبْرَةَ الْأَشْجَانِ مَا تَفْتَرُ عَنِ الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ مِنْذُ وَقْتِ سَمِعْتِ بِخَبَرِهِ.

فلما تَطَرَّ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ مِنْهَا انصرفوا.

فلما كان من غدٍ قيل إنها عَدَتْ إلى قَبْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَبْقَ في المَسْجِدِ أَحَدٌ من المهاجرين إلا اسْتَقْبَلَهَا يُسَلِّمُ عَلَيْهَا وهي لا تُسَلِّمُ ولا تَرُدُّ ولا تُطِيقُ الكلامَ مِنْ عَزَّازَةِ الدَّمْعَةِ وَعَمْرَةِ العَبْرَةِ تَتَخَنَّقُ بِعَبْرَتِهَا وتَتَعَثَّرُ في أثوابها والناسُ من خَلْفِهَا حتى أتت إلى الحُجْرَةِ فأخذت بِعَصَاةِ البابِ ثم قالت: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الهُدَى السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القاسمِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رسولَ الله وعلى صاحِبَيْكَ.

يا رسولَ الله أنا ناعيةٌ إليك أحطى أحبابك ذاكرةٌ لك أكرمَ أودائك عليك.

قُتِلَ والله حَبِيبُكَ المُجْتَبَى وَصَفِيكَ المُرْتَضَى.

قُتِلَ والله مَنْ زَوْجَتَهُ خَيْرَ النِّسَاءِ.

قُتِلَ والله من آمَنَ ووَفَى وإني لناديةٌ تَكَلِّمُ وعليه باكيةٌ حرى.

فلو كُشِفَ عنك الثرى لقلت: إني قُتِلَ أكرمهم عليك وأحظاهم لديك.

ولو قُدِّرَ أن تَنَجَّبَ العِدَاءَ ما كان تعرَّضت له منذ اليوم والله يجري الأمور على السُّداد.

قال المبرِّد: عَزَى أحمد بن يوسف الكاتب ولدَ الرَّبيع فقال: عُظِّمَ أجرُكم ورحمَ الله فقيدكم وجعل لكم من وراء مُصِيبَتِكُمْ حالاً تجمع سَمَلَكُم وتَلَمُّ سَعَتَكُم ولا تُفَرِّقَ مَلَاكُم.

وقيل لأعرابية مات لها بَنُونَ عِدَّةٌ: ما فعل بنوك قالت: أكلهم دَهْرٌ لا يَشْبَعُ.

وعزَى رجل الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين كان لك الأجر لا بك وكان العزاء لك لا عنك.

ومما رُوي أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نُعيَت إليه ابنتُه وهو في السَفَرِ فاسترجع ثم قال: عَوْرَةُ سَتَرَهَا اللهُ وَمَوْوَنَةٌ كَفَاها اللهُ وَأَجْرٌ سَأَقَهُ اللهُ.

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: لَمَّا عَزَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بابنته رُقِيَّةَ قال: الحمد لله دَفَنَ البناتِ مِنَ المَكْرُماتِ.

وفي رواية: من المَكْرُماتِ دَفَنَ البناتِ.

وقال العَرَّال: ماتت ابنة ليعض مُلوك كِنْدَةَ فَوَصَّعَ بين يديه بَدْرَةً من الذهب وقال: مَنْ أبلغ في التَّعْزِبةِ فهي له.

فدخل عليه أعرابيٌّ فقال: أعظمَ الله أجرَ الملكِ كُفَيْتِ المَوْوَنَةُ وَسُيِّرَتِ العَوْرَةُ ونعمَ الصُّهْرُ القَبْرِ.

فقال له الملك: أبلغت وأوجرت وأعطاهُ البَدْرَةَ.

من أحب الموت ومن كرهه في بعض الأحاديث: لا يَتَمَتَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا فَيَزِدَادُ فِي إِحْسَانِهِ أَوْ يَكُونَ مُسِيئًا فَيَنْزِعَ عَنْ
إِسَاءَتِهِ.

وقد جاء في الحديث: يقول الله تبارك وتعالى: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحَبَّتُ
لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ.

وليس معنى هذا الحديث حُبُّ الْمَوْتِ وَكَرَاهِيَّتُهُ ولكن مَعْنَاهُ: من أحبَّ الله
أحبه الله ومن كره الله كرهه الله.

وقال أبو هريرة: كَرِهَ النَّاسُ ثَلَاثًا وَأَحَبَّتُهُمْ: كَرِهُوا الْمَرَضَ وَأَحَبَّتُهُ وَكَرِهُوا
الْفَقْرَ وَأَحَبَّتُهُ وَكَرِهُوا الْمَوْتَ وَأَحَبَّتُهُ.

عبد الأعلى بن حماد قال: دَخَلْنَا عَلَى بَشْرِ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ وَإِذَا هُوَ
مِنَ السُّرُورِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ.

فقلنا له: ما هذا السُّرُورُ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ الظَّالِمِينَ
وَالْحَاسِدِينَ وَالْمَعْتَابِينَ وَالْبَاغِينَ وَأَقْدَمَ عَلَيَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَلَا أَسْتَرُّ! ودخل
الوليُّ بن عبد الملك المسجدَ فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِيهِ إِلَّا شَيْخًا قَدِ خَتَاهُ الْكَبِيرُ
فَارَادُوا أَنْ يُخْرِجُوهُ فَأَبْشَرَ إِلَيْهِمْ أَنْ دَعُوا الشَّيْخَ ثُمَّ مَضَى حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ
فَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخَ نَحْبُ الْمَوْتِ قَالَ: لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَهَبَ السُّبُّابُ وَسَرُّهُ
وَأَتَى الْكَبِيرَ وَخَبَّرَهُ فَإِذَا قَمْتُ حَمِدْتُ اللَّهَ وَإِذَا قَعَدْتُ ذَكَرْتُهُ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَدُومَ
لِي هَاتَانِ الْخَلَّتَانِ.

قال عبد الله بن عمر: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
يا رسول الله مالي لا أحب الموت قال: هل لك مال قال: نعم قال: فقدمه
بين يديك قال: لا أطيق ذلك فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن المرء مع
ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن أخره أحب أن يتخلف معه.

وقال الشاعر في كراهية الموت: لا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَسْتَهْيِي
الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبٌ وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ: الْمَوْتُ كَرِيهٌُ.

وقالوا: أشدُّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت وأطيب من العيش
ما إذا فارقتَه أبغضت له العيش.

▲ التهجد

المغيرة بن شعبة قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ورمت قدماه.

وقيل للحسين: ما بال المتهجِّدين أحسن الناس وجوهاً قال: إِنَّهُمْ خَلَّوْا
بِالرَّحْمَنِ فَاسْفَرَ نُورُهُمْ مِنْ نُورِهِ.

وكان بعضهم يصلِّي اللَّيْلَ حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ قَالَ: عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ
الْقَوْمُ السُّرَى.

وقالوا: السَّتَاءُ ربيعُ المؤمنين يطولُ ليلُهُم للقيام وَيَقْصُرُ نهارُهُم للصيام.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أَطْعَمُوا الطَّعَامَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَصَلُّوا!
بالليل والناسُ نِيَام.

وقال الله تبارك وتعالى: " وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " .

وهذا يُوَافِقُ الحديثَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ
فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ
فَأَغْفِرَ لَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَعِينٍ فَأُعِينَهُ أَبُو عَوَّانَةَ عَنِ الْمَغِيرَةِ قَالَ: قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ
التَّحَعِّي: مَا تَقُولُ فِي الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ كُلِّ عَيْنٍ تَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَكُلِّ عَيْنٍ
عُصَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ.

وكان يزيد الرقاشي قد بكى حتى سقطت أشفاؤ عينيه.

وقيلَ لغالب بن عبد الله: أَمَا تخاف على عَيْنَيْكَ مِنَ الْعَمَى مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ
فقال: شِفَاءُهَا أُرِيد.

وقيل ليزيد بن مريد: مَا بِالْ عَيْنِكَ لَا تَجِفُّ قَالَ: أَيُّ أَخِي إِنْ اللَّهُ أَوْعَدَنِي إِنْ
عَصَيْتُهُ أَنْ يَحْبِسَنِي فِي النَّارِ وَلَوْ أَوْعَدَنِي أَنْ يَحْبِسَنِي فِي الْحَمَّامِ لَكُنْتُ حَرِيًّا
أَنْ لَا تَجِفُّ عَيْنِي.

وقال: عمر بن دَرِّ لَأَبِيهِ: مَا لَكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ أَبْكَيْتَ النَّاسَ إِذَا تَكَلَّمَ غَيْرُكَ لَمْ
يُبْكِهِمْ قَالَ: يَا بَنِي لَيْسَتْ النَّائِحَةُ التَّكَلُّيَ مِثْلَ النَّائِحَةِ الْمُسْتَأْجِرَةِ.

وقال الله لنبيِّ من أنبيائه: هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْحَشْوَعُ وَمِنْ عَيْنِكَ الدُّمُوعُ ثُمَّ
ادعني أَسْتَجِبَ لَكَ.

ومن قولنا في البكاء " من خشية الله تعالى " : مَدَامِغٌ قَدْ حَدَدَتْ فِي الْخُدُودِ
وَأَعْيُنٌ مَكْحُولَةٌ بِالْهُجُودِ وَمَعَشُرٌ أَوْعَدَهُمْ رَبُّهُمْ فَبَادَرُوا حَشِيَّةَ ذَلِكَ الْوَعْدِ فَهُمْ
عُكُوفٌ فِي مَحَارِبِهِمْ يَبْكُونَ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْمَجِيدِ وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْأَصَمِ
فِي هَذَا الْمَعْنَى: صَلَّى إِلَهُ عَلَى قَوْمٍ شَهِدْتُهُمْ كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا أَوْ ذُكِرُوا
شَهِقُوا كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا نَارَ الْجَحِيمِ بَكَوْا وَإِنْ تَلَّ بَعْضُهُمْ تَخْوِيفَهَا صَعَقُوا مِنْ
غَيْرِ هَمَزٍ مِنْ الشَّيْطَانِ يَأْخُذُهُمْ عِنْدَ التَّلَاوَةِ إِلَّا الْخَوْفَ وَالشَّقَقَ صَرَعى مِنْ
الْحُزْنِ قَدْ سَجَّوْا ثِيَابَهُمْ بِقِيَّةِ الرُّوحِ فِي أوداجِهِمْ رَمَقٌ حَتَّى تَحَالَهُمْ لَوْ كُنْتُ
شَاهِدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْإِسْقَاقِ قَدْ رَهَقُوا النَّهْيَ عَنْ كَثْرَةِ الضَّحْكِ فِي
الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: كَثْرَةُ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ وَتُذْهِبُ بَهَاءَ الْمُؤْمِنِ.

وفيه: لو علمتُمْ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَصَحِكْتُمْ قَلِيلًا.

وفيه: إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ لَكُمْ الْعَبْتَ فِي الصَّلَاةِ وَالرَّقْفَ فِي الصِّيَامِ وَالصَّحْكَ فِي
الْجَنَائِزِ.

ومرَّ الحسنُ بِقومٍ يَضْحَكُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَالَ: يَا قَوْمَ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رَمَضَانَ مِضْمَاراً لِحَلْفِهِ يَتَسَابِقُونَ فِيهِ إِلَى رَحْمَتِهِ قَسَبَقَ أَقْوَامٌ فَفَارُوا وَتَخَلَّفَ أَقْوَامٌ فَخَابُوا فَالْحَجَبُ مِنَ الضَّاحِكِ الْإِلَهِيِّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فَازَ فِيهِ السَّابِقُونَ وَخَابَ فِيهِ الْمُتَخَلِّفُونَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشَعَلَ مُحْسِنًا إِحْسَانُهُ وَمُسِيئًا إِسَاءَتُهُ.

ونظر عبد الله إلى رجل يضحك مُسْتَعْرِفًا فقال له: أتضحك ولعلَّ أكفأكَ قد أَخَذْتَ مِنْ " عِنْدَ " الْقَصَّارِ.

وقال الشاعر: وَكَمْ مِنْ فَنَى يُمَسِّي وَيَصِيحُ آمِنًا وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي النَّهْيَ عَنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَإِتْيَانِ الْمُلُوكِ " لَقِيَ أَبُو جَعْفَرٍ سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ: مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِنَا قَالَ: إِنْ اللَّهُ نَهَانَا عَنْكُمْ فَقَالَ: " وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ ".

وقدم هشامُ بن عبد الملك المدينة لزيارة القبر فدخل عليه أبو حازم الأعرج فقال: ما يمنعك أبا حازم أن تأتينا فقال: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين إِنْ أَدْنَيْتَنِي فَتَيْتَنِي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي أَخْرَيْتَنِي وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ وَلَا عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ " .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ حَرَجَ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَى اللَّهِ.

أرسل أبو جعفر إلى سُفْيَانَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: سَلْنِي حَاجَتَكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: وَتَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ لَا تُرْسِلَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيكَ وَلَا تُعْطِنِي شَيْئًا حَتَّى أَسْأَلَكَ ثُمَّ خَرَجَ.

فقال أبو جعفر: أَلَقَيْنَا الْحَبَّ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَلَقَطُوا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَقَالَ زَيْدٌ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ أَعْطَى النَّاسَ عَيْشًا قَالُوا: الْأَمِيرُ وَأَصْحَابُهُ قَالَ: كَلَّا إِنَّ لَأَعْوَادَ الْمُنْبَرِ لَهَيْبَةً وَلَقَرَعَ لِجَامِ الْبَرِيدِ لَقَرَعَةً وَلَكِنَّ أَعْطَى النَّاسَ عَيْشًا رَجُلٌ لَهُ دَارٌ يَسْكُنُهَا وَرَوْجَةٌ صَالِحَةٌ يَأْوِي إِلَيْهَا فِي كَقَافٍ مِنْ عَيْشٍ لَا يَعْرِفْنَا وَلَا نَعْرِفُهُ فَإِنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَا أفسدنا " عليه " آخرته ودُيَّاهُ وَقَالَ الشَّاعِرُ: إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِيهِ أَكْنَافُهُمْ طَلٌّ مَاذَا تُرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمْ عَضَبُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُوا فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ إِيْتَانِهِمْ أبدأ إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذَلٌّ وَقَالَ آخِرُ: لَا تَصْحَبَنَّ دَوِيَّ السُّلْطَانِ فِي عَمَلٍ تُصَيِّحُ عَلَى وَجَلٍ تَمْسِي عَلَى وَجَلٍ كُلِّ التُّرَابِ وَلَا تَعْمَلْ لَهُمْ عَمَلًا فَالشَّرُّ أَجْمَعُهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ: صَاحِبُ السُّلْطَانِ مِثْلُ رَاكِبِ الْأَسَدِ لَا يَدْرِي مَتَى يَهِيحُ بِهِ قَيْقُتْلُهُ.

دخل مالكُ بن دينارٍ على رَجُلٍ فِي السِّجْنِ يَزُورُهُ فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ جُنْدِيٍّ قَدْ أَتَى فِي رِجْلَيْهِ كُبُولٌ قَدْ قَرَنْتَ بَيْنَ سَاقَيْهِ وَقَدْ أَتَى بِسُفْرَةٍ كَثِيرَةٍ الْأَلْوَانِ فَدَعَا مَالِكََ بْنَ دِينَارٍ إِلَى طَعَامِهِ فَقَالَ لَهُ: أَخْشَى إِنْ أَكَلْتُ مِنْ طَعَامِكَ هَذَا أَنْ يُطْرَحَ فِي رِجْلِيٍّ مِثْلُ كُبُولِكَ هَذِهِ.

وفي كتاب الهنْد: السُّلْطَانُ مِثْلُ النَّارِ إِنْ تَبَاعَدَتْ عَنْهَا احْتَجَّتْ إِلَيْهَا وَإِنْ دَنَوَتْ مِنْهَا أَحْرَقَتْكَ.

أيوب السخّتياني قال: طلب أبو قلابة لِقضاء البَصرة فَهَرَبَ منها إلى الشام فأقامَ حيناً ثم رَجع.

قال: أيوب.

فقلتُ له: لو وَلِيَتِ القَضاءَ وَعَدَلتْ كان لك أجران فقال يا أيوب إذا وقع السابِغُ في البحرِ كم عسي أن يَسْبِغَ وقال بَقِيَّةُ: قال لي إبراهيم: يا بَقِيَّةُ كن دَنباً ولا تَكُن رَأساً فإنَّ الرَأسَ يهلكُ والدَنبَ ينجو.

ومن قولنا في خِدمة السلطانِ وَصُحبتِه: تَجَنَّبَ لِهاسِ الحَرِّ إنْ كُنْتَ عاقلاً وَلا تَحْتَمِمْ يوماً بَقَصٍ رَبْرَجِدٍ وَلا تَتَطَيَّبَ بِالغوالي تَعَطُّراً وَتَسْحَبَ أَدِيالَ المُلأى المعصِدِ وَلا تَتَخَيَّرَ صَيِّبَ النَّعْلِ رَاهِياً وَلا تَتَصَدَّرَ في الفِراشِ المُمَهَّدِ وَكُنْ هَمَلاً في الناسِ أُعْبِرَ شاعِثاً تَرُوحُ وَتَعُدُّو في إزارٍ وَتُرْجِدُ بَرى جِلدِ كَبَشٍ تحتهُ كلما اسنوى عليه سِريراً فَوْقَ صَرَحِ مَمَرِّدٍ وَلا تَطْمَحِ العِيتانِ مِنْكَ إلى أمرىءٍ له سَطَواتٌ باللسانِ وباليدِ تراءتُ له الدُّنيا بزُججِ عَيْشِها وَقادَتْ له الأَطماعُ من غيرِه مَقوودَ فاسْمَنَ كَشَحِيهِ وَأَهْرَلَ دِينَهُ وَلم يَرْتَقِبْ في اليومِ عاقِبَةَ الغدِ فَبُرِّحَمَ تاراتٍ وَبُحَسَدُ نارَةٌ فذا شَرُّ مَرْحومٍ وَشَرُّ مُحَسَدٍ القولُ في الملوِكِ الأصمعيِّ قال: بَلغني أنتَ الحَسَنُ قال: يا ابنَ آدمَ أنتَ أَسيرُ الجُوعِ صَرِيعُ السَّبِيعِ إنَّ قوماً لَيسوا هذه المَطارِفَ العِناقِ والعِمامِ الرِقاقِ وَوسَعوا دُورَهُمَ وَضَيَّقوا قُبورَهُمَ وَأَسْمَنوا دِوابَّهُمَ وَأَهْرَلوا دِيبَهُمَ يَبْكِيءُ أَحَدُهُمَ على شِمالِهِ وَيأْكُلُ " من " غيرِ مالِهِ " فإذا أدركته الكِظَةُ " قال: يا جارية هاتِي هاضومَكَ وَيلكَ! وهل تَهضمُ إلا دِيتَكَ.

يحيى بنُ يحيى قال: جَلَسَ مالِكُ يوماً فأطرقَ مليّاً ثم رَفَعَ رأسَهُ فقال: يا حَسْرَةَ على المُلوكِ لأنهم تُركوا في نعيمِ دُنياهمَ وماثوا قبلَ أن يَموتوا حُرناً على ما خَلَفوا وَجَزَعاً مما استقبلوا.

وقال الحَسَنُ وَدُكِرَ عنده الملوِكُ: أما إنَّهُمَ وإنْ هَمَلَجتَ بهم البِغالَ وأطافتَ بهم الرِّجالُ وتعاقتَ لهم الأموالُ إنَّ دُلَّ المَعْصِيَةِ في قُلوبِهِمَ أبى اللهُ إلا أن يُذِلَّ مَن عَصاهُ.

الأصمعيِّ قال: حَطَبَ عبدُ اللهِ بنُ الحَسَنِ على مِنبرِ البَصرةِ فَأَنشَدَ على المِنبرِ: أَيْنَ المُلوكُ التي عَن حَظِّها عَفِلتَ حتى سَقاها بِكأسِ المَوتِ ساقِها بلاءُ المؤمنِ في الدنيا قال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم: المؤمنُ كالخامَةِ من الرِّيحِ تَميلُ بها الرِّيحُ مرةً كذا ومرةً كذا والكافرُ كالأرزَةِ المُجذِيةِ حتى يكونَ انجعافُها مرَّةً.

ومعنى هذا الحديث: تردُّ الرزايا على المؤمنِ وتجاوِها عن الكافرِ ليزدادَ إثمًا.

وقال وَهَبُ بنُ مُنَبِّهٍ: قرأتُ في بعضِ الكُتبِ: إنِّي لأذودُ عبادي المخلصينَ عن نعيمِ الدُّنيا كما يَدُودُ الرِّاعي الشَّفِيقُ إبلَهُ عن مَواردِ الهَلَكَةِ.

وقال القَاضِي ابنُ عِيَّاضٍ: ألا تَرَوْنَ كيف يُزوي اللهُ الدنياَ عمن يُحبُّ مِن خَلقِهِ ويمرمرهاَ عليه مرَّةً بالجوعِ ومرَّةً بالغرِيِّ ومرَّةً بالحاجةِ كما تصنعُ الأمُّ

السَّيْفِيقَة بولدها تَفْطِمْه بالصَّبْرِ مَرَّةً وبالْحُصَصِ مَرَّةً وإنما تُرِيدُ بذلك ما هو خَيْرٌ له.

" وفي الحديث: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني جبريل عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ما ابتليتُ عَبْدِي ببليَّةٍ! نفسه أو ماله أو ولده فتلقاها بصَّبْرٍ جميلٍ إلا استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزاناً أو أنشر له ديواناً "

▲ كتمان البلاء إذا نزل

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من ابتلي ببلاء فكتمه ثلاثة أيام صبراً واحتساباً كان له أجر شهيد.

وسَمِعَ الفُضَيْلُ بنَ عِيَّاضِ رجلاً يَشْكُو بلاءَ نَزَلَ به فقال: يا هذا تشكو مَنْ يَرْحَمُكَ إلى مَنْ لا يَرْحَمُكَ.

وقال: مَنْ شكا مُصِيبَةً نَزَلَتْ به فكأنما شكا رَبَّهُ.

وقال دُرَيْدُ بنُ الصَّمَّةِ يَرْتِي أخاه عبد الله بن الصَّمَّةِ: قَلِيلَ النَّشْكِ لِلْمِصائِبِ ذاكراً من اليوم أعقاب الأحاديث في عَدِّ وقال تَأَبَّطُ شَرًّا: قَلِيلَ التَّشْكِ لِلْمُلَمِّ يصيبه كثير النوى شتى الهوى والمسالك الشيباني قال: أخبرني صديق لي قال: سَمِعَني شُريح وأنا أَشْتَكِي بعض ما غمَّني إلى صديق " لي " فأخذ بيدي وقال: يا بن أخي إياك والشكوى إلى غير الله فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً فأما الصديق فتخزنه ولا ينفعل وأما العدو فَيَشْمَتُ بك انظر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عيني - فوالله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً منذ خمس عشرة سنة وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية أما سمعت قول العبد الصالح: " إنما أشكو بني وجرني إلى الله " فاجعله مَشْكَاكٍ وَمَفْرَعَكِ عند كل نائبة تُؤوبك فإنه أكرمُ مَسْئُولٍ وأقربُ مدعوِّ إليك.

كتب عَقِيلُ إلى أخيه علي بن أبي طالب رضوانُ اللهَ عليهما يسأله عن حاله فكتب إليه: عزيزٌ عليٌّ أن تُرى بي كآبة فيفْرَحَ وَاشِ أو يُسَاءَ حبيب وكان ابن شُبْرمة إذا نزلت به نازلة قالت: سحابة " صيف عن قليل " تَقشَع.

وكان يُقال: أُرْبِعُ من كُنوزِ الجَنَّةِ: كِئْمانُ المُصِيبَةِ وكِئْمانُ الصَّدَقَةِ وكِئْمانُ الفَاقَةِ وكِئْمانُ الوَجَعِ.

▲ القناعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أصبح وأمسى آمناً في سربه مُعَافِي في بَدَنه عنده قوْثٌ يومه كان كمن جِيزَتْ له الدُّنيا بحذافيرها.

والسُّرْبُ: المَسْئَلُ يُقال: فلان واسع السُّرْبِ يعني المسلك والمذهب.

وقال قيسُ بيتِ عاصم: يا بَنِي: عليكم بِحِفْظِ المالِ فإنه مَنبَهُةٌ للكريمِ وَيُسْتَعْنَى به عن اللئيمِ.

وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل.

وقال سعد ابن أبي وقاص لابنه: يا بُني إذا طلبت الغني فاطلبه بالقناة فإنها مال لا ينهد وإياك والطمع فإنه فقير حاضر وعليك بالياس فإنك لا تياس من شيء قط إلا أغناك الله عنه.

وقالوا: الغني من استغنى بالله والفقير ما افتقر إلى الناس.

وقالوا: لا غنى إلا غني النفس.

وقيل لأبي حازم: ما مالك قال: مالان الغنى بما في يدي عن الناس والياس عما في أيدي الناس.

وقيل لآخر: ما مالك فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن.

وقال آخر: لا بُد مما ليس منه بدّ اليأس حُر والرجاء عبْدُ وليس يُغني الكد إلا الجدّ.

وقالوا: ثمرة القناعة الرّاحة وثمره الحرص التعب.

وقال البُخترى: إذا ما كان عندي فُوت يوم طرحتُ الهمَّ عني يا سعيدُ ولم تحطُرْ هُموم غدٍ بيالي لأنّ عدّاً له رزقٌ جديدهُ وقال عُروة بنُ أدبته: وقد علمتُ وخيرُ القول أضدقه بأن رزقي وإن لم يأت يأتيني أسعى إليه فيعيني تطلبه ولو قعدتُ أتاني لا يعينني ووعد عُروة بن أدبته على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فقال له عبد الملك: ألسن القائل يا عُروة أسعى إليه فيعيني تطلبه فما أراك إلا قد سعيت له فخرج عنه عُروة وشخص من قوره إلى المدينة.

فأفتقده عبْدُ الملك فقيل له: توجه إلى المدينة فبعث إليه بألف دينار.

فلما أتاه الرسول قال: قلْ لأمير المؤمنين: الأمر على ما قلتُ قد سعيتهُ له فأعياني تطلبه وقعدت عنه فأتاني لا يعينني.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنّ رُوح القدس نَفَتْ في رُوعي: إنّ نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها فأنقوا الله وأجملوا في الطلب.

وقال تعالى فيما حكى عن لقمان الحكيم: " يا بنيّ إنّها إنّ تكُ منقّال حنّةٍ من حردل فتكنُ في صحرةٍ أو في السموات أو في الأرض تات بها الله إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ ."

وقال الحسن: ابن آدم لست بسابق أجلك ولا ببالغ أملاك ولا مغلوب على رزقك ولا بمرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك وقال ابن عبد ربه: قد أخذت هذا المعنى فنظمته في شعر فقلت: لست بقاض أملي ولا بعادٍ أجلي ولا بمغلوب على الرزق الذي قدّر لي ولا بمعطى رزق عي ري بالشقا والعمل فليت شعري ما الذي أدخلني في شغلي وقال آخر: سيكون الذي

قَضِيَ غَضَبَ الْمَرْءِ أَمْ رَضِيَ وَقَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ: وَقَدْ كَفَلَ اللَّهُ الْوَفِيَّ
بِرِزْقِهِ فَلَمْ يَرِضْ وَالْإِنْسَانُ فِيهِ عَجَائِبُ عَلِيمٌ بَأَنَّ اللَّهَ مُوفٍ بِوَعْدِهِ وَفِي قَلْبِهِ
شَكٌّ عَلَى الْقَلْبِ دَائِبٌ أَبِي الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ يَضُرَّ بِعَلْمِهِ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ عِلْمُهُ
وَالتَّجَارِبُ وَلَهُ أَيْضاً: أَتَطَلَّبُ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ وَتُصْبِحُ مِنْ خَوْفِ
الْعَوَاقِبِ آمِنًا وَتَرْضَى بِعَرَّافٍ وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا صَمِينًا وَلَا تَرْضَى بِرَبِّكَ ضَامِنًا
وَقَالَ أَيْضاً: غِنَى النَّفْسِ يَغْنِيهَا إِذَا كُنْتَ قَانِعًا وَلَيْسَ بِمُغْنِيكَ الْكَثِيرُ مِنَ
الْحِرْصِ وَإِنَّ اعْتِقَادَ الْهَمِّ لِلخَيْرِ جَامِعٌ وَقَلَّةٌ هَمُّ الْمَرْءِ تَدْعُو إِلَى التَّقْصِ وَلَهُ
أَيْضاً: مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَلَمْ يَقْنَعْ فَذَلِكَ الْمُوسِرُ الْمُعْسِرُ وَكُلٌّ مِنْ كَانَ
قَنُوعًا وَإِنْ كَانَ مَقْلًا فَهُوَ الْمَكْثَرُ الْقَفْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الْغِنَى وَفِي غِنَى
النَّفْسِ الْغِنَى الْأَكْبَرُ وَمِنْ قِسَمِ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَقَصَلَ بَعْضَ النَّاسِ فِيهَا
عَلَى بَعْضٍ فَمَنْ طَنَّ أَنَّ الْحِرْصَ فِيهَا يَزِيدُهُ فَقُولُوا لَهُ يَزِدَادُ فِي الطُّولِ
وَالْعَرِضِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ: وَمَسْتَطِرٌّ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يَتَشِيدُ وَيَبْنِي دَائِبًا
وَيُحْصَنُ لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ وَأَفْعَالُهُ أَفْعَالٌ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ عِيَانُ
كَانِكَارٍ وَكَالْجَهْلِ عِلْمُهُ يَشْكُ بِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَيَقَّنُ وَقَالَ أَيْضاً: اضْرَعْ إِلَى اللَّهِ لَا
تَصْرَعْ إِلَى النَّاسِ وَأَقْنَعْ بِيَأْسٍ فَإِنَّ الْعَزَّ فِي الْيَأْسِ وَاسْتَعْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قَرْبَى
وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغِنَى مَنْ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ وَلَهُ أَيْضاً: فَلَا تَحْرِصَنَّ فَإِنَّ الْأُمُورَ
بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا فَلَيْسَ بِأَتِيكَ مِنْهَبًا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا وَلَهُ أَيْضاً: مَا
لَمَا قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ مِنَ الْأَمْرِ مَرْدٌ قَدْ جَرَى بِالشَّرِّ تَحَسُّنٌ وَجَرَى بِالخَيْرِ سَعْدٌ
وَجَرَى النَّاسُ عَلَى جَرِّ يَهْمَا قَبْلَ وَبَعْدَ آمِنُوا الدَّهْرَ وَمَا لِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ عَهْدٌ
غَالِهُمُ فَاصْطَلِمِ الْجَمْعَ وَأَفْنَى مَا أَعْدُوا إِلَيْهَا الدُّنْيَا فَلَا تَحْ فَلَ بِهَا حِزْرٌ وَمَدٌ
وَقَالَ الْأَضْبَطُ بْنُ فُرَيْعٍ: ارْضَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ يَرْضَى يَوْمًا بِعَيْشِهِ
تَفَعَّهُ قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرَ أَكْلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرَ مَنْ جَمَعَهُ وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ
الْوَلِيدِ: لَنْ يَبْطَأَ الْأَمْرُ مَا أَمَلْتَ أَوْبَتَهُ إِذَا أَعَاتَكَ فِيهِ رَفَقٌ مُنِيدٌ وَالدَّهْرُ أَخَذَ مَا
أَعْطَى مَكْدَرًا مَا أَضْفَى وَمُفْسِدًا مَا أَهْوَى لَهُ بَيْدٌ فَلَا يَعْزُّكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيئَةٌ
فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أَعْطَى عَلَى أَحَدٍ رَأَتْ حَوْلَهَا النِّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكُفْسَا مَقْلَدَةً
أَجْبَادُهَا بِالْقَلَائِدِ يَسْرُكُ أَنْبَى نِلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرٌ وَمَا نَالَ يَحْيَى فِي الْحَيَاةِ ابْنُ
خَالِدٍ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْصَنِي مُعْصَمًا بِالْمُرْهَفَاتِ الْحَدَائِدِ دَرِينِي تَجْنِنِي
مَيْتِي مُطْمَئِنَّةً وَلِمِ أَتَجَشَّمُ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ فَإِنَّ الَّذِي يَسْمُو إِلَى الرَّتَبِ الْعُلَا
سَيَّرَمَى بِالْوَانِ الدَّهَى وَالْمَكَايِدِ وَجَدْتُ لَدَاذَاتِ الْحَيَاةِ مِشْوَبَةً بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي
بَطُونِ الْأَسَاوِدِ وَقَالَ: حَتَّى مَتَى أَنَا فِي جِلٍّ وَتَرَحَّالٍ وَطُولِ شُغْلِ بِإِدْبَارِ وَإِقْبَالِ
وَنَارِحِ الدَّارِ مَا يَنْفِكُ مُعْتَبَرًا عَنِ الْأَحَبَّةِ مَا يَدْرُونَ مَا حَالِي بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ
طُورًا ثُمَّ مَعْرَبَهَا لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصِ عَلَى بَالِي وَلَوْ قَنَعْتُ أَنَا نِي الرِّزْقِ
فِي دَعَاةٍ إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةَ الْمَالِ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: الْقَنَاعَةُ
مَالٌ لَا تَقَادُ لَهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرِّزْقُ رِزْقَانِ: فِرْزُقٌ تَطْلِبُهُ وَرِزْقٌ
يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ.

وَفِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ: لَا يَنْبَغِي لِلْمُلْتَمِسِ أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا الْكَفَافَ الَّذِي
بِهِ يَدْفَعُ الْحَاجَةَ عَنِ نَفْسِهِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ زِيَادَةٌ فِي تَعَبِهِ وَعَمَلِهِ.

وَمِنْ هَذَا قَالَتِ الْحَكَمَاءُ: أَقْلُ الدُّنْيَا يَكْفِي وَأَكْثَرُهَا لَا يَكْفِي.

وقال أبو دؤيب: والتَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبْتَهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْبَعُ وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَجِبًا مِنْكُمْ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تُرَزَقُونَ فِيهَا بِلَا عَمَلٍ وَلَا تَعْمَلُونَ لِلآخِرَةِ وَ " أَنْتُمْ " لَا تُرَزَقُونَ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ.

وقال الحسن: عَيَّرَتِ الْيَهُودُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْفَقْرِ فَقَالَتْ: مِنْ الْغِنَى أَتَيْتُمْ.

أخذ هذا المعنى محمودُ الوَرَّاقُ فقال: يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَرُدِّجِرُ عَيْبَ الْغِنَى أَكْثَرَ لَوْ تَعَيَّرَ مِنْ شَرَّفِ الْفَقْرِ وَمَنْ فَضَّلَهُ عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ أَنْكَ تَعَصَى كَيْ تَنَالَ الْغِنَى وَلَيْسَ تَعَصَى اللَّهُ كَيْ تَقْتَرِ سُنْفِيَانٍ عَنْ مُغْيِرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ الطَّلَبَ فِي أَطَارِفِ الْأَرْضِ.

وقال الأعمش: أَعْطَانِي الْبُنَّانِيُّ مَصَارِيهَ أَخْرَجَ بِهَا إِلَى مَا هِ فَسَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لِي: مَا كَانَ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا هَذَا الطَّلَبَ.

وبين ما هِ وَبِئْنَ الْكُوفَةِ عَشْرَةَ أَيَّامَ.

الأصمعيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: لَيْسَ دُونَ الْإِيمَانِ غِنَى وَلَا بَعْدَهُ فَقْرٌ.

قِيلَ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: مَا أَصْبَرَكَ عَلَى هَذَا التَّوْبِ " الْخَلْقُ قَالَ: رُبَّ وَكْتَبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ يَشْكُو إِلَيْهِ دَهْرَهُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ أَنْصَفَهُ زَمَانُهُ فَتَصَرَّفَتْ بِهِ الْحَالُ حَسَبَ اسْتِحْقَاقِهِ وَإِنَّكَ لَا تَرَى النَّاسَ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ: إِمَّا مُقَدَّمٌ آخِرُهُ حِظُهُ أَوْ مَتَأَخَّرَ قَدَمَهُ جَدُّهُ فَارْضَ بِالْحَالِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ دُونَ أَمْلِكُ وَاسْتِحْقَاقُكَ اخْتِيَارًا وَإِلَّا رَضِيَتْ بِهَا اضْطِرَارًا.

وقيل للأخنف بن قيس: ما أصبرك على هذا الثوب " فقال: أحق ما صبر عليه ما ليس إلى مفارقتة سبيل.

" قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ أَعْرَابِيَّةً ذَاتَ جَمَالٍ تَسْأَلُ بَمَنْى فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَسْأَلِينَ وَلَكِ هَذَا الْجَمَالُ قَالَتْ: قَدَّرَ اللَّهُ فَمَا أَصْنَعُ قُلْتُ: فَمَنْ أَيْنَ مَعَاشِكُمْ قَالَتْ: هَذَا الْحَاجُ نَسْقِيهِمْ وَنَغْسِلُ ثِيَابَهُمْ قُلْتُ: فَإِذَا ذَهَبَ الْحَالُ فَمَنْ أَيْنَ فَنظَرْتُ إِلَيَّ وَقَالَتْ: يَا صَلِّتِ الْجَبِينَ لَوْ كُنَّا نَعِيشُ مِنْ حَيْثُ نَعْلَمُ مَا عِشْنَا "

وقيل لرجلٍ من أهل المدينة: ما أصبرك على الحُبزِ والتَّمْرِ قَالَ: لِيَتَّهَمَا صَبْرًا عَلَيَّ.

الرضا بقضاء الله قالت الحكماء: أصلُ الرُّهْدِ الرِّضَا عَنْ اللَّهِ.

وقال الفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: اسْتَخَيَّرُوا اللَّهَ وَلَا تَتَخَيَّرُوا عَلَيْهِ فَرُبَّمَا اخْتَارَ الْعَبْدُ أَمْرًا هَلَكَ فِيهِ.

وقالت الحكماء: رَبُّ مَحْسُودٍ عَلَى رِخَاءٍ هُوَ قَدْ بِنِعْمِ اللَّهِ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنُّعْمِ " وَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَاطَبَنِي أَحٌ مِنْ إِخْوَانِي وَعَاتَبَنِي فِي طَلَبِ الرُّتْبِ فَأَنْشَدْتُهُ: كَمْ افْتَقَرْتُ فَلَمْ أَفْعُدْ عَلَى كَمَدٍ وَكَمْ

عَنِثُ فلم أكبر على أحدٍ إني أمرؤ هانت الدنيا عليّ فما أشتاق فيها إلى مال ولا وِلْدٍ وقالوا: من طلب فوق الكفاية رجع من الدَّهر إلى أبعد غاية .

من قتر على نفسه وترك المال لوارثه زياد عن مالك قال: مَنْ لم يَكُنْ فيه خَيْرٌ لنفسه لم يَكُنْ فيه خَيْرٌ لغيره لأنَّ نفسه أولى الأَنْفُسِ كُلِّهَا فإذا صَيَعَهَا فهو لما سِوَاهَا أَصِيْعٌ ومن أَحَبَّ نفسه حاطبها وأبغى عليها وتجنَّب كل ما يعيها أو يَنْقُصها فَجَنَّبَهَا السَّرِيفَةَ مَخَافَةَ الْقَطْعِ وَالرَّيْنَا مَخَافَةَ الْحَدِّ وَالْقَتْلَ خَوْفَ الْقِصَاصِ.

علي بن داود الكاتب قال: لما افتتح هارون الرشيد هرقلة وأباحها ثلاثة أيام وكان بطريقها الخارج عليه بسبيل الرومي فنظر إليه الرشيد مُقْبِلًا على جدار فيه كتابة باليونانية وهو يُطِيلُ النَّظَرَ فيه فدعا به وقال له: لِمَ تركت النظر إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه فقال: يا أمير المؤمنين قرأت في هذا الجدار كتابًا هو أحبُّ إليّ من هرقلة وما فيها قال له الرشيد: ما هو قال: بسم الله الملك الحق المبين.

ابن آدم غافص الفرصة عند إسكانها وكل الأمور إلى وليها ولا تحمِلْ على قلبك همَّ يوم لم يأت بعدُ إن يَكُنْ من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة بالمعزورين فربَّ جامع ليغلَّ خليلته واعلم أنَّ تفتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره فالسعيد من اتعض بهذه الكلمات ولم يصيغها.

قال له الرشيد: أعد عليّ ياتسبيل فأعادها عليه حتى حفظها.

وقال الحسن: ابن آدم أنت أسير في الدنيا رَضِيَتْ من لذتها بما يتقضي ومن تَعِيْمَهَا بما يمضي ومن ملكها بما ينفد فلا تجمع الأوزار لتفسك ولأهلك الأموال فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك.

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال: أَبْقَيْتَ مَالَكُ مِيرَاثًا لوارثه فليت شعري ما أبقي لك المال القوم بعدك في حال تسرُّهم فكيف بعدهم دارت بك الحال ملوا البكاء فما يتيك من أحد واستحكَم القبل في الميراث والقَالَ وفي الحديث المرفوع: أشدُّ الناس حَسْرَةً يوم القيامة رجلٌ كَسَبَ مَالًا من غير حِلِّه فدخل به النار وورثه مَنْ عَمِلَ فيه بطاعة الله فدخل به الجنة.

وقيل لعبد الله بن عُمر: تُوفي رَيْدُ بن حارثة وترك مائة ألف قال: لكنَّها لا تتركه.

ودخل الحسن على عبد الله بن الأهمم يعوده في مرضه فرآه يُصَعَّدُ بصره في صندوق في بيته ويصوبه ثم التفت إلى الحسن فقال: أبا سعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أودَّ منها زكاة ولم أصل بها رحماً فقال له: تَكَلِّتُكُ أَمَكُ! ولمن كنت تجمعها قال: لِرَوْعَةِ الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة.

ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما فرغ من دفنه ضرب بيده القبر ثم قال: انظروا إلى هذا أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه وجفوة سُلطانِه ومكاثرة

عشيرته عما استودعه الله واستعمره فيه انظروا إليه يَخْرُجُ منها مَذْمُومًا مَذْحُورًا.

ثم قال: أيها الوارث لا تُحَدِّعَنَّ كما خَدِعَ صَوِّحْبِكَ بِالْأَمْسِ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا فَلَا يَكُونُ عَلَيْكَ وَبَالًا أَتَاكَ عَفْوًا صَفْوًا مِمَّنْ كَانَ لَهُ جَمُوعًا مَنُوعًا مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ وَمَنْ حَقَّ مَنَعَهُ قَطَعَ فِيهِ لَجَجَ الْبِحَارِ وَمَفَاوِزَ الْقِفَارِ لَمْ تَكْدَحْ فِيهِ يَمِينٌ وَلَمْ يَغْرُقْ لَكَ فِيهِ جَبِينٌ إِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ حَسْرَةٌ وَنِدَامَةٌ وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسْرَاتِ غَدًا أَنْ تَرَى مَالَكَ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ فَيَالِهَا حَسْرَةٌ لَا تُقَالُ وَتُوبَةٌ لَا تُنَالُ.

لما حَصَرَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاءُ تَظَرَّ إِلَى أَهْلِهِ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فَقَالَ: جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالْدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ وَتَرَكْتُمْ لَكُمْ مَا جَمَعْتُمْ وَتَرَكْتُمْ لَهُ مَا عَمَلْتُمْ مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ! نَقْصَانُ الْخَيْرِ وَزِيَادَةُ الشَّرِّ عَاصِمُ بَنِ حُمَيْدٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً وَلَا يَزِيدُ الْأَمْرَ إِلَّا شِدَّةً وَلَا الْأُيُومَةَ إِلَّا غَلْظًا وَمَا يَأْتِيكُمْ أَمْرٌ يَهْوِلْكُمْ إِلَّا حَفَرَهُ مَا بَعْدَهُ.

قال الشاعر: الْحَيْرُ وَالشَّرُّ مُرْدَادٌ وَمُنْتَقِصٌ فَالْخَيْرُ مُنْتَقِصٌ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ وَمَا أَسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ عَرَفْتُهُمْ دَوِي قَصَائِلَ إِلَّا قِيلَ قَدْ بَادُوا الْعِزَّةَ عَنِ النَّاسِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْنِسُوا بِالْوَحْدَةِ عَنِ جُلُوسِ السَّوَاءِ.

وقال: إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَعُودَ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ.

وقال العنَّابي: مَا رَأَيْتُ الرَّاحَةَ إِلَّا مَعَ الْخَلْوَةِ وَلَا الْأَنْسَ إِلَّا مَعَ الْوَحْشَةِ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: حَيْرِكُمُ الْأَتْقِيَاءُ الْأَصْفِيَاءُ الَّذِينَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا وَإِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا.

وقال: لَا تَدْعُوا حَظَّكُمْ مِنَ الْعِزَّةِ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَكُمْ عِبَادَةٌ.

وقال لُقْمَانُ لابْنَهُ: اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ وَكُنْ مِنْ خِيَارِهِمْ عَلَى حَذَرٍ.

وقال إبراهيم بن أدهم: فِرْ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: لَمْ تَجْتَنِبْ أَرْضَ اللَّهِ صَاحِبًا وَدَرَّ النَّاسُ جَانِبًا " قَلْبُ النَّاسِ كَيْفَا بَثْنَتْ تَجْدُهُمْ عَقَارِبًا " وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ يَأْتِسُّ بِأَهْلِ الْبِلَادَةِ وَيَسْتَوْحِشُ مِنْ أَهْلِ الذِّكَاءِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَثُونَةُ التَّحْقِظِ شَدِيدَةٌ.

وقال ابن مَحْيِرِيزٍ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَلَا تُعْرِفَ وَتَسْأَلَ وَلَا تُسْأَلَ وَتَمْشِي وَلَا يُمَشَى إِلَيْكَ فَافْعَلْ: وَقَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: مَا أَحَبُّ إِلَهُ عَبْدًا إِلَّا أَحَبَّ أَنْ لَا يُشْعَرَ بِهِ.

وقيل للعنَّابي: مَنْ تُجَالِسُ الْيَوْمَ قَالَ: مِنْ أَبْصُقْ فِي وَجْهِهِ وَلَا يَعْصَبُ قِيلَ لَهُ: وَمَنْ هُوَ قَالَ: الْحَائِطُ وَقِيلَ لِدَعْبِلِ الشَّاعِرِ: مَا الْوَحْيِيَّةُ عِنْدَكَ قَالَ: النَّظَرُ إِلَى النَّاسِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ

فَنَدَا إِنِّي لِأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ: طَبِبَ عَنِ الْإِمْرَةِ نَفْسًا وَارْضَى بِالْوَحْشَةِ أَنْسَاءً مَا عَلَيْهَا أَحَدٌ يَسْنُ وَيُحِبُّ عَلَى الْخَبْرَةِ قَلَسًا وَقَالَ آخَرٌ: صَارَ أَحْلَى النَّاسِ فِي الْعَالَمِ - يَنْ إِذَا مَا ذِيقَ مُرًّا إِعْجَابَ الرَّجُلِ بَعَلْمِهِ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ: سُخٌّ مُطَاعٌ وَهَوَى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ.

وفي الحديث: خَيْرٌ مِنَ الْعُجْبِ بِالطَّاعَةِ أَنْ لَا تَأْتِيَ طَاعَةً.

وقالوا: ضاحكٌ مُعْتَرَفٌ بِذَنْبِهِ خَيْرٌ مِنْ بَاكِ مُدِلٍّ عَلَى رَبِّهِ.

وقالوا: سَيِّئَةٌ تُسَيِّئُكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

وقال الله تبارك وتعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَزَكَّوْنَ أُنْفُسَهُمْ تَلِ اللّٰهُ تَزَكَّى مَنْ نَبَأٌ ".

وقال الحسن: ذَمُّ الرَّجُلِ لِنَفْسِهِ فِي الْعَلَانِيَةِ مَدْحٌ لَهَا فِي السَّرِيرَةِ.

وقالوا: مَنْ أَظْهَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ فَقَدْ رَكَاهَا.

وقيل: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عَبْدِهِ دَاوُدَ: يَا دَاوُدَ خَالِقِ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ وَاحْتَجِرِ الْإِيمَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ.

وقال ثابت البُنَّانِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى دَاوُدَ فَقَالَ لِي: مَا جَاءَ بِكَ قَلْتُ: أَزُورُكَ قَالَ: وَمَنْ أَنَا حَتَّى تَزُورَنِي أَمِنَ الْعُبَادَ أَنَا لَا وَاللَّهِ أَمِنَ الزُّهَادَ لَا وَاللَّهِ.

ثم أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُؤَبِّخُهَا فَقَالَ: كُنْتُ فِي السَّبَبَةِ فَاسْقَا ثُمَّ سَبَبْتُ فَصِرْتُ مَرَاتِبًا وَاللَّهُ إِنَّ الْمُرَائِي شَرٌّ مِنَ الْفَاسِقِ.

لَقِيَ عَابِدٌ عَابِدًا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: وَاللَّهِ إِنِّي أَحَبُّكَ فِي اللَّهِ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى سَرِيرَتِي لَأَبْغَضْتَنِي فِي اللَّهِ.

وقال مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ لِرَجُلٍ: مَنْ سَيِّدَ قَوْمِكَ قَالَ: أَنَا قَالَ: لَوْ كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَقُلْهُ.

وقال محمود الوراق: تَعَصَى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ لَوْ كُنْتَ تَضْمُرُ حُبَّهُ لِأَطْعَمْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ " فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَلِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِكَ ذَاكَ مُضِيعٌ " وَقَالَ أَبُو الْأَسْعَثِ: دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ سَبْرِينَ فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي فَظَنَّ أَنَا أَعْجَبْنَا بِصَلَاتِهِ " فَأَرَادَ أَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ عِنْدَنَا " فَلَمَّا انْقَلَبْنَا مِنْهَا التَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ: كَانَتْ عِنْدَنَا امْرَأَةٌ تَضَعُ يَدَهَا عَلَى فَرْجِهَا وَتَقُولُ: حَاجَتِكُمْ تَحْتَ يَدِي.

الرباء زيادٌ عن مالكٍ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكُمْ وَالشُّرَكَ الْأَصْغَرَ قَالُوا: وَمَا الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الرَّبَاءُ.

وقال عبدُ الله ابن مسعود: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا رِبَاءَ ولا سمعةَ من سَمَعَ سَمَّعَ الله به.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما أَسْرَّ أمرٌ سريرةً إلا ألبسه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقال لقمان الحكيم لابنه: احذر واحدةً هي أهلٌ للحذر قال: وما هي قال: إياك أن تُريَ الناسَ أنك تَخشىَ اللهَ وَقَلْبُكَ فاجر.

وفي الحديث: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

وقال الشاعر: وإذا أظهرت شيئاً حسناً فَلْيَكُنْ أَحْسَنَ منه ما تُسِرُّ فَمُسِرِّ الخير مَوْسُومٌ به وَمُسِرِّ الشَّرِّ مَوْسُومٌ بِشَرِّ صلى أشعب فخفف الصلاة ف قيل له: ما أخف صلاتك! قال: إنه لم يُخالطها رِبَاءٌ.

وصلى رجلٌ من المُرائين ف قيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: ومع ذلك إني صائم.

وقال طاهرُ بن الحسين لأبي عبد الله المَرْوزي: كم لك منذُ نزلت بالعِراق قال: منذُ عشرين سنةً وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة.

قال: أبا عبد الله سألتك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين.

الأصمعيُّ قال: أخبرني إبراهيمُ بن القَعقاع بن حَكيم قال: أمر عمر بن الخطاب لرجلٍ بكيس فقال الرجل: أأخذ الحَيْط قال عمر: صَع الكيس.

قال رجلٌ للحسن وكتب عنده كتاباً: أتجعلني في جِل من تُراب حائطك قال: يا بن أخي وَرَعُكَ لا يُنْكَر.

وقال محمود الوراق: أظهرُوا للنَّاس دِيناً وعلى الدِّينار دارُوا وله صامُوا وصلوا وله حَجوا وَرَأوا وقال مُساور الوراق: شمر ثيابك واستعد لقاتل واحكك جبينك للقضاء بثوم وعليك بالعنوي فاجلس عنده حتى تُصيب ودبعة ليتيم وإذا دخلت علي الربيع مسلماً فاخصص سبابة منك بالتسليم وقال: تصوّف كي يُقال له أمين وما يعنى التّصوّف والأمانة ولم يُرد الإله به ولكن أراد به الطّريقَ إلى الخيانة وقال العرّال: يقولُ لي القاضي مُعادٌ مُشاوراً وولى أمراً فيما يرى من دوي العَدل قَعيدلُها ماذا تَحسب المرء فاعلاً فقلت وماذا يفعل الدّبر في التّخل يدقّ خلاياها وبأكل شَهدها ويترك للدّبان ما كان من قَصَل " وقال أبو عثمان المازني لبعض من راءى فهتك الله عز وجل ستره: بينا أنا في تَوْبتي مُستَغيراً قد شَبّهوني بأبي دُوادٍ وقال ابن أبي العتاهية: أرسلني أبي إلى صُوفيٍّ قد قير إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك فقال: التّظرُ إلى الدنيا بكتلتا عيني إسراف.

قال: ثم بدا له في ذلك فاتصل الخبر بأبي فكتب إليه: مُقَيَّر عينه وَرَعاً أردت بذلك اليَدَعَا حَلَعَتْ وأخبث الثقلِي ن صُوفي إذا حَلَعَا " يحيى بن عبد العزيز

قال: حَدَّثَنِي نُعَيْمٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُتَّيْبِهِ .

قال: يَصِبُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَحًّا فَجَاءَتْ عُصْفُورَةٌ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: مَالِي أَرَاكَ مُنْحِنِيًّا قَالَ: لِكثْرَةِ صَلَاتِي انْحِنَيْتُ قَالَتْ: فَمَالِي أَرَاكَ بَادِيَةً عِظَامُكَ قَالَ: لِكثْرَةِ صِيَامِي بَدَّتْ عِظَامِي قَالَتْ: فَمَالِي أَرَى هَذَا الصُّوفَ عَلَيْكَ قَالَ: لِرَهَادَتِي فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ الصُّوفُ قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الْحَبَّةُ فِي يَدِكَ قَالَ: قُرْبَانٌ إِنْ مَرَّ بِي مِسْكِينٌ نَاوَلْتُهُ إِيَّاهُ قَالَتْ: فَإِنِّي مِسْكِينَةٌ قَالَتْ: فَحُذِيهَا .

فَقَبَضَتْ عَلَى الْحَبَّةِ فَإِذَا الْفَخُّ فِي عُنُقِهَا فَجَعَلَتْ تَقُولُ: قَعِي قَعِي .

قال الحسن: تَفْسِيرُهُ .

لَا عَرَنِي نَاسِكٌ مُرَاءٍ بَعْدَكَ أَبَدًا .

الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم: الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَالِدُّعَاءُ يَزِدُّ الْقَدْرَ وَالْبُرُّ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ .

وقالوا: الدُّعَاءُ بِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اسْتَقْبِلُوا الْبَلَاءَ بِالذُّعَاءِ .

وقال الله تعالى: " ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " .

وقال تعالى: " قَالُوا إِذْ حَاءَهُمْ تَأْسُتًا نَتَصَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَيْتُ قُلُوبَهُمْ لَهُ .

وقال عبد الله بن عباس: إِذَا دَعَوْتَ اللَّهَ فَاجْعَلْ فِي دُعَاؤِكَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ مَقْبُولَةٌ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَقْبَلَ بَعْضَ دُعَائِكَ وَيُرَدَّ بَعْضًا .

وقال سعيد بن المسيب: كُنْتُ جَالِسًا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلًا بَارًا وَرِزْقًا دَائِرًا وَعَيْشًا قَارًا .

فالتفت فلم أرَ أحدًا . هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت نائمةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التَّصَفِّي! من شَّعْبَانَ فَلَمَّا أَلْصِقَ جِلْدِي بَجِلْدِهِ أَغْفَيْتُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عِنْدِي فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ النَّسَاءَ مِنَ الْعَيْرَةِ فَلَقَفْتُ مِرْطَئِي أَمَا وَاللَّهِ مَا كَانَ حَرًّا وَلَا قَرًّا وَلَا دِيْبَاجًا وَلَا قُطْنًا وَلَا كَتَانًا قِيلَ: فَمَا كَانَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: كَانَ سَدَاهُ وَمِنْ شَعْرٍ وَلِحْمَتِهِ مِنْ أُوْبَارِ الْإِبِلِ .

قالت: فَتَحَوُّتُ إِلَيْهِ أَطْلُبُهُ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ كَالثَّوْبِ السَّاقِطِ عَلَيَّ وَجْهَهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سَجَدُ لَكَ حَيَالِي وَسَوَادِي وَأَمَّنْ بِكَ فُؤَادِي هَذِهِ

يَدِي وَمَا جَنَيْتُ بِهَا عَلَى نَفْسِي " يَا مَنْ " تُرَجِّى لِكُلِّ عَظِيمٍ فَاغْفِرْ لِي الذَّنْبَ الْعَظِيمَ .

فَقُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَفِي شَأْنٍ وَإِنِّي لَفِي شَأْنٍ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ عَادَ سَاجِدًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ مِنْ فِجَاءِ نِقْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ سَبَقَ وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسَكَ .

فَلَمَّا انصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ تَقَدَّمَتُ أَمَامَهُ حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ وَلِي نَفْسٍ عَالٍ فَقَالَ: مَالِكُ يَا عَائِشَةُ فَأَخْبَرْتُهُ الْحَبْرَةَ فَقَالَ: وَيْحَ هَاتَيْنِ الرُّكْبَتَيْنِ مَا لَقِينَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ! وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا .

ثُمَّ قَالَ: أَتَذَرِينَ أَيُّ لَيْلَةٍ هَذِهِ يَا عَائِشَةُ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذِهِ اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فِيهَا تُؤَقَّتُ الْأَجَالُ وَتُنَبَّتُ الْأَعْمَالُ .

الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ إِلَى مَكَّةَ فَبَكَرْنَا إِذَا لَبَّيْ لَمْ يُلَبِّ أَحَدٌ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ فَلَمَّا جَاءَ الْحَرَمَ قَالَ: يَا رَبِّ مَا زَلْنَا تَهْبِطُ وَهَدِيَّةٌ وَتَصْعَدُ أَكْمَةٌ وَتَعْلُو نَسْرًا وَيَبْدُو لَنَا عِلْمٌ حَتَّى جِئْنَاكَ بِهَا تَقَبَّلَ بِهَا أَحْفَافَهَا دَبْرَةً ظَهُورُهَا ذَا بَلَاءٍ أَسْنِمَتْهَا وَلَيْسَ أَعْظَمُ الْمَوْئِنَةَ عَلَيْنَا إِتْعَابَ أَيْدَانِنَا وَلَكِنْ أَعْظَمُ الْمَوْئِنَةَ عَلَيْنَا أَنْ تَرْجِعَنَا خَائِبِينَ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَزَلُّ بِهِ وَكَانَ آخِرٌ يَدْعُو بَعْرَفَاتٍ: يَا رَبِّ لِمَ أَعْصَيْتَ إِذْ عَصَيْتُكَ جَهْلًا مِنِّي بِحَقِّكَ وَلَا اسْتِخْفَافًا بِعُقُوبَتِكَ وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِعَفْوِكَ وَالْإِعْتِرَارَ بِسِتْرِكَ الْمُزْحَى عَلَيَّ مَعَ الشَّقْوَةِ الْغَالِبَةِ وَالْقَدَرِ السَّابِقِ فَالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي وَيَحْتَلِ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي فَيَا أَسْفِيَّ عَلَى الْوُقُوفِ غَدًا بَيْنَ يَدَيْكَ إِذَا قِيلَ لِلْمُخْجِنِ جُوزُوا وَلِلْمُذْنِبِينَ حُطُّوا .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ عَرُوةُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي مُنَاجَاتِهِ بَعْدَ أَنْ قُطِعَتْ رِجْلُهُ وَمَاتَ ابْنُهُ: كَانُوا أَرْبَعَةً - يَعْنِي بَنِيهِ - فَأَخَذَتْ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثَةً وَكُنَّ أَرْبَعًا - يَعْنِي يَدَيْهِ وَرِجْلِيهِ - فَأَخَذَتْ وَاحِدَةً وَأَبْقَيْتَ ثَلَاثًا فَلَمَّا ابْتَلَيْتَ لَطَالَمَا عَافَيْتَ وَلَمَّا عَاقَبْتَ لَطَالَمَا أَنْعَمْتَ .

وَكَانَ دَاوُدُ إِذَا دَعَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَقُولُ: نَامَتِ الْعَيُونَ وَغَارَتِ النُّجُومُ وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ إِلَّا الْعَظِيمُ إِلَيْكَ رَفَعْتَ رَأْسِي تَطَرُّ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ إِلَى سَيِّدِهِ الْجَلِيلِ .

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ يَوْسُفَ: يَا عُدَّتِي عِنْدَ كُرْبَتِي وَيَا صَاحِبِي فِي عُرْبَتِي وَيَا عَائِيَتِي عِنْدَ شِدَّتِي وَيَا رَجَائِي إِذَا انْقَطَعَتْ حِيلَتِي اجْعَلْ لِي قَرَجًا وَمَخْرَجًا .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ مِنْ جَلْمِكَ تُعْصَى وَكَأَنَّكَ لَا تَرَى وَأَنْتَ مِنْ جُودِكَ وَقَضْلِكَ تُعْطَى وَكَأَنَّكَ لَا تُعْطَى وَأَيُّ زَمَانٍ لَمْ يَعْصِكَ فِيهِ سُكَّانُ أَرْضِكَ فَكُنْتَ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ عَوَادًا وَبِالْفَضْلِ جَوَادًا .

وكان من دُعاء علي بن الحُسين رضي الله عنه: اللهم إني أعوذ بك أن تُحَسِّنَ في مَرَأَى العُيون عَلَانِيَتِي وتَقَيِّحَ في حَفِيَّاتِ القُلُوبِ سِرِّيَرتي اللهم وكما أسأْتُ فأحسنتُ إليَّ إذا عُدْتُ فَعُدْ عليَّ وارزقني مُواساةً مَن قَتَرَت عليه ما وَسَّعت عليَّ.

الشيبانيُّ قال: أصاب الناسَ ببغداد ريحٌ مُظلمةٌ فانتَهيتُ إليَّ رجلٌ في المسجد وهو ساجد يقول في سُجودِه: اللهم احفظ محمداً في أمته ولا تُشَمِّت بنا أعداءنا من الأمم فإن كنت أخذت العوامَ بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك.

وكان الفضيل بن عِيَّاض يقول: إلهي لو عَدَبْتَنِي بالنار لم يَخْرُجْ حُكُّكَ من قَلْبِي ولم أنسَ أَيْدِيكَ عِنْدِي في دار الدنيا وقال عبد الله بنُ مسعود: اللهم وَسَّع علي في الدنيا ورَهَّدني فيها ولا تُرَوِّها عَنِّي وتُرْعِنِي فيها.

مَرَّ أبو الدَّرْداءَ برجلٍ يقول في سُجودِه: اللهم إني سائلٌ فقيرٌ فأعْزِنِي من سِيعَةِ قَصلِكَ خائفٌ مُستجيرٌ فأجِرْني من عَذابِكَ.

الأصمعيُّ قال: كان عَطَاءُ ابن أبي رَباحٍ يقول في دُعائه: اللهم ارحم في الدُّنيا عُرْبَتِي وعند الموت صرْعَتِي وفي القُبورِ وُحْدَتِي ومَقامي عِداً بين يديك.

العُتْبِيُّ قال: حَدَّثَنِي عبدُ الرحمن بن زياد قال: اشتكيتُ أبي فكتب إليَّ أبي بكر بن عبد الله يسأله أن يدعوه له فكتب إليه: حَقٌّ لِمَن عَمِلَ ذنبا لا عُذْرَ له فيه وخافَ مَوْتاً لا بُدَّ له منه " أن يكون مُشْفِيقاً " سادعوكَ ولسْتُ أرجو أن يُستجاب لي بقوةٍ في عَمَلٍ وبراءةٍ من ذَنْبٍ.

العُتْبِيُّ قال: كان عبد الملك بن مَرْوان يَدْعُو علي المُنْبِر: يا رَبِّ إن دُنُوبِي قد كَثُرَتْ وَجَلَّتْ عن كيف يكون الدعاءُ سفِيان بن عُيَيْنَةَ عن أبي مَعْبُدٍ عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ قالت: الإخلاصُ هكذا وَبَسَطَ يَدَهُ اليُسْرَى وأشار بإصْبَعِهِ من يده اليُمْنَى والدعاءُ هكذا وأشار بِرَاحَتِيهِ إلى السَّمَاءِ والابتهالُ هكذا ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما إلى وجهه.

سُفِيان التَّورِيُّ قال: دخلتُ عليَّ جَعْفَر بن محمد رضي الله عنهما فقال لي: يا سُفِيان إذا كَثُرَتْ هُمُومُكَ فأكثِرْ من لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العليِّ العَظيم وإذا تَدَارَكْتَ عليك النِّعم فأكثِرْ من الحَمْدِ لله وإذا أَبْطَأَ عنكَ الرِّزْقُ فأكثِرْ من الاستغفار.

وقال عبد الله بن عبَّاس: لا كَبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إضرار.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: عجباً مِمَّن يَهْلِكُ والنِجاةُ معه! قيل له: وما هي قال: الاستغفارُ.

▲ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وعمر رضوان الله عليهما

أم سلمة قالت: كان أكثرُ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا مُقَلَّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى رَيْبِكَ.

المَغِيرَةُ بن شُعْبَةَ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم من الصَّلَاة يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو على كلِّ شيء قدير.

وكان آخرُ دُعَاء أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في حُطْبَتِهِ: اللهم اجعلْ خَيْرَ رَمَانِي آخِرَهُ وخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وخَيْرَ أَيَامِي يَوْمَ لِقَائِكَ.

وكان آخرُ دُعَاء عمرَ رضي الله عنه في حُطْبَتِهِ: اللهم لا تَدَعْنِي فِي عَمْرَةٍ وَلَا تَأْخُذْنِي فِي غَرَةٍ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ.

▲ الدعاء عند الكرب

عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبدٍ أصابه همٌّ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبيدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو ذكرته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ضياءً صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وبدله مكانه فرحاً.

وقالوا: كلمات القرح من كلِّ كرب: لا إله إلا الله الكريم الخليم وسبحان الله ربَّ العرشِ الكلمات التي تلقى آدم بها ربه اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملتُ سوءاً وظلمت نفسي فتنب عليّ إنك أنت التواب الرحيم.

اسم الله الأعظم عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنت أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى.

أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اسم الله الأعظم فيما بي الآيتين: " وَالهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ " وفتحة آل عمران: " الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ " .

▲ الاستغفار

شَدَّاد بن أَوْسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيِّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعتُ أبوء لك بينعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

الأسود وعَلْقَمَةُ قالَا: قال عبد الله بن مسعود: إنَّ في كتاب الله آيتين ما أصاب عبداً دنبا فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له: " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ " إلى آخر الآية " وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ

ثم تَسْتَغْفِرُ اللهَ بِحَدِّ اللهِ عَفُوراً رَحِيماً " أبو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: مَنْ قَالَ: اسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ غَفِرَ لَهُ وَلَوْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ.

▲ دعاء المسافر

عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْحَضَرِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ.

السُّعْبِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَذِلَّ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ.

وقالت: مَنْ خَرَجَ فِي طَاعَةِ اللهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً وَلَكِنِّي خَرَجْتُ ابْتِغَاءً مَرْضَاتِكَ وَاتِّقَاءً سُخْطِكَ فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ تَرْزُقَنِي مِنَ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَرْجُو وَتَصْرِفَ عَنِّي مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ.

استجيب له بإذن الله.

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ مَهَيْبٌ تَخَافُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْكَ فَقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ وَأَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحَدَرُ اللَّهُمَّ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ كُنْ لِي جَارًا مِنْ عَبْدِكَ فَلَانَ وَجُنُودِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَأَتْبَاعِهِ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: لَمَّا حَجَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لِلرَّبِّيعِ: عَلَيَّ بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتَلْهُ.

فمُطِّلٌ بِهِ ثُمَّ أَلَحَّ فِيهِ فَحَضَرَ.

فَلَمَّا كُتِبَ السُّنْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَمَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ هَمَسَ جَعْفَرٌ بِسَفَقَتِهِ ثُمَّ تَقَرَّبَ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَا سَلَامَ لَكَ اللهُ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللهِ تُعْمَلُ عَلَى الْغَوَائِلِ فِي مُلْكِي قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ.

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سُلَيْمَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَيْتَنِي فَشَكَرَ وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتَلَيْتَنِي فَصَبَرْتُ وَإِنْ يُوْسُفَ ظَلَمْتُ فَعَفَّرْتُ وَأَنْتَ عَلَيَّ إِزْثٌ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ مِنْ تَأْسِيٍّ بِهِمْ فَانْكَسَ أَبُو جَعْفَرٍ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَقَالَ: إِلَهِي يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةُ وَإِنَّكَ ذُو الرَّحْمِ الْوَاسِئَةِ السَّلِيمِ النَّاحِيَةِ الْقَلِيلِ الْغَائِلَةِ ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَقَهُ بِيَسَارِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَانْحَرَفَ لَهُ عَنْ بَعْضِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ يُسَائِلُهُ وَيُحَادِثُهُ ثُمَّ قَالَ: عَجَلُوا لِأَبِي عَبْدِ اللهِ إِذْهُ وَكُسُوتِهِ وَجَائِزَتِهِ.

قال الربيع: فلما خرج وأسدل الستر أمسك بئويه فارتاع وقال: ما أرانا يا ربيع إلا قد حيسنا قلت: هذه مني لا منه قال: فذلك أيسر قل حاجتك قلت: إني منذ ثلاث أذاع عنك وأداري عليك ورأيتك إذ دخلت همسيت بشفتيك ثم رأيت الأمر أنجلي عنك وأنا خادم سلطان ولا غنى بي عنه فأجب منك أن تُعلمنيه قال: نعم قل: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكفني بكتفك الذي لا يُرام ولا أهلك وأنت رجائي فكم من نعمة أنعمتها علي قلّ عندها شكري فلم تحرمني وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ عندها صبري فلم تحذلني اللهم بك أدرا في نحره وأعوذ بخيرك من شرّه.

▲ الدعاء على الطعام

من قال على طعامه: بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء ولا يضر مع اسمه داء اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء لم يضره ذلك الطعام كائناً ما كان.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله الذي من علينا وهَدانا وأطعمنا وأزوانا وكل بلاء حسن أبلانا.

▲ الدعاء عند الأذان

من قال إذا سمع الأذان: رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً غفر له ذنوبه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا سمعتم الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤمن.

▲ الدعاء عند الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من رأى من الطير شيئاً يكرهه فقال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك لم يضره.

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء الفصيل عن أبي حازم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يُسمع ونفس لا تشبع 0 " اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع "

وقال صلى الله عليه وسلم: من قال إذا أمسى وأصبح: أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شرّ ما ينزل من السماء ومن شرّ ما يعرج فيها ومن شرّ ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها لم يضره شيء من الشياطين والهوام.

مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعوذُ بالحسن والحسين رضي الله عنهما بهذه الكلمات: أعيدكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة.

وكان إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم يُعوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق.

وقال أعرابي يصف دَعْوَةَ: وسارية لم تَسِرْ في الأرض تَبَغِي مَحَلًّا ولم يَقْطَعْ بها البيدَ قاطعٌ " سَرَتْ حيث لم تَسِرِ الرِّكَابُ ولم تُنْخِ لورد ولم يَقْصُرْ لها القَيْدَ مانعٌ " تَظَلُّ وَرَاءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ سَاقِطٌ بِأَوْرَاقِهِ فِيهِ سَمِيرٌ وَهَاجِعٌ إِذَا سَأَلْتُ لَمْ يَرُدِّ اللَّهُ سُؤْلَهَا عَلَى أَهْلِهَا وَاللَّهُ رَأِيٌّ وَسَامِعٌ وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّمَا أَرَى بِجَمِيلِ الظَّرِّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ وَمَنْ قَوْلُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: بُنِي لِنِ أَعْيَا الطَّيِّبِ ابْنِ مُسْلِمٍ صَنَّاكَ وَأَعْيَا ذَا الْبَيَانِ الْمُسَجِّعِ لِأَبْتِهْلَنْ تَحْتَ الظَّلَامِ بِدَعْوَةِ مَتَى يَدْعُهَا دَاعٍ إِلَى اللَّهِ يُسْمَعُ يُفْلَقُ مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ تَشِيحُهَا لَهَا شَافِعٌ مِنْ عَبْرَةٍ وَتَضْرَعُ إِلَى فَارِجِ الْكَزْبِ الْمُجِيبِ لِمَنْ دَعَا قَرَعَتْ بِكَرْبِي إِنَّهُ خَيْرٌ مَفْرَعٌ فِيهَا خَيْرٌ مَدْعُوٌّ دَعْوَتُكَ فَاسْتَمِعْ وَمَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ فَضْلِكَ فَاشْفَعْ

▲ كتاب الدرّة في التعازي والمراثي

قال أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه: قد مضى قولنا في الرُّهد ورجاله المشهورين.

ونحن قائلون بعون الله " وتوفيقه " في النّوادر والمراثي والتّعازي بأبلغ ما وجدناه من الفطر الذكيّة والألفاظ الشجيّة التي تُرِقُّ القلوب القاسية وتذيب الدموع الجامدة مع اختلاف النّوادر عند نزول المصائب فنادية تُشير الحزن من ربّصته وتبعث الوجد من رفقته بصوتٍ كترجيع الطير تُقطع أنفاس الماتم وتترك صدعاً في القلوب الجلامد ونادية تُخفّض من تشييحها وتقصّد في نحيبها وتذهب مذهب الصبر والاستسلام والثقة بجزيل الثواب.

قال عمر بن دَرّ: سألتُ أباي: ما بالُ الناس إذا وعظتهم بكوا وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا قال: يا بُني ليست النائحة التكلّي مثل النائحة المُستأجرة.

وقال الأصمعيّ: قلتُ لأعرابيّ: ما بالُ المراثي أشرفُ أشعاركم قال: لأنّها نقولها وقلوبنا مُحترقة.

وقالت الحكماء: أعظم المصائب كلّها انقطاع الرّجاء.

وقالوا: كلُّ شيء يبدو صغيراً ثم يعظّم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر.

القول عند الموت الأصمعيّ عن مُعتمر عن أبيه قال: لقنوا مَوْتَاكُم الشّهادة فإذا قالوها فدعوهم ولا تُضجروهم.

وقال الحسن: إذا دخلتم على الرجل في الموت فبشّروه ليَلْقَى ربّه وهو حسن الظنّ به وإذا كان حيّاً فحوّفوه.

ولقي أبو بكر طلحة بن عبيد الله فرآه كاسفاً مُتغيّراً لوئّه فقال: مالي أراك مُتغيّراً لوئك قال: لكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها قال وما ذاك قال: سمعته يقول: إني أعلم كلمة من قالها عند الموت مَحّصت دُنوبه ولو كانت مثل رَدِّ البحر فأنسيبت أن أسأله عنها.

قال أبو بكر: أَعَلَّمَكَهَا وَهِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

أبو الحُبَاب قال: لما احتضر مُعَاذ قال لخادمته: وَيْحِكِ! هل أَصْبَحْنَا قالت: لا ثم تركها ساعةً ثم قال لها: انظري فقالت: نعم قال: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَبَاحِ إِلَى النَّارِ.

ثم قال: مَرَّحِبًا بِالْمَوْتِ مَرَّحِبًا بِزَائِرِ جَاءَ عَلِيٍّ فَاقَةَ أَفْلَحَ مِنْ تَدِيمِ.

اللهم إنك تعلم أنني لم أحبّ البقاء في الدنيا لِجَزِي الأَنْهَارِ وَغَرْسِ الأشجار ولكن لمكابدة الليل الطويل وطمأ الهَوَاجِرِ فِي الحَرِّ الشَّدِيدِ وَمُزَاحِمَةِ العُلَمَاءِ بِالرَّكَبِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ.

ولما حضرت الوفاة عمر بن عُتْبَةَ قال لرفيقه: تَرَلَّ بِي المَوْتُ وَلَمْ أَتَأَهَّبْ لَهُ اللهم إنك تعلم أنه ما سَنَحَ لِي أَمْرَانِ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا رِضًا وَلِي فِي الأَخرِ هَوًى إِلَّا أَثَرْتُ رِضَاكَ عَلَى هَوَايِ.

ولما حضرت الوفاة عَمْرُ بْنُ الخَطَّابِ: قال لَوْلَدِهِ عبد الله بن ابن السَّمَّانِ قال: دخلتُ على يزيد الرَّقَاشِيِّ وهو في الموت فقال لي: سَبَقَنِي العابِدُونَ وَقُطِعَ بِي وَالْهَقَاةُ! موسى الأَبْهَوَارِيِّ قال: دخلتُ على أَرْدَمَرْدٍ وهو ثَقِيلٌ فَإِذَا هُوَ كَالْحُقَّاشِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا رَأْسُهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا مَا حَالُكَ قال: وَمَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا " بَعِيدًا " بِغَيْرِ زَادٍ وَيَنْتَظِرُ إِلَى مَلِكٍ عَدَلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَيَدْخُلُ قَبْرًا مُوحِشًا بِغَيْرِ مُؤَنَسٍ قال عَمْرُ بْنُ عبد العزيز لأبي قِلَابَةَ وَقَدْ وَلِيَ عَسَلُ ابنه عبد الملك: إِذَا عَسَلْتَهُ وَكَفَّنْتَهُ فَأَذِّنِي قَبْلَ أَنْ تُعْطِيَ وَجْهَهُ فَفَعَلْ فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَعَقَّرَكَ لَكَ.

ولما مات محمد بن الحَجَّاجِ جَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ: إِذَا غَسَلْتُمُوهُ وَكَفَّنْتُمُوهُ فَأَذِّنُونِي فَفَعَلُوا فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ مُتَمَثِّلًا: الْآنَ لَمَّا كُنْتُ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى وَأَفْتَرَّ نَابُكَ عَنِ شَبَابَةِ القَارِحِ وَتَكَامَلْتُ فِيكَ المُرُوءَةَ كُلَّهَا وَأَعْنَتُ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ فَقِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَاسْتَرْجِعْ فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا بُنَيَّ قال: أَجِدُنِي فِي المَوْتِ فَاحْتَبِسْنِي فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي قال: وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبُّ لِي أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ قال: وَأَنَا وَاللَّهِ لَأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ.

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مَسَلْمَةُ بِنْتُ عبد الملك فأذن له وأمره أَنْ يُخَفِّفَ الوَقْفَةَ فَلَمَّا دَخَلَ وَقَفَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنَّا خَيْرًا فَلَقَدْ أَلَنْتَ لَنَا قُلُوبًا كَانَتْ عَلَيْنَا قَاسِيَةً وَجَعَلْتَ لَنَا فِي الصَّالِحِينَ ذِكْرًا.

حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتراكبت عليه كُرب الموت فرفع رأسه وقال: واكرباه! فبكت فاطمة وقالت: واكرباه لكربك يا أبتاه! قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

الرّياشي عن عثمان بن عُمرٍ عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ما رأيتُ أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبتها ورَحَبَ بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورَحَّبت به وأخذت بيده فقبلتها.

فدخلت عليه في مرضه الذي تُوفي فيه فأسرَّ إليها فبكت ثم أسرَّ إليها فصَحَّكت.

فقلت: كنتُ أحسبُ لهذه المرأة فضلاً على النساء فإذا هي واحدةٌ منهنّ بينما هي تبكي إذا هي تضحك.

فلما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها فقالت: أسرَّ إليّ فأخبرني أنه مَيّت فبكيته ثم أسرَّ إليّ أني أولُ أهل بيته لُحوقاً به فصَحَّكتُ.

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه فقالت له: يا أبتِ اعهد إلى خاصتك وأنفذ رأيك في عامتك وأنقل من دار جهازك إلى دار مُقامك وإنك محضور ومتمصل بقلبي لو عنتك وأرى تخاذل أطرافك وانتفاع لؤنك فإلى " الله " تعزيتي عنك ولديه ثوابٌ صبري عليك أرقاً فلا أرقاً وأشكو فلا أشكى.

فرفع رأسه فقال: يا بُنَيَّةُ هذا يوم يُحلّ فيه عن غِطائي وأعين جزائي إن فرِحاً فدائم وإن ترِحاً فمُقيم.

إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعةً والحذر تفریطاً فشهيدي الله ما كان بقلبي إلا إياه فتبليت بصحفتهم وتعللت بدرّة لفتحهم وأقمت صلاي معهم لا مُحْتالاً أنييراً ولا مُكابراً بطيراً لم أعدُ سدّ الجوعة وتورية العورة طوى مُمغص تهفو له الأحشاء وتجبّ له الأمعاء واضطرت إلى ذلك اضطرار الجرض إلى الماء المعيف الأجن فإذا أنا ميتٌ فردّي إليهم صحفتهم ولفحتهم وعبدّهم ورحاهم ودنّارة ما فوقني اتقيت بها أذى البرد ووثارة ما تحتي اتقيت بها أذى الأرض كان حشوهما قطع السعف.

ودخل عليه عمر فقال: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كلفت القومَ بعدك تعباً ووليتهم نصباً فهيهات من شقّ عُبارك فكيف باللحاق بك.

وقالت عائشة وأبوها يُغمّض: وأبيض يُسنّسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأراذل عليه فقالت: لعمرك ما يعني التراء عن القتي إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدُّرُ قالت: فنظر إليّ كالغضبان وقال لي: قولي: "[وَخَاءُتُ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ](#)".

ثم قال: انظروا مُلاءتي فاعسلوهما وكفّنوني فيهما فإن الحيّ أحوج إلى الجديد من الميت.

وقال مُعاوية حين حصرته الوفاة: ألا ليّنتي لم أعن في الملّك ساعة ولم أك في اللدات أعشى النواظرِ وكنتُ كذي طمرين عاش ببلغة ليالي حتى زار

صَنَكَ الْمَقَابِرَ لَمَّا تَقَلَّ مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدُ غَائِبُ أَقْبَلَ يَزِيدُ فَوَجَدَ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ جَالِسًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَكَلَّمَهُ يَزِيدُ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ فَبَكَى يَزِيدُ وَتَصَوَّرَ مُعَاوِيَةَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَنِي إِنْ أَعْظَمَ مَا أَخَافُ اللَّهُ فِيهِ مَا كُنْتُ أَصْنَعُ لَكَ.

يَا بَنِي إِنْ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ إِذَا مَضَى لِحَاجَتِهِ وَتَوَضَّأَ أَصَبَّ الْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ فَتَنْظَرُ إِلَيَّ قَمِيصَ لِي قَدْ انْخَرِقَ مِنْ عَاتِقِي فَقَالَ لِي: يَا مُعَاوِيَةَ: أَلَا أَكْسُوكَ قَمِيصًا قُلْتُ: بَلَى فَكَسَانِي قَمِيصًا لَمْ أَلْبَسْهُ إِلَّا لَبَسْتَهُ وَاحِدَةً وَهُوَ عِنْدِي وَاجْتَزَذْتُ يَوْمَ فَأَخَذْتُ جُزَاةَ شَعْرِهِ وَقَلَامَةَ أَظْفَارِهِ فَجَعَلْتُ ذَلِكَ فِي قَارُورَةٍ فَإِذَا مِتُّ يَا بَنِي فَأَغْسِلْنِي ثُمَّ اجْعَلْ ذَلِكَ الشَّعْرَ وَالْأظْفَارَ فِي عَيْتِي وَمِنْخَرِي وَفَمِي ثُمَّ اجْعَلْ قَمِيصَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِعَارًا مِنْ تَحْتِ كَفِّي إِنْ تَقَعَ شَيْءٌ نَفَعَ هَذَا.

لَمَّا احْتَضَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ جَمَعَ بَيْنَهُ فَقَالَ: يَا بَنِي مَا تَغْنُونَ عَنِّي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْئًا قَالُوا: يَا أَبَانَا إِنَّهُ الْمَوْتُ وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ لَوْقَيْنَاكَ بِنَفْسِنَا فَقَالَ: أَسِنْدُونِي فَأَسْنَدُوهُ.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَلَمْ أَتَمِرْ وَرَجَرْتَنِي فَلَمْ أُرَدِّجِرْ اللَّهُمَّ لَا قُوِيَ فَأَتَبَصَّرُ وَلَا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرُ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ بَلْ مُسْتَغْفِرٌ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

فَلَمْ يَرَلْ يُكْرِّرُهَا حَتَّى مَاتَ.

قَالَ: وَأَخْبَرْنَا رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لِبَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: إِنِّي لَسْتُ فِي الشِّرْكِ الَّذِي لَوْ مِتُّ عَلَيْهِ أَدْخَلْتُ النَّارَ وَلَا فِي الْإِسْلَامِ الَّذِي لَوْ مِتُّ عَلَيْهِ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَمَهْمَا قَصَرْتُ فِيهِ فَأَيْتِي مُسْتَمْسِكٌ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَبِضْ عَلَيْهَا يَدَهُ وَقَبِضْ لَوْقَتَهُ.

فَكَانَتْ يَدُهُ تَفْتَحُ تَتْرَكَ فَتَنْقَبِضُ.

وَقَالَ لِبَنِيهِ: إِنْ أَنَا مِتُّ فَلَا تَبْكُوا عَلَيَّ وَلَا يَتَّبِعْنِي مَادِحٌ وَلَا نَائِحٌ وَشَبِّهُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَبِّهُوا فَلَيْسَ جَنْبِي الْأَيْمَنُ أَوْلَى بِالتُّرَابِ مِنَ الْأَيْسَرِ وَلَا تَجْعَلُوا فِي قَبْرِي حَشِيَّةً وَلَا حَجْرًا وَإِذَا وَارَيْتُمُونِي فَاقْعِدُوا عِنْدَ قَبْرِي قَدْرَ تَحْرِ جُرُورٍ وَتَفْصِيلِهَا أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ.

▲ الجزع من الموت

الْقُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ قَالَ: مَا جَزَعُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عِنْدَ الْمَوْتِ مَا جَزَعُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فَقُلْنَا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا هَذَا الْجَزَعُ أَلَيْسَ تَذْهَبُ إِلَيَّ مِنْ عَبْدَتِهِ وَقَرَّرْتَ بِدُنْكَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَيَحْكُمُ! إِنِّي أَسْأَلُكَ طَرِيقًا لَمْ أَعْرِفْهُ وَأَقْدَمَ عَلَيَّ رَبٌّ لِمَ أَرَهُ.

وَلَمَّا تُوفِّيَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ وَجَدَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْحَسَنُ وَجَدًا شَدِيدًا فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ اللَّهَ جَعَلَ الْحُزْنَ عَارًا عَلَى يَعْقُوبَ.

وقال صالح المَرِّي: دخلتُ على الحسن وهو في الموت وهو يُكثِر الاسترجاعَ فقال له ابنه: أمثلكَ يَسترجعُ على الدنيا قال: يا بُني ما أسترجعُ إلا على نفسي التي لم أصبَ بمثلها قَطً.

ولما أمر معاوية بقتل حُجر بن الأدبَر وأصحابه بَعث إليهم أكفانهم وأمر بأن تُفْتَح قبورهم ويُقتلوا عليها.

فلما قُدِّم حُجر بن الأدبَر إلى السيف جَزَع جَزَعاً شديداً فقيل له: أمثلكَ يَجزِعُ من الموت فقال: وكيف لا أجزع وأرى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقَبراً مَحفوراً.

▲ البكاء على الميت

السَّعْبِي عن إبراهيم قال: لا يكون البُكاء إلا من قَصَلٍ " قُوَّة " فإذا اشتد الحُزن دَهَبَ البكاء.

فلئن بَكَيْنَاهُ لَحُقَّ لنا ولئن تَرَكْنَا ذاكَ لِلصَّبْرِ فَلِمِثْلِهِ جَرَّتِ العُيُونُ دَمًا ولمثله جَمَدتْ ولم تَجْرِ مر الأحنف بامرأة تبكي مَيِّتاً ورجل ينهاها فقال: دَعَهَا فإنها تَدْبُ عَهْدًا قَريباً وسَفراً بعيداً.

قالوا: لما تُوَفِّي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه.

فُسئِلَ عن ذلك فقال: تدمع العينان ويحزن القلب ولا تقول ما يُسَخِّطُ الرب.

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بينسوة من الأنصار يبكين مَيِّتاً فَرَجَرَهُنَّ عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: دَعْنِ يا عُمَرُ فإن النفسَ مُصابة والعينَ دامية والعهدَ قريب.

ولما بكت نساء أهل المدينة على قَتلى أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لكنَّ حمزة لا باكيةَ له.

فَسَمِعَ ذلكَ أهلُ المدينة فلم يَقُمْ لهم مَأتم " أبعدها " إلى اليوم إلا ابتداءً " النساء " فيه بالبكاء على حمزة قالت النبي صلى الله عليه وسلم: لولا أن يُشَقَّ على صَفِيَّةَ ما دَفنَتْهُ حتى يُحْشَرَ من حواصل الطير وبُطون السُّباع.

ولما نُعي النُّعمان بن مُقَرَّن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح يا أسفي على النعمان.

ولما اسْتُشهد زيد بن الخطاب باليمامة وكا صاحبه رجلٌ من بني عَدِي بن كعب فَرَجَع إلى المدينة فلما رآه عمر دَمَعَت عيناه وقال: وقال عمرُ بنُ الخطاب " رضي الله عنه " : ما هَبت الصُّبا إلا وجدتُ تَسيم زيد.

وكان إذا أصابته مصيبة قال: قد فقدتُ زَيْداً فصبرتُ.

ولما تُوفي خالدُ بن الوليد أيامَ عمرَ بن الخطاب وكان بينهما هجرة فامتنع النساء من البكاء عليه.

فلما انتهى ذلك إلى عمر قال: وما على نساء بني المغيرة أن يُرقنَ من دمعهن على أبي سليمان ما لم يكن لَعُواً ولا لَقْلَقَةً.

وقال معاوية ودُكر عنده النساء: ما مَرَّضَ المَرَضَى ولا نَدَبَ المَوْتَى مِنْهُنَّ.

وقال أبو بكر بن عيَّاش: نزلت بي مصيبة أَوْجَعَتني فذكرتُ قولَ ذي الرُّمة: لعل انحدار الدَّمعِ يُعَقِّبُ راحةً من الوَجْدِ أو يَشْفِي سَجِيَّ البَلابِلِ فَخَلُوتُ فبكيثُ فسَلُوتُ.

وقال الفرزدق في هذا المعنى: أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةَ بَكِيثُ فنادتني هُتَيْدَةً مالياً فقلْتُ لها إِنَّ البُكاءَ لراحةٌ به يَشْتَفِي من ظَنٍّ أن لا تلاقياً قعيدُ كما الله الذي أنتما له أَلَمْ تَسْمَعَا بالبَيْصَتَيْنِ المُتَّارِيَا حَبِيبُ دعا والرملَ بيني وبينه فأبسمعني سَفِيًّا لذلك داعياً يقال: قعيدك الله وَقَعَدَكَ اللهُ معناه: سألتك الله.

قال بعضهم: خرجنا مع زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ تُرِيدُ الحَجَّ فلما بلغنا النَّبَاجَ وصرنا إلى مقابرها التفت إلينا فقال: لَكُلِّ أناسٍ مَقْبَرٌ يفنائهم فهم يَنْقُضُونَ والقُبُورَ تَزِيدُ فما إن تَرَأَى دائِرَ حَيٍّ قد اُخْرِبَتْ وَقَبْرٌ بأفئاءِ البُيُوتِ جَدِيدٌ هُمْ حَيْرَةُ الأحياءِ أما مَزارُهُم فدانُ وأما المُلْتَقَى فبَعِيدُ وقال: مررتُ ببزید الرِّقَاشِيِّ وهو جالسٌ بين المدينة والمقبرة فقلت له: ما أَجْلِسُكَ هُنا قال: أنظر إلى هذين العَسْكَرَيْنِ فعسكِرُ بَقْدِفِ الأحياءِ وعسكِرُ يَلْتَقِمُ الموتى ثم نادي بأعلى صوتِهِ: يا هَلْ القُبُورِ المُوَحِّشَةَ قد نطقَ بالخَرابِ قَنائُها ومُهَدَّ بالثَّرابِ بناؤها فمحلها مُفْتَرَبٌ وساكنها مُعْتَرَبٌ لا يتواصلون تواصلَ الإخوانِ ولا يتزاورون تزاورَ الجيرانِ قد طَحَنَهُم بِكُلِّكَلِهِ اليلَى وأكلتهم الجنادل والثرى.

وكان عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال: أما المنازل فقد سُكِنَتْ وأما الأموال فقد قُسِّمَتْ وأما الأزواج فقد نُكِحَتْ فهذا خبر ما عندنا فليتَّ شِعْري ما عندكم ثم قال: والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام لقالوا: إن خير الزاد التَّقوى.

وكان عليُّ بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال: السلامُ عليكم يا أهل الدِّيارِ المُوَحِّشَةَ والمَحالَّ المَقْفِرَةَ من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عَنَّا وعنهم.

ثم يقول: الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً والحمد لله الذي منها خَلَقنا و " جعل " إليها مَعادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المَعاد وعمل الحسنات وَقَنعَ بالكفافِ وَرَضِيَ عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخلَ المَقْبِرَةَ قال: السلامُ عليكم دارَ قومِ مُؤمِنينَ وإِنِّ إن شاء الله بكم لاحقون.

وكان الحَسَنُ البَصْرِيُّ إذا دخل المقبرة قال: اللهم رَبِّ هذه الأجساد البالية والِعظامِ التَّخِرَةِ التي حَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وهي بِكَ مُؤَمَّنَةٌ ادْخُلْ عَلَيْهَا رَوْحاً مِنْكَ وَسَلَاماً مِّنَّا.

وكان عَلِيُّ ابنِ الفَضْلِ إذا دَخَلَ المقبرة يقول: اللهم اجعل وَقَاتِهِمْ نِجَاةً لَهُمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ واجعل حِسَابَهُمْ زِيَادَةً لَهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ.

الوقوفُ على القبورِ وتَأْيِينِ الموتي وَقِفْ أعرابيُّ على قَبْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: قُلْتُ فَقِيلَنا وَأَمَرْتُ فَحَفَظْنا وَبَلَغْتَ عَن رِبِكَ فَسَمِعْنا.

" وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً " .

وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَجِئْنَاكَ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا.

فَمَا بَقِيَتْ عَيْنٌ إِلَّا سَأَلَتْ.

وقفت فاطمةُ عليهما السلام على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت: فليت قبلكَ كان الموتُ صادَقنا لما نُعِيَّتْ وحالتُ دونك الكُتُبُ حمادُ بن سَلَمَةَ عن ثابت عن أنس بن مالك قال: لما قَرَعْنَا من دَفْنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فاطمةُ فقالت: يا أنس كيف طابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا على وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الترابَ ثم بَكَتْ ونادت: يا أبتاه! أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يا أبتاه! مِنْ رَبِّهِ ما أدناه يا أبتاه! مَنْ رَبُّهُ ناداه يا أبتاه! إلى جبريل تَنَعَاهُ يا أبتاه! جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ ماواه.

قال: ثم سَكَتَتْ فما زادت شيئاً.

ولما دُفِنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُقِيلَ عبدُ الله بن مَسْعُودٍ وقد فاتته الصلاةُ عليه فَوَقَفَ على قَبْرِهِ يبكي وَيَطْرَحُ رِداءَهُ ثم قال: والله لئن فاتتني الصلاةُ عليك لا فاتتني حُسْنُ الثَّناءِ أما والله لَقد كنتُ سَخِيًّا بِالْحَقِّ بخيلاً بالباطل تَرْضَى حين الرِّضا وتَسْخَطُ حين السُّخْطِ ما كنتُ عَيَاباً ولا مَدْحاً فَجَزَاكَ اللهُ عَنِ الإِسْلامِ حَيْرًا.

ووقف عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه على قَبْرِ حَبَّابٍ فقال: رَحِمَ اللهُ حَبَّاباً لَقد أسْلَمَ رَاعِباً وَجَاهِدَ طائِعاً وَعاشَ زاهداً وَأبْثَلِي في جِسمِهِ فَصَبِرَ وَلن يُضَيِّعَ اللهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

ولما تُوفِّيَ عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه قام الحسنُ بن علي رضي الله عنهما فقال: أيها الناس إنه فُيْضِي فيكم الليلة رَجُلٌ لم يسبقه الأولون ولم يُدْرِكْه الآخرون قد كان رسولُ لله صلى الله عليه وسلم يَبْعَثُهُ فيكْتَنِفُهُ جبريلُ عن يمينه وميكائيلُ عن شماله لا يَبْثُنِي حتى يَفْتَحَ اللهُ لَهُ ما تَرَكَ صَفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمائةٍ دَرَهُمَ أَعَدَّها الخادمُ لَهُ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ الحَسَنِ عن محمد بن مُصْعَبٍ قال: لما مات داود الطائي تكلم ابن السَّمَاكِ فقال: إِنَّ داودَ نَظَرَ إلى ما بي يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعشى

بَصُرَ الْقَلْبُ بِصَرَ الْعَيْنِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ نَظَرُ وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ فَلَمَّا رَأَى رَأَى مَفْتُونِينَ مَغْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عَقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُبِّهَا قُلُوبَكُمْ أَسْتَوْحِشُ مِنْكُمْ فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ.

يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك! أهنت نفسك وإنما تُريد إكرامها وأُعبتها وإنما تُريد راحتها أَحَسَّنتُ المَطْعَمَ وإنما تُريد طيبه وأُحَسَّنتُ الملبس وإنما تُريد لينه ثم أَمَتَّ نَفْسَكَ قبل أن تموت وَقَبَّرْتَهَا قبل أن تُقَبَّرَ وَعَدَّبْتَهَا قبل أن تُعَدَّبَ سَجَّنتُ نَفْسَكَ في بَيْتِكَ ولا مَحَدَّثَ لها ولا جليس معها ولا فَرَّاشَ تحتك ولا ستر على بابك ولا قُلَّةَ تُبَرِّدُ فيها ماءك ولا صَحْفَةَ يكون فيها عَدَاؤُكَ وَعِشَاؤُكَ.

يا داود ما تشتهي من الماء بارده ولا من الطعام طيبه ولا من اللباس ليته بلى ولكن زَهَدْتُ فيه لما بين يَدَيْكَ فلا أصغر ما بذلت وما أحقر ما تَرَكَتَ في حَنْبٍ ما رَغِبْتُ وَأَمَلْتُ! لم تقبل من الناس عَطِيَّةً ولا من الإخوان هدية فلما مِتَّ شَهَرَكَ رَبِّكَ بِقَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِذَاءَ عَمَلِكَ فلو رأيت مَنْ حَضَرَكَ وَقَفَ الأحنفُ بن قيس على قَبْرِ أخيه فَأَنشَدَ: فوالله لا أنسى قَتِيلًا رُزِنْتُهُ بجانب قويسٍ ما مَشِيَ على الأرض على انها تَعْفُو الكَلُومَ وإنما نَوَكَلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمْضِي ووقف محمد بن الحنفية على قبر الحُسن بن علي رضي الله عنه فَحَنَقْتُهُ العَبْرَةَ ثم نَطَقَ فقال: يَرْحَمُكَ اللهُ أبا أحمد فلئن عَزَّتْ حَيَاتُكَ فلقد هَدَّتْ وفائُكَ وَلِنِعْمَ الرُّوحَ رُوحَ صَمِّهِ بَدَنُكَ وَلِنِعْمَ البَدَنَ بَدَنُ صَمِّهِ كَقَتُّكَ وكيف لا يكون كَذَلِكَ وَأَنْتَ بِقِيَّةٍ ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس أصحاب الكِساءِ عَدَّتْكَ أَكْفَ الحَقِّ وَرَبِيتَ في حِجْرِ الإسلامِ فَطَبَّتْ حَيًّا وَطَبَّتْ مَيِّتًا وَإِنْ كَانَتْ أَنْفُسُنَا غَيْرَ طَيِّبَةٍ بِفِرَاقِكَ ولا شَاكَةَ في الخِيارِ لَكَ.

ووقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت: تَصَّرَ اللهُ وَجْهَكَ وَشَكَرَ لَكَ صالِحَ سَعْيِكَ فقد كُنْتَ للدنيا مُدَلًّا بِإِدْبَارِكَ عنها وكنت للآخرة مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عليها ولئن كان أجلُّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزُوكَ وَأَعْظَمَ المصائب بعده فَقَدْ كُنْتَ إِنَّ كِتَابَ اللهِ لَيَعِدُ بِحُسْنِ الصبرِ فيكَ وَحُسْنِ العِوَضِ مِنْكَ فإنا أنتجز موعد الله بحسن العزاء عليك وأستعيضه منك بالاستغفار لك فعليك السلام ورحمة الله توديع غير قالية لك ولا زارية على القضاء فيك ثم انصرفت.

لما قبض أبو بكر " رضي الله عنه " سُجِّي بَنُوبَ فَارْتَجَّتْ المدينة باليُكَاءِ عليه ودهش القوم كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء علي بن أبي طالب باكياً مُسْرِعاً مُسْتَرْجِعاً حتى وَقَفَ بالبَابِ وهو يقول: رَحِمَكَ اللهُ أبا بكر كنت واللّه أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم يقيناً وأعظمهم عناءً وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرّتهم كلَّ الإسلامِ وَأَحْنَاهُمْ علي أهله وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم خُلُفَاءً وَقَضَلًا وَهَدْيًا وَصَمْتًا فَجَزَاكَ اللهُ عن الإسلامِ وعن رسول الله وعن المُسلمين خيراً صَدَّقْتَ رسول الله " صلى الله عليه وسلم " حين كَذَبَهُ الناسُ ووَاسِيَّتَهُ حين بَخَلُوا وقمت معه حين قعدوا سِمْكَ اللهُ في كتابه صِدِّيقاً فقال: " [وَالَّذِي حَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ](#) " يريد محمداً ويُريدك.

كنت والله للإسلام حِصْنًا وعلى الكافرين عَذَابًا لم تُفَلِّحْ حُجَّتَكَ ولم تَصْعَفْ بصيرتُكَ ولم تَجْبُنْ نفسك.

كنت كالجيل لا تُحَرِّكُه العواصف ولا تُزِيلُه القواصف كنت كما قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم ": " ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عَظِيماً عند الله قليلاً في الأرض كثيراً عند المؤمنين لم يكن لأحد عندك مَطْمَعٌ ولا لأحد عندك هَوَادَةٌ فالقويُّ عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه والضعيفُ عندك قويُّ حتى تأخذ الحق له فلا حَرَمْنَا الله أجرك ولا أضلنا بعدك.

وَقَفَ عبد الملك بن مَرْوَانَ على قبر معاوية فقال: تالله إن كنت إلا كما علمت يُنْطَقُك العِلْمُ وما الدَّهْرُ والأَيَّامُ إلا كما ترى رَزِيَّةً مَالٍ أو فِرَاقُ حَبِيبِ الهَيْثَمِ بنِ عَدَى قال: لما هَلَكَ زياد استعمل مُعَاوِيَةَ الضَّحَّاكَ علي الكوفة فلما دخلها سأل عن قبر زياد فذَلَّ عليه فأتاه حتى وَفَفَ به ثم قال: أبا المُغِيرَةَ والدنيا مُفَجَّعَةٌ وإنَّ من عَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَعْرُورٌ قد كان عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وكان عِنْدَكَ لِلتَّكْرَاءِ تَنْكِيرٌ لو حَلَدَ الخَيْرُ والإِسْلَامُ ذَا قَدَمٍ إِذَا لَحَلَدَكَ الإِسْلَامُ والخير والأبيات لحارثة بن بَدْرٍ يَزِيءُ زيادا.

المدائني قال: لما دَفَنَ عليُّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وجهه فاطمة عليهما السلام تَمَثَّلَ عند قبرها فقال: لَكُلِّ اجْتِمَاعٍ من خَلِيلَيْنِ فَرْقَةٌ وكل الذي دون الممات قَلِيلٌ وإنَّ أفتقادي واحداً بعد واحدٍ دليل علي أن لا يَدُومَ خَلِيلٌ لما مات الحسنُ بن عليٍّ عليهما السلامُ ضَرَبَتْ أَمْرَاتُهُ فُسْطَاطًا على قبره وأقامت حَوْلًا ثم انصرفتُ إلى بَيْتِهَا فسمعتُ قائلاً يقول: أدركوا ما طلبوا.

فأجابه مُجِيبٌ: بل مَلُّوا فانصرفوا.

ابن الكلبي قال: وقفت نائلة بنتُ الفُرَافِصَةِ الكَلْبِيَّةِ على قبر عثمان فترحمت عليه ثم قالت: ثم انصرفتُ إلى منزلها فقالت: إني رأيتُ الحُزْنَ يَبْلَى كما يَبْلَى الثوبُ وقد خِفْتُ أن يَبْلَى حُزْنُ عثمان في قلبي.

فَدَعَتْ بِفَهْرٍ فهشمت فاها وقالت: والله لا قَعَدَ مِنِّي رجل مَقْعَدِ عثمان أبداً.

لما هلك الإسكندر قامت الحُطْبَاءُ على رأسه فكان من قولهم: الإسكندر كان أمس أنطقَ منه اليوم وهو اليوم أوعظَ منه أمس.

أخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال عند دَفْنِهِ ولداً له: كَفَيْ حَزَنًا يَدْفِنُكَ ثم أني نفضتُ تُرابَ قَبْرِكَ من يَدَيَا وَكُنْتُ وفي حَيَاتِكَ لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ أَلْيَوْمَ أوعظُ منك حياً وَقَفَ أبو ذَرٍّ الهَمْدَانِي على قبر ابنه ذَرٍّ فقال: يا ذَرٍّ شغلني الحزن لك عن الحزن عليك فليت شِعْرِي ما قُلْتُ وما قيل لك.

ثم قال: اللهم إني قد وهبتُ لك إساءته إلي فَهَبْ له إساءته إليك.

فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال: يا ذَرٍّ قد انصرفنا وتَرَكْنَاكَ ولو أقمنا ما تَفَعْنَاكَ.

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال: اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وأمن خوفي.

وَقَفْتُ أَعْرَابِيَّةً عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَتِ إِنَّ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ قَفْدِكَ عَوْصًا وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُصِيبَتِكَ أَسْوَةٌ ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ نَزِّلْ بِنَاكَ عَبْدُكَ مُفْفِرًا مِنَ الزَّادِ مَخَشَوِشِينَ الْمِهَادِ عَيْنًا عَمَّا فِي أَيْدِي الْعِبَادِ فَقِيرًا إِلَى مَا فِي يَدَيْكَ يَا جَوَادُ وَأَنْتَ أَيُّ رَبِّ خَيْرٌ مِنْ نَزْلِ بِهِ الْمُؤْمِلُونَ وَأَسْتَعْنِي بِفَضْلِهِ الْمَقْلُونَ وَوَلِّجْ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ الْمُذْنِبُونَ.

اللهم فليكن قري عبدك منك رحمتك ومهاده جنتك ثم انصرف.

قال عبد الرحمن بن عمر: دخلت على امرأة من نجد بأعلى على الأرض في خباء لها وبين يديها بُني لها قد نزل به الموت فقامت إليه فأغمضته وعصبته وسجته وقالت: يا ابن أخي قلت: ما تشائين قالت: ما أحق من ألبس التعمه وأطيلت به النظر أن لا يدع التوثق من نفسه قبل جل عُقدته والحلول بعقوته والمحالة بينه وبين نفسه.

قال: وما يقطر من عينها دمة صبراً واحتساباً.

ثم نظرت إليه فقالت: والله ما كان " ماله " لبطنه ولا أمره لعزسه ثم أنشدت: رَجِيبُ ذِرَاعُ بَالْتِي لَا تَشِينُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْقَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا دَرْعًا وَقَفَّ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ فَلَقَدْ كُنْتُ سَارًّا مَوْلُودًا بَارًّا نَاشِئًا وَمَا أَحْسِبُ أَنِّي لَوْ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي.

توفي رجل كان مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ فَتَحَامَى النَّاسُ جِنَازَتَهُ فَبَلَغَ عَمْرُ بْنُ ذَرِّ خَبْرَهُ فَأَوْصَى إِلَى أَهْلِهِ أَنْ خَذُوا فِي جِهَارِهِ فَإِذَا فَرَعْتُمْ فَأَذْنُونِي ففعلوا وشهده عمر بن ذر وشهده الناس معه فلما قرغ من دفنه وقف عمر بن ذر على قبره فقال: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَبَا فَلَانَ فَلَقَدْ صَحَبْتُ عُمَرَكَ بِالتَّوْحِيدِ وَعَقَرْتُ لَكَ سَمْعَ الْحَسَنِ جَارِيَةً وَاقِفَةً عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: يَا أَبَتِ مِثْلَ يَوْمِكَ لَمْ أَرَهُ.

قال الذي والله لم ير مثله يومه أبوك.

وسمع عمر بن عبد العزيز حَصِيًّا لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَاقِفًا عَلَى قَبْرِ الْوَلِيدِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَوْلَايَ مَاذَا لَقِينَا بَعْدَكَ فَقَالَ لَهُ عَمْرُ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَدِنَ لَكَ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبَرَ أَنَّهُ لَقِيَ بَعْدَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا لَقِيتُمْ بَعْدَهُ.

وقف معاوية على قبر أخيه عُتْبَةَ فَدَعَا لَهُ وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ ثُمَّ التفت إلى من معه فقال: لو أن الدنيا بُيِّت على نسيان الأجيبة ما نسيبت عُتْبَةَ أَبَدًا.

▲ المراثي من رثي نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر

قال قال ابن قتيبة: بلغني أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره يزيد بن حذاق فقال: هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِيٍّ أَمْ هَلْ لَهَا مِنْ جِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقِيٍّ قَدْ رَجَّلُونِي وَمَا بِالشَّعْرِ مِنْ شَعَثٍ وَالْبَسُونِي ثِيَابًا

غَيْرَ أَخْلَاقٍ وَطَيِّبُونِي وَقَالُوا أَيُّمَا رَجُلٍ وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طَيِّبٌ مَحْرَاقٌ وَأَرْسَلُوا
فِتْيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَبًا لِيُسْنِدُوا فِي ضَرْحِ الْقَبْرِ أَطْبَاقِي وَقَسَمُوا الْمَالَ
وَارْفَضَتْ عَوَانِدُهُمْ وَقَالَ قَائِلُهُمْ مَاتَ ابْنُ خَدَّاقٍ هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُؤَلِّعْ بِإِشْفَاقٍ
فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلوَارِثِ الْبَاقِي وَقَالَ أَبُو دُوَيْبٍ الْهُذَلِيُّ يَصِفُ حُفْرَتَهُ: مُطَاطَأَةٌ لَمْ
يَنْبَطُوهَا وَإِنهَا لَيَرْضَى بِهَا فُرَّاطُهَا أُمَّ وَاحِدٌ فَكُنْتُ دَثُوبَ الْبَيْتِ لَمَّا تَبَسَّلْتُ
وَأَدْرَجْتُ أَكْفَانِي وَوَسَدْتُ سَاعِدِي وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ جِرَامٍ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ:
مَنْ كَانَ مِنْ أَحْوَاتِي بَاكِيًا أَبَدًا فَالْيَوْمَ إِنِّي أَرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضًا يُسَمِّعُنِيهِ فَإِنِّي
غَيْرُ سَامِعِهِ إِذَا عَلُوْتُ رِقَابَ الْقَوْلِ مَعْرُوضًا وَقَالَ الطَّرْمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ: فَيَا رَبِّ
لَا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِنْ أَتَتْ عَلَيَّ شَرَجَعُ يَعْلى بِخُصْرِ الْمَطَّارِ وَلَكِنْ شَهِيدًا ثَاوِيًا
فِي عِصَابَةٍ يُصَابُونَ فِي قَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفٌ إِذَا فَارَقُوا دَنِيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَذَى
وَصَارُوا إِلَى مَوْعُودٍ مَا فِي الصَّخَائِفِ فَأَقْتَلَ قَعْصًا ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي مُفْرَقَةً
أَوْصَالَهَا فِي التَّنَائِفِ وَيُصَيِّحُ لَحْمِي بَطْنٌ تَسْرُ مَقِيلُهُ بِجَوِّ السَّمَاءِ فِي
تُسُورِ عَوَاكِفٍ وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ يَرْتِي تَفْسَهُ وَيَصِفُ قَبْرَهُ وَكَانَ خَرَجَ مَعَ
بَسْعِيدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَقَّانٍ لَمَّا وَلِيَ خُرَاسَانَ فَلَمَّا كَانَ بِيَعُضِ الطَّرِيقِ أَرَادَ أَنْ
يَلْتَسِحُّ حُفَّهُ فَإِذَا بِأَفْعَى فِي دَاخِلِهَا فَلَسَعَتْهُ فَلَمَّا أَحْسَسَ الْمَوْتَ اسْتَلْقَى عَلَى
قَفَاهُ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَضَحْبَتِي بِذِي الطَّبَسِينِ
فَأَلْتَفْتُ وَرَائِيًّا أَلَمْ تَرِنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَقَّانِ
غَازِيَا فَلِلَّهِ دَرِّي حِينَ أَتْرُكُ طَائِعًا بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا وَدَرَّ كَبِيرِي
اللَّذِينَ كِلَاهُمَا عَلَيَّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ لَوْ نَهَانِيَا وَدَرُّ الطَّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً يُحَبَّرْنَ
أَنِّي هَالِكٌ مِنْ أَمَامِيَا تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ رِجْلَتِي سِقَاؤُكَ هَذَا تَارِكِي لَا
أَبَالِيَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أَمَالِكُ كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيكَ بَاكِيَا عَلَى جَدَثٍ
قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ تُرَابًا كَسَحَقِ الْمَرْبَانِيَّ هَابِيَا فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا
الْمَوْتَ فَاحْفَرَا بِرَابِيَةِ إِيَّيْ مُقِيمِ لِيَالِيَا وَحُطَّا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجِعِي وَرُدَّا
عَلَى عَيْنِي فَضَلَ رَدَائِيَا وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ
أَنْ تَوْسِعَالِيَا حُدَانِي فَجُرَانِي يُبْرِدِي إِلَيْكُمَا وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرَّدِّيَّيَّ بَاكِيَا لِعَمْرِي
لَيْنَ غَالَتِ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيًا تَحَمَّلَ أَصْحَابِي
عِشَاءً وَغَادَرُوا أَخَا ثِقَّةَ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي
وَأَيَّ مَكَانِ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ يُقَالُ لَهُ أَقْتُونُ وَهُوَ لَقَبُهُ
وَاسْمُهُ صُرَيْمُ بْنُ مَعْمَرِ بْنِ دُهَلِ بْنِ تَيْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ تَغْلِبَ وَلَقِيَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ
بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْإِلَهِةُ.

فمكث ما شاء الله ثم سافر في ركب من قومه إلى الشام فأتوها ثم
انصرفوا فاضلوا الطريق فمالوا لرجل: كيف تأخذ فقال: سيروا حتى إذا كنتم
بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلهة - وإلهة قارة بالسماء - فلما
أتوها نزل أصحابه وأبى أن ينزل فيبينما ناقته ترتعى وهو راكبها إذ أخذت
بمشفر ناقته حية فاحتكت الناقة بمشفرها فلدغت ساقه فقال لأخيه وكان
معه واسمه معاوية: احفر لي فإني ميت ثم تعنى قبل أن يموت يبكي نفسه:
فلسن على شيء فروحن معاوية ولا المشفقات إذ تبعن الحوازي ولا خير
فيما يكذب المرء نفسه وتقول له للشيء يا ليت ذا ليا وإن أعجبتك الدهر حال
من أمرى قدعته وواكل حاله والليالي فطام معرضاً إن الخوف كثيرة وأنت لا
تبقي بتفسيك باقيا لعمرك ما يدري أمرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله

وَاقِيا كَفِي حَزناً أَنْ يَرِحَلَ الرَّكَبَ عُذْوَةً وَأَنْزَلَ فِي أَعْلَى إِلهةِ ثاويَا قال:
فمات قَدَفَنوه بها.

وقال هُدْبَةُ العُدْرِي لما أُبْقِنَ بالموت: أَلَا عَلَّلاني قَبيل تَوْحِ النِّوائحِ وَقَبيلِ أَطْلَاعِ
النَّفْسِ بَينَ الجِوَانِحِ وَقَبيلِ عَدِي يالْهَفَ نَفْسي عَلي عَدِي إِذا راحَ أَصْحابِي وَلَسْتُ
بِرائِحِ إِذا راحَ أَصْحابِي بَقِيضِ دُموعِهِم وَعُودِرْتُ فِي لَحْدِي عَلِي صَفائِحِي
يَقولون هَلْ أَصْلَحْتُمْ لِأَخِيكُم وما الرَّمْسُ فِي الأَرْضِ القِوَاءُ بِصالِحِ وقالَ مُحَمَّدُ
بنُ بَشيرٍ: وَيْلٌ لِمَن لَمْ يَرْحَمْ اللهُ وَمَن تَكُونُ النِّارُ مَنوَاهُ وَالوَيْلُ لِي مِن كُلِّ
يَوْمٍ أَتى يُدَكِّرُنِي المِوتَ وَأَنسَاهُ كَأَنَّهُ قَدِ قَبيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدِ كُنْتُ أَتِيَةً
وَأَعشاهُ: صارَ البَشيرِيُّ إِلى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِياهُ أَذِنَ حَيٌّ تَسْمَعِي اسْمَعِي
ثم عِي وَعِي أَنَا رَهْنٌ بِمَصْجَعِي فَاجْتَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي عِشْتُ تَسْعِينَ جِجَةً ثُمَّ
وَافِيَتْ مَصْجَعِي لِي شَيْءٌ بِسِوَى النُّعَى فَخِذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي وَعَارِضُهُ بَعْضُ
الشُّعراءِ فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ وَأَوْصَى بِأَنْ تُكْتَبَ عَلَي قَبْرِهِ أَيضاً فَكُتِبَتْ وَهِيَ:
أَصْبَحَ القَبْرُ مَصْجَعِي وَمَحَلِّي.

وَمَوْضِعِي صَرَ عَنِّي الحُتُوفِ فِي التُّرْبِ يا ذُلَّ مَصْرَعِي أَيْنَ إِخوانِي الَّذِي ن
إِلَيْهِمْ تَطْلَعِي مَتَّ وَخِذِي فَلِمَ يَمُتُ واحِدٌ مِنْهُم مَعِي وَجِدَ عَلَي قَبْرٍ جاريةِ إِلى
جَنْبِ قَبْرِ أَبِي نُواسٍ ثَلَاثَةَ أَبياتٍ فَقِيلَ إِنَّها مِن قَوْلِ أَبِي نُواسٍ وَهِيَ: أَقولُ
لِقَبْرِ رُزْئِهِ مُتَلْتَمِماً سَقَى اللهُ بَرْدَ العَفْوَ صاحِبَةَ القَبْرِ لَقَدْ عَيَّبُوا تَحْتَ الثَّرَى قَمَرَ
الدَّجَى وَشَمَسَ الضُّحَى بَينَ الصَّفائِحِ وَالعَفْوَ إِنْ كانَ لا يَرْجُوكَ إِلا مُحْسِنٌ
قِيمِنَ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ المُجْرِمُ أَذْعُوكَ رَبِّ كَما أَمَرْتُ تَضَرَّعاً إِذا رَدَدْتَ يَدِي
فَمِنَ ذَا يَرْحَمُ مالِي إِليكَ وَسِيلَةٌ إِلا الرِّجاءُ وَجَميلٌ عَفْوكَ ثُمَّ أَني مُسَلِّمٌ
الحُشنى قال: أَخبرنا بَعْضُ أَصحابِنا مِمَّن كانَ يَعْشِي مَجْلِسَ الرِّياشِيِّ قال:
رَأيتُ عَلِي قَبْرَ أَبِي هاشِمِ الإِبادِيِّ بِواسِطِ: المِوْتُ أَخْرَجَنِي مِن دارِ مَمْلَكَتِي
والمِوْتُ أَصْرَعَنِي مِن بَعْدِ تَشْرِيفِي لِلهِ عَبدٌ رَأى قَبْرِي فَأَعْبَرَهُ وَخافَ مِن
دَهْرِهِ رَبِّبَ التَّصارِيفِ الأَصمَعِي قال: أَخَذَ بِيَدِي بِحِبي بنِ خالِدِ بنِ يَزْمَكِ
فوقَفَنِي عَلَي قَبْرِهِ بِالحِيرةِ إِذا عَلَيهِ مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيتِي المُنذِرُ لَمَّا انْقَضَوْا بِحَبِ
شادِ البَيْعَةِ الرَّاهِبِ تَنفَحَ بِالمِسْكِ مَحارِيبِهِم وَعَظيرُ يَقطِبُهُ قاطِبُ وَالخَبْرُ
وَاللَّحْمُ لِهِم رَاهِنٌ وَقَهْوَةٌ رَأوُوقُها سائِبٌ وَالقُطْرُنُ وَالكَثانُ أَثوابُهُم لَم يَجْلِبِ
الصُّوفُ لِهِم جالِبٌ فَاصْبَحُوا قِوْناً لِدُودِ الثَّرَى وَالدهْرُ لا يَبْقَى لِهِ صاحِبِ
السَّيبانِيِّ قال: وَجِدَ مَكْتُوباً عَلَي بَعْضِ القَبورِ: مَلِ الأَجِبَةُ رَوْرَتِي فَجَفِيتُ
وَسَكَنْتُ فِي دارِ البَلَى فَنَسِيتُ الحَيِّ يَكْذِبُ لا صَدِيقَ لِمَيِّتٍ لو كانَ يَصْدُقُ
ماتَ حِينَ يَمُوتُ يا مُؤنِسا سَكِنِ الثَّرَى وَبَقِيْتُ لو كُنْتُ أَصْدُقُ إِذْ بَلِيْتُ بَلِيْتُ أَوْ
كانَ يَعمَى لِلبِكاةِ مُفَجَّعٌ مِن طُولِ ما أَبْكِي عَلَيكَ عَمِيتُ وقالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ
اللهِ: وَعَمَّ قَليلٌ لِنِ تَرى بِاكيأَ لِنَا سَيِّضُحْكَ مِن يَبْكِي وَبُعْرُضِ عَن ذِكْرِي تَرى
صاحِبِي يَبْكِي قَليلاً لِقَرَّتِي وَيَضُحْكَ مِن طُولِ اللَّيالي عَلَي قَبْرِي وَيُحَدِّثُ
إِخواناً وَيَنسى مَوَدَّتِي وَتَشْغَلُهُ الأَحبابُ عَنِّي وَعَن ذِكْرِي مِن رِثِي وَلَدِهِ: فَمِن
قَوْلِي فِي وِلدِي: بَلِيْتُ عِظامُكَ وَالأسَى يَتَجَدَّدُ وَالصَّبْرُ يَنْقَدُ وَالبُكا لا يَنْقَدُ يا
غائِباً لا يُرْتَجَى لِإِتابِهِ وَلِقائِهِ دُونَ القِيامَةِ مَوْعِدِ وَمِن قَوْلِي فِيهِ أَيضاً: وَاكْبِداً
قَد قُطِعَتْ كَيْدِي وَحَرَّفَتْها لَواعِجُ الكَمَدِ ما ماتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسفاً أَعذَرَ مِن
وَإِدِ عَلَي وِلدِ يا رَحْمَةَ اللهُ جاورِي جَدَّثاً دَفَنْتُ فِيهِ حُشاشِيتِي بِيَدِي وَتَوَّري
ظِلْمَةَ القُبورِ عَلَي مَن لَمْ يَصِلْ ظِلْمُهُ إِلى أَحَدٍ مِن كانَ خِلاواً مِن كُلِّ بائِقَةٍ
وَطَيَّبَ الرُّوحَ طاهِرَ الجَسَدِ يا مِوتِ بِحِبي لَقَدْ ذَهَبَتْ لِهِ لَيْسَ بُرْمِيلَةً وَلا نَكِدَ يا
مَوْتَهُ لو أَقَلَّتْ عَنرَتَهُ يا يَوْمَهُ لو تَرَكَتَهُ لِعَدِي يا مِوْتُ لو لَمْ تَكُن تَعاجلُهُ لَكانَ لا

شكَّ بِيَصَّةِ الْبَلَدِ أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعِيَانِ حَازَ الْعُلَا وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ أَيَّ
حَسَامٍ يَسْلِبُ رَوْتَهُ وَأَيَّ رُوحٍ سَبَلَتْ مِنْ جَسَدٍ وَأَيَّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ
وَأَيَّ كَفٍّ أَرَلْتَ مِنْ عَضُدٍ لَوْ لَمْ أُمْتُ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا لِحُقِّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ
كَمَدِي يَا لَوْعَةً مَا يَزَالُ لِاعْجَبُهَا يَفْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَيْدِي وَقَلْتَ فِيهِ أَيْضًا:
قَصِدَ الْمَنُونُ لَهُ فَمَاتَ فَقِيدًا وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخَطُوبِ حَمِيدًا بِأَبِي وَأُمِّي
هَالِكًا أَفْرَدْتُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ قَرِيدًا سُودَ الْمَقَابِرِ أَصْبَحْتُ بِيضًا بِهِ
وَعَدْتُ لَهُ بِيضَ الضَّمَائِرِ سُودًا لَمْ تُزْرَهُ لَمَا رَزِينَا وَوَجَدَهُ وَإِنْ اسْتَقَلَّ بِهِ الْمَنُونُ
وَجِدَا لَكِنْ رُزِينَا الْقَاسِمَ بِنَ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسْوَدَ بِنَ يَزِيدَا وَابْنَ الْمُبَارَكِ
فِي الرِّقَائِقِ مُخْبِرًا وَابْنَ الْمُسَيَّبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا وَالْأَخْفَشِيْنَ قَصَاحَةً
وَبَلَاغَةً وَالْأَعَشِيْنَ رِوَايَةً وَنَشِيدًا كَانَ الْوَصِيَّ إِذَا أَرَدْتُ وَصِيَّةً وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا
طَلَبْتُ مَفِيدًا وَكَلَى حَفِيظًا فِي الْأَذْمَةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مَوْدُودًا
تَأْتِي الْقُلُوبَ الْمُسْتَكِينَةَ لِلْأَسَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حَجَارَةً وَحَدِيدًا إِنْ الَّذِي بَادَ
السُّرُورُ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ حُزْنِي بَعْدَهُ لِيَبِيدَا الْآنَ لَمَا أَنْ حَوَيْتَ مَآثِرًا أَعَيْتَ عَدُوًّا
فِي الْوَرَى وَحَسُودًا وَرَأَيْتُ فِيكَ مِنَ الصَّلَاحِ شِمَانِلًا وَمِنَ السَّمَّاحِ دَلَانِلًا
وَشَهُودًا أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ طَلَّيْتَ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَعَجَّرْتِ تَعْرِيدًا لَوْلَا الْحَيَاءُ
وَأَنْ أَرَنْ بِيَدَعَةَ مِمَّا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيدًا لَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَنَاحِ مَاتِمًا
وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوَالِدِ عِيدًا وَقَلْتَ فِيهِ أَيْضًا: لَا بَيْتَ يُسْكِنُ إِلَّا فَارِقَ
السِّكِّتَا وَلَا اِمْتَلَا فَرَجًا إِلَّا اِمْتَلَا حَزَنًا لَهْفِي عَلَى مَيِّتِ مَاتِ السُّرُورِ بِهِ لَوْ كَانَ
حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنِينَ وَاهَاً عَلَيْكَ أبا بَكْرٍ مُرَدَّدَةً لَوْ سَكَنْتُ وَلَهَا أَوْ قَتَرْتُ
شَخْنَا إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْرَنَّا وَمَا يَبْرُدُ عَلَيَّ الْقَوْلُ: وَاحْرَنَّا لَوْ كُنْتُ أُعْطِي
بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ تَمَنَّا وَقَالَ أَبُو دُوَيْبِ الْهُذَلِيِّ وَكَانَ لَهُ
أَوْلَادٌ سَبْعَةٌ فَمَاتُوا كُلُّهُمْ إِلَّا طِفْلًا فَقَالَ يَرْتِيهِمْ: أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبَّيْهِ تَتَوَجَّعُ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمَعْتَبٍ مِنْ يَجْرَعُ قَالَتْ أَمِيمَةٌ مَا لِحَسْمِكَ شَاحِبًا مِنْذِ ابْتَدَلَتْ
وَمِثْلُ مَالِكٍ يَنْفَعُ أُمَّ مَا لِحَسْمِكَ لَا يَلَائِمُ مَصْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَصْجِعَ
فَأَجِبْتُهَا أَنْ مَا لِحَسْمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِي مِنْ الْبِلَادِ فَوَدَعُوا أَوْدَى بَنِي وَأَعْقَبُونِي
حَسْرَةً بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً مَا تُقْلَعُ سَبْقُوا هَوِيَّ وَأَعْتَفُوا لِهَوَاهُمْ فَتَحَرَّمُوا وَلِكُلِّ
جَنْبٍ مَصْرَعٍ فَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ بَعِيثُ نَاصِبٍ وَإِحَالِ أَنِّي لِأَحَقُّ مَسْتَتِيعٍ وَلَقَدْ
حَرَضْتُ بَانَ أَدْفَعُ عَنْهُمْ وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُسْتَبِتَ أَظْفَارُهَا
أَلْفِيَتْ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ فَالْعَيْنَ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ جِدَاقَهَا سَمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرُ
تَدْمَعُ وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَعَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْتَعُ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هَذَا
أَبْدَعَ بَيْتَ قَالَتْهُ الْعَرَبُ.

وقال أعرابيٌّ يَرْتِي بَيْنَهُ: أَسْكَانُ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا فَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ
سَاكِنِي الظُّهْرِ فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ عَلَيْهَا تَوَى فِيهَا مُقِيمًا إِلَى
الْحَشْرِ وَقَاسِمِي دَهْرِي بَنِي بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَصَّى شَطْرَهُ مَا لَ فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دِيُونًا لِلْمَنَايَا وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ لَهَا دَيْنٌ قَضَوْهُ عَلَى عُسْرٍ كَانَهُمْ لَمْ
يَعْرِفِ الْمَوْتُ غَيْرَهُمْ فَتُكَلُّ عَلَى تُكَلُّ وَقَبْرٌ إِلَى قَبْرِ وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخَوْفِ قَبْلَ
وَفَاتِهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّوْا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ فَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ وَلِلَّهِ مَا حَوَى وَلَيْسَ
لِأَيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالصَّبْرِ وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ مَاتَ ابْنُهَا: مَا أَحْسَنَ عِزَّكَ قَالَتْ: إِنْ
فَقَدِي إِيَّاهُ امْتَنِي كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ وَإِنْ مُصِيبَتِي بِهِ هَوْنَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبُ بَعْدَهُ.

ثم أنشأت تقول: مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتَ أَحَاذِرُ إِيَّيْ وَغَيْرِي لَا مَحَا
لَةَ حَيْثُ صِرْتَ لِصَائِرِ أَحْذِ الْحَسَنُ بْنُ هَانئٍ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَقَالَ فِي
الْأَمِينِ: طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لَمَّا تَطْوِي الْمَنِيَّةَ نَاشِرٌ وَكُنْتُ

عليه أخطر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذير لئن عمّرت دُورُ بمن لا أحبه لقد عمّرت ممّن أحبّ المقابر وقال عبدُ الله بن الأَهمم يَرثِي ابنا له: دَعَوْتُكَ يا بُنَيَّ فلم تَجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يا سِبا عَلَيَّ بموتِكَ ماتت اللذات مِنِّي وكانت حَيَّةً ما دُمْتَ حَيًّا فِيا أَسفا عَلَيكَ وطولَ سَوقِي إِلَيكَ لو ان ذلك رَدَّ سَيِّيا وأصيب أبو العتاهية بابن له فلما دَفَنه وَقَفَ على قَبْره وقال: كَفَي حَزنا بَدَفَنِكَ ثم أَنِّي تَفَضُّتُ تُرابَ قَبْرِكَ مِن يَدَيِّا وكانت في حياتكَ لي عِطائٌ فَأنت اليومَ أُوْعِظُ مِنكَ حَيًّا ومات ابن لأعرابيِّ فاشتدَّ حُزْنُه عليه وكان الأعرابيُّ يُكْنى به فقيل له: لو صَبْرْتَ لكانَ أَعْظَمَ كيف السُّلُوِّ وكيف أنسى ذِكره وإذا دُعيتَ فإنما أَدْعِي به خرج عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يوماً إلى بَقيع العَرَقْدِ فإذا أعرابي بين يديه فقال: يا أعرابيِّ ما أدخلكَ دارَ الحقِّ قال: وديعة لي ها هنا منذُ ثلاثِ سنين قال: وما وَديعتُكَ قال: ابنٌ لي حين تَرَعْرَعُ فَقَدْتُهُ فأنا أُدْبِه قال عمر: أَسْمِعْنِي ما قَلتَ فيه فقال: يا غائباً ما يُؤوبُ من سَفَره عاجله موته علي صِغَره يا فُرَّة العَيْنِ كُنْتُ لي سَكناً في طولِ لَيْلى بَعَم وفي قِصره شَرِبْتُ كأساً أبوك شاربها لا بدُّ يوماً له على كِبَره أشربها والأنام كلهم مَن كان في بَدْوِه وفي حَصْره فالْحَمْدُ لله لا شريك له الموتُ في حُكمه وفي قَدْره قد قَسَمَ الموتُ في الأنام فما يَقْدِرُ خَلْقٌ يَزِيدُ في عُمره قال عمر: صدقتَ يا أعرابي غير أن الله خيرُ لك منه.

السَّيباني قال: لما مات جَعْفَرُ بن أبي جَعْفَرِ المَنصورِ اشتدَّ عليه حزنه فلما قَرَع من دَفْنه التفت إلى الرِّبيع فقال: يا ربيع كيف قال مُطيع بن إبّاس في يحيى بن زياد فأنشد: يا هَلْ دواء لِقَلْبِي القَرِحِ وللذُّموم الذَّوارِفِ السُّفْحِ يا خيرَ من يَحسُن البُكاءُ به اليومَ ومَن كان أَمسَ للمدحِ قد ظَهَرَ الحُزْنُ بالسُّرورِ وقد أدبِلَ مَكروهُهُ مِنَ القَرِحِ وقالت أعرابيةٌ تَدُبُّ ابناً لها: ابني عَيْبِكَ المَحَلُّ المُلْحَدُ إِمّا بَعُدتَ فأين من لا يَبْعُدُ أنت الذي في كلِّ مُمَسى لَيْلَةٌ تَبلى وحُزْنُكَ في الحَشَمِ يَتجدَّدُ وقالت فيه: لئن كنتَ لهواً للعيونِ وقُوَّةً لقد صِرْتَ سَقْماً للقلوبِ الصَّحائِحِ وهَوْنٌ حُزْنِي أنَّ يَوْمَكَ مُدْرِكِي وأني غداً من أهل تلك الصَّرائِحِ وقال أبو الخطار يَرثِي ابنه الحَطار: ألا حَبْراني بارك الله فيكما متى العَهْدُ بالحَطارِ يا قَتِيانِ فتى لا يَرى تَومَ العِشاءِ عَنيمَةً ولا يَتَنَنِي من صَوْلة الحَدَثانِ وقال جرير يَرثِي ولده سَوادَةَ: قالوا تَصيبُكَ من أحرِ فقلتُ لهم كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالي وقال أبو الشَّعبِ يَرثِي ابنه شَعْباً: قد كان شَعْبُ لو أن الله عَمَّره عِزًّا تُزادُ به في عِزِّها مُصَرُّ لِيَت الجبالِ تَدَاعتْ قبلَ مَصْرعه دَكا فلم يَبْقَ من أحجارها حَجْرٌ فارقتُ شَعْباً وقد فُوسَّتْ من كِبَرِ بِنسِ الخَليطانِ طولُ الحُزْنِ والكِبَرِ ولما تُوفِّيَ أيوبُ بن سُلَيْمانِ بن عبد المَلِكِ في حياة سُلَيْمانِ وكانَ وِليَّ عَهده وأكبرَ ولده رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصَّته فقال فيه: ولقد أقولُ لذي السَّماتِ إذ رَأى جَرَعي ومن يَدُقُّ الحوادِثَ يَجْرَعُ أنْشِرَ فَقَدِ قَرَعِ الحوادِثُ مَرَوْتِي وأفرخَ بِمَرَوْتِكَ التي لم تُفْرَعِ إن عِشْتَ تُفَجِّعُ بالأحِبَّةِ كلَّهم أو يُفَجِّعُوا بِكَ إن بهم لم تُفَجِّعِ أَيُّوبُ من يَشَمَّتْ بِموتِكَ لم يُطِيقْ عن نَفْسِه دَفْعاً وهل مِن مَدْفَعِ الأَصمعيِّ عن رجلٍ من الأعرابِ قال: كُنَّا عَشْرَةَ إِخوةً وكانَ لنا أخٌ يقال له جَسَنٌ فَنَعِي إلى أبينا فبقي سَتَتينِ يَبْكِي عليه حتى كَفَّ بَصِيرَه وقال فيه: أفلحْتُ إن كانَ لم يَمُتْ حَسَنٌ وكَفَّ عَنِّي البُكاءُ والحَزْنُ بل أكذبُ الله مَن تَعى حَسَنًا ليس لتَكْذِيبِ قَوْلِه تَمَنُّ بَدَلْتُهُم مِنكَ لِيَت أَنَّهُمُ كانوا وَبَيْنِي وَبَيْنَهُم مُدُنٌ قد عَلِمُوا عند ما أَنافَرَهُم ما في قَناتي صَدَعٌ ولا أَبنٌ قد جَرَّبُونِي فما الأومُهُم ما زالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُم إِحْنٌ قد بُرِيَ الجِسمُ مذ نُعيتَ لنا كما بُرِيَ قَرَعٌ تَبَعَةُ سَقَنَ فإن نَعِشْ

فالمُنَى حَيَاتِكَ وَال خُلْدَ وَأَنْتِ الْحَدِيثُ وَالْوَسْنَ إِنْ تَحَيَّ نَحْيَ بِخَيْرِ عَيْشٍ وَإِنْ تَمُضْ فَيْتَلُكَ السَّبِيلُ وَالسَّنَنُ بَرِيدُكَ الْحَمْدُ وَالسَّلَامُ مَعَا فِكُلِّ حَيٍّ بِالْمَوْتِ مُزْتَهَنٍ يَا وَيْحَ نَفْسِي أَنْ كُنْتُ فِي جَدَّتِ دَوْلِكَ فِيهِ التَّرَابُ وَالْكَفَنُ عَلَيَّ لِلَّهِ إِنْ لَقَيْتِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ الصِّيَامُ وَالْبُدْنُ أَسَوْفَهَا حَافِيًا مُجَلَّلَةً أَدْمًا هَجَانًا قَدْ كَطَلَهَا السَّمَنُ فَلَا تُبَالِي إِذَا بَقِيَتْ لَنَا مِنْ مَاتِ أَوْ مَنْ أُوْدَى بِهِ الرِّمَنُ كُنْتُ خَلِيلِي وَكُنْتُ خَالِصَتِي لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنٍ فَإِنْ يَنْقَطِعَ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرِثِي ابْنَهُ: بُنَيَّ لَنْ ضُنَيْتَ جُفُونُ بِمَائِهَا لَقَدْ قَرِحَتْ مَنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِرٌ وَدَفِينٌ وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِي فِي طِفْلِ أَصْبَتَ بِهِ: عَلَيَّ مِنْهَا مِنْ فَجْعَةِ خَانِي الصَّبْرُ فِرَاقُ حَبِيبٍ دُونَ أَوْتَى الْحَشْرِ وَلِي كَيْدٌ مَسْطُورَةٌ فِي يَدِ الْأَسَى فَتَحَّتِ الثَّرَى سَطْرًا وَفَوْقَ الثَّرَى سَطْرًا يَقُولُونَ لِي صَبْرٌ فُؤَادِكَ بَعْدَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مَالِي فُؤَادٌ وَلَا صَبْرٌ فَرِيخٌ مِنَ الحُمُرِ الْحَوَاصِلُ مَا اكْتَسَى مِنَ الرِّيشِ حَتَّى صَمَّهَ الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ إِذَا قُلْتُ أَسْأَلُو عَنْهُ هَاجَتْ بِلَابُهُ يُجَدِّدُهَا فِكُرٍ يُجَدِّدُهُ ذِكْرٌ وَأَنْظُرُ حَوْلِي لَا أَرَى غَيْرَ قَبْرِهِ كَأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ عِنْدِي لَهُ قَبْرٌ أَقْرَحُ جِئَانَ الخُلْدِ طَرِزْتُ بِمُهْجَتِي وَليْسَ سِوَى قَعْرِ الصَّرِيحِ لَهُ وَكُرٍ وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرِثِي وَلِدَهَا: أَيْقَنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعٌ زَالٌ عَنِ عَصْدِ نُوفِي ابْنِ لَأَعْرَابِيٍّ قَبِيكِي عَلَيْهِ حِينَا فَلَمَّا هَمَّ أَنْ يَسْأَلُو عَنْهُ نُوفِيٌّ لَهُ ابْنٌ آخَرَ فَقَالَ فِي ذَلِكَ: إِنْ أَفِقُّ مِنْ حَرَنِ هَاجَ حَرَنُ فُؤَادِي مَا لَهُ الْيَوْمَ سَكَنٌ وَكَمَا تَبَلَى وُجُوهُهُ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَرَنُ وَقَالَ فِي ذَلِكَ: عُيُونَ قَدْ بَكَتْكَ مُوجَعَاتٍ أَضْرَبُ بِهَا الْبُكَاءَ وَمَا يَنْبِيئَا إِذَا أَنْقَذَنَ دَمْعًا بَعْدَ دَمْعٍ يُرَاجِعُنَ الشُّؤُونَ فَيَسْتَقِينَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ قَالَ: وَقَفْتُ أَعْرَابِيَّةٌ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَهَا يُقَالُ لَهُ عَامِرٌ فَقَالَتْ: أَقَمْتُ أَبِيكَ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ لِي وَخَشَنُ قَدْ ذَلَّ مِنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ وَقَالَتْ فِيهِ: هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَالرِّضَا إِذْ تَزَلَّتْ بِي خُطَّةٌ لَا أَشَاؤُهَا إِذَا نَحْنُ أَبْنَا سَالِمِينَ بِأَنْفُسِ كِرَامٍ رَجَحْتُ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا هُوَ ابْنَتِي أَمْسَى أَجْرُهُ " لِي " وَعَزَّنِي عَلَى نَفْسِهِ رَبٌّ إِلَيْهِ وَلَاؤُهَا فَإِنْ أَحْتَسِبُ أَوْجَرَ وَإِنْ أَبِيكَ أَكْرُ كِبَاكِيَةَ لَمْ يُحَيِّ مَيِّتًا بُكَاءُهَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ هُدَيْلٍ لَهَا عَشْرَةٌ إِخْوَةٌ وَعَشْرَةٌ أَعْمَامٌ فَهَلَكُوا جَمْعِيًّا فِي الطَّاعُونَ وَكَانَتْ يَكْرًا لَمْ تَتَزَوَّجْ فَحَطَّ بِهَا ابْنُ عَمِّ لَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَمْ تَلِدْ أَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَى غُلَامٍ فَوَلَدَتْهُ فَتَبَّتْ نَبَاتًا كَأَنَّمَا يُمَدُّ بِنَاصِيَتِهِ وَبَلَغَ فزَوَّجَتْهُ وَأَخَذَتْ فِي جَهَارِهِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْبَيْتُ " بِأَهْلِهِ " أَنَاهُ أَجَلُهُ فَلَمْ تَشُقْ لَهَا حَيًّا وَلَمْ تَدْمَعْ لَهَا عَيْنٌ فَلَمَّا قَرَعُوا مِنْ جَهَارِهِ دُعِيَتْ لِتُودِعَهُ فَأَكْبَتَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ: أَلَا تَلِكِ الْمَسْرَّةُ لَا تَدُومُ وَلَا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ النَّعِيمُ وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ عَفْرٌ بِشَاهِقَةٍ لَهُ أُمٌّ رَعُومٌ ثُمَّ أَكْبَتَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى فَلَمْ تَقْطَعْ نَحْيَهَا حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهَا فَدَفَّنَا جَمِيعًا.

خَلِيفَةُ بَنِ حَيَّاطٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَشَدَّ كَمَدًا مِنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ قِيلَ لِابْنِهَا وَأَبُوهَا وَرَوْجُهَا وَأُمُّهَا وَعَمَّتُهَا وَخَالَتُهَا مَعَ الصَّخَّاءِ الْحَرُورِيِّ فِيمَا رَأَيْتُهَا قَطْرًا ضَاحِكَةً وَلَا مُتَبَسِّمَةً حَتَّى فَارَقَتْ الدُّنْيَا وَقَالَتْ تَرِثِيهِمْ: مَنْ لِقَلْبِ سَفْهُهِ الْحَرَنُ وَلِنَفْسِ مَا لَهَا سَكَنٌ مَعَشَرَ قَصَّوْا نُحُوبَهُمْ كُلِّ مَا قَدْ قَدَّمُوا حَسَنًا صَبَّرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ فَلَمْ يَنْكَلُوا عَنْهَا وَلَا جَبُّوا فِتْنِيَةَ بَاغُوا نَفْسَهُمْ لَا وَرَبِّ الْبَيْتِ مَا عُيِّنُوا فَأَصَابَ الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا مِنْهُ مَا بَعْدَهَا مِنْتِي وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَعْلَبَةَ يَرِثِي وَلِدًا لَهُ: أَلْخَضِبُ رَأْسِي أَمْ أَطَيْبُ مَفْرَقِي وَرَأْسُكَ مَرْمُوسٌ وَأَنْتِ سَلِيْبُ تَسِيْبِكِ مِنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ وَليْسَ لَمَنْ تَحْتَ التَّرَابِ تَسِيْبُ غَرِيْبٌ وَأَطْرَافُ الْبُيُوتِ تُكِنُّهُ إِلَّا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ غَرِيْبٌ قَالَ الْعُيَيْبِيُّ - مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ

- يرثي ابنا له: أَصَحَّتْ بخدي للدموع رُسُومٌ أسفًا عليك وفي الفؤاد كُلوِمٌ
والصَّبْرُ يُحمد في المَواطِن كلها إلا عليك فإنه مَذْمُومٌ حَرَجَ أعرابيٌّ هارِبًا من
الطاعون فبينما هو يسائرُ إذ لدغته أفعى فمات فقال أبوه يَرثيه: طافَ يَبْغِي
تَجْوَةَ مِنْ هَلَاكِ فَهَلْكَ كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حين تَلْقَى أَجْلَكَ لما قَتَلَ عبد الله
المأمون أخاه محمدَ بنَ زبيدة أرسلت أمه زبيدة بنت جعفر إلى أبي العتاهية
أن يقول أبياتاً على لسانها للمأمون فقال: ألا إن رَبَّبَ الدَّهْرَ يُدْنِي وَيَبْعِدُ
وللدَّهْرِ أَيَّامٌ تُدَمُّ وتُحْمَدُ أقول لرحيب الدَّهْرَ إن دَهَبْتُ يَدُ فَقَدَ بَقِيَّتُ والحمدُ
لله لي يد إذا بَقِيَ المأمونُ لي فالرَّشِيدُ لي ولي جَعَفَرٌ لم يَهْلِكَا ومحمدُ
وكتبت إليه من قوله: لخير إمام من خير معشر وأكرم بسام على عود منبر
كتبت وعيني تستهلُّ دموعها إليك ابن يعلي من دموعي ومحجري فجعنا
بأدنى الناس منك قرابةً ومن زلَّ عن كبدي فقلَّ تصبري أتى طاهرٌ لا طهر
الله طاهرًا وما طاهرٌ في فعله بمطهر فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرًا
وأذهب أموالِي وحرب أدوري وعزَّ على هارونَ ما قد لقيته وما نابني من
ناقص الخلق أعور ذلك الوقت وقيلت منه ما وجه " به " إليها.

فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها: من قائل الأبيات قالت: أبو العتاهية قال:
وبكم أمرت له فقالت: بعشرين ألف دهم قال المأمون: وقد أمرنا له بمثل
ذلك.

واعترز إليها من قتل أخيه محمد وقال " لها " : لست صاحبه ولا قاتله.

فقالت: يا أمير المؤمنين إن لكما يوماً تجتمعان فيه وأرجو أن يعفر الله لكما
إن شاء الله.

أبو شأس يرثي ابنه شأساً: ورَبَّيْتُ شأساً لربِّ الزمان فله تَرَبَّيتي والتَّصَبُّ
فليتَّك يا شأسُ فيمن بقي وكنْتُ مكانك فيمن دَهَبَ " من رثي إخوته
الرباشي قال: صَلَّى مُتَمِّمٌ بن نَويرة الصُّبح مع أبي بكر الصِّديق رضي الله
تعالى عنه ثم أنشيد: نَعْمَ القَيْلُ - إذا الرِّياحُ تَتَّوَحَّحَتْ بين البيوت - قَتَلْتُ يا بنَ
الأزور أدعوته بالله - ثم قَتَلْتَهُ لو هو دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لم يَعْدِرْ لا يُصِمِرُ القَحْشَاءُ
تحت رِدائه حلُّ شمائله عَفيفُ المِثْرَر قال: ثم بكى حتى سالت عيَّه العوراء.

قال أبو بكر: ما دعوته ولا قتلته.

وقال مُتَمِّمٌ: ومُسْتَضْحِكٌ مَنِّي أَدْعَى كَمصِيتي وليس أخو الشَّجْو الحزين
بصاحك يقول أتبكي من فُبور رأيتها لِقَبْرِ بأطراف المَلا فَالدَّكادك فقلْتُ له
إنَّ الأسي يَبْعَثُ الأسي فَدَعَنِي فَهَذِي كلها قَبْرُ مالِك وقال مُتَمِّمٌ يرثي أخاه
مالكاً وهي التي تُسَمَّى أمَّ المَرَّاثي: لَعَمْرِي وما دَهْرِي بتابين هالكٍ ولا جَرَع
مما ألم فأوجعاً لقد عَيَّبَ المَنهالُ تحت رِدائه فَتَى عَيْرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أروغاً
تراه كتصل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مَطْمَعاً فَعَيْنِي
هلا تَبْكِيان لِمالكٍ إذا هَزَّت الرِّيحُ الكَيفَ المُرْفَعاً وأرملة تَمْشِي بأشَعَّتْ مُحْتَل
كَفْرُخِ الحُبَّاري ريشه قد تَمَرَّعاً وما كان وَقافاً إذا الحَيْلُ أَحْجَمَتْ ولا طالباً من
خَشِيَةِ المَوْتِ مَفَرَّعاً ولا بكهام سَبَّغَهُ عن عدوه إذا هو لاقى حاسراً أو مُقْتَعاً
أبي الصَّبْرُ آياتُ أراها وأُنْبي أرى كُلَّ حَبْلٍ بعد حَبْلِكَ أَفْطَعاً وأُنْبي متى ما أَدْعُ
باسمك لم تُجِبْ وكنْتُ حَرَباً أن تُجيب وتسمعا تَجِيَّتَهُ مَنِّي وإن كان نائياً
وأمسى ثراباً فوقه الأرضُ بَلَقَعاً فإن تَكُنْ الأيَّامُ قَرَفُنَ بَيْننا فَقَدَ بان مَحْموداً

أخي حين ودَّعا فَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطًا كَيْسَرَى وَتَبَعَا
وَكُنَّا كَتَدْمَانِي جَدِيمَةً جَفَبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا فَلَمَّا تَقَرَّفْنَا كَأَنِّي
وَمَالِكًا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مَعَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا خَلَهَا قَبْرٌ مَالِكٌ زِهَابٌ
الْعَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا قِيلَ لِعَمْرُو بْنِ بَحْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: إِنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ
يُسَمِّي هَذَا الشَّعْرَ أُمَّ الْمَرَاثِي فَقَالَ: لَمْ يَسْمَعْ الْأَصْمَعِيُّ: أَي الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ
لَيْسَ يَتَّصِدَعُ وَأَي تَوْمٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَمْ يَبْتَدِ أَحَدٌ مَرْتِيَّةً
بِأَحْسَنَ مِنْ ابْتِدَاءِ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ: أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَرَّعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ
قَدْ وَقَعَا وَبَعْدَهَا قَوْلُ رُمَيْلٍ: أَجَارَتَنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرَّقُ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ
يَعْلَقُ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ صَاحِبُ الْمَغَارِي: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الصَّفْرَاءَ - وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَثِيلُ - أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِصَرْبِ
عُنُقِ النَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أخته قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بَرْتِيَّةً: يَا
رَاكِبَا إِنَّ الْأَثِيلَ مَطْطَنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوقِفٌ أْبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بَأَنَّ تَحِيَّةً مَا
إِنْ تَزَالَ بِهَا التَّجَائِبُ تَحْفِقَ هَلْ يَسْمَعُنِي النَّصْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ
لَا يَنْطِقُ أَمْحَمْدُ يَا خَيْرَ صَبْرٍ كَرِيمَةٍ فِي قَوْمِهَا وَالْقَحْلُ قَحْلٌ مُعْرِقٌ مَا كَانَ
صَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيضُ الْمُخْنِقُ فَالنَّصْرُ أَقْرَبُ مَنْ
أَسْرَتْ قَرَابَةً وَأَحْفَهُمْ إِنْ كَانَ عِنُقٌ يُعْتَقُ ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ لِلَّهِ
أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشْفِقُ صَبْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا رَسَفَ الْمُقْبِدُ وَهُوَ فَا نَ مُوْتَقٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الشَّعْرُ: لَوْ بَلَغَنِي قَبْلَ
قَتْلِهِ مَا قَتَلْتُهُ.

الأصمعي قال: نظر عمر بن الخطاب إلى الجنساء وبها تدوب في وجهها
فقال: ما هذه التدوب يا جنساء قالت: من طول البكاء على أخوي قال لها:
أخواك في النار قالت: ذلك أطول ليحزني عليهما إني كنت أشفق عليهما من
النار وأنا اليوم أبكي لهما من النار وأنشدت: وقائلة والتعش قد فات خطوها
ليذكره: يا لهف نفسي على صخر ألا تكلت أم الذين عدوا به إلى القبر ماذا
يحملون إلى القبر دخلت جنساء على عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى
عنها وعليها صدار من شعر قد استشعرته إلى جليدها فقالت لها: ما هذا يا
جنساء فوالله لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته قالت:
إن له معنى دعاني إلى لباسه وذلك أن أبي روجني سيد قومه وكان رجلاً
مُتَلَفًا فَأَسْرَفَ فِي مَالِهِ حَتَّى أَنْفَدَهُ ثُمَّ رَجَعَ فِي مَالِي فَأَنْفَدَهُ أَيْضًا ثُمَّ التفت
إلي فقال: إلى أين يا جنساء قلت: إلى أخي صخر.

قالت: فأتيناه فقسّم ماله شطرين ثم حيرنا في أحسن الشطرين فرجعنا من
عنده فلم يزل روجي حتى أذهب جميعه.

ثم التفت إلي فقال لي: إلى أين يا جنساء قلت: إلى أخي صخر.

قالت: فرحلنا إليه ثم قسّم ماله شطرين وخيرنا في أفضل الشطرين.

فقال له زوجته: أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تُخيرهم بين الشطرين
فقال: والله لا أمتحها بشرارها فلو هلكت قددت خمارها واتخذت من شعر
صدارها " وهي حصان قد كفتني عارها " فأليت أن لا يفارق الصدا جسدتي
ما بقيت.

قيل للخنساء: صفي لنا أخوك صخرًا ومعاوية قالت: كان صخرٌ والله جنة الزمان الأغر وزعاف الحميس الأحمر وكان والله معاوية القائل والفاعل.

قيل لها: فأيهما كان أسنى وأفخر قالت: أما صخر فحز الشئ وأما معاوية فبزد الهواء.

قيل لها: فأيهما أوجع وأفجع قالت: أسدان مُحَمَّرًا المَخالب نَجْدَةً بَحْران في الرمن العَصُوبِ الأُممرِ قَمْران في النَّادي رَفِيعًا مَحْتَدٍ في المَجْدِ قَرَعًا سُودِدٍ مُتَخَيِّرٍ وقالت الخنساء تَرثِي أخاها " صَخْرُ بنِ الشَّرِيدِ ": قَدَيْ بَعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عُوَّارٌ أُمُّ أَفْقَرَتْ إِذْ حَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهِ إِذَا حَطَرْتُ قَيْضُ يَسِيلُ عَلَى الحَدَّيْنِ مِذْرَارٍ فَالْعَيْنُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَحُقَّ لَهَا وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ الأَرْضِ أَسْتَارُ بُكَاءٍ وَالهِةَ صَلَّتْ أَلَيْفَتُهَا لَهَا حَنِينانِ إِصْغارٍ وَإِكْبَارِ تَرعى إِذَا نَسِيتِ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبالٌ وَإِدْبَارٌ وَإِنْ صَخْرًا لِتَأْتِمَ الهِداةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نارِ حَامِي الحَقِيقَةُ مُحَمَّدُ الخَلِيقَةُ مَهْ دِيَّ الطَّرِيقَةُ نَفاعِ ضِرارٍ وَقَالَتْ أَيْضاً: أَلَا ما لِعَيْنِي أَلَا مالِها لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَها أَمِنْ بَعْدِ صَخْرٍ مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الأَرْضُ أَثقالِها سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى خِطَّةٍ فَإِما عَلِيهاً وَإِما لَها وَقَالَتْ أَيْضاً: أَعَيْنِي جوداً وَلا تَجْمُدُ أَلَا تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدَى أَلَا تَبْكِيانِ الجَرِيءِ الجِوادِ أَلَا تَبْكِيانِ الفَتَى السَّيِّدِ طَوِيالِ النِّجادِ رَفِيعِ العِمارِ دَسادِ عَشِيرَتِهِ أَمْرِدًا يَحْمِلُهُ القَوْمُ ما غالَهُمْ وَإِنْ كانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدًا جَموعِ الضُّيُوفِ إِلى بابِهِ يَرى أَفْضَلَ الكَسْبِ أَنْ يَحْمَدُ وَقَالَتْ أَيْضاً: فَمَا أَدرَكَتْ كَفَّ امرئٍ مَتناولاً مِنَ المَجْدِ إِلا وَالَّذِي نَلْتِ أَطولُ وَمَا بَلَغَ المَهْذُونَ لِلْمَدْحِ غايَةَ وَلولِ جَهِدِها إِلا الَّذِي فِيكَ إِفْضَلَ وَمَا أَلْعَيْتُ فِي جَعْدِ الثَّرَى دَمَتْ الرَبى تَعْبِقُ فِيها الوابِلِ المَتَهَلَّلِ بِأَفْضَلَ سَبِيباً مِنْ يَدِيكَ وَنَعْمَةً تَجُودُ بِها بَلْ سَبِيبُ كَفِيفِ أَجْزَلَ مِنَ القَوْمِ مِغْشِي الرِواقِ كَأَنَّهُ إِذا سَيمُ ضَيْماً خادِرٌ مَتَبَسَّلَ أبا شَجَرِ الخابُورِ مالِكِ مَورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابنِ طَريفِ فَتى لا يَريدُ العِزَّ إِلا مِنَ التَّقَى وَلا المَالَ إِلا مِنَ قَناءِ وَسِيفِ وَلا الذَّخِرَ إِلا كَلَّ جِرداءِ صِلْداً وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفِيرَتَيْنِ حَلِيفِ فَقَدانِهِ فَقَدانِ الرِّبيعِ فَلِيتَنَّا فِدانِهِ مِنْ سادَتِنَا بِالوَفِّ خَفِيفِ عَلَى ظَهْرِ الجِوادِ إِذا عَدَا وَليسَ عَلَى أَعْدائِهِ بِخَفِيفِ عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ وَقَفاً فَإِنِّي أَرى المَوتَ وَقاعاً بِكُلِّ شَريفٍ وَقَالَ آخِرُ يَرثِي أَخاهُ: أَحُّ طالِما سَرِنِي ذَكَرَهُ فَقَدِ صَرْتِ أَشْجى إِلى ذَكَرِهِ وَقَدِ كُنْتُ أَغْدُو إِلى قَصرِهِ فَقَدِ صَرْتِ أَغْدُو إِلى قَبْرِهِ وَكُنْتُ أَرانِي غَيباً بِهِ عَنِ النَّاسِ لوَ مَدَّ فِي عَمْرِهِ وَكُنْتُ إِذا جِئْتَهُ زائِراً فَأَمْرِي يَجوزُ عَلَى امرِهِ وَقَالَتْ الخنساءُ تَرثِي أَخاها صَخْرًا: بَكَتْ عَيْنِي وَعَاودَها قَذاها بَعوارٍ فَمَا تَقْضِي كِراها لئنِ جَزَعْتَ بَنو عَمْرُو عَلَيْهِ لَقَدْ رَزَّتِ بَنو عَمْرُو فَتاها لَهْ كَفَّ يَشِدُّ بِها وَكَفَّ تَجُودُ فِيما يَجِفُّ ثَرى نَداها تَرى الشَّمَّ العِطارِ مِنَ سَليمٍ وَقَدِ بَلَّتْ مَدامِعُها لِجاها أَحامِيكُمُ وَمُطْعِمَكُمُ تَرَكَتُمُ لَدَيَّ عَبْرَاءَ مُنْهَدِمِ رَجاها فَمَنْ لِلصَّيفِ إِِنْ هَبَّتْ سَمالٌ مُرْغَزَةٌ تُتَواحَّها صَبابُها وَالجاءُ بِرُذُها الأَشْوالِ حُذْباً إِلى الحُجْراتِ بادِيَةً كُلاها هَناكَ لوَ تَزَلَّتْ بِبابِ صَخْرٍ قَرى الأَضِيافِ سَحْماً مِنْ دُراها وَحَيْلٌ قَدِ دَلَّقتُ لَها بِحَيْلٍ فَدارَتْ بَيْنَ كَبَشِئِها رَجاها تُكْفِكِفُ قَصلَ سايِعَةٍ دِلاصٍ عَلَى حَيفانَةٍ حَفِيقِ حَشاها " وَقَالَ كَعْبُ يَرثِي أَخاهُ أبا المِغْوارِ: تَقولُ سَلِّمى ما لِحِجْسَمِكَ شاحِباً كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الطَّعامُ طَيبُ فُقلْتُ شَجُونِ مِنْ حُطُوبِ تَتابَعَتْ عَلَيَّ كِباؤُ وَالزَّمانُ يَريبُ أَحُّ كانَ يَكْفيَنِي وَكانَ يُعِينِنِي عَلَى نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ يَنُوبُ هُوَ العَسَلُ المادِي لينا وَشِيمَةً وَلِيتُ إِذا لاقى الرِّجالَ قَطُوبَ هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غارِياً وَمادا يَرُدُّ اللَّيْلُ حينَ يَأُوبُ كَعالِيَةِ الرُّمَحِ الرَّدِينِي لَمْ يَكُنْ إِذا ابْتَدَرَ الخَيْلَ الرِّجالُ يَخِيبُ وَداعِ

دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى التَّوَدُّعِ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى
وَارْقِعِ الصَّوْتِ ثَانِيًا لَعَلَّ أَبِي الْمَعْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ يُجِيبُكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ
بِأَمْتَالِهَا رَحْبُ الدَّرَاعِ أَرِيبٌ وَحَدَّثْتُمَانِي أَنَّ الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتِي هَضْبَةً
وَكَئِيبٌ فَلَوْ كَانَتِ الْمَوْتَى تُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النَّفُوسُ تَطِيبُ بَعِينِي
أَوْ يَمْنَى بَدِيٍّ وَخِلْتَنِي أَنَا الْغَانِمُ الْجَدْلَانُ حِينَ يُوُوبُ لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ
وَقَدْ أَتَى عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ إِلَيَّ حَبِيبٌ أَتَى دُونَ خُلُوعِ الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ قُطُوبٌ
عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ أَلَا يَا عَيْنَ جُودِي لِي سَنِينًا وَبَكِي لِلْمُلُوكِ الدَّاهِيِنَا مُلُوكٌ
مِنْ بَنِي صَخْرٍ بَنَ عَمْرُو يُقَادُونَ الْعَيْشِيَّةَ يُفْتَلُونَ فَلَمْ تُغْسَلْ رُؤُوسُهُمْ بِسِدْرٍ
وَلَكِنْ فِي الدَّمَاءِ مُزْمَلِينَا فَلَوْ فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ أَصِيبُوا وَلَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا
وَقَالَ الْإِيْبَرْدُ بْنُ الْمُعَدَّرِ الرِّيَاحِي يَرْثِي أَخَاهُ بُرَيْدًا: " تَطَاوَلُ لَيْلِي وَلَمْ أَمْنُهُ
تَقَلَّبَا كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ أَرِاقِبُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ نُجُومُهُ لَدُنْ
غَابَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى بَدَا الْفَجْرُ تَذَكَّرَ عِلْقُ بَانَ مَنَّا بَنَصْرَهُ وَنَائِلُهُ يَا حَبِّذَا
ذَلِكَ الذِّكْرُ فَإِنْ تَكُنَ الْأَيَّامُ قَرَّرْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ عَدَّرْنَا فِي صَحَابَتِهِ الْعُدْرُ وَكُنْتُ
أَرَى هَجْرًا فِرَاقِكَ سَاعَةً أَلَا لَبَّ الْمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالْهَجْرُ أَحَقُّ عِبَادَةَ اللَّهِ أَنْ
لَسْتُ لَاقِيًا بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لِأَلَا الْعُفْرُ قَتَى لَيْسَ كَالْفِيَّانِ إِلَّا خِيَارَهُمْ مِنْ
الْقَوْمِ جَزُلٌ لَا دَلِيلٌ وَلَا عُمْرٌ قَلِيلٌ كُنْتُ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيًا وَكُنْتُ أَنَا
الْمَيِّتَ الَّذِي صَمَّمَهُ الْقَبْرُ قَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الْبِنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّيِّئَةُ الشَّهْبَاءُ قَلَّ
بِهَا الْقَطْرُ كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بُرَيْدٌ يَغْبِطُهُ وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ الْبُشْرُ لَعْمَرِي
لِنَعْمِ الْمَرْءِ عَالِي تَعَبِي لَنَا ابْنُ عَرَبِينَ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ تَمَصَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ حَتَّى
تَغْلَعْتُ وَلَمْ تَنْبِهْ الْأَطْبَاعُ عَنَّا وَلَا الْجَدْرُ فَلَمَّا نَعَى النَّاعِي بُرَيْدًا تَعَوَّلْتُ بِي
الْأَرْضُ قَرِطُ الْخُزْنِ وَانْقَطَعَ الظَّهْرُ عَسَاكِرُ تَعَشَى النَّفْسُ حَتَّى كَانَنِي أَخُو
نَسْوَةٍ ارْتَبَاهِمَتَهُ الْحَمْرُ إِلَيَّ اللَّهُ أَشْكُو فِي بُرَيْدٍ مُصِيبَتِي وَبَنِي وَأَخْرَانًا
يَجِيشُ بِهَا الصَّدْرُ وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى مِنْ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ
سَرَّنِي الْأَجْرُ وَمَا زَالَ فِي عَيْنِي بَعْدُ غِشَاوَةٌ وَسَمْعِي عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَقَرَّ
عَلَى أُنْتِي أَقْتَى الْحَيَاءِ وَأَتَقِي شِمَاتَةَ أَقْوَامٍ عُيُوبُهُمْ خُزْرٌ فَحَيَّاكَ عَنِّي الْبَيْلُ
وَالصَّبْحُ إِذْ بَدَا وَهُوَ مِنْ الْأَرْوَاحِ عُدُوُّهَا شَهْرٌ وَمُجْتَمَعُ الْحُجَّاجِ حَيْثُ تَوَاقَفْتُ
رِفَاقٌ مِنَ الْآفَاقِ تَكْبِيرُهَا جَارٌ " يَمِينُ امْرِيءٍ أَلَى وَلَيْسَ بِكَاذِبٍ وَمَا فِي يَمِينِ
بَيْتِهَا صَادِقٌ وَرُزُّ لَنْ كَانَ أَمْسَى ابْنُ الْمُعَدَّرِ قَدْ تَوَى بُرَيْدٌ لِنَعْمِ الْمَرْءِ عَيْبِهِ
الْقَبْرُ هُوَ الْمَرْءُ لِلْمَعْرُوفِ وَالذِّينِ وَالنَّدَى وَمِسْعَرُ حَرْبٍ لَا كَهَامٌ وَلَا عُمْرٌ أَقَامَ
وَنَادَى أَهْلَهُ فَتَجَمَّلُوا وَصُرِّمَتِ الْأَسْبَابُ وَاخْتَلَفَتِ الْيَجْرُ فَأَيُّ امْرِيءٍ غَادِرْتُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ إِذَا هِيَ أَمْسَتْ لَوْ أَنَّهَا خُمْرٌ إِذَا الشُّوْلُ أَمْسَتْ وَهِيَ حَذْبٌ ظَهُورُهَا
عَجَافًا وَلَمْ يُسْمَعْ لِفَحْلٍ لَهَا هَدْرٌ كَثِيرٌ رَمَادُ النَّارِ يُعْشَى فِنَاؤُهُ إِذَا تُودِي الْأَيْسَارُ
وَإِخْتَضِرَ الْجُرْرُ قَتَى كَانَ يُغْلِي اللَّحْمَ نَيْئًا وَلِحْمُهُ رَخِيصٌ بِكَفِيهِ إِذَا تَنَزَّلَ الْقَدْرُ
يُقَسِّمُهُ حَتَّى يَنْتَبِعَ وَلَمْ يَكُنْ كَأَخْرٍ يُضْحَى مِنْ غَيْبَتِهِ دُخْرُ قَتَى الْحَيِّ وَالْأَضْيَافِ
إِنْ رَوَّحْتَهُمْ بَلِيلٌ وَزَادُ الْقَوْمِ إِنْ أَرْمَلَ السَّفَرُ إِذَا جَهَدَ الْقَوْمُ الْمَطِيَّ وَأَدْرَجَتْ
مِنْ الصُّمْرِ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقَبَ الصَّفْرُ وَإِنْ حَشَعَتْ أَبْصَارَهُمْ وَتَصَاءَلَتْ مِنَ الْأَيْنِ
جَلَى مِثْلَ مَا يَنْظُرُ الصَّفْرُ وَإِنْ جَارُهُ حَلَّتْ إِلَيْهِ وَفِي لَهَا فَبَاتَتْ وَلَمْ يُهْتَكِ
لِجَارَتِهِ بَيْتَرٌ عَفِيفٌ عَنِ السُّوَاتِ مَا التَّبَسَّتْ بِهِ صَلِيبٌ فَمَا يُلْفِي بِغُودٍ لَهُ كَسْرٌ
سَلَكْتَ سَبِيلَ الْعَالَمِينَ فَمَا لَهُمْ وَرَاءَ الَّذِي لَاقَيْتَ مَعْدَى وَلَا قَصْرٌ وَكُلُّ امْرِيءٍ
يَوْمًا مُلَاقٍ حِمَامِهِ وَإِنْ دَانَتْ الدُّنْيَا وَطَالَ بِهِ الْعُمْرُ فَابْلَيْتَ خَيْرًا فِي الْحَيَاةِ
وَإِنَّمَا ثَوَائِكَ عِنْدِي الْيَوْمَ أَنْ يَنْطِقَ الشَّعْرُ لِيْفِدِكَ مَوْلَى أَوْ أَحْ ذُو زِمَامَةٍ قَلِيلِ
الْغِنَاءِ لَا عَطَاءٌ وَلَا نَصْرٌ لِشَيْلِ بْنِ مَعْبَدِ الْبَجَلِيِّ: أَتَى دُونَ خُلُوعِ الْعَيْشِ حَتَّى
أَمَرَهُ نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ تَتَابَعْنَ فِي الْأَحْيَابِ حَتَّى أَبَدَتْهُمُ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ
فِي الدِّيَارِ قَرِيبٌ بَرْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا يَتَبَرِّي دُونَ اللَّحَاءِ

عَسِيبٌ فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةَ اللَّهِ مُفْرَدًا لَدَى النَّاسِ طَرًّا وَالْفُؤَادَ كَيْبٌ فَقُلْتُ
لأصحابي وقد قَدَقْتُ بنا تَوَى غُرْبَةٍ عَمَّنْ نُحِبُّ سَطُوبَ مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ
الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ لِهِمْ فِي فُؤَادِي بِالْعِرَاقِ تَصِيبٌ قَمَا تَرَكَ الطَّاعُونَ مِنْ ذِي قَرَابَةِ
إِلَيْهِ إِذَا حَانَ الْإِيَابُ تَوُوبٌ فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارَهُمْ مِنْكَ غَرْبَةٌ بَعْدَ وَلاَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ قَرِيبٌ وَكُنْتُ تُرْجَى أَنْ تَوُوبَ إِلَيْهِمْ فَعَالَيْتَهُمْ مِنْ دُونَ ذَلِكَ شَعُوبٌ
مَقَادِيرٌ لَا يُعْفَلْنَ مَنْ حَانَ يَوْمُهُ لِهِنَّ عَلَى كُلِّ النَّفُوسِ رَقِيبٌ سَقِينٌ بِكَاسِ
الْمَوْتِ مَنْ حَانَ حَيْثُ فِي الْحَيِّ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ دَتُوبٌ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدٌ مَنَهْلٍ
عَلَى حَوْضِهِ بِالنَّالِيَاتِ يُهَيِّبُ إِلَيْهِ تَتَاهِينًا وَلَوْ كَانَ دُونَهُ مِيَاهُ رَوَاءَ كُلِّهِمْ شُرُوبٌ
فَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضٌ وَجَدِي أَنِّي رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَعْبِدِي وَتَوُوبٌ وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرِ
أَنَا إِلَى أَجَلٍ تُدْعَى لَهُ فَجَنِّبْ وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لِأَقِيبُ أَسْوَةٌ تَكَادُ لَهَا تَفْسٌ
الْحَزِينِ تَطِيبٌ دُمُوعَ مَرَاهَا الشَّجْوُ حَتَّى كَانَهَا جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبٌ إِذَا
مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبُكَاءُ فُؤَادٌ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طَرُوبٌ بِكِي شَجْوُهُ ثُمَّ
ارْعَوَى بَعْدَ عَوْلِهِ كَمَا وَاتَرْتُ بَيْنَ الْحَنِينِ سَلُوبٌ دَعَاهَا الْهَوَى مِنْ سَقْبِهَا فَهِيَ
وَالِهُ وَرُدَّتْ إِلَى الْأَلْفِ فَهِيَ تَحُوبٌ فَوَجَدِي بِأَهْلِي وَجَدُّهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ سَبَابٌ
بِزَيْنُونَ النَّدَى وَمَشِيبٌ مِنْ رِثْتِ زَوْجِهَا قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ذَاتُ
التَّطَاقِينِ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا " تَرْتِي زَوْجَهَا الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَكَانَ قَتْلَهُ عَمْرُو
بِْنِ جُرْمُوزِ الْمُجَاشِعِيِّ بِوَادِي السَّبَاعِ وَهُوَ مَنصَرَفٌ مِنْ وَفْعَةِ الْجَمَلِ .

" وتروى هذه الأبيات لزوجته عاتكة التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضي
الله عنه " : عَدْرُ ابْنِ جُرْمُوزِ فَارِسٍ بِهَيْمَةَ يَوْمِ الْهَيْتِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ يَا عَمْرُو
لَوْ تَبَهَّتْهُ لَوْجَدْتَهُ لَا طَائِشًا رَعِشَ الْجَنَانِ وَلَا يَدِي تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا
حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ الْهَلَالِيِّ قَالَ : تَرَوِّجُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ لِبَانَةَ
بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ رَبِيطَةَ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ فَقَتَلَ مُحَمَّدٌ عَنْهَا وَلَمْ يَتَّخِذْ بِهَا
فَقَالَتْ تَرْتِيهِ : أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمُحِ وَالْقَرَسِ يَا فَارِسًا
بِالْعَرَاءِ مَطْرَحًا خَائِتَهُ فَوَادَهُ مَعَ الْحَرَسِ أَبْكِي عَلَى سَيْدٍ فَجَعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي
قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ أُمَّ مَنْ لِيَرَّ أُمَّ مَنْ لِعَائِدَةٍ أُمَّ مَنْ لِيَذْكَرُ الْإِلَهَ فِي الْعَلَسِ
وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْتِي زَوْجِهَا : كُنَّا كَعَصِينٍ فِي جِرْتُومَةٍ بَسَقًا جِينًا عَلَى خَيْرِ مَا
يُنْمِي بِهِ الشَّجَرُ حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ قِنَؤُهُمَا وَاسْتَنْظَرِ
الْبُؤْرَ أَحْتَى عَلَى وَاحِدِ رَبِيبِ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَدْرُ كُنَّا
كَأَجْمِ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدَّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ الْأَضْمَعِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ
بَعْضَ مَقَابِرِ الْأَعْرَابِ وَمَعِيَ صَاحِبٌ لِي إِذَا جَارِبَةٌ عَلَى قَبْرِ كَانَهَا تِمثالٌ وَعَلَيْهَا
مِنَ الْحَلَى وَالْحَلَلِ مَا لَمْ أَرِ مِثْلَهُ وَهِيَ تَبْكِي بَعِينَ عَزْبِرَةَ وَصَوْتٌ شَجِيٌّ .

فالتفتُ إلى صاحبي .

فقلتُ : هل رأيتُ أعجبَ من هذه قال : لا والله ولا أحسبني أراه .

ثم قلتُ لها : يا هذه إني أراك حزينَةً وما عليكِ زيُّ الحُزنِ : فانشأت تقول :
فإن تَسألاني فيم حُزني فإِنِّي رَهِينَةٌ هَذَا الْقَبْرِ يَا قَتِيانَ وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيهِ
والتَّزْبِ بَيْنَنَا كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ حِينَ يَرَانِي أَهَائِكَ إِجْلَالًا وَإِنْ كُنْتُ فِي الثَّرَى
مَخَافَةَ يَوْمٍ أَنْ يَسُوكَ لِسَانِي ثُمَّ انْدَفَعْتُ فِي الْبُكَاءِ وَجَعَلْتُ تَقُولُ : يَا صَاحِبَ
الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يَنْعَمُ بِي بِالْأَلَى وَيُكْثِرُ فِي الدُّنْيَا مَوَاسِيَتِي أَرَدْتُ أَتِيكَ فِيمَا كُنْتُ
أَعْرِفُهُ أَنْ قَدْ تُسَرُّ بِهِ مِنْ بَعْضِ هَيْئَاتِي فَمَنْ رَأَى عَيْرِي مُؤَلِّهَةً عَجِيبَةً
الرَّيِّ تَبْكِي بَيْنَ أَمْوَاتٍ وَقَالَ : رَأَيْتُ بِصَحْرَاءَ جَارِبَةً قَدْ أَلْصَقَتْ خَدَّهَا بِقَبْرِ وَهِيَ

تَبْكِي وتقول: خَدِي تَعْيِكَ خَشُونَةَ اللَّحْدِ وَقَلِيلُهُ لَكَ سَيِّدِي خَدِّي يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ
الَّذِي بَوَّأْتَهُ عَمِيثَ عَلَيَّ مَسَالِكَ الرَّشِيدِ اسْمَعْ أَبْنُكَ عَلْتِي فَلَعْنِي أَطْفِي بِذَلِكَ
حُرْقَةَ الْوَجْدِ مِنْ رَثِي جَارِيته كَانَ لِمُعَلَى الطَّائِي جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا وَصْفٌ وَكَانَتْ
أَدِيبَةً شَاعِرَةً فَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ وَصَّاحٍ قَالَ: أَدْرَكْتُ مُعَلَى الطَّائِي بِمِصْرَ
وَأَعْطَى بِجَارِيته وَصْفَ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَبَاعَهَا.

فلما دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَتْ لَهُ: يَغْتَنِي يَا مُعَلَى! قَالَ نَعَمْ قَالَتْ: وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَتْ
مِنْكَ مِثْلَ مَا تَمْلِكُ مِنِّي مَا يَغْتَنِكَ بِالْدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

فَرَدَ الدَّانِيرُ وَاسْتَقَالَ صَاحِبَهُ فَأَصِيبَ بِهَا إِلَى ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ فَقَالَ يَرْتِيهَا: يَا مَوْتُ
كَيْفَ سَلَبْتَنِي وَصَفَا قَدَمْتَهَا وَتَرَكْتَنِي خَلْقًا هَلَا دَهَبَتْ بِنَا مَعًا فَلَقَدْ ظَفِرْتُ يَدَاكَ
فِسْمَتْنِي خَسْفًا فَعَلَيْكَ بِالْبَاقِي بَلَا أَجَلَ فَالْمَوْتُ بَعْدَ وَفَاتِهَا أَعْفَى يَا مَوْتُ مَا
بَقِيَتْ لِي أَحَدًا لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى الْبَلَى وَصَفَا هَلَا رَحِمْتَ سَيَّابَ عَانِيَةَ رَبِّي الْعِظَامِ
وَشَعَرَهَا الْوُخْفَا وَرَحِمْتَ عَيْنِي ظَنِيَّةً جَعَلْتَ بَيْنَ الرِّيَاضِ تُنَاطِرِ الْخَسْفَا تُعْفَى
إِذَا انْتَصَبْتَ فَرَائِصَهُ وَلَطَلَّ تَرَعَاهُ إِذَا أَعْفَى إِذَا مَشِي مَشِيًّا اخْتَلَفَتْ قَوَائِمُهُ وَقَفَتْ
الرَّضَاعَ فَيَبْطُؤِي ضَعْفًا مَتَحِيرًا فِي الْمَشِيِّ مُرْتَعِشًا يَخْطُو فَيَضْرِبُ ظِلْفُهُ
الظُّلْفَا فَكَانَهَا وَصْفٌ إِذَا جَعَلْتَ نَحْوِي تُدِيرُ مَحَاجِرًا وَطُفَا يَا مَوْتُ أَنْتَ كَذَا
لِكُلِّ أَخِي الْفِي يَصُونُ بِيْرَهُ الْإِلْفَا خَلَيْتَنِي فَرْدًا وَبُنْتُ بِهَا مَا كُنْتُ قَبْلَكَ حَافِلَا
وَكَفَا فَتَرَكَتُهَا بِالرَّغْمِ فِي جَدَثٍ لِلرَّيْحِ يَنْسِفُ ثُرْبَهُ تَسْفَا دُونَ الْمُقْطَمِ لَا أَلْبَسَهَا
مِنْ زِينَةٍ فُرْطَا وَلَا سَنَفَا فَكَانَهَا وَالنَّفْسُ زَاهِقَةٌ عُضْنُ مِنَ الرَّيْحَانِ قَدْ جَفَا يَا
قَبْرُ أَبَقِ عَلَى مَحَاسِنِهَا فَلَقَدْ حَوَيْتِ النُّورَ وَالظُّرْفَا لَمَّا هُزِمَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ
وَجَرَحَ نَحْوَ مِصْرَ كَتَبَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهَا خَلْفَهَا بِالرَّمْلَةِ: وَمَا زَالَ يَدْعُونِي إِلَى
الصَّبْرِ مَا أَرَى فَا بِي وَتَيْنِي الَّذِي لِي فِي صَدْرِي وَكَانَ عَزِيزًا أَنْ بِنِي وَبَيْنَهَا
جِبَابًا فَقَدْ أَمْسِيَتْ مِنْكَ عَلَى عَشْرِ وَأَنْكَاهُمَا لِلْقَلْبِ وَاللَّهِ فَاعْلَمِي إِذَا أَرَدْتِ
مِثْلَهَا فَصَبْرُ عَلَى شَهْرٍ وَأَعْظَمُ مِنْ هَدْيَيْنِ وَاللَّهِ أَنِّي أَخَافُ أَنْ لَا تَلْتَقِي آخِرَ
الدَّهْرِ سَابِكِيكَ لَا مُسْتَبْقِيَا قَيْضَ عِبْرَةٍ وَلَا طَالِيَا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ وَجَدُوا
عَلَى قَبْرِ جَارِيَةٍ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ أَبِي نُوَّاسٍ أَيْبَاتًا ذَكَرُوا أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ قَالَهَا وَهِيَ:
أَقُولُ لِقَبْرِ رُزْبِيهِ مُتَلِّمًا سَقَى اللَّهُ بَرْدَ الْعَفْوِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ
النَّارِ قَمْرَ الدُّجَى وَشَمْسَ الصَّحَى بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالْعَفْرِ عَجِبْتُ لِعَيْنِ بَعْدَهَا
مَلَّتِ الْبُكَاءُ وَقَلْبُ عَلَيْهَا يَرْتَجِي رَاحَةَ الصَّبْرِ وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِي يَرْتِي جَارِيَةً
أَصِيبَ بِهَا: وَأَلْبَسْنِي ثَوْبًا مِنَ الْخُرْنِ وَالْأَسِي هَلَالٌ عَلَيْهِ تَسْجُ ثَوْبٌ مِنَ النَّارِ
وَكَنْتُ أَرْجِي الْقُرْبَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ فَقَدْ ثَقُلْتُ بَعْدِي عَنِ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ أَقُولُ وَقَدْ
قَالُوا اسْتَرَّاحَ بِمَوْتِهَا مِنَ الْكَرْبِ رَوْحَ الْمَوْتِ سَرُّ مِنَ الْكَرْبِ لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ
النَّارِ وَعَهْدَتْهَا لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ وَقَالَ يَرْتِيهَا: أَلَمْ تَرْنِي خَلَيْتِ
بِفَيْسِي وَشَاتَهَا وَلَمْ أَحْفَلِ الدُّنْيَا وَلَا حَدَاتِيهَا لَقَدْ خَوَّقَنِي النَّائِبَاتُ صُرُوقَهَا وَلَوْ
أَمْتَنِي مَا قَبِلْتُ أَمَاتَهَا وَكَيْفَ عَلَى نَارِ اللَّيَالِي مُعْرِسِي إِذَا كَانَ سَيِّبُ
الْعَارِضِينَ دُخَانًا أَصْبَتْ بِخَوْدِ سَوْفٍ أَعْبُرُ بَعْدَهَا حَلِيفَةَ أَسَى أَبْكِي زَمَانًا
زَمَاتَهَا عِنَانٌ مِنَ اللَّذَاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي فَلَمَّا قَضَى الْإِلْفُ اسْتَرَدَّتْ عِنَاتَهَا
مَتَحْتُ الْمَهَاجِرِي فَلَا مُحْسِنَاتَهَا أَوْدٌ وَلَا يَهْوِي فُؤَادِي جِسَاتَهَا يَقُولُونَ هَلْ
يَبْكِي الْفَتَى لِخَرِيدَةٍ إِذَا مَا أَرَادَ اعْتِاضَ عَشْرًا مَكَاتَهَا أُمْنَقِصِلُ عَنِ تَدْيِ أُمِّ
كَرِيمَةٍ أُمِّ الْعَاشِقِ النَّابِي بِهِ كُلُّ مَصْجَعٍ وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ يَرْتِي جَارِيَةً
تَشُو: وَمُنْتَصِحٌ يُرَدُّ ذِكْرُ تَشُو عَلَى عَمْدٍ لِيَبْعَتْ لِي اِكْتِنَابًا أَقُولُ - وَعَدَّ - مَا
كَانَتْ تُسَاوِي سَيِّحْسُبُ ذَاكَ مَنْ خَلَقَ الْجِسَايَا عَطِيَّتَهُ إِذَا أَعْطَى سُرُورًا وَإِنْ
أَخَذَ الَّذِي أَعْطَى أَتَابًا فَأَيُّ التَّعْمِينِ أَعْمٌ تَفْعًا وَأَحْسَنُ فِي عَوَاقِبِهَا إِيَابَا أَنْعَمْتَهُ

التي أهدت سروراً أم الأخرى التي أهدت تَوَاباً بل الأخرى وَإِنْ تَرَلَّتْ بِحُزْنٍ
 أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ احتساباً أبو جعفر البغدادي قال: كان لنا جارٌ وكانت له
 جاريةٌ جميلةٌ وكان شديد المحبة لها فماتت فوجد عليها وجداً شديداً فبينا هو
 ذات ليلة نائمٌ إذ أتته الجاريةُ في تَوَمِّهِ فأنشدته هذه الأبيات: جاءت تزور
 وسادي بعدما دُفِنْتُ في التُّومِ أَلَيْمٌ حَدًّا رَأَتْهُ الْجَيْدُ فقلتُ قُرَّةَ عَيْنِي قد نُعِيتِ
 لنا فكيفَ ذا وطريقُ القبرِ مسدود فانتبه وقد حفِظها وكان يحدث الناس بذلك
 ويُنشدهم.

فما بقي بعدها إلا أياماً يسيرة حتى لحق بها.

▲ من رثى ابنه

قال البُخترِيُّ في رثاء ابنة لأحد بني حَمِيدٍ: ظَلَمَ الدَّهْرُ فيكم وأساءَ فَعَزَاءَ بَنِي
 حَمِيدٍ عَزَاءً أَنْفُسٌ مَا تَرَأَى تَفْقِدُ قَفْداً وَضُدُورٌ مَا تَبْرَحُ البُرْحَاءَ أَصْبَحَ السَّيْفُ
 دَاءَكُمْ وهو الدَّاءُ الَّذِي مَا يَزَالُ يُعِي الدَّوَاءَ وَاتْحَى القَلْبَ فيكم فَيَكِينَا بِدَمَاءِ
 الدُّمُوعِ تَلِكِ الدَّمَاءِ يَا أَبَا القاسمِ المُقَسَّمِ في النَّجْدِ والجُودِ واللَّدَى أجزاء
 والهزْبُ الَّذِي إذا دَارَتِ الحَرْبُ به صَرَفَ الرَّدَى كَيْفَ سَاءَ الأَسَى وَاجِبٌ على
 الحُرِّ إِذَا نَبِيَّةٌ حُرَّةٌ وَإِذَا رِيَاءٌ وَسَقَاهَا أَنْ يَجْرَعَ الحُرُّ هِمَا كَانَ حَتْمًا على العِيَادِ
 قِصَاءِ أُنْبَكِي مَنْ لَا يُنْزِلُ بالسَّيْفِ مُشِيحًا وَلَا يَهْزُ اللِّوَاءَ وَالقَتَى مَنْ رَأَى
 القُبُورَ لِمَنْ طَابَ به مِرْبَاتُهُ أَكْفَاءَ لَسَنٍ مِنْ زِينَةِ الحَيَاةِ لَعْدُ اللِّ هِ مِنْهَا
 الأَمْوَالِ والأَبْنَاءِ لَمْ يَبْدُرْ بِهِنَّ قَيْسٌ تَمِيمٌ عَيْلَةً بَلْ حَمِيَّةٌ وَإِثَاءٌ وَتَعَشَى مُهْلَهْلٍ
 الذَّلِّ فِيهِ نَ وَقَدْ أُعْطِيَ الأَدِيمَ حَبَاءَ وَشَقِيقَ بِنِّ فَاتِكِ حَدَرَ العَارِ عَلَيْهِنَّ فَارَقَ
 الدَّهْنَاءَ وَعَلَى عَيْبِهِنَّ أَحْزَنَ يَعْقُوبُ وَقَدْ جَاءَهُ بَنُوهُ عِشَاءَ وَشَعِيبٌ مِنْ أَجْلِهِنَّ
 رَأَى الوُحْدَةَ ضَعْفًا فَاسْتَأْجَرَ الأنبياءَ وَتَلَقَّتْ إلى القَبَائِلِ فَانظُرْ أَمْهَاتٍ يَنْسَبُ
 أُمُّ أَبَاءِ وَاسْتَرَلَّ الشَّيْطَانُ أَدَمَ في الجَنَّةِ لَمَّا أُعْرِيَ به حَوَاءٌ وَلِعْمَرِي مَا
 العَجْزِ عِنْدِي إِلا أَنْ تَبَيَّتَ الرِّجَالُ تَبْكِي النِّسَاءَ مِرَاثِي الأَشْرَافِ قَالَ حَسَّانُ بِنُّ
 ثَابِتٌ يَرِثِي رَسولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ رِضْوَانَ اللّهِ
 عَلَيْهِمُ: ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ تَصَرَّهْمُ رَبُّهُمْ إِذَا نُشِرُوا عَاشُوا بِلا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ
 وَاجْتَمَعُوا في المَمَاتِ إِذْ قُبِرُوا قَلِيْسٌ مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ بَصِيرٌ يُنْكِرُهُمْ فَصَلَّهُمْ إِذَا
 ذُكِرُوا إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَّةً فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا حَيَّرَ البَرِيَّةَ
 أَنْقَاها وَأَعَدَّلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا الثَّانِي اثْنَيْنِ وَالْمَحْمُودَ مَشْهَدَهُ
 وَأَوَّلَ النَّاسِ طَرَا صَدَقَ الرُّسُلَا وَكَانَ حِبِّ رَسولِ اللّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنَ البَرِيَّةِ لَمْ
 يَعْدِلْ به رَجُلًا وَقَالَ يَرِثِي عُمَرَ بِنَ الخُطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: عَلَيْكَ سَلامٌ مِنْ
 أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللّهِ فِي ذَاكَ الأَدِيمِ المُهَرِّقِ فَمَنْ يَجْرُ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي تَعَامَةً
 لِيُذْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ قَصِيَّتِ أَمْورًا ثُمَّ غادِرَتْ بَعْدَهَا يَوَافِجُ فِي
 أَكْمامِها لَمْ تُعْتَقْ وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ تَكُونَ وَفائِهِ بَكَفِّي سَبْتِي أَرْزَقِ العَيْنُ
 مُطَرِّقٍ وَقَالَ يَرِثِي عَثْمَانَ بِنَ عَقَّانِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: مَنْ سَرَّهُ المَوْتُ صِرْفًا لَا
 مِرْاجَ لَهُ قَلِيَاتٍ مَا سَرَّهُ فِي دارِ عُثْمَانَ إِني لَمِنْهُمْ وَإِنْ غابُوا وَإِنْ شَهِدُوا ما
 دَمِيْتُ حَيًّا وَمَا سُمِّيتُ حَسَنًا يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي ما كَانَ شَأْنُ
 عَلِيِّ وَابْنِ عَقَّابًا وَقَالَ الفَرَزْدَقُ فِي قَتْلِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّ
 الخِلافةَ لَمَّا أَطْعَمْتَ طَعْنَتْ مِنْ أَهْلِ يَثْرَبِ إِذْ غَيَّرَ الهُدَى سَلَكوها صَارَتْ إلى
 أَهْلِها مِنْهُمْ وَوارِثِها لَمَّا رَأَى اللّهُ فِي عَثْمَانَ ما انْتَهَكُوا إِلسافِكِي دَمَهُ ظَلَمًا
 وَمَعْصِيَةً أَيَّ دَمٍ لَا هُدُوا مِنْ عَيْهِمْ سَفَكُوا وَقَالَ السَّيِّدُ الحَمِيرِيُّ يَرِثِي عَلِيَّ بِنَ
 أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ وَيَذْكَرُ يَوْمَ صَفِّينَ: إِني أَدِينُ بِما دَانَ الوَصِيَّ بِهِ

وشاركتُ كُفَّهُ كَفِّي بِصِقِينَا فِي سِفْكَ مَا سَفَكَتْ فِيهَا إِذَا احْتَضِرُوا وَأَبْرَزَ اللَّهُ
لِلْقِسِطِ الْمَوَازِينَا تِلْكَ الدِّمَاءَ مَعَا يَا رَبِّ فِي عُنُقِي ثُمَّ اسْقِنِي مِثْلَهَا آمِينَ آمِينَا
آمِينَ مِنْ مِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ فِي فِتْيَةِ هَاجَرُوا لِلَّهِ سَارِينَا لِيَسُوا يَرِيدُونَ
غَيْرَ اللَّهِ رَبَّهُمْ نَعْمَ الْمُرَادُ تَوَخَّاهُ الْمُرِيدُونَ أَنْشُدَ الرَّيَاشِي لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ
الشَّامِ يَرِثِي عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ عَيَّبَ الدَّافِنُونَ اللَّحْدَ إِذْ
دَقَّنُوا بَدِيرَ سِبْمَعَانَ قِسْطَاسِ الْمَوَازِينِ مِنْ لَمْ يَكُنْ هَمَّهُ عَيْنًا يُفَجِّرُهَا وَلَا
التَّخِيلَ وَلَا رَكْضَ التَّرَاذِينِ ظَلُّوا عَلَى قَبْرِهِ يَسْتَعْفِرُونَ لَهُ وَقَدْ يَقُولُونَ ثَارَاتِ
لَنَا الْعَبْرُ يُقْبَلُونَ ثَرَابًا فَوْقَ أَعْظَمِهِ كَمَا يُقْبَلُ فِي الْمَحْجُوجَةِ الْحَجَرِ لِلَّهِ أَرْضُ
أَجَنَّتْهُ صَرِيحَتُهَا وَكَيْفَ يُدْفَنُ فِي الْمَلْحُودَةِ الْقَمَرِ إِنَّ الْمَنَابِرَ لَا تَعْتَاضُ عَنْ مَلِكٍ
إِلَيْهِ يَشْخُصُ فَوْقَ الْمُنِيرِ التَّبَصُّرِ وَقَالَ جَرِيرٌ يَرِثِي عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ: يَتَّبَعِي
النُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ حُمَلَتِ أَمْرًا عَظِيمًا
فَاصْطَبَّرَتْ لَهُ وَقُمَّتْ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَ فَالشمسُ طَالَعَةُ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ
تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ وَقَالَ جَرِيرٌ يَرِثِي الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ: إِنَّ
الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شِمَائِلَهُ عَبْرَاءُ مَلْحُودَةٌ فِي جَوْلِهَا رَوْرُ أَمْسَى بَنُو وَقَدْ جَلَّتْ
مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ كَانُوا جَمِيعًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ
الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ وَقَالَ غَيْرُهُ يَرِثِي قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ: فَمَا كَانَ
قَيْسٌ هَلْكَهُ هَلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنِيَانٌ قَوْمٌ تَهَدَّمَا وَقَالَ أَبُو عَطَاءَ السَّنْدِي يَرِثِي
يَزِيدَ بْنَ عَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ لَمَّا قُتِلَ بِوَأَسْطِ: أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَأَسْطِ عَلَيْكَ
بِحَارِي دَمْعِيهَا لَجَمُودُ عَشِيَّةِ رَاحِ الدَّافِنُونَ وَشَقَّقَتْ جُيُوبَ بَايَدِي مَا تَمَّ وَحُدُودُ
فَإِنَّ تَكَّ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرِيمًا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودِ وَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى
مَتَعَهَّدَ بَلَى إِنَّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدٌ وَقَالَ مَنصُورُ التَّمْرِي يَرِثِي يَزِيدَ بْنَ مَرْزُوقِ
مَتَى يَبْرُدُ الْحُرْنُ الَّذِي فِي فُؤَادِيَا أَبَا خَالِدٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا أَبَا خَالِدٍ مَا كَانَ
أَدَهَى مُصِيبَةً أَصَابَتْ مَعَدًّا يَوْمَ أَصْبَحْتَ ثَاوِيًا لِعَمْرِي لئن سُرَّ الْأَعَادِي وَأَظْهَرُوا
شَمَانًا لَقَدْ سُرُّوا بِرَبْعِكَ خَالِيَا وَأُوتَارَ أَقْوَامَ لَدَيْكَ لَوَيْتَهَا وَرُزَّتْ بِهَا الْأَجْدَاثُ
وَهِيَ كَمَا هِيَا تُعَزِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ بِسَيْفٍ لَهُمْ مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ نَابِيَا
عَلَى مِثْلِ مَا لَاقَى يَزِيدُ بْنُ مَرْزُوقِ عَلَيْهِ الْمَنَايَا فَالِقَ إِنْ كُنْتَ لِأَقِيَا سَابِكِيكَ مَا
فَاضَتْ دَمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ فَحَسْبُكَ مَنِيَّ مَا تُجَنُّ الْجَوَائِحُ كَانَ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ
سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ لئن حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذَكَرْتَهَا
لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ وَلَا بِشُرُورٍ
بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحْ وَقَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ يَرِثِي الْمُغِيرَةَ بْنَ الْمُهَلَّبِ: إِنَّ الشَّجَاعَةَ
وَالسَّمَاحَةَ ضَمَّنَا قَبْرًا يَمْرُوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقُرْ بِهِ
كَوْمَ الْهَجَانَ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ " وَانْصَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا
دَمٍ وَدَبَّاحٍ " وَالْآنَ لَمَّا كُنَيْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى وَافْتَرْنَا نَائِكَ عَنْ شَيْبَةَ الْقَارِحِ
وَتَكَامَلْتَ فِيكَ الْمَرْوَةَ كُلَّهَا وَأَعْنَتَ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ لِلْمُهَلَّبِيِّ مِنْ مَرْتَبَتِهِ
لِلْمَتَوَكَّلِ: لَا حُرْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونََ مَا أَجْدُ وَهَلْ كَمَنْ فَقَدَيْتَ عَيْنَايَ مَفْتَقِدٌ لَا يَبْعَدُنْ
هَالِكٌ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ كَمَا هَوَى مِنْ غِطَاءِ الرُّبِيَّةِ الْأَسَدِ هَلَا أَتَتْهُ أَعَادِيهِ مُجَاهِرَةً
وَالْحَرْبُ تَسْعَرُ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ فَحَرَ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلِكِ مُنْجَدَلًا لَمْ يَحْمَهُ مُلْكُهُ
لَمَّا أَنْقَضَى الْأَمَدَ قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوْرَتَهُ وَلِلرِدَى دُونََ أَرْضَادِ الْقَتَى
رَصَدَ وَأَصْبَحَ النَّاسُ قَوْضَى يَعْجَبُونَ لَهُ لَيْثًا صَرِيحًا تَنْزَى حَوْلَهُ التَّقْدَ عَلَّيْكَ
أَسِيافُ مِنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ جَاءُوا عَظِيمًا لَدُنْيَا
يَسْعُدُونَ بِهَا فَقَدْ شَقُّوا بِالذِي جَاءُوا وَمَا سَعِدُوا صَجَّتْ نِسَاؤُكَ بَعْدَ الْعَرِّ حِينَ
رَأَتْ خَدًّا كَرِيمًا عَلَيْهِ قَارَتِ جَسِيدُ أَضْحَى شَهِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوْعِظَةً لِكُلِّ ذِي
عِزَّةٍ فِي رَأْسِهِ صَيِّدَ خَلِيفَةَ لَمْ يَنْلِ مَا نَالَ أَحَدٌ وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ رُوحٌ وَلَا جَسَدٌ
كَمْ فِي أَدِيمِكَ مِنْ قَوْهَاءِ هَادِرَةٍ مِنَ الْجَوَائِفِ يَغْلَى فَوْقَهَا الرَّبْدُ إِذَا بَكَيْتُ فَإِنَّ

الدمع مُنْهَمَلٌ وَإِنْ رَثِيْتُ فَإِنَّ الْقَوْلَ مُطَرَّدٌ قَدْ كُنْتُ أُسْرِفُ فِي مَالِي وَبُخْلِفَ لِي فَعَلِمْتَنِي اللَّيَالِي كَيْفَ أَقْتَصِدُ " إِذَا فُتِرِشَ أَرَادُوا شَدَّ مُلْكَهُمْ بَغَيْرِ قَحْطَانٍ لَمْ يَبْرَحْ بِهِ أَوْدٌ " مِنْ الْأَلَى وَهَبُوا لِلْمَجْدِ أَنْفُسَهُمْ فَمَا يَبَالُونَ مَا تَالُوا إِذَا حُمِدُوا قَدْ وَثِرَ النَّاسُ طَرًّا ثُمَّ صَمَتُوا حَتَّى كَانُ الَّذِي يَبْلُونَهُ رَسَدَ وَقَالَ آخِرُ: وَفَتَى كَانُ جَبِيئَهُ بَدْرُ الدَّجَا فَامَتْ عَلَيْهِ تَوَادِبٌ وَرَوَامِسَ غَرَسَ الْقَسِيْلَ مُؤَمَّلًا لِتِقَاتِهِ فَنَمَا الْقَسِيْلُ وَمَاتَ عَنْهُ الْغَارِسُ وَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْقُرَ.

مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلٍ مُحْرَقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ أَهْلِ الْخَوَزَنَةِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ تَرَلُّوا بِأَنْقِرَةَ بِسَبِيلِ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفِرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ جَرَّتِ الرِّبَاخُ عَلَيَّ مَحَلَّ دِيَارِهِمْ فَكَانَمَا كَانُوا عَلَيَّ مِيعَادَ وَلَقَدْ عَنُتُوا فِيهَا بِأَنْعِمَ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ وَإِذَا التَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يَلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى يَلَى وَتَقَادُ يَا حَارَ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا عَرَبَتْ إِلَّا تُقَرَّبُ أَجَالًا لِمِيعَادِ هَلْ نَحْنُ إِلَّا كَأَزْوَاجٍ يُمَرُّ بِهَا تَحْتَ التَّرَابِ وَأَجْسَادُ كَأَجْسَادِ لَمَّا مَاتَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَرَّارِي قَالَ الْحِجَاجُ: ذَلِكَ رَجُلٌ عَاشَ مَا شَاءَ وَمَاتَ حِينَ شَاءَ.

وَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ: إِذَا مَاتَ ابْنُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ فَلَا مَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ وَلَا جَاءَ الْبَرِيدُ بَعْنَمَ جَيْشٍ وَلَا حُمِلَتْ عَلَى الطَّهْرِ النِّسَاءُ فَيَوْمَ مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ رَجَالٍ كَثِيرٍ عِنْدَهُمْ تَعَمُّ وَنِسَاءٌ وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ: أَمْسَعُودٌ هَلْ عَادَاكَ يَوْمٌ بَفَرْحَةٍ وَأَمْسَيْتَ لَمْ تَعْرِضْ لَهَا التَّرْحَاثُ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا أَنْفُسٌ مُسْتَعَارَةٌ تَمُرُّ بِهَمَا التَّرَوَّحَاتِ وَالغَدَوَاتِ بِكَيْتٍ وَأَعْطَنَكَ الْبِكَاءَ مُصِيبَةً مَصَّتْ وَهِيَ قَرْدٌ مَا لَهَا أَحْوَاتُ كَأَنَّكَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ الْعَرَا وَلَمْ تَتَعَمَّدْ غَيْرَكَ التَّكْبَاتِ سَقَى الضَّاحِكُ الْوَسْمِيَّ أَعْظَمَ حُفْرَةَ طَوَاها الرَّدَى فِي اللَّحْدِ وَهِيَ رُفَاتٌ وَقَالَ أَيْضًا: أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهَا أَوَانِسٌ بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّبَارُ قُبُورٌ عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ وَعَمَّ مُصَابَهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلَّهُمْ مَاجُورٌ رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَانَهُ مِنْ تَشْرِهًا مَنُشُورٌ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو السَّلْمِيُّ يَرثِي مَنْصُورَ بْنَ زِيَادٍ: يَا حُفْرَةَ الْمَلِكِ الْمَوْمَلِ رِفْدُهُ مَا فِي تَرَائِكِ مِنَ التَّدَى وَالْخَيْرِ لَا زَلَّتْ فِي ظِلِّينِ ظِلِّ سَحَابَةٍ وَطَفَاءً دَانِيَةً وَظِلِّ حُبُورٍ وَسَقَى الْوَلِيِّ عَلَى الْعِهَادِ عِرَاصَ مَا وَالَاكِ مِنْ قَبْرِ وَمِنْ مَقْبُورٍ يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أَبَحَّتْ جِمَى التَّدَى وَفَجَعْتَهُ بِوَلِيَّهِ الْمَذْكُورِ يَا يَوْمَهُ أَعْرَبْتَ رَاحِلَةَ التَّدَى مِنْ رَبِّهَا وَحَرَمْتَ كُلَّ قَقِيرٍ يَا يَوْمَهُ مَاذَا صَنَعْتَ يَمْرُزَلٍ يَرْجُو الْغِنَى وَمُكْبَلٍ مَاسُورٍ يَا يَوْمَهُ لَوْ كُنْتَ جِئْتَ بِصِيْحَةٍ فَجَمَعْتَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَقْبُورِ لِلَّهِ أَوْصَالَ تَقْسِمُهَا إِلَيَّ فِي اللَّحْدِ بَيْنَ صَفَاحِ وَصُخُورٍ دَلَّتْ بِمِصْرَعِ الْمِكَارِمِ وَالنَّدَى وَذِيَابُ كُلِّ مُهَنَّدٍ مَأْتُورٍ أَقَلَّتْ نَجُومَ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَمَا طَلَعَتْ بَنُورُ أَهْلِهِ وَبُدُورُ لَوْلَا بَقَاءُ مُحَمَّدٍ لَتَصَدَّعَتْ أَكْبَادُنَا أَسْفَاً عَلَى مَنْصُورٍ أَبْقَى مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صَفَائِهَا وَمَضَى لِيَوْقَتِ حِمَامِهِ الْمَقْدُورِ أَصْبَحْتَ مَهْجُورًا بِحُفْرَتِكَ الَّتِي بُدِّلتْهَا مِنْ قَصْرِكَ الْمَعْمُورِ بَلَيْتَ عِظَامُكَ وَالصَّفَاحُ جَدِيدَةٌ لَيْسَ الْبَلَى لِقَعَالِكَ الْمَشْهُورِ إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقَدْ تُرَى سَكْنًا لِعُودِي مُنْبِرٍ وَسَرِيرِ وَقَالَ يَرثِي مُحَمَّدَ بْنَ مَيْصُورٍ: أَنْعَى قَيْتِي الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودٍ أَنْعَى قَيْتِي مَصَّ التَّرَى بَعْدَهُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ فَانْتَلَمَ الْمَجْدُ بِهِ تَلْمَةً جَانِبِهَا لَيْسَ بِمَسْدُودٍ أَنْعَى ابْنُ مَنْصُورٍ إِلَى سَيْدٍ وَأَيْدٍ لَيْسَ بِرَعْدِيدٍ أَوْرَدَهُ يَوْمَ عَظِيمٍ تَأَى فِي الْمَجْدِ حَوْضًا غَيْرَ مَحْمُودِ كُلِّ أَمْرِيءٍ يَجْرَى إِلَى مُدَّةٍ وَأَجَلٍ قَدْ حُطَّ مَعْدُودٌ سَيَنْطِقُ الشَّعْرُ بِأَيَّامِهِ عَلَى لِسَانِ غَيْرِ مَعْفُودٍ فَكُلِّ مَعْفُودٍ إِلَى جَنْبِهِ وَإِنْ تَعَالَى غَيْرَ مَعْفُودٍ يَا وَافِدِي قَوْمَهُمَا إِنْ مَنْ طَلَبْتُمَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ طَلَبْتُمَا الْجُودَ وَقَدْ صَمَّهَ مُحَمَّدٌ فِي بَطْنِ مَلْحُودٍ فَاتَّكَمَا

الموت بمَعْرُوفِهِ وليس ما فات بِمَرْدُودِ يا عَضدًا لِلْمَجْدِ مَفْتوتَةً وسِباعِدًا ليس
بِمَعْضُودٍ أَوْهَنَ رَنْدِيهَا وَأَكْبَاهُما قَرَعُ المَنايا في الصَّنَادِيدِ وَهَدَّتِ الرُّكْنَ الذي
كان بِالْأُمْسِ عِمادًا عَيْرَ مَهْدُودٍ وقال حبيبُ الطائِي يَرثِي خالِدَ بنَ يَزِيدِ بنِ
مَزِيدٍ: أَسَيِّبانَ لا ذاكَ الهِلالُ بِطالِعِ عَلَينا ولا ذاكَ العَمَامِ بِعائِدِ وأنشد أبو محمد
الْتِّمِي في يَزِيدِ بنِ مَزِيدٍ: أَحَقًّا أَنَّهُ أودى يَزِيدُ تَبَيَّنَ أَيُّها التَّاعِي المُشِيدُ أَتَدْرِي
مَنْ نَعَيْتَ وَكَيْفَ فَاهَتْ بِهِ سَفَقَاتِكَ وَاراك الصَّعِيدَ أَحامِي المُلِكِ وَالإِسْلامَ أودى
قَما لِلأَرْضِ وَبِحَكِّ لا تَمِيدُ تَأَمَّلْ هَلْ تَرى الإِسْلامَ مالَتْ دَعائِمُهُ وَهَلْ سَابَ
الوَلِيدَ وَهَلْ شَيَمَتْ سِيوفُ بَنِي نِزارِ وَهَلْ وُضِعَتْ عَنِ الحَيْلِ اللُّبُودُ وَهَلْ
تَسْقِي البِلادَ عِشارُ مُزِنِ بَدْرَتِها وَهَلْ يَخْصِرُ عُودَ أَمَّا هُدَّتْ لِمَصْرَعِهِ نِزارِ بَلَى
وَتَقْوُضُ المِجْدَ المَشِيدَ وَحَلَّ صَرِيحَهُ إِذْ حَلَّ فِيهِ طَرِيفُ المَجْدِ وَالْحَسِبُ التَّلِيدُ
وَهَدَّ العِرُّ وَالإِسْلامُ لَمَّا تَوَى وَحَلِيفَةُ اللّهِ الرَّشِيدِ لَقَدْ أَوْفَى رَبيعَةَ كُلِّ نَحْسِ
لَمَهْلِكِهِ وَعَيَّبَتِ السُّعُودَ وَأَنْصَلَتِ الأَسِيَّةُ مِنْ قَتائِها وَأَسْرَعَتِ الرِّماحُ لِمَنْ يَكِيدُ
فَمِنْ يَحْمِي حِمَى الإِسْلامِ أَمْ مَنْ يَدْبُ عَنِ المَكارِمِ أَوْ يَدُودُ وَمَنْ يَدْعُو الإِمَامُ
لِكُلِّ حَاطِبٍ يَخافُ وَكُلِّ مَعْضَلَةٍ تُوودُ وَمَنْ نُجَلَى بِهِ العَمَراتُ أَمْ مَنْ يَقُومُ لَها
إِذا اِعْوَجَ العَنيدُ وَمَنْ يَحْمِي الخَميسَ إِذا تَعابَا بِحيلةِ تَفْسِهِ البَطَلُ التَّجِيدُ وَأَيْنَ
يَوْمٌ مَنجَعٌ وَلا جَ وَأَيْنَ تَخَطُّ أَرْحُلُها الوُفُودُ لَقَدْ رُزِنَتْ نِزارُ يَوْمَ أودَى عَمْدُ ما
يَقاسُ بِهِ عَميدٌ فَلو قِيلَ الفِداءُ قَداهُ مَنّا بِمُهْجَتِهِ المُسَوِّدُ وَالْمَسُودُ أَبَعَدَ يَزِيدُ
تَحْتَرِزُ البَوائِبَ دُمُوعًا أَوْ تُصانَ لَها حُدُودُ أَمَّا وَاللّهِ لا تَنفَكَ عَيْنِي عَلَيهِ بِدَمْعِها
أَبداً تَجُودُ وَإِنْ تَجَمَّدَ دُمُوعُ لَئيمِ قَوْمٍ فَلَيْسَ لِدَمْعِ ذِي حَسَبٍ جُمُودُ وَإِنْ يَكُ
غالَهُ حِينُ فَأودَى لَقَدْ أودَى وَليسَ لَهُ تَديدُ وَإِنْ يَعْثُرُ بِهِ دَهْرٌ فَكَمْ قَد تَقادَى مِنْ
مَخافَتِهِ الأَسُودِ أَلَمْ تَعْلَمَ أَخِي أَنَّ المَنايا عَدَرْنَ بِهِ وَهَنَّ لَها جُنُودَ قَصَدْنَ لَها وَكَرَّ
يَحْدَرْنَ عَنهُ إِذا ما الحَرْبُ شَبَّ لَها الوُفُودُ فَهَلا يَوْمَ يَفْذُمُها يَزِيدُ إِلى الأَبْطالِ
وَالخُلانِ جِيدٍ وَلو لاقى الحُثُوفَ عَلى سِوَاهِ لَاقاها بِهِ حَنفٌ عَنيدُ أَصْرابِ
الفِوارِسِ كُلِّ يَوْمٍ تَرى فِيهِ الحُثُوفُ لَها وَعَيدٍ فَمَنْ يُرْضى القِواطِعِ وَالعِوَالِي
إِذا ما هَزَّها قَرَعُ سَدِيدِ لَتَبِكَ قَبَّةُ الإِسْلامِ لَمّا وَهَتْ أَطْنايُها وَوَهى العَمُودُ
وَبَيَّكَ مُزْهُقُ تَلوهُ حَيْلُ إِبالَةٍ وَهُوَ مَجْدُولٌ وَجِيدٌ وَبَيْكَ خامِلٌ ناداكَ لَمّا تَوَا
كَلَّهُ الأَقارِبُ وَالبَعِيدُ وَبَيْكَ شاعِرٌ لَمْ يَبْقَ دَهْرٌ لَها نَشَبًا وَقَد كَسَدَ القَصِيدُ
تَرَكَتِ المَشْرِفيَّةُ وَالعِوَالِي مُحَلَّةً وَقَد حانَ الوُورُودُ وَغادَرَتِ الجِياذِ بِكُلِّ لَعزِ
عِوِاطِلَ بَعَدَ زَينِها تَرُودُ لَقَدْ عَزَى رَبيعَةَ أَنَّ يَوماً عَلَياها مِثْلُ يَومِكَ لا يَعودُ
وَمِثْلِكَ مِنْ قَصَدْنَ لَها المَنايا بِأَسْهُمِها وَهَنَّ لَها جُنُودُ فِيا لِلدَهِرِ ما صَتَعَتْ يَداهُ
كَانَ إِدْهَرُ مِنْها مَسْتَقِيدِ سَقَى جَدًّا أَقامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ الوَسْمِيِّ بِسَامِ رَعُودِ
فَإِنْ أَجْرَعُ لَمَهْلِكَةٍ فَإِنِّي عَلى التَّكَباتِ إِذْ أودَى جَلِيدِ لِيَدْهَبُ مَنْ أَرادَ فَلَسْتُ
أَسى عَلى مَنْ ماتَ بَعْدَكَ يا يَزِيدُ وَقالِ مَرْوانُ بنُ أَبِي حَفْصَةَ يَرثِي مَعَرَ بنَ
زائِدَةَ: زارَ ابنَ زائِدَةَ المَقابِرِ بَعَدَ ما أَلْقَتْ إِليهِ عُرَى الأَمُورِ نِزارُ إِنَّ القَبائِلَ
مِنْ نِزارِ أَصْيحَتْ وَقَلوبُها أَسفاً عَلَيهِ حَرارٌ وَدَّتْ رَبيعَةُ أَنَّها قَسَمَتْ لَهُ مِنْها
فَعاشَ بِسَاطِرِها الأَعمارَ فَلأَبْكَينَ قَتَى رَبيعَةَ ما دَجَا ليلٌ بِظَلَمَتِهِ وَلاحِ نَهَارٌ لا
زالَ قَبْرُ أَبِي الوَلِيدِ تَجُودُهُ بِعِهادِها وَبِوَيْلِها الأَمطارُ لَها عَلَيكَ إِذا الطَلعانُ
بِمازِقِ تَرَكَ القَتَا وَطِوالِها قِصارُ خَلَى الأَعنةِ يَومَ ماتَ مَسْبِغُ بَطَلِ اللِّقائِ
مُجَرَّبٌ مِعْوارِ يُمسِي وَيُصْبِحُ مُعْلَمًا تَدَكَّى بِهِ نارٌ بِمُعْتَرِكِ وَتُحْمَدُ نارُ مَهْما يُمَرُّ
فَلَيْسَ يَرْجُو نَقْصَهُ أَحَدٌ وَلَيْسَ لِنَقْصِهِ إِمْرارٌ لو كانَ خَلَقَكَ أَوْ أَمامَكَ هائِبًا أَحَدًا
سِوَاكَ لَهائِكَ المِقْدارُ وَقالَ بِرثِيهِ: بَكَى الشامُ مَعْنًا يَومَ خَلَى مَكَاتِهِ فَكَادَتْ لَها
أَرْضُ العِراقِ تَرْجُفُ تَوَى القائِدُ المَيْمُونُ وَالذائِدُ الَّذِي بِهِ كانَ يُرْمَى الجانِبُ
المَتَخَوِّفُ أَتى المِوْتُ مَعْنًا وَهُوَ لِلعِرضِ صائِرٌ وَلِلْمَجْدِ مُبتاعٌ وَلِلْمالِ مُتَلِفٌ وَمَا
ماتَ حَتَّى قُلِدَتْهُ أُمُورُها رَبيعَةَ وَالْحَيانُ قَيْسٌ وَخِندِفٌ وَحَتَّى قَسَا فِي كُلِّ

سَرِقٍ وَمَعْرَبٍ أَيَادٍ لَهُ بِالضَّرِّ وَالنَّفْعِ تُعْرَفُ وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدِي لِمَعْنٍ كَرِيمَةٍ
سَأَشْكُرُهَا مَا دَامَتِ الْعَيْنُ تَطْرِفُ جَوَارٍ بِالسَّعْدِ وَالنَّجَسِ فَنَحْنُ فِي
وَحْشَةٍ وَفِي أُنْسِ الْعَيْنِ تَبْكِي وَالسُّنَّ ضَاحِكَةٌ فَنَحْنُ فِي مَاتَمٍ وَفِي عُرْسٍ
يُضْحِكُنَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيُبْ كَيْنَا وَفَاةُ الْإِمَامِ بِالْأَمْسِ بَدْرَانِ بَدْرٍ أَصْحَى بِبَعْدَادِ
فِي آلِ خُلْدٍ وَيَحْرُ بَطُوسٍ فِي الرَّمْسِ وَأَنْشِدُ الْعُنْبِي: وَالْمَرْءُ يَجْمَعُ مَالَهُ
مُسْتَهْتِرًا قَرَحًا وَلَيْسَ بِأَكْلٍ مَا يَجْمَعُ وَلِيَاتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمٌ مَرَّةً يُبْكِي عَلَيْكَ مُقَنَّعًا
لَا تَسْمَعُ وَقَالَ حَارِثُ بْنُ بَدْرِ الْعُدَانِيُّ يَرْثِي زِيَادًا: صَلَّى إِلَهُ عَلِي قَبْرٍ وَطَهَّرَهُ
عِنْدَ الثَّوْبَةِ يَسْفِي فَوْقَهُ الْمَوْرُ رَفَّتْ إِلَيْهِ فَرَيْشُ نَعَشَ سَيْدَهَا فَتَمَّ كُلَّ النَّقَى
وَالْبَرِّ مَقْبُورِ أَبَا الْمَغِيرَةَ وَالذَّيْبَا مُعْيِرَةً وَإِنَّ مِنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لِمَغْرُورٍ قَدْ كَانَ
عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلتُّكْرَاءِ تَنْكِيرٌ لَوْ خَلَدَ الْخَيْرُ وَالْإِسْلَامُ ذَا
قَدَمٍ إِذَا لَخَلَدَكَ الْإِسْلَامُ وَالْخَيْرُ أَلَا دَهَبَ الْعَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَيْتَى وَمَاتِ النَّدَى
وَالْحَزْمُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ أَقَامَا بِمَرُو الرُّودِ رَهْنٌ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غِيَبَا مِنْ كُلِّ شَرْقٍ
وَمَعْرَبٍ وَقَالَ الْمَهْلَبُ بْنُ رَبِيعَةَ يَرْثِي أَخَاهُ كَلَيْبَ وَائِلَ وَكَانَ كَلَيْبٌ إِذَا جَلَسَ
لَمْ يَرْقَعْ أَحَدٌ بِحَضْرَتِهِ صَوْتَهُ: دَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا
كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ وَتَنَاوَلُوا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا أَمْرَهُمْ لَمْ يَنْبَسُوا
وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ يَرْثِي سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ: كَمْ يَتِيمٌ جَبَّرْتَهُ بَعْدَ يَتِيمٍ
وَعَدِيمٍ نَعَشْتَهُ بَعْدَ عُدْمٍ كَلِمَا عَضَ بِالْحَوَادِثِ نَادَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ
سَلَمٍ وَقَالَ ابْنُ أَخْتِ تَابَطَ شَرَا يَرْثِي خَالَهُ تَابَطَ شَرَا الْقَهْمِي وَكَانَتْ هُدَيْلُ
قَتَلَتْهُ: إِنَّ بِالسَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقَتِيلًا دَمَهُ مَا يُطَلُّ قَذْفَ الْعَبَاءِ عَلَيَّ وَوَلَّى
أَنَا بِالْعَبَاءِ لَهُ مَسْتَقْفِلٌ وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنْ بِنْتِ ابْنِ أُخْتِ مَصْعُ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ بَرْنِي
الدَّهْرُ وَكَانَ عَشُومًا بِأَبِي جَارُهُ مَا بَدَّلَ شَامِسٌ فِي الْفَرِّ حَتَّى إِذَا مَا دَكَتِ
السَّعْرِي قَبْرُودٌ وَظَلَّ يَابِسُ الْجَبِينِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ وَبِيْدِي الْكَفِينِ سَهْمٌ مُدَلٌّ
ظَاغِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ وَلَهُ طَعْمَانُ أَرْيٌّ وَشَرِيٌّ
وَكَلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلِّ رَائِحٍ بِالْمَجْدِ غَادٍ عَلَيْهِ مِنْ نِيَابِ الْجَمْدِ تَوْبٌ رَقَلٌ
أَفْتَحُ الرَّاحَةَ بِالْجُودِ جَوَادًا عَاشٍ فِي جَدْوَى بِيَدِهِ الْمُقَلُّ مُسِيلٌ فِي الْحَيِّ
أَحْوَى رَقَلٌ وَإِذَا يَغْرُو فَسَمِعَ أَرْلُ بَرْكَبُ الْهَوْلِ وَحِيدًا يَصْجَبُهُ إِلَّا الْيَمَانِي أَقَلُّ
وَلَا فَاحْتَسُوا أَنْفَاسَ يَوْمٍ فَلَمَّا هَوَّمُوا رُغَّتْهُمْ فَاشْتَمَعَلُوا كُلُّ مَا ضَاقَ قَدْ تَرَدَّى
بِمَاضٍ كَسَبْنَا التَّرْقُ إِذَا مَا يُسَلُّ قَلْبِي قَلْتُ هُدَيْلُ سَبَاهُ لَيْمًا كَانَ هُدَيْلًا يَفْلُ
تَضْحِكُ الصَّبْعُ لِقَتْلِي هُدَيْلُ وَتَرَى الدَّيْبَ لَهَا يَسْتَهْلُ وَعِنَاقُ الطَّيْرِ تَعْدُو بَطَانًا
تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ وَفُتُو هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لِبَلْهَمِ حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَلُوا
فَاسْتَقِينَهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَحَلُّ وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي
الصَّلْتِ يَرْثِي قَتْلَى بَدْرٍ " مِنْ فَرِيشٍ " .

أَلَا بَكَيْتِ عَلَى الْكِرَامِ بَنِي الْكِرَامِ أَوْلَى الْمَمَادِحِ كَبْكَا الْحَمَامِ عَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ
فِي الْعُصْنِ الْجَوَانِحِ " يَبْكِينَ حَرَى مُسْتَكِي نَاتٍ يَرْحُنُ مَعَ الرَّوَاحِ " أُمِّئَالَهَنَّ
الْبَاكِياتُ الْمُعُولَاتُ مِنَ النَّوَاحِ مَنْ يَبْكُهُمْ يَبْكِي عَلَى حُزْنٍ وَبَصْدُقُ كُلِّ مَا حِجَّ
مَنْ ذَا يَبْدُرُ فَالْعَقْنَ قَلْ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحِ شُمَطٍ وَشَبَّانٍ بِهَا لَيْلُ مَنَاوِيرِ
وَخَاوِحِ دُعْمُوصِ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ وَجَائِبِ لِلْحَرْقِ فَاتِحِ وَمِنِ السَّرَاطِجَةِ الْخَلَا
جَمَةِ الْمَلَازِمَةِ الْمَنَاجِحِ الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ الْأَمْرِينَ بِكُلِّ صَالِحِ الْمُطْعَمِينَ
السَّحْمِ فَوْقَ الْخَبْرِ سَحْمًا كَالْأَنَافِحِ نُقِلَ الْجَقَانُ مَعَ الْجَقَانِ إِلَى جِقَانَ
كَالْمَنَاضِحِ لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَغْفُو وَلَا رَحَ رَحَارِحِ " لِلضَّيْفِ نَمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ
الضَّيْفِ وَالنُّسُطِ السَّلَاطِحِ " وَهُبِ الْمَيْئِينَ مِنَ الْمَيْئِينَ إِلَى الْمَيْئِينَ مِنَ اللُّوَاقِحِ
سَوَّقِ الْمُوَيْلِ لِلْمُوَيْلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بَلَاذِحِ لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَامِ مَرْتَبَةً وَزْنَ
الرَّوَاجِحِ كَتَنَاقِلِ الْأَرْطَالِ بِالْقَسْطَاسِ فِي الْأَيْدِي الْمَوَائِحِ لِلَّهِ دَرُ بَنِي عَلِيٍّ أَيْمِ

منهم وناكح وُيلاق قِرْنَ قِرْنَهُ مَشِي المَصَافِحَ لِلْمَصَافِحِ بَرْهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَل ف بين ذي بَدَنِ وَرَامِحِ الصَّارِبِينَ التَّقْدِيمِيَّةَ بِالْمُهَيَّذَةِ الصَّفَائِحِ رَوَى الإخْفَشَ لِسَهْلِ بن هَارُونَ: مَا لِلْحَوَادِثِ عِنْدَكَ مُنْصَرَفٌ إِلَّا بِنَفْسٍ مَا لَهَا خَلْفٌ فَكَأَنَّهَا رَامٌ عَلَى حَنَقٍ وَكَأَنَّهَا لَيْسَهَا مِهَا هَدَفٌ دَهْرٌ سُرْرَتْ بِهِ فَأَعْقَبَنِي جَرِيَانَهُ مَا عِشْتُ أَلْتَقِفَ فَائِكُ الَّذِي وَلَى لِمَهْلِكَةٍ عِنْدَكَ السَّرُورُ خَلْفَ الأَسْفِ إِذْ لَا يَرِدُّ عَلَيْكَ مَا أَخَذْتَ مِنْكَ الْحَوَادِثُ دَهْعَةً تَكِفُ قَبْرٌ بِمُخْتَلَفِ الرِّبَاحِ بِهِ مَنْ لَسْتُ أبلغه بما أَصِفُ أَنَسَ الثَّرَى بِمَحَلِّهِ وَلَهُ قَدْ أَوْحَشَ المُسْتَأْنَسَ الأَلْفَ فَالصَّيْرُ أَحْسَنُ مَا اعْتَصَمْتَ بِهِ إِذْ لَيْسَ مِنْهُ لَدَيْكَ مُنْتَصَفٌ تَجْرِي المَجْرَةَ وَالتَّسْرَانَ بَيْنَهُمَا وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ السَّارِي بِمَقْدَارٍ لَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ العِلْمِ أَنْفَعُهُ أَنْ السَّيِّدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ وَقَالَ يَرْتِي قَوْمَهُ: هُمْ تَصَبُّوا الأَجْسَادَ لِلتَّبَلِّ وَالقَنَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا اليَوْمَ إِلَّا رَمِيمُهَا تَطَلَّ عِنَاقُ الطَّيْرِ تَحْجُلُ حَوْلَهُمْ يُعَلِّلُنَ أَجْسَاداً قَلِيلاً تَعِيمُهَا لِطَافاً بَرَاهَا الصَّوْمُ حَتَّى كَانَتْهَا سِيوْفٌ إِذَا مَا الحَيْلُ تَدْمَى كَلُومُهَا التَّعَازِي قَالَ عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ لِسُلَيْمَانَ بن عبد المَلِكِ يُعْزِّبُهُ فِي ابْنِهِ أَيُوبَ وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ وَأكْبَرُ وَلَدِهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مِنْ طَالٍ عَمْرِهِ فَقَدَّ أَحَبَّهُ وَمَنْ قَصَرَ عُمْرُهُ كَانَتْ مُصِيبَتُهُ فِي نَفْسِهِ.

فلو لم يكن في ميزانك لَكُنْتُ فِي مِيزَانِهِ.

وَكَتَبَ الحَسَنُ بنَ أَبِي الحَسَنِ إِلَى عُمَرَ بن عبد العزيز يُعْزِّبُهُ فِي ابْنِهِ عبد المَلِكِ: وَعَوَّضْتَ أَجْرًا مِنْ قَقِيدٍ فَلَا يَكُنْ قَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَدْهَبُ العُنْبِيُّ قَالَ: قَالَ عبدُ اللَّهِ بن الأَهْتَمِ: مَاتَ لِي ابْنٌ وَأَنَا بِمَكَّةَ فَجَزَعْتُ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا فَدَخَلَ عَلَيَّ ابْنُ جُرَيْجٍ يُعْزِّبُنِي فَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ اسْأَلْ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَ غَفْلَةً وَنَسْيَانًا كَمَا تَسْأَلُو البَهَائِمَ.

وَهَذَا الكَلَامُ لِعَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يُعْزِّبُهُ بِهِ الأَشْعَثُ بن قَيْسٍ فِي ابْنٍ لَهُ وَمَنْهُ أَخَذَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ حَبِيبٌ فِي شِعْرِهِ فَقَالَ: وَقَالَ عَلِيُّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تِلْكَ المَائِمِ أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوَى عَرَاءً وَحِسْبَةً فَنُوجِرَ أَمْ تَسْأَلُو سَلْوُ البَهَائِمِ أُنَى عَلِيُّ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِأَشْعَثِ يُعْزِّبُهُ عَنْ ابْنِهِ فَقَالَ: إِنْ تَحَرَّنُ فَقَدْ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّحْمُ وَإِنْ تَصْبِرُ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ مَعَ أَنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وَأَنْتَ مَا جُورَ وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وَأَنْتَ أَيْمٌ.

وَعَزَّى ابْنُ السَّمَّكَ رَجُلًا فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيهِ يَعْمَلُ مَنْ احْتَسَبَ وَإِلَيْهِ يَصِيرُ مَنْ جَزَعَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَتْ مُصِيبَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا أعْظَمُ مِنْهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا أَوْ مَعْصِيَتُهُ بِهَا.

الأَصْمَعِيُّ قَالَ: عَزَّى صَالِحُ المُرِّي رَجُلًا بِابْنِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانَتْ مُصِيبَتُكَ لَمْ تُحْدِثْ لَكَ مَوْعِظَةً فَمُصِيبَتُكَ بِنَفْسِكَ أعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِكَ بِابْنِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ التَّهْنِئَةَ عَلَى أَجْلِ التَّوَابِ أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيبَةِ عَلَى عَاجِلِ المَصِيبَةِ.

العُنْبِيُّ قَالَ: عَزَّى أَبِي رَجُلًا فَقَالَ: إِنَّمَا يَسْتَوْجِبُ عَلَى اللَّهِ وَعَدَهُ مِنْ صَبْرِ لِحَقِّهِ فَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَا فَجَعْتَ بِهِ الفَجِيعَةَ بِالأَجْرِ فَإِنَّهَا أعْظَمُ المَصِيبَتَيْنِ عَلَيْكَ وَلِكُلِّ اجْتِمَاعٍ فُرْقَةٌ إِلَى دَارِ الحُلُولِ.

عزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في بنى له صغير فقال: عوّضك الله منه ما عوّضه الله منك.

وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه إذا عزى قوماً قال: عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم وإليه يرجع الجازع.

وكان الحسن يقول في المصيبة: الحمد لله الذي آجرنا على ما لو كلفنا غيره لعجزنا عنه.

أما بعد فإن أحق من تعزى وأولي من تأسى وسلم لأمر الله وقيل تأديبه في الصبر على تكبات الدنيا وتجرع غصص البلوى من تنجز من الله وعده وفهم عن كتابه أمره وأخلص له نفسه واعترف له بما هو أهله.

وفي كتاب الله سبلوة من فقد كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه وأنس من كل فقيد وإن عظمت اللوعة به إذ يقول عز وجل: " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لِيُحْكَمَ إِلَيْهِ ثُمَّ يُرْحَمُونَ " وحيث يقول: " الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ".

والموت سبيل الماضين والغابرين ومورد الخلائق أجمعين وفي أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة وأحسن الأسوة فهل أحد منهم إلا وقد أخذ من فجاج الدنيا بأجزل العطاء ومن الصبر عليها باحتساب الأجر فيها بأوفر الأنبياء فجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم وكان ذخر الإيمان وفرة عين الإسلام وعقب الطهارة وسبيل الوحي وتبيح الرحمة وخصين الملائكة وبقية آل إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين وعلى عامة الأنبياء والمرسلين فعمت الثقلين مصيبتهم وخصت الملائكة رزيته " ورضى صلى الله عليه وسلم من فراقه بثواب الله بدلاً ومن " فقدانه عوّضاً فشكر قصاه واتبع رضاه فقال: يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمخزونون.

وإذا تأمل ذو النظر ما هو مُشَفَى عليه من غير الدنيا وانصح نفسه وفكره في غيرها بتنقل الأحوال وتقلب الأجال وانقطاع يسير هذه المدة دلت الدنيا عنده وهانت المصائب عليه وتسهلت الفجائع لديه فأخذ للأمر أهبة وأعد للموت عدته.

ومن صحب الدنيا بحسن روية ولاخطها بعين الحقيقة كان على بصيرة من وسك زوالها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أذكروا الموت فإنه هادم اللذات ومُنْعَصُّ الشّهوات.

وليس شيء مما اقتصصت إلا وقد جعلك الله مُقَدِّمًا في العلم به.

ولعمري إن الخطب فيما أصبت به لعظيم غير أن تعوّضه من الأجر والمثوبة عليه بحسن الصبر يهونان الرزية وإن ثقلت ويسهلان الخطب وإن عظم.

وهب الله لك من عِصْمَةِ الصَّبْرِ ما يُكْمِلُ لك به زُلْفِي الفَائِزِينَ ومزِيدَ الشَّاكِرِينَ وجَعَلَكَ مِنَ المُرْتَضِينَ قَوْلًا وفَعَلَ الَّذِينَ أَعْطَاهُم " الحُسْنَى " ووفَّقَهُم للصَّبْرِ والنَّفْوَى.

محمد بن الفضل عن أبي حازم قال: مات عُقْبَةُ بن عِيَّاض بن عَنَمِ الفِهْرِيِّ فَعَزَّى رَجُلٌ أباه فقال: لا تَجْزَعْ عليه فقد قُتِلَ شهيداً فقال: وكيف أجزع على من كان في حَيَاتِهِ زِينَةُ الدُّنْيَا وهو اليوم من الباقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ.

ابن الغاز قال: حَدَّثَنَا عيسى بن إسماعيل قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: دخلتُ عليّ جعفر بن سليمان وقد ترك الطعامَ جَزَعًا على أخيه محمد بن سليمان فأنشدته بيتين فما برحتُ حتى دعا بالمائدة.

فقلتُ للأصمعيّ: ما هما فسكت فسألتُهُ فقال: أتدري قد زاده كَلَفًا بالحُبِّ إذ مَنَعْتَ أَحَبُّ شَيْءٍ إلى الإنسان ما مُنِعًا قال أبو موسى: والأبيات لأراكة الثقفى يرثى بها عمرو بن أراكة وُبِعِزَّى نفسه حيث يقول: لَعَمْرِي لئن أَبْتَعْتَ عَيْنَكَ ما مَضَى به الدَّهْرُ أو ساق الحِمَامُ إلى القَبْرِ لتستنفدن ماء الشُّنُونِ بأسره وإن كُنْتُ تَمْرِيهَنَ من تَبَجِّ التَّيْحَرِ تَبِيئُ فَإِنْ كان البُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا على أَحَدٍ فَاجْهَدِ بُكَاءَكَ على عَمْرٍو فلا تَبُكْ مَيِّتًا بعد مَيِّتِ أَجْتَةَ عليٍّ وعَبَّاسٍ وآلِ أَبِي بَكْرٍ أبو عمر بن يزيد قال: لما مات أخو مالك بن دينار بكى مالك وقال: يا أخي لا تَقْرُ عَيْنِي بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النَّارِ ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك.

وقالت أعرابية ورأت ميتاً يُدْفَنُ: جافي الله عن جَنَبِيهِ التَّرى وأعانه على طول البلى.

وعَزَّى أعرابي رَجُلًا فقال: أوصيك بالرضا من الله بقضائه والتنجز لما وعد به من ثوابه فإن الدنيا دار زوال ولا بد من لقاء الله.

وَعَزَّى أيضًا رَجُلًا فقال: إن من كان لك في الآخرة أجرًا خير لك ممن كان لك في الدنيا سرورًا.

وجَزَع رَجُلٌ على ابن له فشكا ذلك إلى الحسن فقال له: هل كان ابنك يَغيبُ عنك قال: نعم كان مَغْيِبُهُ عَنِّي أكثر من حضوره قال: فاتركه غائبًا فإنه فإنه لم يَغِبْ عنك غيبةً الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة.

وعَزَّى رَجُلٌ نصرانيًّا مسلمًا فقال له: إن مِنِّي وكان عليُّ بن الحسين رضى الله عنه في مجلسه وعنده جماعة إذ سمع ناعيةً في بيته فَتَهَضَّ إلى منزله فَسَكَّتْهُمْ ثم رَجَعَ إلى مجلسه فقالوا له: أمِنُ حَدَثَ كانت الناعية قال: نعم.

فَعَزَّوهُ وَعَجَبُوا من صَبْرِهِ فقال: إنا أهل بيت نُطِيعُ الله فيما نُحِبُّ وَنَحْمَدُهُ على ما تَكْرَهُ.

تعزية - التمس ما وعد الله من تَوَابِهِ بالتَّسْلِيمِ لقضائه والانتهاه إلى أمره فإن ما فات غير مُسْتَدْرَكٍ.

وعزى موسى المَهْدِيُّ إبراهيم بن سَلْمَ على ابن له مات فَجَزَع عليه جزعاً شديداً فقال له: أيسرُّك وهو بلية وِفْتَنَةٌ وَبِحَزْنِكَ وهو صَلَوَات ورحمة سُفْيَانِ التُّورِيِّ عن سعيد بن جُبَيْرٍ قال: ما أُعْطِيَتْ أُمَّةٌ عند المُصِيبَةِ ما أُعْطِيَتْ هذه الأمة من قولها: " إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ".

ولو أُعْطِيَهَا أَحَدٌ لَأُعْطِيَهَا يَعْقُوبٌ حَيْثُ يَقُولُ: " وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابضت عناه من الحزن فهو كظيم ".

وعَزَى رجلٌ بابن له فقال له: دَهَبَ أبوك وهو أصلُك ودَهَبَ ابنك وهو قَرْعُكَ فما بَقَاءٌ مَن دَهَبَ أصلُه وفرعه تعازى الملوك العُنْبِيُّ قال: عَزَى أكنم بن صَيْفِيٍّ عمرو بن هِنْدٍ ملكُ العرب على أخيه فقال له: أيها الملك إنَّ أهلَ الدار سَفَرُوا لا يَحْلُونَ عُقْدَ الرِّحالِ إلا في عَيْرِها وقد أتاك ما ليس بمردودٍ عنك وارتحل عنك ما ليس براجعٍ إليك وأقام معك مَن سَيَظَعِنُ عنك وَيَدَعُكَ.

واعلم أنَّ الدُّنيا ثلاثة أيام: فأمس عِظَةً وشاهدُ عَدَلٍ فَجَعَكَ بِنَفْسِهِ وَأَبْقَى لَكَ عليه حُكْمَكَ واليوم عَنِيمةٌ وَصَدِيقٌ أَتَاكَ ولم تَأْتِه طالت عليك عَيْبَتُهُ وَسُنُوعٌ عنك رَحْلَتُهُ وَعَدَلٌ لا تَدْرِي مَن أهله وسيأتيك إنَّ وَجَدَكَ.

فما أَحْسَنَ الشُّكْرَ لِلْمُنْعَمِ والتسليمَ للقادر! وقد مَضَتْ لنا أصولٌ نحن فُرُوعُها فما بَقَاءُ الفُرُوعِ بعد أصولِها! واعلم أنَّ أعظمَ من المُصِيبَةِ سوءُ الخَلْفِ منها وخَيْرٌ من الخيرِ مُعْطِيهِ وشَرٌّ من الشرِّ فاعله.

لما هَلَكَ أميرُ المؤمنين المَنْصُورِ قَدِمَتْ وُفُودُ الأَنْصارِ على أميرِ المؤمنين المَهْدِيِّ وَقَدِمَ فيهم أبو العَيْنَاءِ المُحَدِّثُ فَتَقَدَّمَ إلى التَّعْزِيَةِ فقال: آجَرَ اللهُ أميرَ المؤمنين على أميرِ المؤمنين قبله وبارك لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فيما خَلَفَهُ له فلا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ من مُصِيبَةِ إمامِ والدٍ ولا عُقْبَى أَفْضَلَ من خِلافةِ اللهِ على أوليائه فأقبل من الله أَفْضَلَ العِطِيَةِ واضبر له على الرِزِيَّةِ.

ولما مات معاويةُ بن أبي سَفْيَانَ ويزيدُ غائبٌ صَلَّى عليه الضَّحَّاكُ بن قيسِ الفِهْرِيِّ ثم قَدِمَ يزيد من يومه ذلك فلم يَفْدِمَ أَحَدٌ على تَعْزِيَتِهِ حتى دخل عليه عبدُ اللهِ بن هَمَّامِ السُّلُوكِيُّ فقال: اصْبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ واشكُرْ جِبَاءَ الذي بِالْمُلْكِ حاباكاً لا رُزَاءَ أَعْظَمَ في الأَقْوَامِ قد عَلِمُوا مما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ أصبحتَ رَاعِي أهلِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ فأنت تَرعَاهُمْ والله يَرعَاكَ وفي مُعاويةَ الباقي لنا خلف إذا بقيت فلا تَسْمَعِ بِمَنْعَاكَ فافتح الخُطْبَاءَ الكلام.

عَزَى سَبِيْبُ بن يَشِيْبَةَ المنصورِ على أخيه أبي العَبَّاسِ فقال: جَعَلَ اللهُ ثَوَابَ ما رُزِئْتَ به لك أَجْرًا وَأَعْقَبَكَ عليه صبراً وَحَتَمَ لك ذلك بعافية تامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عامَّةٍ فَثَوَابُ اللهِ خير لك منه وما عند الله خير له منك وَأَحَقُّ ما صُبرَ عليه ما ليس إلى تَغْيِيرِهِ سَبِيلُ.

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخُلَفَاءِ يُعْزِيهِ: إنَّ أَحَقَّ مَن عَرَفَ حقَّ الله فيما أَحَدَ منه مَن عَرَفَ نِعْمَتَهُ فيما أَبْقَى عليه.

يا أمير المؤمنين إنّ الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المآجور فيك وإنّ النعمة على الصابرين فيما ابتلوا به أعظم منها عليهم فيما يُعاقون منه.

دخل عبدُ الملك بن صالح دار الرّشيد فقال له الحاجبُ: إن أمير المؤمنين قد أصيب بآبن له ووُلد له آخر.

فلما دخل عليه قال: سرّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرّك وجعل هذه بهذه مَثُوبَةً على الصبر وجزاءً على الشكر.

ودخل المأمونُ على أم الفضل بن سهل يُعزّيها بآبنها الفضل بن سهل فقال: يا أمّه إنك لم تُفقدِي إلا رؤيته وأنا ولدك مكاته فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ رجلاً أفادني ولداً مثلك لجدير أن أجزع عليه.

لما مات عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب عمر إلى عمّاله: إنّ عبد الملك كان عبداً من عبيد الله أحسنَ الله إليه وإليّ فيه أعاشه ما شاء وقبّضه حين شاء وكان - ما علمتُ من صالحِي شباب أهل بيته قراءةً للقرآن وتحرّياً للخير وأعوذ بالله أن تكون لي مَحَبَّةٌ أخالف فيها محبة الله فإن ذلك لا يحسنُ في إحسانه إليّ وتتابعُ نعمة عليّ ولأعلمنّ ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة قد تهينا أهله الذين هم أحقُّ بالبكاء عليه.

دخل زيادُ بن عثمان بن زياد على سُليمان بن عبد الملك وقد ثوفي ابنه أئوب فقال: يا أمير المؤمنين إنّ عبد الرحمن ابن أبي بكر كان يقول: من أحبّ البقاء - ولا بقاء - فليوطن نفسه على المصائب.

لما مات مُعاوية دخل عطاء بن أبي صيفي على يزيد فقال: يا أمير المؤمنين أصبحت رُزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله فاحتسب على الله أعظم الرزية واشكره على أحسن العطية.

عزّى محمدُ بن الوليد بن عتبة عمّر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين أعِدُّ لما ترى عُدَّةً تكن لك جنةً من الحزن وسيراً من النار.

فقال عمر: هل رأيت حُرناً يُحجّج به أو عَفلةً يُبته عليها قال: يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً ترك تغزية رجلٍ لعلمه وانتباهه لكنته ولكن الله قضى أن الذكري تنفع المؤمنين.

وُثُوقِيَتْ أَحْتٌ لعمر بن عبد العزيز فلما فرغ من دَفنها دنا إليه رجل فعزّاه فلم يرُدّ عليه شيئاً ثم دنا إليه آخر فعزّاه فلم يرُدّ عليه شيئاً فلما رأى الناس ذلك أمسكوا عنه ومَسَّوْا معه.

فلما بلغ البابَ أقبل على الناس بوجهه وقال: أدركتُ الناس وهم لا يُعزّون بامرأة إلا أن تكون أمّاً انقلبوا رحمكم الله.

وُجد في حائط من حيطان تُبَع مكتوب: اصبرِ لِدهرٍ نال من ك فهكذا مضت الدهور فرح وحزنٌ مرةً لا الحزن دام ولا السرور وهذا نظيرُ قول العنّابي:

وقائلة لَمَّا رَأَيْتِي مَسْهَدًا كَأَنَّ الْحَسَنَاءَ مِنِّي تُلَدُّعُهُ الْجَمْرُ أَبَاطِرُنْ دَاءِ أُمِّ جَوَى بَكَ قَاتِلُ فَقُلْتُ الَّذِي بِي مَا يَقُومُ لَهُ صَبْرٌ تَفَرَّقَ أَلْفٍ وَمَوْتُ أَجْبَةٍ وَقَفْدُ دَوَى الإِفْصَالِ قَالَتْ كَذَا الدَّهْرُ كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمُتَوَكَّلِ يُعْزِيهِ بِابْنِ لَهُ: لَيْسَ الْمُعْزَى بِبَعْدِ مَيْتِهِ بِيَاقٍ بَعْدَ مَيْتِهِ وَلَا الْمُعْزَى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ وَقَالَ أَبُو عَيْبَةَ: فَإِنْ أَشْكُ مِنْ لَيْلَى بِجُرْجَانِ طُولِهِ فَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو مِنْهُ بِالْبَصْرَةِ الْقِصْرُ وَقَائِلَةٌ مَاذَا نَأَى بِكَ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَهَا لَا عِلْمَ لِي فَسَلِّي الْقَدْرَ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا أُصِيبَ بِابْنِهِ أَيُّوبَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُوعَظُ إِلَّا بِدُونِ عِلْمِهِ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقَدَّمَ مَا أَحْرَتِ الْعَجْزَةَ مِنْ حُسْنِ الْعِزَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ فَتَرْضَى رَبُّكَ وَتُرِيحَ بِدُنْكَ فافعل.

وكتب الحسنُ إلى عمر بن عبد العزيز يعزِّيه في ابنه عبد الملك بيت شعر وهو: وَعُوِّضْتُ أَجْرًا مِنْ قَقِيدٍ فَلَا يَكُنْ قَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَدَّهَبُ وَلَمَّا حَضَرَتِ الإسْكَندَرَ الوفاةُ كَتَبَ إِلَى أُمِّهِ: أَنْ اصْنَعِي طَعَامًا يَحْضُرُهُ النَّاسُ ثُمَّ تَقَدَّمِي إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَأْكُلَ مِنْهُ مَحْزُونٌ ففعلت.

فلم يبسط إليه أحدٌ يده فقالت: ما لكم لا تأكلون فقالوا: إنك تقدّمت إلينا أن لا يأكلَ مِنْهُ مَحْزُونٌ وليسَ مِنَّا إِلَّا مَنْ قَدْ أُصِيبَ بِحَمِيمٍ أَوْ قَرِيبٍ فقالت: مات والله ابني وما أوصى إليّ بهذا إِلَّا لِيُعْزِّيَنِي بِهِ.

وكان سهل بن هارون يقول في تعزّيته: إِنْ التَّهْنِئَةَ بِأَجْلِ التَّوَابِ أَوْجِبْ مِنْ التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلٍ

كتاب اليتيمة في النسب

كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب قال أحمدُ بنُ محمد بن عبد ربّه: قد مضى قولنا في التّوَادِبِ وَالْمَرَاثِي وَنَحْنُ قَائِلُونَ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي التَّنَسُّبِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ التَّعَارُفِ وَشُلْمِ إِلَى التَّوَاصِلِ بِهِ تَتَعَاطَفُ الأَرْحَامُ الوَاشِجَةُ وَعَلَيْهِ تَحَافِظُ الأَوَاصِرُ القَرِيبَةُ.

قال الله تبارك وتعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ".

فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناسَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ النَّاسَ لَمْ يُعَدِّ مِنَ النَّاسِ.

وفي الحديث: تَعَلَّمُوا مِنَ النَّسَبِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ أَحْسَابَكُمْ وَتَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ.

وقال عمرُ بن الخطّاب: تَعَلَّمُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَنَبِيِطِ السَّوَادِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَنْ أَصْلِهِ قَالَ: مِنْ قَرْيَةٍ كَذَا وَكَذَا.

أصل النسب معاوية بن صالح عن يحيى عن سعيد بن المسيّب قال: وَكَدْ نُوحٍ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثٌ.

فَوَلَدَ سَامَ الْعَرَبِ وَفَارِسَ الرُّومِ وَوَلَدَ حَامُ السُّودَانَ وَالْبَرِبِرَ وَالنَّبَطَ وَوَلَدَ
يَافِثُ التَّرِكَ وَالصَّقَالِبَةَ وَيَاجُوجَ وَمَاجُوجَ.

أصل قريش - كانت قُريش تُدعى النضر بن كِنانة وكانوا مُتفرِّقين في بني
كِنانة فَجَمَعَهُمُ قُصَيُّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤيَّ بن غالب بن فِهْر بن مالك
بن مالك من كلِّ أوب إلى البيت فَسُمُّوا قُريشاً.

والتَّقْرِش: التَّجَمُّع وَسُمِّيَ قُصَيُّ بن كِلَاب مُجَمَّعاً فقال فيه الشاعر: قُصَيُّ
أبوكم كان يُدعى مُجَمَّعاً به جَمَعَ الله القبائلَ من فِهْر وقال حبيب: عَدَّوا في
نواحي نَعْيِهِ وكانما قُريشُ يوم مات مُجَمَّعٌ يُريد بِمُجَمَّعِ قُصَيِّ بن كِلَاب وهو
الذي بنى المَشْعَر الحَرَامَ وكان يقوم عليه أيام الحج فَسَمَّاهُ اللهُ مَشْعَراً
وأمر بالوقوف عنده.

وإنما جمع قَصِيَّ إلى مكة بني فِهْر بن مالك فَجَدَمَ قُريش كلها فِهْر بن مالك
فما دُونه قُريش وما فوقه عَرَب مثل كِنانة وأسد وغيرهما من قبائل مُضر
وأما قبائل قُريش فإنما تَنْتَهِى إلى فِهْر بن مالك لا تُجَاوِزُه.

وكان قُريش تُسَمَّى آلَ الله وَجيرانَ الله وَسكَّانَ حرمِ الله وفي ذلك يقول
عبدُ المطلب ابن هاشم: نحن آلَ الله في ذِمَّتِهِ لم تَرَلْ فيها على عَهْدِ قَدَمِ
إِنَّ للبيتِ لَرَبًّا مانِعاً مَنْ يُرد فيه بِأُثمِ يُحْتَرَمَ لم تَرَلْ لله فينا حُرْمَةً يَدْفَعُ الله
بها عَنَّا التَّقَمَّ إذا اشْتَعَبَ النَّاسُ البيوتَ فأنتمُ أولو الله والبيتِ العتيقِ المُحَرَّمِ
نسب قريش - أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى: تَسْمِيَةُ من
انتهى إليه الشَّرَفُ من قُريش في الجاهلية فَوَصَلَهُ بالإسلام عَشْرَةَ رَهْطٍ من
عشرة أَبْطَنٍ وهم: هاشم وأميَّة ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعديَّ
وَجَمَحَ وَسَهْمَ.

فكان من هاشم: العباس بن عبد المطلب يَسْقِي الحَجِيجَ في الجاهلية وبقى
له ذلك في الإسلام ومن بني أمية: أبو سُفيان بن حَرْب كانت عنده العُقَاب
رأية قُريش وإذا كانت عند رَجُلٍ أخرجها إذا حَمِيَت الحرب فإذا اجتمعت
قُريش على أحد أعطوه العُقَاب وإن لم يَجْتَمِعُوا على أحد رأسوا صاحبها
فقدَّموه ومن بني نوفل: الحارث بن عامر وكانت إليه الرِّفَادَة وهي ما كانت
تُخْرِجُه من أموالها وتَرَفُدُ به مُنْقَطِعَ الحاج ومن بني عبد الدار: عثمان ابن
طلحة كان إليه اللواء والسَّدانة مع الحِجَابَة ويقال: والتَّدْوَة أيضاً في بني عبد
الدار ومن بني أسد: يزيد بن رَمعة بن الأسود وكان إليه المَشْورَة وذلك أن
رؤساء قُريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يَغْرِضُوهُ عليه فإن وافقه
والاهم عليه والإِثخِيرَ وكانوا له أعواناً واستشهد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطائف ومن بني تيم: أبو بكر الصِّديق وكانت إليه في الجاهلية
الأشناق وهي الدِّيَات والمَعْرَم فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قُريشاً
صدَّقوه وأمضوا حمالة مَنْ نَهَضَ معه وإن احتملها غيره خَدَلُوهُ ومن بني
مخزوم: خالد ابن الوليد كانت إليه القُبَّة والأعِنَّة فأما القُبَّة فإنهم كانوا
يضرَّبونها ثم يجمعون إليها ما يُجَهِّزون به الجيش وأما الأعِنَّة فإنه كان على
حَبْلٍ قُريش في الحَرْب ومن بني عَدِيَّ: عمر بن الخطاب وكانت إليه
السَّفارة في الجاهلية وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حَرْبٍ
بعثوه سفيراً وإن نافرهم حي لمفاخرة جَعَلُوهُ مُتَافِراً ورَضُوا به ومن بني

جمح: صَفْوَان بن أمية وكانت إليه الأيسار وهي الأزلام فكان لا يُسَبَق بأمر عام حتى يكون هو الذي تَسِيره على يَدَيْهِ ومن بني سَهْم: الحارث بن قيس وكانت إليه الحكومة والأموال المَحَجَّرَة التي سَمَوْها لأهلهم.

فهذه مكارم قُرَيْش التي كانت في الجاهليَّة وهي السَّقاية والعمارة والعُقَاب والرَّفادة والسَّدانة والحِجَابَة والتَّدوَة واللَّوَاء والمَشُورَة والأشْناق والقُبَّة والأعْتَة والسَّفارة والأيسار والحكومة والأموال المَحَجَّرَة إلى هؤلاء العَشْرَة من هذه البُطون العَشْرَة على حال ما كانت في أوليتهم يتوارثون ذلك كَابراً عن كابر وجاء الإسلام فَوَصَلَ ذلك لهم وكذلك كلُّ شرف من شرف الجاهليَّة أَدْرَكَه الإسلام وَصَله فكانت سِقاية الحَاجِّ وعمارة المَسْجِدِ الحَرَامِ وحلوان التَّفَرُّ في بَنِي هَاشِم.

فأما السَّقاية فَمَعْرُوفَة وأما العمارة فهو أن لا يتكلم أحد في المَسْجِدِ الحَرَامِ بِهَجْرٍ ولا رَفْتٍ ولا يرفع فيه صوته كان العَبَّاس يَنْهَاهم عن ذلك.

وأما حُلُوان التَّفَرُّ فإنَّ العَرَب لم تَكُن تملك عليها في الجاهليَّة أحداً فإن كان حَرْب أفرعوا بين أهل الرِّياسَة فَمَنْ حَرَجَتْ عليه الفُرْعَة أَحْضَره صَغيراً كان أو كبيراً فلما كان يوم الفجار أفرعوا بين بني هاشم فحَرَج سَهْم العَبَّاس وهو صَغِير فأجلسوه على المِجَن.

أبو الطاهر أحمد بن كثير بن عبد الوهَّاب قال: حدَّثني أبو دَكْوَان عن أحمد بن يزيد الأنطاكيُّ أنَّه سَمِع المأمون يقول لأبي الطاهر الذي كان على البَحْرين: من أيِّ قُرَيْش أنت قال: من بني سامَة بن لُؤيِّ فقال المأمون: ما سَمِعنا بسامَة بن لُؤيِّ تَسباً في بُطوننا العَشْرَة لو عَلِمنا به على بَعْدِهِ لَكُنَّا به بَرَّة.

▲ فضل بني هاشم وبني أمية

قيل لعليِّ بن أبي طالب: أَخْبَرْنَا عنكم وعن بني أمية فقال: بنو أمية أَكْر وأمَّكْر وأفَجْر ونحْنُ أَصْبَحُ وأنصح وأُسمَح.

وسأل رجلُ الشَّعْبِي عن بني هاشم وبني أمية فقال: إن شئتُ أَخْبَرْتُكَ ما قال عليُّ بن أبي طالب فيهم قال: أما بنو هاشم فأطعمها للطعام وأصْرَبْها للهِام وأما بنو أمية فأسَدْها حِجْراً وأطلبها للأمر الذي لا يُنال قِيَالونه.

قيل لمُعَاوِيَة: أَخْبَرْنَا عنكم وعن بني هاشم قال: بنو هاشم أَشْرَفُ واحداً ونحن أَشْرَفُ عدداً فما كان إلا كَلَّا وَتَلَى حتى جاءوا بواحدةٍ بَدَّتْ الأوَّلِينَ والآخرين يريد النبي صلى الله عليه وسلم.

وبقوله " أَشْرَفُ واحداً ": عبد المطلب بن هاشم.

الرِّبَاشِي عن الأصمعي قال: تَصَدَّى رجلٌ من بني أمية لهارون الرِّشِيد فأنشده: يا أَمِينَ الله إني قائلٌ قول ذي فَهْمٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ عَبْدٌ سَمَسَ كان يَتَلوُّهاشِماً وهما بعدُ لأمٍّ ولأبٍّ فأحْفَظُ الأرحامَ فِيناً إنما عبدٌ يَسْمَسُ جَدُّ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ لَكُمْ القَصْلِ عَلِينا ولنا بكمُ القَصْلُ على كلِّ العَرَبِ فأحسنَ جائزته وَوَصَلَه.

سُفْيَانُ التُّورِيُّ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ
الْحَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُمْ أَفْرَاقًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ وَجَعَلَهُمْ
قِبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ وَجَعَلَهُمْ بِيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ بَيْتٍ فَآتَا خَيْرَكُمْ
بَيْتًا وَخَيْرَكُمْ نَسَبًا.

وقال صلى الله عليه وسلم: كلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي
وَنَسَبِي.

جماعة بني هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش - عبد المطلب بن هاشم
ولده عتبة بنين وهم: عبد الله أبو محمد صلى الله عليه وسلم وأبو طالب
والزبير أمهم فاطمة بنت عمر المخزومية والعباس وضرار أمهما ثبيلة
التمرية وجمرة والمقوم أمهما هالة بنت وهب وأبو لهب أمه لبنى خراعية
والحارث أمه صفية من بني عامر بن صعصعة والعيداق أمه خراعية.

▲ جماعة بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

- وهو أمية الأكبر: حرب بن أمية وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو
عمرو وهؤلاء يقال لهم العنابس لعاصي وأبو العاصي والعيص وأبو العيص
وهؤلاء يقال لهم الأعياص ومنهم معاوية بن أبي سفيان وعثمان بن عفان بن
أبي العاص بن أمية وسعيد بن العاص بن أمية ومروان بن الحكم بن أبي
العاص بن أمية.

▲ جماعة بني نوفل

- الحارث بن عامر صاحب الرفاة ومطعم بن نوفل ومنهم عدي بن الحيار
بن نوفل ومنهم نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل وهو كاتب المصاحف لعمر
بن الخطاب ومسلم بن قرظة قتل يوم الجمل.

جماعة بني عبد الدار - عثمان بن طلحة صاحب الحجابة وشيبة بن أبي طلحة
والحارث بن علقمة بن كعدة كان رهينة قريش عند أبي يكسوم والنضر بن
الحارث بن علقمة بن كعدة بن عبد مناف بن عبد الدار.

قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبراً أمر علي بن أبي طالب فقتله يوم
الأبيل.

جماعة بني أسد بن عبد العزى - منهم: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد
وأمه صفية بنت عبد المطلب ويزيد بن زمعة بن الأسود صاحب المشورة
وأبو البختري واسمه العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد وورقة ابن نوفل
بن أسد وهو الذي أدرك الإيمان بعقله وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه
وسلم.

جماهير بني تيم بن مرة - منهم: أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وعمر
بن عبيد الله بن معمر وعبد الله بن جُدعان وعلي بن يزيد ابن عبد الله بن
أبي مليكة والمهاجر بن قنفذ بن عمير بن جُدعان ومحمد بن المنكدر بن عبد
الله بن الهدير.

جماهير مخزوم بن مرة - منهم: المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم
وخالد بن الوليد بن المُغيرة وعبد الرَّحمن بن الحارث وعمرو بن حُرَيْث وأبو
جَهْل بن هشام بن المُغيرة وعياش بن أبي ربيعة الشاعر وعبدُ الله بن
المهاجر وعُمارة بن الوليد بن المُغيرة وإسماعيل بن هشام بن المُغيرة ولي
ابنه هشامُ ابن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المدينة وضرب سَعِيد بن
المُسَيَّب بن أبي وَهَب القَفيهِ.

▲ جماهير عدي بن كعب

- منهم: عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد ابن عَمْرُو بن نُقَيْل وهو من أصحاب
جِرَاء وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ولي الكوفة لعمر بن
عبد العزيز وسُرَاقَة بن المُعتمر والنحام بن عبد الله بن أسيد والنُّعمان بن
عَدِي بن تَصْلَة.

استعمله عُمَر على مَيْسان وعبد الله بن مُطيع وأبو جَهْم بن حُدَيْفَة وخارجة
بن حُذافة وكان قاضياً لِعَمرو بن العاصي بمصر فقتله الخارجي وهو يظنه
عمرو بن العاصي وقال فيه: أَرَدْتُ عَمْرًا وأراد الله خارجه.

جماهير جمح - منهم: صَفْوَان بن أمية من المُؤَلَّفَة قلوبهم وأميه بن خَلْف
قُتِل يوم بَدْر وأبي بن خَلْف ومحمد بن حاطب وجميل بن مَعْمَر بن حُذافة
وأبو عَزَّة وهو عَمرو بن عبد الله وأبو مَحْدُورَة مؤدّن النبي صلى الله عليه
وسلم.

جماهير بني سهم - منهم: الحارث بن قَيْس صاحبُ حكومة قَرِيش وعمرو بن
العاصي وقَيْس بن عَدِيٍّ وخُنَيْس بن حُذافة ومُتَبِّه وتَيْبَة ابنا الحَجَّاج ومنهم
العاصي بن مُتَبِّه قُتِل مع أبيه قَتله عليُّ يوم بَدْر وأخذ سَيْفَه ذا الفقار فصار
إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

جماهير عامر بن لؤى - ومنهم: سُهَيْل بن عَمْرُو من المُؤَلَّفَة قلوبهم ومنهم
ابن أبي ذُنَب القَفيهِ واسمُه محمد بن عبد الرَّحمن وخُوَيْطَب بن عبد العُزَّى
من المُؤَلَّفَة قلوبهم وعبدُ الله بن مَحْرَمَة بَدْرِي وتَوَفَّل بن مُسَاحِق وأبو بكر
بن عبد الله بن أبي سَبْرَة القَفيهِ.

وعبد الله بن أبي سَرَح بَدْرِيٍّ.

ومنهم: ابن أمِّ مَكْتوم مؤدّن النبي عليه الصلاة والسلام.

جماهير بني محارب بن فهد بن مالك - منهم: الضحَّاك بن قَيْس الفِهْرِي
وحَبِيب بن مَسْلَمَة.

جماهير بني الحارث بن فهد بن مالك - منهم: أبو عُبيدة بن الجَرَّاح أمن هذ
الأمّة.

وسُهَيْل وصفوان ابنا وَهَب وعِيَاض بنُ عَنَم بن زُهَيْر وأبو جَهْم بن خالد.

وبنو الحارث هؤلاء من الْمُطَيِّبِينَ الذي تحالفوا وَعَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ في جَفْنَةِ فيها طيب.

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش - بنو الحارث وبنو مُحَارِبِ ابنا فِهْر بن مالك وهم قُرَيْشِ الظواهر لأنهم نزلوا حول مكة وما والاها.

فمن بنى الحارث بن فِهْر: أبو عُبيدة بن الجَرَّاحِ واسمه عامر بن عبد الله بن الجَرَّاحِ من المُهاجرين الأولين.

ومن بني مَحَارِبِ بن فِهْر: الصَّحَّاحُ بن قَيْسِ الفِهْرِيِّ صاحب مَرْجِ رَاهِط.

وما سوى هؤلاء من بُطُونِ قُرَيْشِ يقال لهم قُرَيْشِ البِيْطَاحِ لأنهم سَكَنُوا بَطْحَاءَ مكة وهم البُطُونِ العَشْرَةَ التي ذَكَرْنَاها قبل هذا الباب.

ومن بطون قريش: بنو زُهْرَةَ بن كِلَابِ بن كَعْبِ بن لُؤَيِّ.

منهم: عبد الرَّحْمَنِ بن عوف خال النبي عليه الصلاة والسلام ومنهم بنو حَبِيبِ ابن عبد شَمْسِ.

ومنهم عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْزِ بن حَبِيبِ بن عبد شَمْسِ صاحبِ العِرَاقِ ومنهم بنو أمية الاصغر بن عبد شَمْسِ بن عبد مَنَافِ وأمه عَبْلَةُ فيقال لهم العَبَلَاتِ.

وبنو عبد العُرَى بن عَبْدِ شَمْسِ منهم أبو العاصي بن الرَّبِيعِ صَهْرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرَوَّجِ ابنته التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: ولكنَّ أبا العاصي لم يَدُمُ صِهْرَهُ.

ومنهم: بنو المُطَلِّبِ بن عبد مَنَافِ ومنهم محمد بن إدريس الشافعي.

ومن بني تَوْفَلِ بن عبد مَنَافِ: المُطْعِمِ بن عَدِيٍّ.

ولعبد شَمْسِ بن عبد مَنَافِ وَتَوْفَلِ بن عبد مَنَافِ يَقُولُ أبو طالب: فِيا أَحْوَيْتَا عبد شَمْسِ وَتَوْفَلَا أَعِيدُ كما أن تَبَعْنَا بيننا حَرْبًا وَوَلَدَ أُمِيَّةُ الأَكْبَرِ العاصيَ وأبا العاصي وألعيص وأبا العيص فهؤلاء يقال لهم الأعياص وحرباً وأبا حَرْبِ.

وهذه البُطُونِ التي ذَكَرْنَاها كُلُّها من قريش ليست من البطون العَشْرَةَ التي ذَكَرْنَاها أولاً وَذَكَرْنَا جماهيرها.

▲ فضل قريش

قال النبي عليه الصلاة والسلام: الأئمة من قريش.

وقال: وَقَدَّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدِّمُوها.

ولما قتل النضر بن الحارث بن كَلْدَةَ بن عَبْدِ مَنَافِ قال: لا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بعد اليوم.

يُريد أنه لا يُكْفَرُ قَرَشِي فَيَقْتَل صَبْرًا بعد هذا اليوم.

الأصمعيّ قال: قال مُعاوية: أي الناس أَفْصَحُ فقال رجل من السِّمَاط: يا أمير المؤمنين قوم ارتفعوا عن رُتّة العِراق وتياسرُوا عن كَشَكَّشَة بَكْرٍ وتيامنوا عن سَنَشَنَة تغلب ليست فيهم عَمَمَة فِضَاعَة ولا طمطمانيّة حَمِير قال: مَنْ هُمْ قال: قَوْمُك يا أمير المؤمنين قال: صَدَقْتَ قال: فَمِمَّن أنت قال: من جَزَم.

قال الأصمعيّ: وجَزَمُ فُضِحَى العَرَب.

قدم محمد بن عُمَيْر بن عَطارد في تَيْفٍ وَسَبْعِينَ رَاكِبًا فاستزارهم عَمْرُو بن عُتْبَة.

قال: فسمعته يقول: يا أبا سُفْيَانَ ما بالُ العَرَبِ تُطِيلُ كَلَامَهَا وَأَنْتُمْ تَقْصُرُونَهُ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ فقال عمر و بن عُتْبَة: بِالْجَنْدَلِ يُزْمِي الْجَنْدَلُ إِنْ كَلَامَتَا كَلَامِ يَقِلُّ لَفْطُهُ وَيَكْتَفِي مَعْنَاهُ وَيَكْتَفِي بِأَوْلَاهُ وَيُسْتَشْفِي بِأَخْرَاهُ يَتَحَجَّرُ تَحَدَّرَ الزُّلَالُ عَلَى الْكَيْدِ الْحَرِيِّ وَلَقَدْ تَقْصُوا وَأَطَالَ غَيْرُهُمْ فَمَا أَخْلَوْا وَلِلَّهِ أَقْوَامٌ أَدْرَكْتَهُمْ كَأَمَّا خُلِقُوا لِتَحْسِينِ مَا قَبِحَتْ الدُّنْيَا سَهَلَتْ أَلْفَاظُهُمْ كَمَا سَهَلَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ فَأَبْتَدَلُوا أَمْوَالَهُمْ وَصَانُوا أَعْرَاصَهُمْ حَتَّى مَا يَجِدُ الطَّاعِنُ فِيهِمْ مَطْعَنَا وَلَا الْمَادِحُ مَزِيدًا وَلَقَدْ كَانَ آلُ أَبِي سُفْيَانَ مَعَ قَلْتِهِمْ كَثِيرًا مِنْهُ نَصِيْبُهُمْ وَلِلَّهِ دُرٌّ مَوْلَاهُمْ حَيْثُ يَقُولُ: وَضَعَ الدَّهْرُ فِيهِمْ سَفَرْتِيهِ فَمَضَى سَالِمًا وَأَمْسَتُوا سَعُوبًا سَفَرْتَانِ وَاللَّهِ أَفْتَنَا أَبْدَانَهُمْ وَأَيَقْتًا أَخْبَارَهُمْ فَتَرَكْتَاهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا فِي الدُّنْيَا ثَوَابُهُ فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنُ وَحَدِيثًا سَيِّئًا فِي الدُّنْيَا عِقَابُهُ فِي الْآخِرَةِ أَسْوَأُ فَيَا مَوْعُظًا بِمَنْ قَبْلَهُ مَوْعُظًا بِهِ مِنْ بَعْدِهِ ازْبِخْ نَفْسَكَ إِذَا خَسَرَهَا غَيْرَكَ.

قال: فظننتُ أنه أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَنَّ قُرَيْشًا إِذَا شَاءَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ تَكَلَّمَتْ.

العُتْبِيُّ قال: سَهَدْتُ مَجْلِسَ عَمْرُو بنِ عُتْبَةَ وَفِيهِ نَاسٌ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ فَتَشَاخَّوْا فِي مَوَارِيثٍ وَتَجَاحَدُوا فَلَمَّا قَامُوا مِنْ عِنْدِهِ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: إِنْ لِقَرَيْشٍ دَرَجًا تَزَلُّقٌ عَنْهَا أَقْدَامُ الرِّجَالِ وَأَفْعَالًا تَحْضَعُ لَهَا رِقَابَ الْأَقْوَالِ وَغَايَاتٍ تَقْصُرُ عَنْهَا الْجِيَادُ الْمَنْسُوبَةُ وَالسَّنَةُ تَكِلُّ عَنْهَا الشَّفَارَ الْمَشْخُودَةَ وَلَوْ أَحْتَفَلْتَ الدُّنْيَا مَا تَزَيَّنْتَ إِلَّا بِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ ضَاقَتْ عَنْ سَعَةِ أَحْلَامِهِمْ.

ثم إن قومًا منهم تَخَلَّفُوا بِأَخْلَاقِ الْعَوَامِ فَصَارَ لَهُمْ رِفْقٌ بِاللُّؤْمِ وَخُرْقٌ فِي الْحِرْصِ وَلَوْ أَمَكْنَهُمْ لِقَاسَمُوا الطَّيْرَ أَرْزَاقَهَا وَإِنْ خَافُوا مَكْرُوهًا تَعَجَّلُوا لَهُ الْقَفْرَ وَإِنْ عَجَلَتْ لَهُمُ النِّعْمُ أَخْرَوْا عَلَيْهَا الشُّكْرَ أَوْلَيْكَ " أَنْصَاء " فِكْرَةُ الْقَفْرِ وَعَجَزَةُ حَمَلَةُ الشُّكْرِ.

قال أبو العِيْنَاءِ الْهَاشِمِيُّ: جَرَى بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ كَلَامٌ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَجَعَ عَنْهُ.

قالوا له: ألم تَقُلْ أَمْسَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: تَخْتَلِفُ الْأَقْوَالُ إِذَا اخْتَلَفَتِ الْأَحْوَالُ.

وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى وَالِيِ الْأَهْوَازِ فَسَمِعَهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الْحَقُّ اسْتَوَى عِنْدِي الْهَاشِمِيُّ وَالنَّبَطِيُّ.

فقال محمد بن الفضل: لئن استوت حالتهما عندك فيما ذلك بزائد التبطي زينة ليست له ولا ناقص الهاشمي قَدْرًا هو له وإنما يلحق النقص المُسَوِّي بينهما.

العُتبي قال: قال عمرو بن عُتبة: أختصم قَوْمٌ من قُرَيْشٍ عند مُعاوية فمنعوا الحق.

فقال مُعاوية: يا معشر قُرَيْشٍ ما بال القَوْمِ لَأَمْ يَصِلُونَ بينهم ما انقطع وأنتم لَعَلَّات تَقْطَعُونَ بينهم ما وَصَلَ اللهُ وَتُبَاعِدُونَ ما قَرَّبَ بِلِ كَيْفِ تَرَجُونَ لغيركم وقد عَجَزْتُمْ عن أنفسكم! تقولون: كَفَانَا الشَّرَفَ من قَبْلُنَا فَعِنْدَهَا لَزِمْتُمْ الحُجَّةَ فَاكْفُوهُ مَن بَعْدَكُمْ كما كَفَاكُمْ مَن قَبْلَكُمْ.

أَوْ تَعْلَمُونَ أنكم كنتم رِقَاعًا في جُنُوبِ العَرَبِ وَقَدْ أُخْرِجْتُمْ من حَرَمِ رَبِكُمْ وَمُنِعْتُمْ مِيرَاثَ آبِيكُمْ وَبَلَدِكُمْ فَأَخَذَ لَكُمْ اللهُ ما أَخَذَ مِنْكُمْ وَسَمَّاكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ اسْمًا به آبَاتُكُمْ من جميعِ العَرَبِ وَرَدَّ به كَيْدَ العَجَمِ فقال جل ثناؤه: " لِإِبِلَافٍ قُرَيْشٍ إِبِلَافِهِمْ " فَارْعَبُوا في الائتلافِ أَكْرَمَكُمْ اللهُ به فقد حَذَرْتُمْ العُرْقَةَ نَفْسَهَا وَكَفَى بِالتَّجْرِبَةِ وَاعِظًا.

▲ مكان العرب من قريش

يحيى بن عبد العزيز عن أبي الحجاج رباح بن ثابت عن أبكر بن خنيس عن أبي الأحوص عن أبي الحصن عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُرَيْشُ الجَوْجُؤُ والعرب الجناحان والجَوْجُؤُ لا يَنْهَضُ إلا بالجتاح.

قال عمرو بن عُتبة: ما آسَدَرَّ لعمي كلامٌ قطَّ فَقَطَّعَهُ حتى يَذْكَرَ العَرَبَ بفضله أو يُوصى فيهم بخير.

ولقد أنشده مروان ذات يوم بيتاً للنابعة حيث يقول: فهم دَرْعِي التي اسْتَلَامَتْ فيها إلى يوم التَّسَارِ وَهُمْ مِجْنِي فقال معاوية: ألا إن دُرُوعَ هذا الحيِّ من قُرَيْشٍ إِخْوَانُهُمْ من العَرَبِ المُتَشَابِكَةِ أَرْحَامُهُمْ تَشَابُكُ خَلْقِ الدُّرْعِ التي إن ذَهَبَتْ خَلْقَةٌ منه فرقت بين أربعٍ ولا تَرَالُ السُّيُوفُ تَكَرُّهُ مَذَاقَ لُحُومِ قُرَيْشٍ ما بَقِيَتْ دُرُوعُهَا معها وَشَدَّتْ تُطَلِّقُهَا عَلَيْهَا وَلَمْ تَفُكْ خَلْقُهَا مِنْهَا فإِذَا خَلَعْتُهَا من رِقَابِهَا كانت للسُّيُوفِ جَزْرًا.

العُتبي عن أبيه عن عمرو بن عُتبة قال: عَقُمَتِ النِّسَاءُ أن يَلِدْنَ مِثْلَ عَمِّي شَهْدَتُهُ يَوْمًا وَقَدْ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَفُودُ العَرَبِ فِقَضَى حَوَائِجَهُمْ وَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ فلما دخلوا عليه لَيْشِكْرُوهُ سَبَقَهُمْ إِلَيَّ الشُّكْرُ فقال لهم: جَزَاكُمْ اللهُ يا مَعْشَرَ العَرَبِ عَنِ قُرَيْشٍ أَفْضَلَ الجَزَاءِ بِنَقْدِكُمْ إِيَّاهُمْ في الحَرْبِ وَتَقْدِيمِكُمْ لَهُمْ في السَّلْمِ وَحَقِّقِكُمْ دِمَاءَهُمْ بِسَفْكِهَا مِنْكُمْ أَمَا وَاللَّهِ لا يُؤْثِرُكُمْ على غيركم منهم إلا حازمٌ كريمٌ ولا يَزَعِبُ عَنْكُمْ مِنْهُمْ إلا عَاجِزٌ لئيمٌ شجرة قامت على ساقٍ فَتَفَرَّعَ أَعْلَاهَا واجتمع أصلها عَصَدَ اللهُ من عَصَدِهَا.

فيالها كلمة لو آجتمعت وأيدياً لو آتلفت ولكن كيف بإصلاح ما يُريد الله إفساده.

▲ فضل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال حَدَّثَنَا أَبُو الْحَجَّاجِ رِيَّاحُ - بن ثابت قال حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ حُتَيْبٍ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ أَبِي الْحَصِينِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا سَأَلْتُمْ الْحَوَائِجَ فَاسْأَلُوا الْعَرَبَ فَإِنَّهَا تُعْطَى لِثَلَاثِ خِصَالٍ: كَرَمِ أَحْسَابِهَا وَاسْتِحْيَاءِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضِ وَالْمُؤَاوَسَةِ لِلَّهِ. ثم قال: من أَبْغَضَ الْعَرَبَ أَبْغَضَهُ اللَّهُ.

ابن الكلبي قال: كانت في العرب خاصة عَشْرُ خِصَالٍ لم تكن في أُمَّةٍ من الأمم خَمْسٌ منها في الرأس وخمس في الجَسَدِ.

فأما التي في الرأس: فالْفَرْقُ وَالسُّوَاكُ وَالْمُضْمَضَةُ وَالِاسْتِئْتَارُ وَقَصُّ الشَّارِبِ.

وأما التي في الجَسَدِ: فَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَتَنْفُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَاةِ وَالخِتَانِ وَالِاسْتِئْتِجَاءِ.

وكانت في العرب خاصة القِيَافَةُ لم يَكُنْ في جميع الأمم أحدٌ يَنْظُرُ إِلَى رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا قَصِيرٌ وَالْآخَرُ طَوِيلٌ أَوْ أَحَدُهُمَا أَسْوَدٌ وَالْآخَرُ أَيْبُضٌ فيقول: هَذَا الْقَصِيرُ ابْنُ هَذَا الطَوِيلِ وَهَذَا الْأَسْوَدُ ابْنُ هَذَا الْأَيْبُضِ إِلَّا فِي الْعَرَبِ.

أبو العَينَاءِ الْهَاشِمِيُّ عَنْ الْقَحْدَمِيِّ عَنْ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ: كُنَّا وَقُوفًا بِالْمَرْبِدِ - وَكَانَ الْمَرْبِدُ مَالِفَ الْأَشْرَافِ - إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ الْمَقَفِّعِ فَبَشَّسْنَا بِهِ وَبَدَّأَنَاهُ بِالسَّلَامِ فَرَدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: لَوْ مِلْتُمْ إِلَى دَارِ نَيْرُوزٍ وَظَلَمْتُهَا الْإِظْلِيلِ وَسُورَهَا الْمَدِيدِ وَتَبَسَّيْتُمْهَا الْعَجِيبِ فَعَوَّدْتُمْ أَبْدَانَكُمْ تَمْهِيدَ الْأَرْضِ وَأَرْحَمْتُمْ دَوَابَّكُمْ مِنْ جَهْدِ الثَّقَلِ فَإِنَّ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ لَنْ تُفَاتُوهُ وَمَهْمَا قَضَى اللَّهُ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ تَنَالُوهُ.

فَقَبَلْنَا وَمَلْنَا فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَكَانُ قَالَ لَنَا: أَيُّ الْأُمَمِ أَعْقَلَ فَنظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ فَقُلْنَا: لَعَلَّهُ أَرَادَ أَصْلَهُ مِنْ فَارِسٍ قُلْنَا: فَارِسٌ فَقَالَ لَيْسُوا بِذَلِكَ إِنَّهُمْ مَلَكَوا كَثِيرًا مِنَ الْأَرْضِ وَوَجَدُوا عَظِيمًا مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ وَلَيْتَ فِيهِمْ عَقْدُ الْأَمْرِ فَمَا اسْتَنْبَطُوا شَيْئًا بِعَقُولِهِمْ وَلَا ابْتَدَعُوا بِأَقْي حِكْمٍ بِنَفْسِهِمْ قُلْنَا: فَالْروم قال: أَصْحَابُ صَنْعَةٍ قُلْنَا: فَالصَّيْنِ قَالَ: أَصْحَابُ طَرْفَةٍ قُلْنَا: الْهِنْدُ قَالَ: أَصْحَابُ فِلْسَفَةٍ قُلْنَا: السُّودَانَ قَالَ: شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ قُلْنَا: التُّرْكَ قَالَ: كِلَابُ ضَالَّةٍ قُلْنَا: الْخَزْرُ قَالَ: بَقَرٌ سَائِمَةٌ قُلْنَا: فُقُلٌ قَالَ: الْعَرَبُ.

قال فَصَحَّحْنَا.

قال: أَمَا إِنَّي مَا أَرَدْتُ مُوَاظَمَتَكُمْ وَلَكِنْ إِذَا فَاتَنِي حَظِّي مِنَ النَّسْبَةِ فَلَا يَفُوتُنِي حَظِّي مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

إِنَّ الْعَرَبَ حَكِيمَةٌ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ مُثَلِّ لَهَا وَلَا آثَارَ أَثَرَتْ أَصْحَابُ إِبِلٍ وَعَنَمٍ وَسَكَانِ شَعْرٍ وَأَدَمٍ يَجُودُ أَحَدُهُمْ بِقُوَّتِهِ وَيَنْفَضُّ بِمَجْهُودِهِ وَيُشَارِكُ فِي مَيْسُورِهِ وَمَعْسُورِهِ وَيَصِفُ الشَّيْءَ بِعَقْلِهِ فَيَكُونُ قُدْوَةً وَيَفْعَلُهُ فَيَصِيرُ حُجَّةً

وَيُحَسِّنُ مَا شَاءَ فَيَحْسُنُ وَيُبَيِّحُ مَا شَاءَ فَيَبِيحُ أَدَبْتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَرَفَعْتَهُمْ هِمَمَهُمْ وَأَعْلَتَهُمْ قُلُوبَهُمْ وَالسِّينَتَهُمْ فَلَمْ يَزَلْ جِيَاءَ اللَّهِ فِيهِمْ وَجِبَاؤُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى رَفَعَ " اللَّهُ " لَهُمُ الْفَخْرَ وَبَلَغَ بِهِمْ أَشْرَفَ الذِّكْرِ حَتَّمْ لَهُمْ بِمُلْكِهِمُ الدُّنْيَا عَلَى الدَّهْرِ وَافْتَتَحَ دِيْنَهُ وَخِلَافَتَهُ بِهِمْ إِلَى الْحَشْرِ عَلَى الْخَيْرِ فِيهِمْ وَلَهُمْ .

فقال " تعالى " : " إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ "

فمن وَصَعَ حَقَّهُمْ حَسِيرٌ وَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ خَصِمٌ وَدَفَعَ الْحَقُّ بِاللِّسَانِ أَكْبَثُ لِلجَنَانِ .

ذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ عَنِ ذِي الرُّمَّةِ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدًا أَسْوَدَ لَبْنِي أَسَدٍ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ شِيقِ الْيَمَامَةِ وَكَانَ وَحْشِيًّا لَطُولَ تَعَرُّبِهِ فِي الْإِبِلِ وَرَبِمَا كَانَ لَقِي الْأَكْرَةَ فَلَا يَفْهَمُ عَنْهُمْ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِفْهَامَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ سَكَنَ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عَيْلَانَ لَعَنَ اللَّهُ بِلَادًا لَيْسَ فِيهَا قَرِيبٌ وَقَاتَلَ اللَّهُ الشَّاعِرَ حَيْثُ يَقُولُ: حُرُّ الثَّرَى مُسْتَعْرَبُ الثَّرَابِ وَمَا رَأَيْتُ هَذِهِ الْعَرَبَ فِي جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا مِقْدَارَ الْقَرْحَةِ فِي جِلْدِ الْقَرَسِ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ رَقَّ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَهُمْ فِي حَشَاهُ لَطَمَسَتْ هَذِهِ الْعُجْمَانُ آثَارَهُمْ .

والله ما أمر الله تبييه بقتلهم إلا لضئهم بهم ولا ترك قبول الجزية " منهم " لا لتركيها لهم .

الأكرة: جمع أكار وهم الحرات.

وقوله: جعلهم في حشاه أي آسبطنهم يقول الرجل للعربي إذا آسبطنه: حَبَاتُكَ فِي حَشَائِي .

وقال الراجز: وصاحب كالدمل الممد جعله في رفة من جلدي وقال آخر: يودون لو خاطوا عليك جلودهم ولا يدفع الموت النفوس الشخاخ علماء النسب كان أبو بكر رضي الله عنه نسابه وكان سعيد بن المسيب نسابه وقال رجل: أريد أن تعلمني النسب قال: إنما تريد أن نساب الناس .

عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى رُفِعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ - قَالَ عَلِيٌّ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقَدِّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَكَانَ رَجُلًا نَسَابًا - فَقَالَ: مَمَّنَ الْقَوْمُ قَالُوا: مِنْ رَيْبِةٍ قَالَ: وَأَيُّ رَيْبِةٍ أَنْتُمْ أَمِنْ هَامَتِهَا قَالُوا: مِنْ هَامَتِهَا الْعُظْمَى قَالَ: وَأَيُّ هَامَتِهَا الْعُظْمَى أَنْتُمْ قَالُوا: ذَهَلِ الْأَكْبَرُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَمِنْكُمْ عَوْفُ بْنُ مَحْلَمٍ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ: لَا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ قَالُوا: لَا قَالَ: فَمِنْكُمْ جَسَّاسُ بْنُ مِرَّةِ الْحَامِي الدَّمَارِ وَالْمَانِعُ الْجَارِ قَالُوا: لَا قَالَ: فَمِنْكُمْ أَحْوَالُ الْمُلُوكِ مِنْ كِنْدَةَ قَالُوا: لَا قَالَ: فَمِنْكُمْ أَضْهَارُ الْمُلُوكِ مِنْ لَحْمٍ قَالُوا: لَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَلَسْتُمْ دُهَلًا الْأَكْبَرُ أَنْتُمْ ذَهَلِ الْأَصْغَرُ .

فقام إليه غلام من سببان حين بقل وجهه يُقال له دغفل فقال: إن علي سائلنا أن تسأله والعيب! لا تعرفه أو تحمله يا هذا إنك قد سألنا فأخبرناك

ولم نَكْتُمَكَ شَيْئاً فَمَمَّنَ الرَّجُلُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ قُرَيْشٍ قَالَ: بَخَ بَخَ أَهْلُ الشَّيْرِفِ وَالرِّيَاسَةِ فَمَنْ أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْتَ قَالَ: مَنْ وَلَدَتْ تَيْمٌ بِنَ مُرَّةٍ قَالَ: أَمْكَنْتَ وَاللَّهِ الرَّامِيَّ مِنْ سَوَاءِ النَّعْرَةِ أَفَمِنْكُمْ هَاشِمٌ الَّذِي هَشِمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالَ مَكَةَ مَسْتَنُونَ عَجَافٌ قَالَ: لَا أَفَمِنْكُمْ شَيْبَةُ الْحَمْدِ وَعَبْدُ الْمُطَلِّبِ مُطْعَمُ طَيْرِ السَّمَاءِ الَّذِي وَجَّهَهُ كَالْقَمَرِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ قَالَ: لَا قَالَ: فَمَنْ أَهْلُ الْإِفَاضَةِ بِالنَّاسِ أَنْتَ قَالَ: لَا قَالَ: فَمَنْ أَهْلُ السَّقَايَةِ أَنْتَ قَالَ: لَا.

فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام: صادف دثر السيل درأ يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه قال: فتبسّم النبي عليه الصلاة والسلام.

قال عليّ: فقلتُ له: وقعت يا أبا بكرٍ من الأعرابيِّ على بائقة قال: أجل ما من طائفة إلا وفوقها أخرى والبلاء موكّل بالمنطق والحديث ذو شجون.

قال ابن الأعرابي: بلغني أنّ جماعةً من الأنصار وقفوا على دَعَقَلِ النسابة بعدما كفّ فسلموا عليه فقال: من القوم قالوا: سادة اليمين فقال: أمن أهل مجدّها القديم وبشرفها العميم كندة قالوا: لا قال: فأنتم الطوال " أقصبا " الْمُمَحَصَّوْنَ نَسَباً بنو عبدالمَدَانِ قالوا: لا قال: فأنتم أقودها للزحوف وأخرقها للصفوف وأضرّتها بالسيف رهط عمرو بن معد يكرب قالوا: لا قال: فأنتم أحضرها قراء وأطيبها فتاء وأشدّها لِقَاءً " رهط " حاتم ابن عبد الله قالوا: لا قال: فأنتم الغارسون للتخل والمطعمون في المحل والقائلون بالعدل الأنصار قالوا: نعم.

مسلمة بن شبيب عن المنقريّ قال: ذكروا أنّ يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زُرارة بن عُدَسٍ قال: خرجتُ حاجاً حتى إذا كنتُ بالمحصّب من مئى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب مع كل رجل منهم مخجن يتخون الناس عنه ويوسعون له فلما رأيتُه دنوتُ منه فقلت: ممّن الرجلُ قال: رجلٌ من مَهْرَةَ ممن يسكن الشحر.

قال: فكرهته ووليتُ عنه فناداني من ورائي: مالك فقلتُ: لست من قومي وليست تعرفني ولا أعرفك قال: إن كنت من كرام العرب فسأعرفك قال: فكبررتُ عليه راحلتي فقلت: إني من كرام العرب قال: فممن أنت قلت: من مضر قال: فمن الفُرسان أنت لم من الأرحاء فعلمتُ أن أراد بالفُرسان قيساً وبالأرحاء خندفاً فقلت: بل من الأرحاء قال: أنت امرءٌ من خندف قلت: نعم قال: من الأرنبة " أنت " أم من الجُمجمة فعلمتُ أنه أراد بالأرنبة مُدْرَكَةٌ وبالجُمجمة بني أد بن طابخة قلتُ: بل من الجُمجمة قال: فأنت امرؤ من بني أد بن طابخة قلت: أجل قال: فمن الدّواني أنت أم من الصّميم قال: فعلمتُ أنه أراد بالدّواني الرّباب وبالصّميم بني تميم قلتُ: من الصّميم فأنت إذا من بني تميم قلت: أجل قال: فمن الأكثرين أنت أم الأقلين أو من إخوانهم الآخرين فعلمتُ أنه أراد بالأكثرين وولد زيد " مناة " وبالأقلين ولد الجارث وإخوانهم الآخرين بني عمرو بن تميم قلتُ: من الأكثرين قال: فأنت إذا من ولد زيد قلتُ: أجل قال: فمن البُحور أنت أم من الجُدود أم من التّماد فعلمتُ أنه أراد بالبُحور بني سعد وبالجُدود بني مالك بن حنظلة وبالتّماد بني

امرئ القيس ابن زيد قلت: بل من الجدود قال: فأنت من هالك بن حنظلة قلت: أجل قال: فمن اللهاب أنت أم من الهشعاب أم من اللصاب فعلمت: أنه أراد باللهاب مجاشعاً والشعاب تهشلاً وباللصاب بني عبد الله بن دارم فقلت له: من اللصاب قال: فأنت من بني عبد الله بن دارم قلت: أجل قال: فمن البيوت أنت أم من الروافر فعلمت أنه أراد بالبيوت وليد زرارة وبالروافر الأخلاف قلت: من البيوت قال: فأنت يزيد بن شيبان ابن علقمة بن زرارة بن غدس وقد كان لأبيك امرأتان فأيتهما أمك.

قول دغفل في قبائل العرب - الهيثم بن عدي عن عوانة قال: سألت زياداً دغلاً عن العرب فقال: الجاهلية لليمن والإسلام لمضر والقينة " بينهما " لربيعة قال: فأخبرني عن مضر قال: فاخبرني بكنانة وكاثر بنميم وحارب بن قيس ففيها الفرسان والأنجاد وأما أسد ففيها دل وكير.

وسأل معاوية بن أبي سفيان دغلاً فقال له: ما تقول في بني عامر بن صعصعة قال: أعناق طباء وأعجاز نساء قال: فما تقول في بني أسد قال: عاقاة قاقاة فصحاء كاقاة قال: فما تقول في بني تميم قال: حجر أحسن إن صادفته أذاك وإن تركته أعفأك قال: فما تقول في خزاعة قال: جوع وأحاديث قال: فما تقول في اليمن قال: شدة وإباء.

قال نصر بن سيار: إنا وهذا الحي من يمن لنا عند الفخار أعزة أكفاء قوم لهم فينا دماء جمه ولنا لديهم إجنه ودماء وربيعة الأذنان فيما بيننا لا هم لنا سلم ولا أعداء إن يتصرونا لا يعز بنصرهم أو يخذلونا فالسما سماء مفاخرة يمن ومضر - قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان: هلم فأخرك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد: قل فقال الأبرش: لنا ريع البيت - يريد الركن اليماني - ومنا حاتم طيء ومنا المهلب بن أبي صفرة.

قال خالد بن صفوان: من النبي المرسل وفينا الكتاب المترل ولنا الخليفة المؤمن قال الأبرش: لا فاخرت مضرياً بعدك.

ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ففخروا عنده بقديهم وحدثهم فقال أبو العباس لخالد بن صفوان: أجب القوم فقال: أخوال أمير المؤمنين قال: لا بد أن تقول قال: وما أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين حائك بزد وسائس قرد ودايع جلد دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة وعزقتهم قارة فلم مفاخرة الأوس والخزرج - الخشنى يرفعه إلى أنس قال: تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس: منا عسيل الملائكة حنظلة بن الزاهب ومنا عاصم بن " ثابت بن أبي " الأفلح الذي حمت لحمه الدبر ومنا ذو الشهادتين حزيمة بن ثابت ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ.

قالت الخزرج: من أربعة قرأوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم: زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب سيد القراء ومنا الذي أيده الله بروح القدس في شعره حسان بن ثابت.

قال أبو عُبيدة في كتاب التاج: آتَمَعَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي سَمَرِهِ
عُلَمَاءُ كَثِيرُونَ مِنَ الْعَرَبِ فَذَكَرُوا بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ فَاتَّفَقُوا عَلَى خَمْسَةِ آيَاتٍ
بَيْتِ بَنِي مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ فِي كِنْدَةَ وَبَيْتِ بَنِي جُنَيْمٍ فِي بَكْرِ فِي تَغْلِبٍ وَبَيْتِ
ابْنِ ذِي الْجَدَّيْنِ فِي بَكْرِ وَبَيْتِ زُرَّارَةَ بْنِ عُدَسٍ فِي تَمِيمٍ وَبَيْتِ بَنِي بَدْرِ فِي
قَيْسٍ.

وَفِيهِمُ الْأَخْرَزِيُّ بْنُ مُجَاهِدِ التُّغَلْبِيِّ وَكَانَ أَعْلَمَ الْقَوْمِ فَجَعَلَ لَا يَخُوضُ مَعَهُمْ فِيمَا
يَخُوضُونَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَالِكُ يَا أَحْيِرُزُ سَاكِنًا مِنْذُ اللَّيْلَةِ فَوَاللَّهِ مَا
أَنْتَ بِدُونَ الْقَوْمِ عِلْمًا قَالَ: وَمَا أَقُولُ سَبَقَ أَهْلَ الْقَصْلِ " فِي فَضْلِهِمْ أَهْلُ
النَّقْصِ " فِي نَقْصَانِهِمْ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ قَرْسًا سَابِقًا لَكَانَتْ عُرَّتُهُ بَنُو
شَيْبَانَ فِيهِمُ الْإِكْتَارُ.

وَقَدْ قَالَتِ الْمُسَيْبَةُ بْنُ عَلَسٍ: تَبَيَّتِ الْمُلُوكُ عَلَيَّ عُنْبًا وَشَيْبَانُ إِنْ عَتَبْتَ
تُعْتَبُ فَكَأَنَّ لَشَهْدِ الرَّاحِ أَخْلَافُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهَا أَعْدَبُ وَكَالْمِسْكِ تُرْبُ
مَقَامَاتِهِمْ وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ بِيُوتَاتِ مَضَرَ وَفَضَائِلُهَا جُمُجُمَاتُهَا وَفِيهَا الْعَيْنَانِ
وَأَسَدٌ لِسَانُهَا وَتَمِيمٌ كَاهِلُهَا.

وَقَالُوا: بَيْتُ تَمِيمٍ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ وَمَرْكَزُهُ بَنُو زُرَّارَةَ وَبَيْتُ قَيْسٍ قَرَّارَةَ
وَمَرْكَزُهُ بَنُو بَدْرِ " بَنُ عَمْرُو " وَبَيْتُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ شَيْبَانَ وَمَرْكَزُهُ بَيْتُ بَنِي ذِي
الْجَدَّيْنِ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْكَلْبِيِّ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ أَخْبَارِ الْعَرَبِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنِ أَعْرَبِ الْعَرَبِ
فَقَالَ: رَجُلٌ رَأَيْتُهُ بَابَ قُبَيْتِهِ فَقَسَمَ الْفِيءَ بَيْنَ الْخَلِيفَيْنِ أَسَدٌ وَعَطْفَانٌ مَعًا
قَالَ: وَمَنْ هُوَ قَالَ: حِصْنُ بْنُ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ.

قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ أَشْرَفِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ وَإِنِّي
لَأُبْغِضُهُ قَالَ: وَمَنْ هُوَ قَالَ: بَيْتُ زُرَّارَةَ بْنِ عُدَسٍ.

قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ أَفْصَحِ الْعَرَبِ قَالَ: بَنُو أَسَدٍ.

وَالْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ النُّسْبِ وَفِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي التَّاجِ أَنَّ أَشْرَفَ
بَيْتٍ فِي مَضَرَ غَيْرِ مُدَافِعٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتُ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ
بَنِ رَيْدِ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ.

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ وُجُوهُ الْعَرَبِ وَوُقُودُ الْقَبَائِلِ وَدَعَا
بُرَيْدِيَّ مُحَرِّقًا فَقَالَ: لِيَلْبَسَ هَذَيْنِ الْبُرْدَيْنِ أَكْرَمُ الْعَرَبِ وَأَشْرَفُهُمْ حَسَبًا
وَأَعَزُّهُمْ قَبِيلَةً فَأَحْجَمَ النَّاسُ فَقَالَ الْأَخْيَمِرِيُّ بْنُ خَلْقِ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ
كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ رَيْدِ مَنَاءَ فَقَالَ: أَنَا لَهُمَا فَاتْتَرَّرَ بِأَحَدِهِمَا وَأَرْتَدَى بِالْآخَرِ.

فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ: وَمَا حُجَّتُكَ فِيمَا آدَعَيْتَ قَالَ: الشَّرْفُ مِنْ زِيَارَةِ كُلِّهَا فِي
مَضَرَ ثُمَّ فِي تَمِيمٍ ثُمَّ فِي سَعْدٍ ثُمَّ فِي كَعْبٍ ثُمَّ فِي بَهْدَلَةَ قَالَ: هَذَا أَنْتَ فِي
أَهْلِكَ فَكَيْفَ أَنْتَ فِي عَشِيرَتِكَ قَالَ: أَنَا أَبُو عَشْرَةِ وَعَتَمُ عَشْرَةَ وَأَخُو عَشْرَةَ
وَخَالُ عَشْرَةَ فَهَذَا أَنْتَ فِي عَشِيرَتِكَ فَكَيْفَ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ: شَاهِدُ
الْعَيْنِ شَاهِدِي ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ قَدَمَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ: مَنْ أزالها فَلَهُ مِنَ الْإِبْلِ
مِائَةٌ.

فلم يَقُمْ إليه أَحَدٌ وَلَا تَعَاطَى ذَلِكَ.

ففيه يقول الفَرَزْدَقُ: فما تَمَّ في سَعْدٍ ولا آل مالك غلامٌ إذا سَبِيلَ لم يَتَّبِعْهُدَلْ لهم وَهَبَ النِّعْمَانُ بُرْدَى مُحَرَّقٍ بِمَجْدِ مَعَدٍّ وَالْعَدِيدِ الْمُحْصَلِ وَمِنْ بَيْتِ بَهْدَلَةَ بن عَوْفٍ كَانَ الرَّبْرِقَانُ بن بَدْرٍ وَكَانَ يُسَمَّى سَعْدَ " بن زيد مَنَاءَ بن تَمِيمٍ: سَعْدَ " الْأَكْرَمِينَ وَفِيهِمْ كَانَتْ الْإِفَاضَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي عَطَارِدِ بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ ثَمَّ فِي آلِ كَرْبِ بن صَفْوَانَ بن عَطَارِدِ وَكَانَ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ أَيَّامَ الْحَجِّ بِمَنَى لَمْ يَبْرَحْ أَحَدٌ حَتَّى يَجُوزَ آلَ صَفْوَانَ وَمَنْ وَرِثَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ثَمَّ يَمُرُّ النَّاسُ أَرْسَالًا.

وفي ذلك يقول: أَوْسُ بنُ مَعْرَاءِ السَّعْدِيِّ: وَلَا يَرِيمُونَ فِي التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانًا مَا تَطَّلَعَ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغِيْبَنَّ إِلَّا عِنْدَ أَحْرَانَا وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلَقْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ.

معناه والله أعلم: أن الله يُنْفِيسُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِأَهْلِ الْيَمَنِ يَرِيدُ الْأَنْصَارَ وَلِذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: نَفْسِنِي فَلَانٌ فِي حَاجَتِي إِذَا رَوَّحَ عَنْهُ بَعْضُ مَا كَانَ يَعْجُجُهُ مِنْ أَمْرِ حَاجَتِهِ.

وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانية: لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ تَجْمُهَا وَمِنْ الْكَعْبَةِ رُكْبُهَا وَمِنْ الشَّرَفِ صَمِيمِهِ.

وقال عمر بن الخطاب: مَنْ أَحْوَدُ الْعَرَبِ قَالُوا: حَاتِمُ طِيءٍ قَالَ: قَمَنْ فَارِسُهَا قَالُوا: عَمْرُو بن مَعْدٍ يَكْرِبُ قَالَ: قَمَنْ شَاعَرُهَا قَالُوا: أَمْرُو الْقَيْسِ بن حُجْرٍ قَالَ: فَأَيُّ سَيْوِفِهَا أَقْطَعُ قَالُوا: الصَّمْصَامَةُ قَالَ: كَفِي بِهَذَا فَحْرًا لِلْيَمَنِ.

وقال أبو عُبَيْدَةَ: مُلُوكُ الْعَرَبِ حَمِيرٌ وَمَقَاوِلُهَا عَسَانٌ وَلَحْمٌ وَعَدَدُهَا وَقُرْسَانُهَا الْأَزْدُ وَسِينَاثُهَا مَدْحَجٌ وَرَبِحَانَتُهَا كِنْدَةٌ وَقُرَيْشُهَا الْأَنْصَارُ.

وقال ابن الكلبي: حَمِيرٌ مُلُوكٌ وَأَزْدَانُ الْمُلُوكِ وَالْأَزْدُ أَسَدٌ وَمَدْحَجُ الطُّغَّانِ وَهَمْدَانُ أَخْلَاسُ الْحَيْلِ وَعَسَانُ أَرْبَابُ الْمُلُوكِ.

ومِن الْأَزْدِ: الْأَنْصَارُ وَهُمْ الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ ابْنَا حَارِثَةَ بَيْنَ عَمْرُو بنِ عَامِرٍ وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ أَنْفُسًا وَأَشْرَفُهُمْ هَمَمًا لَمْ يُؤَدِّوا إِتَاوَةَ قَطٍ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو كَرْبٍ تُبَّعَ الْآخِرِ يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَبِتَوْعِدِهِمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا إِنْ يَعْزَوْهُمْ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ: الْعَبْدُ يُبْعَثُ بِعَيْبِكُمْ يُرِيدُ قِتَالَنَا وَمَكَائِهِ بِالْمَنْزِلِ الْمُتَدَلَّلِ إِنَّا أَنَاسٌ لَا يُنَامُ بِأَرْضِنَا عَضَّ الرَّسُولُ يَنْظُرُ أُمَّ الْمُزَيْلِ قَالَ: فَغَزَاهُمْ أَبُو كَرْبٍ فَكَانُوا يُحَارِبُونَهُ بِالنَّهَارِ وَيَقْرُونَهُ بِاللَّيْلِ فَقَالَ أَبُو كَرْبٍ: مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْرَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ يُحَارِبُونَنَا بِالنَّهَارِ وَيُخْرِجُونَ لَنَا الْعِشَاءَ بِاللَّيْلِ أَرْتَحِلُوا عَنْهُمْ فَارْتَحَلُوا.

ابن لهيعة عن ابن هُبَيْرَةَ عَنْ عَلْقَمَةَ ابْنِ وَعْلَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ سَبَأٍ مَا هُوَ أَبْلَدُ أَمْ رَجُلٌ أَمْ امْرَأَةٌ فَقَالَ: بَلْ رَجُلٌ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةٌ فَسَكَنَ الْيَمَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَالشَّامَ أَرْبَعَةٌ أُمَّ الْيَمَانِيِّينَ

فَكِنْدَةُ وَمَذْحَجُ وَالْأَزْدُ وَأَنْمَارُ وَجَمِيرُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَأَمَّا الشَّامِيُّونَ فَلَحْمٌ وَجُدَامٌ وَعَسَّانٌ وَعَامِلَةٌ.

ابن لهيعة قال: كان أبو هريرة إذا جاء الرسولُ سأله ممَّن هو فإذا قال: من جُدَام قال: مَرْحَبًا بِأَصْهَارِ مُوسَى وَقَوْمِ شُعَيْبٍ.

ابن لهيعة عن بكر بن سَوَادَةَ قال: أتى رجلٌ من مَهْرَةَ إلى عليِّ بن أبي طالب قال: ممن أنت قال: من مَهْرَةَ قال: " وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ".

وقال ابن لهيعة: قَبْرُ هُودٍ فِي مَهْرَةَ.

تفسير القبائل والعِمَائِرُ والشُّعُوبُ قال ابن الكَلْبِيِّ: الشَّعْبُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَبِيلَةِ ثُمَّ الْعِمَارَةُ ثُمَّ الْبَطْنُ ثُمَّ الْفَخْدُ ثُمَّ الْعَشِيرَةُ ثُمَّ الْقَصِيلَةُ.

وقال غيره: الشُّعُوبُ الْعَجَمُ وَالْقَبَائِلُ الْعَرَبُ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْقَبِيلَةِ قَبِيلَةٌ لِتَقَابُلِهَا وَتَنَاطُرِهَا وَأَنَّ بَعْضَهَا يُكَافِي بَعْضًا.

وقيل للشَّعْبِ شَعْبٌ لِأَنَّهُ انشَعَبَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِمَّا انشَعَبَ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَقِيلَ لَهَا عِمَائِرٌ مِنَ الْإِعْتِمَارِ وَالْإِجْتِمَاعِ وَقِيلَ لَهَا بَطُونٌ لِأَنَّهَا دُونَ الْقَبَائِلِ وَقِيلَ لَهَا أَفْحَادٌ لِأَنَّهَا دُونَ الْبَطُونِ ثُمَّ الْعَشِيرَةُ وَهِيَ رَهْطُ الرَّجُلِ ثُمَّ الْقَصِيلَةُ وَهِيَ أَهْلُ بَيْتِ الرَّجُلِ خَاصَّةً.

قال تعالى: " وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ".

وقال تعالى: " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ".

تفسير الأرحاء والجماجم

- وقال أبو عُبَيْدَةَ فِي النَّجَاحِ: كَانَتْ أَرْحَاءُ الْعَرَبِ سِتًّا وَجَمَاجِمُهَا ثَمَانِيًّا فَالْأَرْحَاءُ السِّتُّ بِمُضَرٍّ مِنْهَا اثْنَتَانِ وَلرَّبِيعَةٌ اثْنَتَانِ.

وللِیْمَنِ اثْنَتَانِ وَاللَّتَانِ فِي مِضَرَ تَمِيمٍ بِنِ مُرٍّ وَأَسَدِ بْنِ حُرَيْمَةَ وَاللَّتَانِ فِي الْيَمَنِ كَلْبُ ابْنِ وَبْرَةَ وَطَيْئُ بْنُ أَدَدٍ وَإِنَّمَا سُمِّيتْ هَذِهِ أَرْحَاءٌ لِأَنَّهَا أُحْرِزَتْ دَوْرًا وَمِيَاهًا لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ مِثْلَهَا.

وَلَمْ تَنْحَرْ مِنْ أَوْطَانِهَا وَدَارَتْ فِي دَوْرِهَا كَالْأَرْحَاءِ عَلَى أَقْطَابِهَا إِلَّا أَنْ يَنْتَجِعَ بَعْضُهَا فِي الْبَرْحَاءِ وَعَامَ الْجَدْبِ وَذَلِكَ قَلِيلٌ مِنْهُمْ.

وقيل للجماجم جماجم لأنها يتفرع من كلِّ واحدةٍ منها قبائلٌ اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها فصارت كأنها جسد قائم وكلُّ عُضْوٍ مِنْهَا مُكْتَفٍ بِاسْمِهِ مَعْرُوفٌ بِمَوْضِعِهِ وَالْجَمَاجِمُ ثَمَانٍ: فَاثْنَتَانِ مِنْهَا فِي الْيَمَنِ وَاثْنَتَانِ فِي رَبِيعَةَ وَأَرْبَعٌ فِي مُضَرَ.

فالأربع التي في مُضر: اثنتان في قَيْس واثنتان في خِنْدَف ففي قَيْس: عَطْفَان وَهَوَازِن وَفِي خِنْدَف: كِنَانَةٌ وَتَمِيمٌ وَاللَّتَانُ فِي رَبِيعَةَ: بَكْرُ ابْنِ وَاثِلِ وَعَبْدُ الْقَيْسِ بْنِ أَقْصَى وَاللَّتَانُ فِي الْيَمَنِ: مَدْحَجٌ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَدَدِ ابْنِ رَبِيدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ وَقُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرِ بْنِ سَبَأٍ.

أَلَا تَرَى أَنَّ بَكْرًا وَتَغْلِبَ ابْنِي وَاثِلَ قَبِيلَتَانِ مُتَكَافِئَتَانِ فِي الْقَدْرِ وَالْعَدَدِ فَلَمْ يَكُنْ فِي تَغْلِبِ رِجَالٌ شَهْرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ حَتَّى انْتَسِبَ إِلَيْهِمْ وَاسْتَجَزَى بِهِمْ عَنْ تَغْلِبٍ إِذَا سَأَلْتَ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ لَمْ يَسْتَجِزْ حَتَّى يَقُولَ تَغْلِبِي.

وَلِبَكْرِ رِجَالٌ قَدْ اشْتَهَرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ حَتَّى كَانَتْ مِثْلَ بَكْرِ فَمِنْهَا شَيْبَانَ وَعِجْلٌ وَيَشْكُرٌ وَقَيْسٌ وَحَنِيفَةٌ وَدُهْلٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ عَبْدُ الْقَيْسِ أَلَا تَرَى أَنَّ عَنزَةَ فَوْقَهَا فِي النَّسَبِ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِيعَةَ إِلَّا أَبُو وَاحِدٌ عَنزَةُ بْنُ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ فَلَا يَسْتَجِزِي الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا سُئِلَ أَنْ يَقُولَ عَنزِي وَالرَّجُلُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ يُنْسَبُ شَيْبَانِيًّا وَجَزْمِيًّا وَبَكْرِيًّا.

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَنَّ صَبَّةَ بْنَ أَدِ عَمِ تَمِيمٍ فَلَا يَسْتَجِزِي الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ صَبِّي وَالْبُهَيْمِيَّ قَدْ يَنْتَسِبُ فِيَقُولُ مِنْقَرِيَّ وَهَجِيمِيَّ وَطَهَوِيَّ وَيَرْبُوعِيَّ وَدَارْمِيَّ وَكَلْبِيَّ وَكَذَلِكَ الْكِنَانِيَّ يَنْتَسِبُ فِيَقُولُ لَيْثِي وَدَوْلِيَّ وَضَمْرِيَّ وَفِرَاسِيَّ وَكُلُّ ذَلِكَ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ وَكَذَلِكَ الْعَطْفَانِيَّ يَنْتَسِبُ فِيَقُولُ عَبْسِيَّ وَدُبْيَانِيَّ وَفَرَازِيَّ وَمُرِّيَّ وَأَشْجَعِيَّ وَبَغِيضِيَّ.

وَكَذَلِكَ هَوَازِنٌ مِنْهَا ثَقِيفٌ وَالْأَعْجَازُ وَعَامِرُ بْنُ صَعْصَعَةَ وَفُسَيْرٌ وَعَقِيلٌ وَجَعْدَةٌ وَكَذَلِكَ الْقَبَائِلُ مِنَ يَمَنِ الَّتِي ذَكَرْنَا فَهَذَا فَرَقٌ مَا بَنِي الْجَمَاحِمِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْمَعْنَى الَّذِي بِهِ سَمِيَتْ جَمَاحِمٌ.

وَجَمْرَاتُ الْعَرَبِ أَرْبَعَةٌ وَهَمُّ: بَنُو ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَبَنُو صَبَّةَ وَبَنُو عَبْسٍ وَبَنُو بَغِيضٍ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا الْجَمْرَاتُ لِاجْتِمَاعِهِمْ وَالْجَمْرَةُ الْجَمَاعَةُ أَسْمَاءٌ وَلَدَ نِزَارٌ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْخُسْنِيُّ: لَمَّا احْتَضَرَ نِزَارُ بْنُ مَعَدٍّ ابْنُ عَدْنَانَ تَرَكَ أَرْبَعَةَ بَنِينَ: مُصْرَ وَرَبِيعَةَ وَأَنْمَارَ وَإِيَادَ وَأَوْصَى أَنْ يُقَسِّمَ مِيرَاثَهُمْ بَيْنَهُمْ سَطِيحُ الْكَاهِنِ.

فَلَمَّا مَاتَ نِزَارٌ صَفَّهَمُ سَطِيحٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَعْطَاهُمْ عَلَى الْفِرَاسَةِ فَأَعْطَى رَبِيعَةَ الْخَيْلَ فَيُقَالُ لَهُ رَبِيعَةُ الْفَرَسِ وَأَعْطَى مُصْرَ النَّاقَةَ الْحَمْرَاءَ فَيُقَالُ لَهُ مُصْرُ الْحَمْرَاءِ.

وَأَعْطَى أَنْمَارًا الْجِمَارَ وَأَعْطَى إِيَادًا أَثَاثَ الْبَيْتِ.

قَالَ: فَقِيلَ لِسَطِيحٍ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ هَذَا الْعِلْمَ قَالَ سَمِعْتُهُ مِنْ أَخِي حِينَ سَمِعَهُ مِنْ مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ.

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ تَغْلِبٍ قَالَ: أَرَدَفَنِي أَبِي فَلَمَّا أَصْحَرَ رَفَعَ عَقْبِرَتَهُ فَقَالَ: رَأْتُ سِدْرَةً مِنْ سِدْرِ حَوْمَلٍ فابْتَنَّتْ بِهَا بَيْتَهَا أَلَا تُحَاذِرُ رَامِيًا إِذَا هِيَ قَامَتْ فِيهِ قَامَتْ ظَلِيلَةً وَأَدْرِكُ رُوقَهَا الْعُصُونَ الدَّوَانِيَا تَطْلُعُ مِنْهُ بِالْعَشِيِّ وَبِالصُّحَى تَطْلُعُ ذَاتِ الْخَدْرِ تَدْعُو الْجَوَارِيَا ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مِنْ قَائِلِ هَذِهِ

الأبيات يا بُني قلت: لا أدري قال: قالها ربيعةُ بن نِزارِ فقلت: وما يَصِفُ قال:
البقرة الوحشية.

ولد مضر بن نِزارِ إلياس والناس وهو عَيْلانُ أمهما الرباب بنت حَيْدة بن مَعَدِّ.

قَوْلُ الناسِ الذي هو عَيْلانُ بن مِصْرَ قَيْسَ بن عَيْلانَ بن مِصْرَ وولد إلياس بن
مِصْرَ عَمْرًا وهو مُدْرِكَةُ وعامراً وهو طابخة وعُميراً وهو القمعة.

ويقال إن القمعة هو الجَزعة وأمهم خِندف وهي لَيْلى بنت خُلوان بن عمران
بن الحاف بن قُضاعة قَجَمِيع ولد إلياس بن مِصْرَ بن نِزارِ من خِندف ولذلك
يُقَالُ لهم خِندف لأنها أمهم وإليها يُنسبون.

قَجَمِيع ولد مِصْرَ بن نِزارِ قيس وخِندف.

ومن بَطونِ خِندف: بنو مُدْرِكَةُ بن إلياس بن مِصْرَ وهم هُنَيْلُ بن مُدْرِكَةُ وكِنانة
بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ وأسَدُ بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ والهون بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ
وهم إخوة أسد.

ومن بني طابخة بن إلياس من مِصْرَ ضبة بن أد بن طابخة ومُرَيْنة وهما بنو
عمرو بن أد بن طابخة نُسبوا إلى أمهم مُزينة بنت كَلبِ بن وَبْرَةَ والرباب بنو
أد بن طابخة وهم عِدِيٌّ وتَيْمٌ وتَوْرٌ وعُكْلٌ وإنما سُمِّيتِ الرباب لأنها اجتمعت
وتحالفت فكانت مثل الربابة.

ويقال إنهم كانوا إذا تحالفوا وضعوا أيديهم في جَفنة فيها رُبٌّ.

وضوفة وهو الرُّبِيطُ بن العَوْتِ بن أد بن طابخة وكانوا أصحابَ الإجازة ثم
انتقلت في بني عِطارد بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن رَبْدِ مَتَاة بن تَمِيمِ و
تَمِيمِ ابن مَرِّ بن أد ابن طابخة.

فجميع قبائل مِصْرَ تجمعها قَيْسُ وخِندف وقد تنسب ربيعة في مِصْرَ وإنماهم
إخوة مِصْرَ لأن ربيعة ابن نِزارِ ومِصْرَ ابن نِزارِ.

▲ بطون هذيل وجماهيرها

منهم لِحْيَانُ بن هُدَيْلِ بَطْنُ: وخُتاعة بن سَعْدِ بن هُدَيْلِ بَطْنُ وحريث بن سَعْدِ
بن هُدَيْلِ بَطْنُ وصاهلة بن كاهل بن الحارث بن سَعْدِ بن هُدَيْلِ بَطْنُ وصُحِجِ
بن كاهل بطن وكَعْبِ بن كاهل بطن.

فمن بنى صاهلة: عبد الله بن مَسْعُودِ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم شَهِدَ بدرًا.

ومن بني صُحِجِ بن كاهل: أبو بكرِ الهُدَلِيِّ الفَقِيهِ ومنهم: صَخْرُ بن حَبِيبِ
الشاعر الذي يُقالُ له صَخْرُ العَيِّ وأبو بكرِ الشاعرِ واسمه ثابت بن عبد
سَمْسِ ومنهم: أبو دُوَيْبِ الشاعر وهو حُوَيْلِدُ بن خالد.

وَبُطُونٌ هُدَّيِلَ كُلُّهَا لَا تَنْتَسِبُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا وَإِنَّمَا تَنْتَسِبُ إِلَى هُدَّيِلَ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ جُمُومَةً.